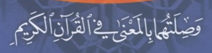
الوقف والابتداء



إعداد

أ.د. عبد الكريم إبراهيم عوض صالح

مدرس بكلية القرآن الكريم - جامعة الأزهر

وعضو لجنة مراجعة المصاحف بمجمع البحوث الإسلامية



دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



إعداد

أ.د. عبد الكريم إبراهيم عوض صالح

مدرس بكلية القرآن الكريم - جامعة الأزهر

وعضو لجنة مراجعة المصاحف بمجمع البحوث الإسلامية

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الثالثة
١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م، ٢٠٠٠م، ٢٠٠١م هي عمر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com





﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣]

إهداء

إلى أحب الناس إلى قلبي

- أستاذي وشيخي ... صاحب الفضيلة الشيخ / سليمان عبد الحميد الفقي ، عميد معهد قراءات دمنهور الأزهري ، أطال الله في عمره وبارك له في ذريته ومتعه بالصحة والعافية ، حتى يظل منهلًا عذبًا لخدمة القرآن وعلومه .

- أخي الفاضل وصديقي الوفي الدكتور/ محمد إبراهيم صباح ، مدرس الفقه بكلية الشريعة والقانون بطنطا ، الذي مد لي يد العون والعطاء ، بارك الله في أولاده وفقهه في الدين ورزقه العلم والمعرفة .

- والدي ... أطال الله في عمره وأمده بالصحة والعافية .

- والدتي ... التي عشت في ظل رعايتها ودفء حنانها وطيب دعائها ؛ فبارك الله فيها .

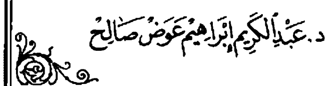
- زوجتي ... التي تحملت معي عناء هذا البحث .

- ولديَّ أسماء وأحمد جعلهما الله من أهل العلم وأنبتهما نباتًا حسنًا .

- وإلى كل أساتذتي ، وإخواني ، وزملائي ، وكل من شارك بالجهد والدعاء ، وساهم في مساعدتي في إخراج هذه الرسالة إلى دائرة النور .

إلى هؤلاء جميعًا أهدي هذا البحث .








شكر وتقدير

يطيب لي في مقدمة كتابي هذا أن أشكر اللّٰه تعالى كثيرًا على عظيم فضله وجزيل عطائه ؛ حيث أنعم عليّ بإشراف أستاذ عظيم وإمام جليل ، وهو الأستاذ الدكتور / زكي محمد أبو سريع أستاذ التفسير وعلوم القرآن - بكلية الدراسات الإسلامية والعربية - حيث تفضل بالإشراف على رسالتي هذه ، فغمرني بعطفه ورعايته وأسعفني بآرائه وإرشاداته ، ووجهني إلى استدراك ما فاتني عمله في رسالتي بأسلوب دقيق وعبارات مقنعة ، ولقد منحني جزءًا كبيرًا من وقته الثمين رغم كثرة مشاغله وعظم أعبائه ؛ فجزاه اللّٰه عني وعن غيري من الباحثين خير الجزاء .

د. عبد الكريم إبراهيم عوض صالح





المُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي المؤيد من ربه بالمعجزات الباهرات التي من أَجَلِّها القرآن الكريم ، وعلى آله وصحبه وكل من قرأ القرآن مجودًا وتدبر معانيه بفكر صائب وقلب سليم .

وبعد :

فإن القرآن الكريم - منذ نزوله - محط أنظار العلماء ، ومناط أفكار الفضلاء ، وموضع عنايتهم في القديم والحديث ؛ حتى استفادوا منه علومًا كثيرة وفنونًا غزيرة ، وإن تعددت جهات نظرهم إليه ، وتباينت مشاربهم منه ، واختلفت في ذلك مذاهبهم .

ومن بين هذه العلوم ، علم الوقف والابتداء ، فهو علم له أثره في حسن التلاوة ، وجودة القراءة .

إذ إنه حلية التلاوة ، وزينة القارئ ، وبلاغ التالي ، وفهم للمستمع ، وفخر للعالم ؛ بل به يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين ، والنقيضين المتباينين ، والحكمين المتغايرين .

فبعلم الوقف والابتداء يتحقق فهم كلام اللّٰه تعالى حيث لا يدرك معناه إلا بذلك ، فمن لم يهتم به فقد يقف قبل تمام المعنى ، ولا يصل ما وقف عليه بما بعده حتى ينتهي إلى ما يصح أن يقف عنده ، فحينئذ لا يُفهم القارئ نفسه ما يقرؤه ، وربما يفهم خلاف المراد من كلام اللّٰه تعالى إذا وقف على غير موطن الوقف ؛ إذ إن المعنى يتغير تبعًا لموطن الوقف في الكلام .

ومع أهمية علم الوقف والابتداء إلا أنه تكاد تخلو كتب التراث من بيان صلة وقوف القرآن بالمعنى ، اللّٰهم إلا شذرات متفرقة في قليل من كتب التفسير ؛ إذ كان جُلُّ اهتمام المؤلفين تسجيل ما تواتر عند القراء وأهل الأداء من وقوف النبي ﷺ حفاظًا عليها تلاوة وكتابة ، حتى خيل للبعض أن الوقوف اتفاقية ليس لها حكمة ، وأنها من الاختيار الناشئ عن الهوى والتشهي لقراء العصور الأولى ؛ فأباحوا لأنفسهم الوقوف لأداء معان تتفق وأغراضهم ، بعيدة عن شرف المعنى وقداسته ، وقليل من علماء القراءة من كان يهتم ببيان الحكمة من بعض الوقوف القرآنية عند إقرائه للمتلقين .

من أجل هذا وقع اختياري على أن يكون موضوعي لرسالة التخصص [الماجستير] هو : « الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم » .

- وأعني بصلتهما بالمعنى : أثرهما على المعنى في القرآن الكريم - لأسهم في خدمة كتاب الله ﷻ وتزويد المكتبة القرآنية بعلم ينتفع به .

وتتكون خطة بحثي لهذا الموضوع من :

تمهيد ، وعشرة فصول ، وخاتمة

أما التمهيد بين يدى البحث :

فيتضمن ما يلي :

أولًا : الوقف والابتداء وأهميتهما في تلاوة القرآن الكريم .

ثانيًا : تعريف الوقف والابتداء ومتعلقاته .

ثالثًا : أشهر الأئمة الذين ألفوا في هذا الفن .

رابعًا : تحقيق حول الوقف على رؤوس الآي .

خامسًا : أقسام الوقف والابتداء .

سادسًا : حكم تعلم الوقف والابتداء وتعليمهما .

سابعًا : صلة الوقف والابتداء بالعلوم الأخرى .

ثامنًا : اختلاف العدد الناشئ عن الوقوف .

تاسعًا : مذاهب الأئمة القراء في الوقف والابتداء .

عاشرًا : إثبات توقيفية الوقوف القرآنية .

وأما **الفصل الأول** : الوقف اللازم وأثره على المعنى في القرآن الكريم ، فقد تناولته فيما يلي :

أولًا : تمهيد للوقف اللازم .

ثانيًا : التعريف بالوقف اللازم .

ثالثًا : دراسة ميدانية للوقوف اللازمة بين طبعات المصاحف .

١ - الوقوف اللازمة المتفق على لزومها بين طبعات المصاحف .

٢ - الوقوف المختلف فيها بين اللزوم وغيره في طبعات المصاحف .

٣ - ما انفردت بلزومه بعض الطبعات .

وأما **الفصل الثاني** : الوقف التام وأثره على المعنى في القرآن الكريم ؛ فيحتوى على

ما يلي :

أولًا : تمهيد في أهمية الوقف التام .

ثانيًا : تعريفه وحكمه وضوابطه .

ثالثًا : ذكر نماذج للوقف التام من القرآن وأثر ذلك على المعنى .

وأما **الفصل الثالث** : الوقف الكافي وأثره على المعنى في القرآن الكريم ففيه ما يلي :

أولًا : تعريف الوقف الكافي .

ثانيًا : وجه تسميته كافيا وحكمه .

ثالثًا : الفرق بين الوقف التام والكافي .

رابعًا : دليل الوقف الكافي من السنة .

خامسًا : ضوابط الوقف الكافي .

سادسًا : ذكر نماذج للوقف الكافي وبيان أثره على المعنى .

وأما **الفصل الرابع** : الوقف الحسن وأثره على المعنى في القرآن الكريم ، ويتضمن ما يلي :

أولًا : تعريف الوقف الحسن .

ثانيًا : وجه تسميته بالحسن وحكمه .

ثالثًا : ذكر نماذج للوقف الحسن من القرآن الكريم وأثر ذلك على المعنى .

وأما **الفصل الخامس** : الوقف الجائز وأثره على المعنى في القرآن الكريم ، ويشتمل على ما يلي :

أولًا : تعريف الوقف الجائز .

ثانيًا : ذكر نماذج للوقف الجائز وبيان أثره على المعنى .

وأما **الفصل السادس** : وقف المعانقة وأثره على المعنى في القرآن الكريم ، فقد تناولته فيما يلي :

أولًا : تعريف وقف المعانقة .

ثانيًا : المواضع التي يجوز فيها وقف المعانقة في القرآن الكريم .

ثالثًا : ذكر نماذج للوقف المتعانق وأثره على المعنى .

وأما الفَصْلُ السَّابِعُ : الوقف على المستثنى منه وبعض أسماء الإشارة ووقف البيان وأثر ذلك على المعنى ، فيتضمن ما يلي :

أولًا : الوقف على المستثنى منه وأثر ذلك على المعنى .

ثانيًا : الوقف على بعض أسماء الإشارة .

ثالثًا : وقف البيان وأثره على المعنى .

وأما الفَصْلُ الثَّامِنُ : الوقف على بعض الحروف والابتداء بها وأثر ذلك على المعنى ، ففيه ما يلي :

أولًا : الوقف على « نعم » وأثره على المعنى .

ثانيًا : الوقف على « بلى » وأثره على المعنى .

ثالثًا : الوقف على « كلا » والابتداء بها وأثر ذلك على المعنى .

رابعًا : الوقف على « أم » والابتداء بها وأثر ذلك على المعنى .

وأما الفَصْلُ التَّاسِعُ : القراءات وأثرها على الوقوف القرآنية ، فيتضمن ما يلي :

أولًا : تمهيد .

ثانيًا : ذكر نماذج توضح أثر القراءات على الوقوف القرآنية .

وأما الفَصْلُ العَاشِرُ : الوقف والابتداء التعسفي وأثرهما على المعنى فيشتمل على ما يلي :

أولًا : تمهيد .

ثانيًا : ذكر نماذج للوقف والابتداء التعسفي وأثر ذلك على المعنى .

وأما الخاتمة : فتتضمن أهم النتائج العلمية المستخلصة من البحث .

منهجي في البحث :

وقد نهجت في بحثي هذا منهجًا علميًا يتمثل في الخطوات التالية :

أولًا : أفردت لكل نوع من أنواع الوقوف فصلا مستقلًا به ثم عرفت به مبينًا حكمه .

ثانيًا : ذكرت نماذج لكل نوع من أنواع الوقف مع بيان موطنه ، والابتداء بعده ، وعلته ، وأثر ذلك على القرآن الكريم .

ثالثًا : ذكر آراء العلماء في الوقوف محل الخلاف مبينًا وجه كل رأي من السنة

أو الأثر - إن وجد - مرجحًا ما قوي دليله أو ما كان أقرب إلى الصواب ، بشرط أن لا يترتب عليه خلل بالمعنى في الآية الكريمة .

رابعًا : وضعت رمز (*) في النماذج التي ذكرتها للدلالة على موطن كل وقف حتى يعلم القارئ مكان الوقف . كما أوردت رموزًا للوقوف التالية :

رمز (مـ) للوقف اللازم - رمز (ج) للوقف الجائز - ورمز (∴ ∴) للوقف المتعانق .

خامسًا : بيان المعنى العام للآية الكريمة متضمنًا توضيح بعض مفرداتها .

سادسًا : تحققت من الآيات القرآنية الواردة في الرسالة ذاكرًا اسم السورة الواردة بها ورقمها بين ترتيب سور المصحف ورقم الآية بها .

سابعًا : خرجت الأحاديث النبوية والآثار من مصادر السنة المعتمدة .

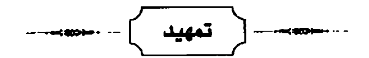
ثامنًا : ترجمت الأعلام التي وردت في الرسالة معتمدًا في ذلك على كتب التراجم والتاريخ .

هذا وقد بذلت قصارى جهدي ، ولم أدخر وسعًا في سبيل إعداد هذا البحث فإن وفقت فذلك من فضل الله عليّ وكرمه ، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني بشر أصيب وأخطئ ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : ٨٨] .


مَكْتَبَةُ
لِسَانِ العَرَب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

الوقف والابتداء

وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم



تمهيد

بين يدي البحث

ويشتمل على ما يلي :

أولًا : الوقف والابتداء وأهميتهما في تلاوة القرآن الكريم .

ثانيًا : تعريف الوقف والابتداء ومتعلقاته .

ثالثًا : أشهر الأئمة الذين ألفوا في هذا الفن .

رابعًا : تحقيق حول الوقف على رؤوس الآي .

خامسًا : أقسام الوقف والابتداء .

سادسًا : حكم تعلم الوقف والابتداء وتعليمهما .

سابعًا : صلة الوقف والابتداء بالعلوم الأخرى .

ثامنًا : اختلاف العدد الناشئ عن الوقف .

تاسعًا : مذاهب الأئمة القراء في الوقف والابتداء .

عاشرًا : إثبات توقيفية الوقوف القرآنية .





مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com
رابط بديل

تمهيد
بين يدي البحث

ويتضمن ما يلي :

أولًا : الوقف والابتداء وأهميتهما في تلاوة القرآن الكريم

يعتبر الوقف والابتداء من أهم الموضوعات التي لا بد لقارئ القرآن الكريم من معرفتها ومراعاتها في قراءته ؛ تطبيقًا وامتثالًا للتدبر الذي أمرنا به في قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ... ﴾ [ص: ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤] .

فلابد للوقوف والابتداءات أن تتفق مع وجوه التفسير الصحيح ، واستقامة المعنى وصحة اللغة ، وما تقتضيه علومها ؛ فلا يخرج القارئ على وجه غير مناسب من التفسير والمعنى من جهة ، ولا يخالف وجوه اللغة وسبل أدائها .

وبهذا يتحقق الغرض الذي من أجله يقرأ القرآن الكريم وهو الفهم والإدراك ، ومن الضروري للقارئ أن يفهم ما يقرأ حتى لا يغير المعنى حال قراءته ، وأن يكون يقظًا متفهمًا ما يقرأ ، ملاحظًا معنى الآيات وما ترمي إليه ومواقع الجمل ، دون الالتفات إلى التباهي بطول النفس ، ودون الوقوف لأداء معانٍ تتفق والأهواء البشرية ، بعيدة عن شرف المعنى القرآني وإعجازه .

هذا ولقد حرص العرب على مواطن الوقف والابتداء في أداء عباراتها واهتمت به في كلامها شعره ونثره .

ويؤيد ذلك ما روي عن أبي بكر الصديق [١] ﷺ : أنه قال لرجل معه ناقة : « أتبيعها ؟ » فقال : لا عافاك الله ، فقال : « لاتقل هكذا ، ولكن قل : لا وعافاك الله » [٢] .

وإنما صحح له أبو بكر عبارته ؛ لأن الكلام الأول دعاء عليه ، بينما الكلام الثاني وهو كلام أبي بكر دعاء له .

وقد حظي علم الوقف والابتداء من قبل باهتمام العلماء ، ومما يدل على ذلك قول

---

(١) سيدنا أبو بكر هو : عبد الله بن أبي قحافة ، واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن لؤي القرشي التيمي ، الخليفة الراشد الأول للمسلمين ، توفي ﷺ سنة (١٣هـ/ ٦٣٤م) براجع تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٢٧) .

(٢) يراجع القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس (ص٢٠) تحقيق د. أحمد خطاب العمر . ط/ العاني - بغداد .

ابن الأنباري [١] : « ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه : معرفة الوقف والابتداء فيه ؛ فينبغي للقارئ أن يعرف : الوقف التام ، والوقف الكافي الذي ليس بتام ، والوقف القبيح الذي ليس بتامٍّ ولا كافٍ ... » [٢] .

وكذلك قول النكزاوي [٣] : « باب الوقف عظيم القدر ، جليل الخطر ؛ لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل » [٤] .

وكذلك قول أبي حاتم [٥] : « من لم يعرف الوقف لم يعلم القرآن » [٦] .

ففي الأقوال السابقة دلالة على أهمية تعلم الوقف والابتداء ، بل إذا أمعنا النظر في كلامهم نجدهم يرتبون تعلم الوقف على تعلم كثير من العلوم الشرعية والعربية التي حواها القرآن الكريم بين دفتيه .

وبالجملة : فالوقف حلية التلاوة ، وزينة القارئ ، وبلاغ التالي ، وفهم للمستمع ، وشرف للعالم ، وبه يعرف الفرق بين : المعنيين المختلفين ، والقضيتين المتنافيتين ، والحكمين المتغايرين [٧] .

---

(١) ابن الأنباري : هو محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي الأديب ، توفي سنة (٣٢٨هـ/٩٣٩م) غاية النهاية لابن الجزري (ج٢ ص٢٣١) الناشر مكتبة المتنبي - القاهرة ط/ دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ لابن الأنباري تحقيق د/ محيي الدين عبد الرحمن رمضان (ج١ ص١٠٨) مجمع اللغة العربية - بدمشق سنة (١٣٩٠هـ/١٩٧١م) .

(٣) هو العلامة معين الدين عبد الله بن جمال الدين ، المكني بأبي حفص ، والمعروف بالنكزاوي ، توفي سنة (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) يراجع غاية النهاية (ج١ ص٤٥٢) .

(٤) انظر كتاب الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء (ورقة ١١) فهرست مخطوطات المكتبة الأزهرية (رقم ١٢٢/١٠٩٨٩) .

(٥) هو سهل بن محمد بن عثمان السجستاني المكني بأبي حاتم ، توفي سنة (٢٥٠هـ/٨٦٤م) يراجع غاية النهاية لابن الجزري (ج١ ص٣٢٠) .

(٦) انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني (ج١ ص٢٤٩) تحقيق د/ عبد الصبور شاهين والشيخ عامر السيد عثمان ، ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي .

(٧) المرجع السابق .

ثانيا : تعريف الوقف والابتداء ومتعلقاته

وإذا كان الوقف والابتداء بهذه الأهمية التي رأينا فمن المستحسن أن أعرف بهما للقارئ وأبدأ **بتعريف الوقف لغة فأقول :**

يطلق الوقف في لسان اللغة ويراد به معان عدة منها :

الحبس ، يقال : وقف الأرض أو الدار على المساكين أو للمساكين وقفًا أي : حبسها .

ومنها : السكوت ، يقال : وقف القارئ على الكلمة وقوفًا أي : سكت ، كما يقال : كلمته فوقف أي : سكت ، ويقال : وَقَّفَه توقيفًا : علمه مواضع الوقف .

ومنها : القيام والسكون ، يقال : وقف وقوفًا أي : قام من جلوس وسكن بعد المشي ، كما يطلق على المعاينة ، يقال : وقف على الشيء ؛ أي : عاينه [1] .

ووردت مادة « وقف » في أربعة مواضع في القرآن الكريم :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] .

والثاني : في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٠] .

والثالث : في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ : ٣١] .

والرابع : في قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] .

وهي تدل على الحبس وسكون الحركة [2] ، وكثر ورودها في الحديث النبوي الشريف ، من ذلك : ما رواه الترمذي « ولا يمر بآية عذاب إلا وقف يتعوذ » [3] بمعنى قطع قراءته .

---

(١) يراجع لسان العرب لابن منظور : (ج٦ ص ٤٨٩٨ ، ٤٨٩٩) تحقيق الأستاذ عبد الله علي الكبير وآخرين ، ط/ دار المعارف وتاج العروس للإمام الزبيدي (ج٦ ص ٢٦٨) وما بعدها نشر دار مكتبة الحياة - بيروت والقاموس الجديد للطلاب معجم عربي مدرسي ألفبائي . تأليف : علي بن هادية وبلحسن البليش . والجيلاني بن الحاج يحيى . تقديم محمود المسعدي (ص ١٣٤٠) وما بعدها ، الشركة التونسية للتوزيع - المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب تونس - الجزائر .

(٢) يراجع معجم ألفاظ القرآن لمجمع اللغة العربية (ج٢ ص ٨٧٤) ط/ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (ط٤) .

(٣) أخرج الحديث الإمام الترمذي في سننه كتاب المواقيت الباب (٧٩) وأخرجه الإمام النسائي في سننه كتاب التطبيق الباب (٧٣) وكتاب الافتتاح الباب (٧٧) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٦ ص٢٤) .

وأما الابتداء في اللغة :

فيقال : ابتدأت الشيء فعلته ابتداء ، والبدء فعل الشيء أول ، وبديت بالشيء قدمته .

وفي الحديث الشريف : « **الخيل مُبدأة يوم الورود** » [(١)] . أي : يبدأ بها في السقي قبل الإبل والغنم ، ومبدأ الشيء : هو الذي منه يتركب أو منه يتكون [(٢)] .

ووردت مادة « بدأ » بصيغة الماضي في القرآن الكريم ست مرات :

الأولى : في قوله تعالى : ﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٩] .

والثانية : في قوله تعالى : ﴿ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [التوبة : ١٣] .

والثالثة : في قوله تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ [يوسف : ٧٦] .

والرابعة : في قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] .

والخامسة : في قوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

وأما السادسة : قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة : ٧] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الرهون - باب قسمة الماء ، حديث رقم ٢٤٨٤ بلفظ « ويبدأ بالخيل يوم وردها » ، وتجدر الإشارة إلى أنه في الزوائد . في إسناده عمرو بن عوف ضعيف وفيه حتيده : كثير بن عبد الله ، قال عنه الشافعي : ركن من أركان الكذب ، وقال أبو داود : كذاب ، وقال ابن حيان : روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلا على جهة التعجب . انظر مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه لأبي بكر البوصيري تحقيق د . موسى محمد علي ، د . عزت علي عطية (ج٢ ص٢٧٢) ط/ حسان - القاهرة .

(٢) يراجع لسان العرب لابن منظور (ج١ ص٢٢٣) والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٤٠) ط/ مصطفى البابي الحلبي .

الوقف والابتداء في الاصطلاح

أما الوقف في اصطلاح القراء : فله أكثر من تعريف سأسردها مع مناقشة ما يحتاج إلى المناقشة :

أورد صاحب [1] كتاب « لطائف الإشارات في فنون القراءات » عدة تعريفات للوقف فقال :

أما الوقف عند أبي حيان [2] في « شرح التسهيل » هو : قطع النطق عند آخر اللفظ ، وهو مجاز من قطع السير ، وكان لسانه عاملًا في الحروف ثم قطع عمله فيها .

وبإمعان النظر في تعريف أبي حيان نجده تعريفًا جامعًا غير مانع .

أما كونه جامعًا ؛ فلأنه يشمل جميع الوقوف : الاختباري ، والاختياري ، والاضطراري ، والانتظاري .

أما كونه غير مانع ؛ فإنه أدخل كلًّا من السكت والقطع .

وأما عند ابن الحاجب [3] فهو : قطع الكلمة عما بعدها [4] .

وعرفه الأشموني بأنه : « قطع الصوت آخر الكلمة زمنًا ما ، أو هو : قطع الكلمة عما بعدها » [5] .

ونحن إذا ما نظرنا إلى الأشموني فنجده مترددًا في تعريفه حيث ذكر له تعريفين ، أحدهما وافق فيه ابن الحاجب ، وعلى كلٍّ فتعريف كلٍّ منهما يعد ناقصًا :

فقوله : « قطع الصوت آخرالكلمة زمنًا ما » لم يبين هل هذا الوقف يكون بتنفس

---

(١) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي القسطلاني شهاب الدين الشافعي محدث مؤرخ فقيه مقرئ ولد بمصر وتوفي بها سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) معجم المؤلفين لكحالة (ج١ ص٨٥) نشر مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٢) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الغرناطي من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم ، توفي سنة (٧٤٥هـ) . غاية النهاية لابن الجزري (ج٢ ص٢٨٥) .

(٣) عمر بن محمد بن منصور الأميني أبو حفص عز الدين المعروف بابن الحاجب عالم الحديث والبلدان ، توفي سنة (٦٣٠هـ /١٢٣٣م) ، الأعلام للزركلي (ج٥ ص٦٢) نشر دار العلم للملايين - بيروت .

(٤) يراجع لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني (ج١ ص٢٤٨) .

(٥) انظر منار الهدى في بيان الوقف والابتداء لأحمد بن عبد الكريم الأشموني (ص٨) ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) .

أو بدون تنفس ؟ إذ الوقف ينبغي أن يكون بتنفس لفترة وجيزة .

وأما قوله : « أو هو قطع الكلمة عما بعدها » فهذا التعريف يعتبر غير مانع ؛ لأنه يشمل كلًّا من « الوقف - والقطع » ؛ إذ الفارق بينهما : أن الوقف يكون بنية استئناف القراءة والقطع يكون بعدم أو مع عدم نية استئناف القراءة .

وعرفه الشيخ علي بن أحمد صبرة [١] بأنه : ترك الحركة مع قطع النفس زمانًا ، وإن شئت قلت : هو قطع الكلمة عما بعدها بسكتة طويلة مع التنفس [٢] .

ويعد أيضًا هذا التعريف ناقصًا ؛ فقوله : « ترك الحركة .. » غير جامع ؛ لأنه لم يشمل الكلمة التي يكون آخرها ساكنًا من أصلها وصلًا ووقفًا كقوله تعالى : ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ٢- ٤] ، وكقوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣] ، و « إن » ، و« في » ، ونحو ذلك .

وقوله : « مع قطع النفس زمنًا » يعتبر جامعًا للقطع أيضًا ؛ لأنه لم يحدد الزمن بل صار مبهمًا .

ولكن هناك تعريفان للوقف هما الأَوْلَيان بالقبول :

الأول : لابن الجزري حيث قال : « الوقف : عبارة عن قطع الصوت زمنًا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ؛ إما بما يلي الحرف الموقوف عليه ، أو بما قبله لا بنية الإعراض ، ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها ، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسمًا ، ولابد من التنفس معه » [٣] .

شرح التعريف :

خرج بقيد التنفس : السكت ؛ فإنه قطع الصوت زمنًا دون زمن الوقف من غير تنفس ؛ إذ الوقف يشترط فيه التنفس مع المهلة ، والسكت لا يكون معه تنفس .

وخرج بقوله : « بنية استئناف القراءة » : القطع ، والمراد به : الانتهاء ، كالقطع على حزب أو ورد ونحوهما .

والتعريف الثاني : للجعبري [٤] حيث قال : « الوقف قطع صوت القارئ على آخر

---

(١) علي بن أحمد صبرة الشافعي مذهبًا ، الشبرباني بلدًا ومولدًا أحد علماء الأزهر ، توفي سنة (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م) .

(٢) كتاب العقد الفريد في فن التجويد لعلي بن أحمد صبرة (ص٦٢) الناشر المكتبة الأزهرية للتراث .

(٣) انظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري (ج١ ص ٢٤٠) ط/ دار الكتب العلمية .

(٤) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم أبو محمد الربعي الجعبري أبو إسحاق : عالم بالقراءات من فقهاء الشافعية ، له نحو مائة كتاب أكثرها مختصر ، توفي سنة (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) الأعلام للزركلي (ج١ ص٥٥ ، ٥٦) .

الكلمة الوضعية زمانًا » [١] .

فقوله : « قطع صوت القارئ » جنس في التعريف .

وقوله : « آخر الكلمة » فصل أخرج قطعه على بعض الكلمة فإنه لغوي لا صناعي ، والمراد بالصناعي هنا : ما يتصل بالأداء .

وقوله : « الوضعية » ليندرج فيه نحو : « كلما » الموصولة فإن آخرها وضعًا الميم .

وقوله : « زمانًا » أخرج به السكت .

تعريف الابتداء في الاصطلاح :

أما تعريفه في الاصطلاح : فعرفه الجرجاني [٢] قائلًا : الابتداء هو أول جزء من المصراع الثاني ، والابتداء العرفي : يطلق على الشيء الذي يقع قبل المقصود فيناوله « الحمدلة بعد البسملة » [٣] ، هذا هو تعريف الابتداء عند الجرجاني .

أما عند العلماء المتقدمين في هذا الفن : فلم أقف في كتبهم على تعريف اصطلاحي له ، وربما كان السبب في ذلك أن الوقف كان شغلهم الشاغل ؛ وذلك لأنه محطة راحة للقارئ كي يستعيد نفسه وقوته للاستمرار في التلاوة ؛ لذا فإنهم اختلفوا في تعريفه وفي أقسامه ، بخلاف الابتداء فإنه غالبًا ما يكون بمحض إرادة القارئ .

ولكن بإمعان النظر في تعريف الوقف عند الإمام ابن الجزري استنبطت له تعريفًا في الاصطلاح .

ولعل الإمام ابن الجزري - وهو محقق - لم يعرفه برأسه ، بل جعله ضمنًا في تعريفه للوقف واكتفى بذلك ؛ حيث قال في تعريفه للوقف :

« الوقف عبارة عن قطع الصوت زمانًا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة ... » [٤] .

وبذلك يكون تعريف الابتداء اصطلاحًا :

هو استئناف القراءة بعد الوقف ، أو هو الشروع في التلاوة بعد قطع أو وقف ، فإن كان بعد قطع فعلى القارئ عند الشروع في التلاوة أن يستعيذ ويبسمل سواء كان في

---

(١) انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٤٨) .

(٢) علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني أبو الحسن : فيلسوف من كبار العلماء بالعربية ولد في « تاكو » قرب « استراباذ » ودرس في شيراز ، توفي سنة (٨١٦هـ / ١٤١٣م) معجم المؤلفين لكحالة (ج٧ ص٢١٦) .

(٣) انظر التعريفات للجرجاني تحقيق وتقديم : إبراهيم الإبياري (ص٧) الناشر دار الكتاب العلمية .

(٤) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٤٠) .

أوائل السور أم في أوساطها .

العلة في تقديم الوقف على الابتداء

قدم العلماء الوقف على الابتداء وإن كان مؤخرًا في الرتبة ؛ لأن كلامهم في الوقف الناشئ عن الوصل ، والابتداء الناشئ عن الوقف وهو بعده .

وأما الابتداء الحقيقي فسابق على الوقف الحقيقي فلا كلام فيهما ؛ إذ لايكونان إلا كاملين كأول السورة والقصيدة وأواخرها [١] .

الفرق بين الوقف والقطع والسكت

الوقف والقطع والسكت عبارات يطلقها المتقدمون مرادًا بها الوقف ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة .

وأما المتأخرون وغيرهم من المحققين ففرقوا بينها وجعلوا كلًّا منها لغرض خاص :

فالقطع عندهم : عبارة عن قطع القراءة رأسًا فهو كالانتهاء ، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنتقل إلى حالة أخرى سوى القراءة .

وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة أدبًا ، ولا يكون إلا على رأس آية ؛ لأن رؤوس الآي في نفسها مقاطع [٢] .

وذكر ابن الجزري في النشر بسند متصل إلى عبد الله بن أبي الهذيل [٣] أنه قال : « إذا افتتح أحدكم آية يقرؤها فلا يقطعها حتى يتمها » .

وفي رواية أخرى عنه أنه قال : كانوا يكرهون أن يقرؤوا بعض الآية ويدعوا بعضها .
وقوله : « كانوا .. » يدل على أن الصحابة كانوا يكرهون ذلك ؛ لأن عبد الله بن أبي الهذيل تابعي كبير ، وكان يسمع منهم ويعرف عنهم [٤] .

والوقف : عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنًا يتنفس فيه عادة بنية استئناف

---

(١) يراجع لطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٤٩) .

(٢) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٣٩) والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج١ ص١٥١) ط/ الجهاز المركزي للكتب المدرسية والوسائل التعليمية .

(٣) عبد الله بن أبي الهذيل العنزي الكوفي ، عالم فقه مشهور ، وردت عنه الرواية في حروف القرآن ، وهو قديم في التابعين ، روى عن أُبي وعمر وابن مسعود وجماعة .

(٤) النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٣٩) .

القراءة لا بنية الإعراض ، ويكون في رؤوس الآي وأوساطها ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل رسمًا .

والسكت : عبارة عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس [١] . أو هو : قطع الصوت زمانًا أقصر من زمن التنفس .

من هذا يتضح أن الوقف يشترط فيه التنفس مع المهلة ، والسكت لا يكون معه تنفس . **والقطع** : هو الانصراف عن القراءة والانتهاء منها [٢] .

مذاهب العلماء في مقدار السكت

اختلفت ألفاظ الأئمة في تأديته بما يدل على طول السكت وقصره ، فعن حمزة [٣] : سكتة يسيرة ، وقال الأشناني [٤] : سكتة قصيرة ، وعن الكسائي [٥] : سكتة مختلسة من غير إشباع ، وقال ابن غلبون [٦] : وقفة يسيرة ، وقال مكي [٧] : وقفة خفيفة ، وقال ابن شريح [٨] : وقيفة .

وعن قتيبة : [٩] من غير قطع نفس ، وقال أبو القاسم الشاطبي : [١٠] سكتًا

(١) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٤٠) ، والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٥١) .

(٢) يراجع المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية لملا علي (ص٦٣) ط/ مصطفى البابي الحلبي .

(٣) حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي المقرئ أحد القراء السبعة توفي سنة (١٥٦هـ / ٧٧٢م) - والأعلام للزركلي (ج٢ ص٢٧٧) .

(٤) الحسن بن علي بن مالك بن أشرس بن عبد الله أبو علي الأشناني البغدادي أستاذ ابن مجاهد ، توفي سنة (٢٧٨هـ) غاية النهاية (ج١ ص٢٢٥) .

(٥) علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي أبو الحسن الكسائي ، إمام اللغة والنحو وأحد القراء السبعة ، توفي سنة (١٨٩هـ / ٨٠٤م) غاية النهاية (ج١ ص٥٣٨) .

(٦) عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك أبو الطيب الحلبي نزيل مصر ، أستاذ ماهر كامل محرر ضابط ثقة ، توفي سنة (٣٨٩هـ) . غاية النهاية (ج١ ص٤٧٠) وما بعدها .

(٧) مكي بن أبي طالب القيسي الأندلسي إمام الأندلس وعالمها وشيخ الإقراء فيها ، توفي سنة (٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) . معجم البلدان لياقوت الحموي (ج١٩ ص١٧٠) ط/ دار صادر - بيروت .

(٨) شريح بن محمد بن شريح بن أحمد أبو الحسن الرعيني الأشبيلي إمام مقرئ ، ولي خطابة أشبيلية وقضاءها ، توفي سنة (٥٣٧هـ) غاية النهاية (ج١ ص٣٢٤) .

(٩) قتيبة بن مهران أبو عبد الرحمن الأذاداني من أصبهان إمام مقرئ صالح ثقة ، أخذ القراءة عرضًا وسماعًا عن الكسائي ، توفي بعد المائتين من الهجرة ، وقيل : جاوزها بقليل . غاية النهاية (ج٢ ص٢٦ ، ٢٧) .

(١٠) القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد أبو القاسم الشاطبي الرعيني ، أحد الاعلام الكبار والمشتهرين في الأقطار ، توفي سنة (٥٩٠هـ) . غاية النهاية (ج٢ ص٢٠) .

مقللا [١] وقال أيضًا : وسكتهم المختار دون تنفس [٢] ، وقال في موضع آخر : وسكتة حفص دون قطع لطيفة [٣] .

وقال الجعبري : [٤] قطع الصوت زمنًا قليلًا أقصر من زمن إخراج التنفس ؛ لأنه إن طال صار وقفًا [٥] .

ثم إن السكت مقيد بالسماع والنقل ، ولا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته ، وهذا هو الصحيح .

وقيل : يجوز في رؤوس الآي مطلقًا حالت الوصل لقصد البيان وحمل بعضهم قول أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : كان النبي ﷺ يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم يقف ... » الحديث على ذلك .

وإذا صح ذلك جاز ، لكنه غير معمول به [٦] .

السكتات الواردة لحفص عن عاصم من طريق الشاطبية

ورد لحفص [٧] عن عاصم [٨] من طريق الشاطبي أنه كان يسكت سكته لطيفة من غير تنفس مقدارها حركتان حال الوصل ، وذلك في ستة مواضع في القرآن الكريم ،

---

(١) عجز بيت : أوله :

وعن حمزة في الوقف خلف وعنده ... روى خلف في الوصل سكتًا مقللا

حرز الأماني ووجه التهاني « متن الشاطبية » باب نقل حركة الهمز إلى الساكن قبلها (ص٢١) ، ط/ مصطفى البابي الحلبي .

(٢) بداية بيت من حرز الأماني « متن الشاطبية » باب البسملة (ص١١) .

قال فيه :

وسكتهم المختار دون تنفس ... وبعضهم في الأربع الزهر بسملا

(٣) بداية بيت مرتبط بأول سورة الكهف من حرز الأماني « متن الشاطبية » (ص٦٨) .

قال فيه :

وسكتة حفص دون قطع لطيفة ... على ألف التنوين في عوجا بلا

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٤٠ ، ٢٤١) والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٥١) .

(٦) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٤٣) والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٥١ ، ١٥٢) .

(٧) حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الغاضري البزار أخذ القراءة عرضًا وتلقينًا عن عاصم وكان ربيبه ابن زوجته ، توفي سنة (١٨٠هـ) . غاية النهاية (ج١ ص٢٥٤) .

(٨) عاصم بن بهدلة أبي النجود أبو بكر الأسدي ، أحد القراء السبعة ، وهو الإمام الذي انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي ، توفي سنة (١٢٧هـ) . غاية النهاية (ج١ ص٣٤٨) .

أربعة منها باتفاق ، وثنتان باختلاف :

أولًا : السكتات الواردة في رواية حفص باتفاق فأربع :

الموضع الأول : السكت على الألف المبدلة من التنوين في قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١] والحكمة من هذه السكتة الفرار مما قد يوهمه الوصل بلا سكت من كون ﴿ قَيِّمًا ﴾ وصفا لـ ﴿ عِوَجَا ﴾ وليس كذلك ؛ إذ إن ﴿ قَيِّمًا ﴾ منفصل عن قوله : ﴿ عِوَجَا ﴾ وليس بتابع في إعرابه لـ ﴿ عِوَجَا ﴾ إنما هو منصوب لفعل تقديره : « أنزله قيِّمًا » [١] .

قال أهل التفسير واللغة : إن معناه « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا » [٢] .

الموضع الثاني : السكت على ﴿ مَّرْقَدِنَا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس: ٥٢] [٣] ، والحكمة من هذه السكتة ؛ ليبين أن قوله : ﴿ هَٰذَا ﴾ ليس بصفة لـ ﴿ مَّرْقَدِنَا ﴾ ولكنه مبتدأ وليبين أيضًا أنه ليس من قول الكفار ، بل أنه من قول الملائكة مستأنف ، وقيل : هو من قول المؤمنين للكفار .

قال قتادة [٤] : تكلم بأول هذه الآية أهل الضلالة ، وتكلم بآخرها أهل الإيمان ، قال أهل الضلالة : ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ ، وقال المؤمنون : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [٥] .

الموضع الثالث : السكت على ﴿ مَنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مَنْ رَاقٍ ﴾ [القيامة: ٢٧] .

الموضع الرابع : السكت على لام ﴿ بَلْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ ﴾ [٦] ، والحكمة من السكت في هذين الموضعين ؛ ليبين إظهار اللام والنون ؛ لأنهما ينقلبان في الوصل راء فتصير مدغمة في الراء بعدها ، ويذهب لفظ اللام والنون [٧] ، وأيضًا لئلا

---

(١) يراجع الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب تحقيق د/ محيى الدين رمضان (ج٢ ص٥٥) ط/ مؤسسة الرسالة - بيروت ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ج١ ص٣٦٤) مكتبة دار التراث .

(٢) يراجع معاني القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق د/ عبد الجليل شلبي (ج٣ ص٢٦٧) عالم الكتاب بيروت .

(٣) وتمامها : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ .

(٤) قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى المفسر أحد الأئمة في حروف القرآن ، توفي سنة (١١٧هـ) غاية النهاية (ج٢ ص٢٥) .

(٥) يراجع كتاب الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء للنكزاوي (ورقة ٢٣٤) .

(٦) سورة المطففين : آية (١٤) وتمامها : ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ .

(٧) يراجع الكشف عن وجوه القراءات السبع (ج٢ ص٥٥ ، ٥٦) .

يتوهم أنها كلمة واحدة .

قال القرطبي رحمه الله : « أظهر عاصم وقوم النون في قوله تعالى : ﴿ مَنْ رَاقٍ ﴾ واللام في قوله تعالى : ﴿ بَلْ رَانَ ﴾ ؛ لئلا يشبه مرّاق وهو بائع المرقة ، وبرّان في تثنية البر .

والصحيح ترك الإظهار ، وكسرة القاف في ﴿ مَنْ رَاقٍ ﴾ وفتحة النون في ﴿ بَلْ رَانَ ﴾ تكفي زوال اللبس » [١] . ولكن الكسرة والفتحة لا تظهر إلا في حالة الوصل ، أما في حالة الوقف فلا ؛ لأن الوقف يكون بالسكون لا بالحركة .

وقال الألوسي : « وقف حفص رواية عن عاصم على ﴿ مَنْ ﴾ وابتدأ بقوله : ﴿ رَاقٍ ﴾ وكأنه قصد أن لا يتوهم أنها كلمة واحدة فسكت سكتة لطيفة لتشعر أنها كلمتان » [٢] .

وقال الشاطبي :

سكتة حفص دون قطع لطيفة ... على ألف التنوين في عوجًا بلا

وفي نون من راق ومرقدنا ولا ... م بل ران والباقون لا سكت موصلا [٣] .

ثانيا : السكتات المختلف فيها في رواية حفص : ثنتان :

الموضع الأول منها هو : ما بين الأنفال والتوبة فإنه يجوز فيه القطع والسكت والوصل [٤] .

والحكمة من هذا السكت أو القطع : أن الصحابة اختلفوا في سورة الأنفال وبراءة هل هما سورة واحدة أو سورتان ؟ فقال بعضهم : سورة واحدة ؛ لأنهما نزلتا في القتال ومجموعهما معًا « مائتان وخمس آيات » فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال .

وقال بعضهم : هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيهًا على قول من يقول : إنهما سورتان ، ولم يكتبوا « بسم الله الرحمن الرحيم » تنبيهًا على قول من يقول : سورة واحدة [٥] .

والموضع الثاني : السكت على هاء ﴿ مَالِيَهْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾

---

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج١٩ ص١١٢) ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) يراجع روح المعاني للألوسي (ج٢٩ ص١٤٦) ط/ دار التراث العربي - بيروت - لبنان .

(٣) انظر حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام الشاطبي المسمى بمتن الشاطبية (ص٦٨) .

(٤) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٦٩) وغيث النفع في القراءات السبع للنوري (ص٢٣٦) بهامش سراج القارئ المبتدئ لابن القاصح ط/ مصطفى البابي الحلبي بمصر .

(٥) يراجع النشر (ج١ ص٢٦٤) والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل للزمخشري (ج٢ ص٢٤٢) الناشر دار الريان للتراث ، والجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهر (ج٥ ص٨٨) ط/ مصطفى البابي الحلبي . والسراج المنير للخطيب الشربيني (ج١ ص٥٦٣) ط/ دار المعرفة .

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] .

والعلة من السكت هنا : أن من أثبتها أنه وصل الكلام ونيته الوقف عليها ؛ لكنه لم يسترح بالوقف عليها ، بل وصل ونيته الوقف .

كما يفعل ذلك في القوافي يوصل البيت بما بعده من الأبيات ولا تحذف الصلة التي للوقف [١] . فيقول :

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبت لقد أصابا [٢]

ثالثًا : أشهر الأئمة الذين ألفوا في هذا الفن

ونظرًا للحاجة الماسّة إلى معرفة فن الوقف والابتداء والأحكام المتعلقة بهما فقد ألف فيه علماء أجلاء مصنفات جليلة ومن أشهر من ألف في ذلك [٣] :

١ - ضرار بن صرد بن سليمان التميمي الكوفي المتوفى سنة (١٢٩هـ /٧٤٦م) [٤] وقد ألف فيه : كتاب « الوقف والابتداء »

٢ - الإمام شيبة بن نصاح المخزومي المدني القارئ [٥] المتوفى سنة (١٣٠هـ /٧٤٧م) وله في هذا الفن كتاب « الوقوف » [٦] .

قال ابن الجزري : وهو أول من ألف في الوقوف وكتابه مشهور [٧] .

٣ - الإمام الثقة زبان بن عمار بن العلاء المازني المعروف بأبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة المتوفى سنة (١٥٤هـ / ٧٧١م) وله كتاب الوقف والابتداء [٨] .

---

(١) يراجع المكتفى في الوقف والابتداء تحقيق د/ يوسف عبد الرحمن المرعشلي (ص٢٥٤) ط/ مؤسسة الرسالة والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٣٠٨) .

(٢) البيت لجرير . ديوانه تحقيق د/ نعمان أمين طه (ص٦٤) ط/ دار المعارف والخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار (ج١ ص١٧١) الناشر دار الهدى - بيروت .

(٣) راعيت في ترتيب أشهر من ألف في الوقف والابتداء تاريخ الوفاة حسب التسلسل الزمني .

(٤) يراجع غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (ج١ ص٣٨٨) مكتبة المتنبي - القاهرة والفهرست لابن النديم (ص٥٤) الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان

(٥) كان رحمه الله مولى أم سلمة رضي الله عنها أتي به إليها وهو صغير فمسحت رأسه ودعت له بالخير .انظر غاية النهاية (ج١ ص٣٣٠) .

(٦) يراجع غاية النهاية (ج١ ص٣٢٩ ، ٣٣٠) وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ج٤ ص٣٧٧) دار صادر والأعلام للزركلي (ج٣ ص١٨١) دار الملايين بيروت - لبنان .

(٧) انظر غاية النهاية (ج١ ص٣٣٠) .

(٨) يراجع الأعلام (ج٣ ص٤١) والفهرست (ص٤٢) وغاية النهاية (ج١ ص٢٨٨) .

٤ - الإمام الحجة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي المعروف بحمزة الزيات ، أحد القراء السبعة ، وقد انعقد الإجماع على قراءته بالقبول [(١)] ، توفي رحمه الله سنة (١٥٦هـ / ٧٧٣م) ومن مصنفاته في هذا الفن كتاب « الوقف والابتداء » [(٢)] .

٥ - الإمام نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم بن أبي رويم الليثي أحد القراء السبعة المشهورين والأعلام ، ثقة صالح أخذ القراءة عرضًا عن جماعة من تابعي أهل المدينة ، توفي رحمه الله سنة (١٦٩هـ / ٧٨٥م) وله في هذا الفن : « الوقف التمام » [(٣)] .

٦ - إمام النحو : محمد بن أبي سارة الكوفي الرؤاسي المكنى بأبي جعفر أستاذ الكسائي والفراء المتوفى سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م) ، وله كتاب « الوقف والابتداء الكبير » وكتاب « الوقف والابتداء الصغير » [(٤)] .

٧ - إمام اللغة والنحو : علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي الكسائي ، أحد القراء السبعة [(٥)] المتوفى سنة (١٨٩هـ / ٨٠٤م) وقد صنف في هذا الفن كتاب « الوقف والابتداء » [(٦)] .

٨ - العلامة الكبير يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي البصري المعروف باليزيد المتوفى سنة (٢٠٢هـ / ٨١٧م) وله كتاب « الوقف والابتداء » [(٧)] .

٩ - إمام أهل البصرة : يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله أبي إسحاق الحضرمي أحد القراء العشرة كان أعلم أهل زمانه بالقرآن الكريم والنحو توفي رحمه الله سنة (٢٠٥هـ / ٨٢٠م) له « وقف التمام » [(٨)] .

---

(١) قال الثوري : « ما قرأ حمزة حرفًا من كتاب الله إلا بأثره » انظر غاية النهاية (ج١ ص٢٦١) .

(٢) يراجع غاية النهاية (ج١ ص٢٦١) وما بعدها والفهرست (ص٤٤ وص٥٤) والأعلام (ج٢ ص٢٧٧) .

(٣) يراجع غاية النهاية (ج٢ ص٣٣٠) والفهرست (ص٥٤) ووفيات الأعيان لابن خلكان (ج٥ ص٣٦٨) ط/ دار الثقافة بيروت - لبنان .

(٤) يراجع الفهرست (ص٦٩) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (ج١٧ ص١٢٥) الطبعة الثالثة/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، وكشف الظنون لحاجي خليفة (ج٢ ص١٤٧٠) ط/ المعارف الطبعة الأولى .

(٥) قال عنه ابن الأنباري : اجتمعت في الكسائي أمور : كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم في الغريب ، وكان أوحد الناس في القرآن فكانوا يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم ، ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يستمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادئ . انظر غاية النهاية (ج١ ص٥٣٨) .

(٦) يراجع الفهرست (ص٥٤) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ج١١ ص٤٠٣) المكتبة السلفية - المدينة المنورة ، وغاية النهاية (ج١ ص٥٣٨) .

(٧) يراجع معجم الأدباء (ج٢٠ ص٣١) وغاية النهاية (ج٢ ص٣٨٥) والفهرست (ص٧٦) .

(٨) يراجع غاية النهاية (ج٢ ص٢٨٦) وما بعدها ومعجم الأدباء (ج٢٠ ص٥٣) والفهرست (ص٥٤) .

١٠ - شيخ النحاة : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور الأسلمي المتوفى سنة (٢٠٧هـ / ٨٨٠م) وقد صنف كتاب « الوقف والابتداء » وله أيضًا « حد الابتداء والقطع » [١] .

١١ - إمام اللغة والأدب : معمر بن المثنى أبو عبيدة البصري المتوفى سنة (٢٠٩هـ / ٨٢٤م) صنف في هذا الفن « الوقف والابتداء » [٢] .

١٢ - الإمام العلامة : سعيد بن مسعدة أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط نحوي عالم بالعربية والأدب من أهل بلخ سكن البصرة وأخذ العربية عن سيبويه ، توفي ﷺ سنة (٢١٥هـ/٨٣٠م) وله كتاب « وقف التمام » [٣] .

١٣ - العالم الجليل : عيسى بن مينا بن وردان بن عبد الصمد أبو موسى الملقب بقالون [٤] ، أحد القراء المشهورين من أهل المدينة مولدًا ووفاة ، توفي ﷺ سنة (٢٢٠هـ/٨٣٥م) وله « وقف التمام » [٥] .

١٤ - العابد الثقة خلف بن هشام بن ثعلب بن هشيم بن داود بن مقسم أحد القراء العشرة المتوفى سنة (٢٢٩هـ / ٨٤٤م) وله « الوقف والابتداء » [٦] .

١٥ - محمد بن سعدان أبو جعفر الضرير الكوفي ، نحوي مقرئ ضرير ، له كتب في النحو والقراءات ، توفي ﷺ سنة (٢٣١هـ / ٨٤٦م) من مصنفاته كتاب « الوقف والابتداء » [٧] .

١٦ - الثقة والضابط : روح بن عبد المؤمن أبو الحسن الهذلي نحوي مقرئ جليل ، روى عنه الإمام البخاري في صحيحه ، توفي ﷺ سنة (٢٣٤هـ / ٨٤٨م) وله « وقف التمام » [٨] .

---

(١) يراجع غاية النهاية (ج٢ ص٣٧١) والفهرست (ص٥٤ وص٩٩) وما بعدها ومعجم الأدباء (ج٢٠ ص١٤) .
(٢) يراجع ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهب تحقيق علي محمد البجاوي (ج٤ ص١٥٥) ط/دار المعرفة - بيروت - لبنان ، ووفيات الأعيان (ج٥ ص٢٣٥) والأعلام (ج٧ ص٢٧٢) .
(٣) يراجع معجم الأدباء (ج١١ ص٢٣٠) والأعلام (ج٣ ص١٠١) والفهرست (ص٥٤ وص٧٧ ، ٧٨) .
(٤) وقالون معناه بلغة الروم : جيد وكان قالون ﷺ أصمًا يقرأ عليه القرآن وهو ينظر إلى شفتي القارئ فيرد عليه اللحن والخطأ . انظر غاية النهاية (ج١ ص٦١٥) .
(٥) المصدر السابق ، والفهرست (ص٥٤) والأعلام (ج٥ ص١١٠) .
(٦) غاية النهاية (ج١ ص٢٧٢) والفهرست (ص٥٤) والأعلام (ج٢ ص٣١١ ، ٣١٢) .
(٧) يراجع غاية النهاية (ج٢ ص١٤٣) والفهرست (ص٥٤ وص١٠٤) والأعلام (ج٦ ص١٣٧) .
(٨) يراجع تهذيب التهذيب (ج٣ ص٢٩٦) وغاية النهاية (ج١ ص٢٨٥) والفهرست (ص٥٤) .

١٧ - الإمام : عبد الله بن يحيى بن مبارك أبو عبد الرحمن اليزيدي البغدادي ، مشهور ، ثقة ، توفي رحمه الله سنة (٢٣٧هـ / ٨٥١م) وله من المصنفات « الوقف والابتداء » [١] .

١٨ - نصير بن يوسف بن أبي نصر الرازي ثم البغدادي النحوي ، تلميذ الكسائي ، توفي رحمه الله في حدود سنة (٢٤٠هـ / ٨٥٤م) وقد ألف في هذا الفن كتاب « وقف التمام » [٢] .

١٩ - إمام أهل دمشق : هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة أبو الوليد السلمي الدمشقي المتوفى سنة (٢٤٥هـ / ٨٥٩م) قد صنف في هذا الفن كتاب « الوقف والابتداء » [٣] .

٢٠ - إمام القراء في عصره : حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي بن صهبان الدوري الأزدي البغدادي أبو عمرو ، المتوفى سنة (٢٤٦هـ / ٨٦٠م) وله في هذا الفن كتاب « الوقف والابتداء » [٤] .

٢١ - إمام البصرة : سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني أبو حاتم كان المبرد يلازم القراءة عليه ، توفي رحمه الله سنة (٢٤٨هـ /٨٦٢م) وقد ألف كتاب « المقاطع والمبادئ » وأورد حاجي خليفة أن كتابه هذا يسمى بـ « المقاطيع » [٥] .

قال الأشموني في مناره : (وهو الإمام المقتدى في هذا الفن) .

٢٢ - الفضل بن محمد أبو العباس الأنصاري المقرئ المتوفى في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري . وله كتاب « الوقف » .

ذكر بروكلمان في ترجمة تاريخ الأدب : (وأقدم كتاب وصل إلينا عن الوقف في القرآن هو كتاب أبي العباس من النصف الثاني للقرن الثالث الهجري ، وقد رد به على كتاب « المقاطع والمبادئ » لأبي حاتم السجستاني . ويوجد منه مخطوط في المتحف البريطاني في جزء أول ص ١٥٨٩) [٦] .

---

(١) يراجع تاريخ بغداد (ج١٠ ص١٩٨ ، ١٩٩) وغاية النهاية (ج١ ص٤٦٣) والفهرست (ص٥٤) .

(٢) يراجع غاية النهاية (ج٢ ص ٣٤٠) والفهرست (ص٥٤) ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (ج٧ ص١٠٠) الناشر مكتبة المثنى - بيروت ودار إحياء التراث العربي - بيروت .

(٣) يراجع غاية النهاية (ج٢ ص٣٥٤) والفهرست (ص٥٤) ومعجم المؤلفين (ج١٣ ص١٤٩) .

(٤) يراجع الفهرست (ص٥٤ وص٧٦) وغاية النهاية (ج١ ص٢٥٥) وما بعده والأعلام (ج٢ ص٢٦٤) .

(٥) يراجع غاية النهاية (ج١ ص٣٢٠) وكشف الظنون (ج٢ ص١٧٨١) وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان نقله إلى العربية د/ عبد الحليم النجار (ج٢ ص١٥٩ ، ١٦٠) ط/ دار المعارف .

(٦) يراجع تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (ج٢ ص١٦١ ، وج٤ ص٤) .

٢٣ - الحافظ عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن سفيان بن أبي الدنيا القرشي المتوفى سنة (٢٨١هـ / ٨٩٤م) وله مصنفات كثيرة منها كتاب « الوقف والابتداء » [١] .

٢٤ - عالم العربية والقراءات محمد بن عثمان بن مسبح الشيباني أبو بكر المعروف بالجعدي المتوفى سنة (٢٨٨هـ / ٩٠١م) وله كتاب « الوقف والابتداء » [٢] .

٢٥ - إمام الكوفيين في النحو واللغة : أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني أبو العباس المعروف بثعلب ، كان راوية للشعر محدثًا مشهورًا بالحفظ وصدق اللهجة ثقة حجة توفي رحمه الله سنة (٢٩١هـ / ٩٠٤م) وقد ألف كتاب « الوقف والابتداء » [٣] .

٢٦ - سليمان بن يحيى بن الوليد بن أبان أبو أيوب التميمي المعروف بالضبي مقرئ كبير ثقة ، توفي رحمه الله سنة (٢٩١هـ / ٩٠٤م) وله في هذا الفن كتاب « الوقف والابتداء » [٤] .

٢٧ - العلامة محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو الحسن المعروف بابن كيسان من أهل بغداد ، أخذ عن المبرد وثعلب وكان فاضلًا خلط المذهبين وأخذ عن الفريقين « الكوفي والبصري » توفي رحمه الله سنة (٢٩١هـ / ٩١٢م) صنف كتاب « الوقف والابتداء » [٥] .

٢٨ - إمام اللغة والنحو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه . توفي رحمه الله سنة (٣١١هـ / ٩٢٣م) من مصنفاته كتاب « في الوقف والابتداء » [٦] .

٢٩ - إمام اللغة محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن أبو بكر بن الأنباري البغدادي ، المتوفى سنة (٣٢٨هـ / ٩٤٠م) وقد صنف في هذا الفن كتاب

---

(١) يراجع تهذيب التهذيب (ج٦ ص١٢) وسير أعلام النبلاء للذهبي (ج١٣ ص٤٠٤) مؤسسة الرسالة والأعلام (ج٤ ص١١٨) .

(٢) يراجع تاريخ بغداد (ج٣ ص٤٧) والفهرست (ص٥٤) والأعلام (ج٦ ص٢٦٠) .

(٣) يراجع معجم الأدباء (ج٥ ص١٤٣) والفهرست (ص١١١) وكشف الظنون (ج٢ص١٤٧٠) والأعلام (ج١ ص٢٦٧) .

(٤) يراجع غاية النهاية (ج١ ص٣١٧) وتاريخ بغداد (ج٩ ص٦٠) والفهرست (ص٥٤) .

(٥) شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي (ج٢ ص٢٣٢) ط/ دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت والفهرست (ص٥٤ وص١٢٠) والأعلام (ج٥ ص٣٠٨) .

(٦) يراجع معجم الأدباء (ج١٧ ص١٣٩) والفهرست (ص٩٠ ، ٥٥) والأعلام (ج١ ص٤٠) وكشف الظنون (ج٢ ص١٤٧١) .

« إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ » [١] .

قال الإمام الداني : (سمعت بعض أصحابنا يقول عن شيخ له : إن ابن الأنباري لما صنف كتابه في الوقف والابتداء جيء به إلى ابن مجاهد فنظر فيه وقال : لقد كان في نفسي ، أن أعمل في هذا الفن كتابًا وما ترك هذا الشاب لمصنف ما يصنف) [٢] .

٣٠ - العلامة محمد بن محمد بن عباد المكنى أبو عبد الله المقرئ المتوفى سنة (٣٣٤هـ / ٩٤٥م) كان بارعًا في النحو وعلوم العربية كما كان مقدمًا في علم القراءات وقد ألف في هذا الفن كتاب « الوقف والابتداء » [٣] .

٣١ - العلامة أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر المعروف بابن النحاس المتوفى في سنة (٣٣٨هـ / ٩٤٩م) من أهل مصر ، رحل إلى بغداد فأخذ عن المبرد والأخفش - علي بن سليمان - والزجاج وغيرهم ثم عاد إلى مصر وأقام بها إلى أن مات .

وله في علم الوقف والابتداء كتاب « القطع والائتناف » [٤] .

٣٢ - أحمد بن محمد بن أوس المكنى بأبي عبد الله المقرئ المتوفى سنة (٣٤١هـ / ٩٥٢م) له في هذا الفن كتاب « الوقف والابتداء » [٥] .

قال عنه ابن الجزري : (وألف كتابًا في الوقف والابتداء قسم فيه الوقف إلى حسن وكاف وتام ، رأيته وقد أحسن فيه ..) [٦] .

٣٣ - أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور بن يزيد القاضي المكنى بأبي بكر البغدادي المعروف بوكيع المتوفى سنة (٣٥٠هـ / ٩٥٢م) وله كتاب « الوقوف » [٧] .

٣٤ - الإمام محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن محمد بن سليمان بن داود بن عبيد الله بن مقسم العطار المكنى بأبي بكر البغدادي المتوفى في سنة

---

(١) يراجع غاية النهاية (ج٢ ص٢٣٠ ، ٢٣١) ومعجم ياقوت (ج١٨ ص٣١٢) والفهرست (ص٥٤ وص١١٢) وكشف الظنون (ج٢ ص١٤٧٠) . وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد طبع ضمن منشورات مجمع اللغة العربية بدمشق عام (١٣٩١هـ / ١٩٧١م) .

(٢) انظر غاية النهاية (ج٢ ص٢٣٠-٢٣١) .

(٣) يراجع معجم الأدباء (ج١٩ ص٢٨) وكشف الظنون (ج٢ ص١٤٧١) ومعجم المؤلفين (ج٦ ص٢٢٨) .

(٤) يراجع معجم الأدباء (ج٤ ص٢٢٤ ، ٢٢٥) ووفيات الأعيان (ج١ ص١٠٠) وشذرات الذهب (ج٢ ص٣٤٦) . تجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب قد طبعته وزارة الأوقاف العراقية سنة (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) بتحقيق د/ أحمد خطاب العمر .

(٥) يراجع غاية النهاية (ج١ ص١٠٧) وتاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (ج٤ ص٥) .

(٦) انظر غاية النهاية (ج١ ص١٠٧) .

(٧) يراجع معجم الأدباء (ج٣ ص١٠٥) والفهرست (ص٤٨) وغاية النهاية (ج١ص٩٨) .

(٣٥٤هـ / ٩٦٥م) كان أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات مشهورها وغريبها وشاذها ، له في هذا الفن كتاب « الوقف والابتداء » وكتاب « عدو التمام » (١) .

٣٥ - القاضي : الحسن بن عبد الله بن المرزبان المكني بأبي سعيد السيرافي النحوي المشهور المتوفى في سنة (٣٦٨هـ / ٩٧٩م) وله كتاب « الوقف والابتداء » (٢) .

٣٦ - الحافظ أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ أبو بكر النيسابوري إمام عصره في القراءات المتوفى في سنة (٣٨١هـ) وقد صنف في هذا الفن وأجاد وله كتاب « الوقف والابتداء » وكتاب « وقوف القرآن » (٣) .

٣٧ - عثمان بن جني المكنى بأبي الفتح الموصلي من أئمة الأدب والنحو المتوفى في سنة (٣٩٢هـ / ١٠٠٢م) وله في هذا الفن كتاب « الوقف والابتداء » (٤) .

٣٨ - الإمام محمد بن عيسى البريلي الأندلسي المعروف بالمغربي المكنى بأبي عبد الله المتوفى في سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) وله في هذا الفن كتاب « وقوف النبي ﷺ في القرآن » (٥) . وهي سبعة عشر وقفًا ضمنها حاجي خليفة في كتابه « كشف الظنون » (٦) .

الأول على قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨] .

الثاني على قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٩٧] .

الثالث على قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧] .

الرابع على قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣١] .

الخامس على قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

السادس على قوله تعالى : ﴿ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦] .

السابع على قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾ [يونس: ٢] .

الثامن على قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ [يونس: ٥٣] .

---

(١) يراجع معجم الأدباء (ج١٨ ص١٥٣) وغاية النهاية (ج٢ ص١٢٣ ، ١٢٤) وكشف الظنون (ج٢ ص١٤٧٠) .
(٢) الفهرست (ص٩٣) وكشف الظنون (ج٢ ص١٤٧٠) وغاية النهاية (ج١ ص٢١٨) .
(٣) يراجع معجم الأدباء (ج٣ ص١٢ ، ١٣) وغاية النهاية (ج١ ص٤٩) ومعجم مصنفات القرآن الكريم (ج١ ص٢٨٤) د/ علي الشراخ ط/ دار الرفاعي بالرياض .
(٤) يراجع الفهرست (ص١٢٨) والأعلام (ج٤ ص٢٠٤) .
(٥) يراجع معجم المؤلفين (ج١١ ص١٠٣) وكشف الظنون (ج٢ ص٢٠٢٥) .
(٦) انظر كشف الظنون (ج٢ ص٢٠٢٥) .

التاسع على قوله جل وعلا : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

العاشر على قوله جلت قدرته : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد : ١٧] .

الحادي عشر على قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ﴾ [النحل : ٥] .

الثاني عشر على قوله تعالى : ﴿ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ [لقمان : ١٣] .

الثالث عشر على قوله تعالى : ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر : ٦] .

الرابع عشر على قوله تعالى : ﴿ فَحَشَرَ ﴾ [النازعات : ٢٣] .

الخامس عشر على قوله تعالى : ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر : ٣] .

السادس عشر على قوله تعالى : ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر : ٤] .

السابع عشر على قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ [النصر : ٣] .

٣٩ - العلامة محمد بن جعفر بن عبد الكريم أبو الفضل الخزاعي الجرجاني ، وله في هذا الفن كتاب « الإبانة في الوقف والابتداء » سنة (٤٠٨هـ / ١٠١٧م) [١] .

٤٠ - الإمام مكي بن أبي طالب بن حيوس كان إمامًا عالمًا بوجوه القراءات متبحرًا في علوم القرآن والعربية كما كان فقيهًا وأديبًا وله كتاب « شرح التمام والوقف » توفي رحمه الله سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م) [٢] .

٤١ - العلامة عثمان بن سعيد بن عمر المكنى بأبي عمرو والمعروف بالداني كان من حفاظ الحديث ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره ومن مؤلفاته كتاب « الاهتداء في الوقف والابتداء » [٣] و« المكتفى في الوقف والابتداء » ويسمى بكتاب « الوقف والابتداء » [٤] ، توفي رحمه الله سنة (٤٤٤هـ/١٠٥٣م) [٥] .

٤٢ - الإمام الحسن بن علي بن سعيد أبي محمد العماني ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب « المرشد في معنى الوقف التام والحسن والكافي والصالح والجائز والمفهوم » أثنى

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن كتاب الإبانة توجد منه نسخة مخطوطة في خزانة القرويين بفاس تحت رقم (١٠٥٤) نسخت سنة (٥٢٠هـ / ١١٢٦م) يراجع الأعلام للزركلي (ج٦ ص٧١) وغاية النهاية لابن الجزري (ج٢ ص١٠٩) .

(٢) يراجع غاية النهاية (ج٢ ص٣٠٩) وما بعدها ، ومعجم ياقوت (ج١٩ ص١٧٠) .

(٣) يوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة تحت رقم (٢٧٦ خاص ٢٢٢٨٣ عام) .

(٤) طبع هذا الكتاب مرتين إحداهما : لمؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان عام (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) تحقيق د/ يوسف عبد الرحمن والثانية لوزارة الأوقاف العراقية بتحقيق جابر زيدان عام (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) أيضًا .

(٥) يراجع غاية النهاية لابن الجزري (ج١ ص٥٠٣) وما بعدها ، والأعلام للزركلي (ج٤ ص٢٠٦) .

عليه ابن الجزرى فقال : (أحسن فيه وأفاد وقد قسم الوقف فيه إلى التام ثم الحسن ثم الكافي ثم الصالح ثم المفهوم) وكتاب « المغني في معرفة وقوف القرآن » توفي رحمه الله بعد خمسمائة من الهجرة [١] .

٤٣ - العلامة أحمد بن محمد أبي الحسن النيسابوري المعروف بابن الغزال وله كتاب « الوقف والابتداء » توفي - عليه رحمة الله - سنة (٥١٦هـ / ١١٢٢م) [٢] .

٤٤ - الإمام عمر بن عبد العزيز بن مازة المكنى بأبي محمد والملقب ببرهان الأئمة والمعروف بالصدر الشهيد أحد أكابر الحنفية ومن مؤلفاته : كتاب « الوقف والابتداء » ، مات شهيدًا سنة (٥٣٦هـ / ١١٤١م) [٣] .

٤٥ - المحقق عبد العزيز بن علي بن محمد بن سلمة المكني بأبي الأصبع السماتي المعروف في بلده بابن الطحان وله كتاب « نظام الأداء في الوقف والابتداء » توفي سنة (٥٦٠هـ / ١١٦٥م) [٤] .

٤٦ - الإمام أبي العلاء الهمذاني الحسن بن أحمد بن الحسن بن محمد بن سهل إمام العراقيين في القراءات ومن مؤلفاته : كتاب « الهادي في معرفة المقاطع والمبادي » وكتاب « الوقف والابتداء » ، قال ابن الجزري رحمه الله : (اعتنى بهذا الفن أتم عناية وألف فيه أحسن كتب كالوقف والابتداء ، ومن وقف على مؤلفاته علم جلالة قدره ، وهو عندي أنه في المشارقة كأبي عمرو الداني في المغاربة . توفي أبو العلاء الهمذاني سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) [٥] .

٤٧ - المحقق الكبير محمد بن طيفور المكنى بأبي عبد الله والمعروف بالسجاوندي وله « كتاب الوقف والابتداء » وكتاب « وقوف القرآن » قال ابن الجزري : (وله كتاب « الوقف والابتداء » الكبير وآخر صغير ومن مؤلفاته كتاب « علل الوقوف »

---

(١) يراجع غاية النهاية السابق (ج١ ص٢٢٣) .

(٢) يوجد من كتاب الوقف والابتداء نسخة مخطوطة بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم (١٦٢) . يراجع غاية النهاية لابن الجزري (ج١ ص٥٢٤) .

(٣) يراجع كشف الظنون لحاجي خليفة (ج٢ ص١٤٧١) والأعلام للزركلي (ج٥ ص٥١) .

(٤) يوجد لكتابه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٩٤١١) وطبعته مكتبة المعارف بالرياض بتحقيق د/ علي حسين البواب يراجع الأعلام للزركلي (ج٤ ص٢٢) وما بعدها .

(٥) يراجع غاية النهاية (ج١ ص٢٠٤) والأعلام للزركلي (ج٢ ص١٨١) .

توفي سنة (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) (١) .

٤٨ - العلامة عيسى بن عبد العزيز بن عيسى بن عبد الواحد اللخمي الشريشي الأصل ثم الإسكندري المالكي ، عالم بالقراءات ، له مصنفات كثيرة منها : كتاب « الاهتداء في الوقف والابتداء » .. قال ابن حجر : (سماعته للحديث صحيحة أما في القراءات فليس بثقة) توفي سنة (٦٢٩هـ / ١٢٣٢م) (٢) .

٤٩ - الإمام علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين أبي الحسن الهمذاني السخاوي شيخ مشايخ الإقراء بدمشق ومن مؤلفاته كتاب « علم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء » توفي رحمه الله (٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) (٣) .

٥٠ - الإمام عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس أبي محمد المالكي الزواوي شيخ مشايخ الإقراء بدمشق ، وهو إمام بارع صالح محقق فقيه ثقة ، وله مختصر في الوقف والابتداء ذكر فيه الوقوف الغريبة والمشهورة توفي رحمه الله عام (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) (٤) .

٥١ - القاضي أبي محمد النكزاوي معين الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن أبي زيد - الإسكندري - ومن مؤلفاته كتاب « الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء » ، توفي سنة (٦٨٣هـ / ١٢٨٤م) (٥) .

٥٢ - العلامة محمد بن محمد بن محمد بن علي أبي الخير شمس الدين العمري الدمشقي الشهير بابن الجزري شيخ الإقراء في زمانه وله كتاب « الاهتداء في الوقف والابتداء » استوعب فيه أوقاف القرآن سورة سورة ، توفي - عليه سحائب الرحمة - سنة (٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) (٦) .

٥٣ - العلامة إبراهيم بن موسى بن بلال بن عمران بن مسعود برهان الدين الكركي

---

(١) يوجد لكتاب وقوف القرآن نسختان بالمكتبة الأزهرية الأولى برقم (١٦٤) (١٦٢٠٢) والثانية برقم (٢٥٣) (٢٢٢٦٠) . وتجدر الإشارة إلى أن كتاب علل الوقوف قد طبعته مكتبة الرشد بالرياض بتحقيق د/ محمد العيدي . يراجع غاية النهاية (ج٢ ص١٥٧) والأعلام (ج٧ ص٢٧) .

(٢) يراجع غاية النهاية في طبقات القراء (ج١ ص٦٠٩) والأعلام للزركلي (ج٥ ص١٠٤) .

(٣) يوجد لكتابه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٥) يراجع غاية النهاية في طبقات القراء (ج١ ص٥٦٨) والأعلام (ج٤ ص٣٣٢) .

(٤) يراجع غاية النهاية (ج١ ص٣٨٦) وما بعدها والأعلام (ج٤ ص٦) .

(٥) يراجع غاية النهاية (ج١ ص٤٥٢) .

(٦) يراجع غاية النهاية لابن الجزري (ج٢ ص٢٤٧) والأعلام للزركلي (ج٧ ص٤٥) والنشر في القراءات العشر - أيضًا - (ج١ ص٢٢٤) ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

عالم بالقراءات والفقه والعربية وله في هذا الفن « لحظة الطرف في معرفة الوقف » توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٨٥٣هـ / ١٤٤٩م) [١] .

٥٤ – العلامة زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي شيخ الإسلام وله كتاب « المقصد لتخليص ما في المرشد » لخص فيه ما في المرشد لأبي محمد الحسن بن علي العماني توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) [٢] .

٥٥ – الإمام أحمد بن مصطفى بن خليل أبي الخير عصام الدين وله كتاب « تحفة العرفان في بيان أوقاف القرآن » توفي سنة (٩٦٨هـ / ١٥٦١م) [٣] .

٥٦ – العلامة أحمد بن عبد الكريم بن محمد الأشموني ومن مؤلفاته : « منار الهدى في بيان الوقف والابتداء » من أعيان القرن الحادي عشر الهجري [٤] .

٥٧ – المرحوم الشيخ محمود خليل الحصري شيخ مشايخ المقارئ المصرية سابقًا – وقد ألف في هذا الفن كتاب « معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء » [٥] .

رابعًا : تحقيق حول الوقف على رؤوس الآي

تعددت أقوال العلماء في مسألة الوقف على رؤوس الآي وهم في هذا الأمر على مذاهب أربعة :

المذهب الأول :

جواز الوقف على رأس الآية والابتداء بما بعدها مطلقًا مهما اشتد تعلقها بما بعدها وتعلق ما بعدها بها ؛ وذلك كالوقف على قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٩] والابتداء بقوله تعالى : ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ﴾ [البقرة: ٢٢٠] ، والوقف على قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٩٢] والابتداء بقوله تعالى : ﴿ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٣] ، والوقف على قوله تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴾ [العلق: ٩] والابتداء بقوله تعالى : ﴿ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ [العلق: ١٠] حتى ولو كان الوقف على رأس

(١) يراجع كشف الظنون لحاجي خليفة (ج٢ ص١٥٤٧) والأعلام للزركلي (ج١ ص٧٥) .

(٢) وقد طبع كتاب المقصد عدة مرات . يراجع الأعلام للزركلي (ج٣ ص٤٦) .

(٣) يوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (٥٠٢) ، يراجع الأعلام للزركلي (ج١ ص٢٥٧) .

(٤) طبع كتاب منار الهدى عدة مرات . يراجع معجم المؤلفين لعمر كحالة (ص١٢١) معجم المطبوعات (ص٤٢٥) ط/ سركيس .

(٥) وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة (١٣٨٧هـ) كما طبعته مطابع شركة الشمرلي – بالقاهرة .

الآية يؤدي إلى معنى فاسد مثل قوله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ [الماعون : ٤] .

وكذلك إن كان الوقف على رأس الآية يؤدي إلى معنى باطل كقوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾ [الصافات : ١٥١] والابتداء بقوله تعالى : ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٥٢] .

وهذا المذهب قد اختاره الإمام البيهقي في شعب الإيمان وقال أبو عمرو : وهو أحب إليّ [١] . واستدل أصحاب هذا المذهب بما رواه أحمد في مسنده والترمذي وأبو داود وغيرهم عن أم سلمة [٢] رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قرأ يقطّع قراءته آية آية يقول : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، ثم يقف : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثم يقف : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [٣] ، ثم يقف . فمعنى يقطع قراءته آية آية أي : يقف على رأس كل آية .

وما أميل إليه : أن هذا الاستدلال لا تقوم به حجة حيث إن الوقف على رؤوس الآيات في سورة الفاتحة لا يؤدي إلى معنى فاسد ولا يجيز مثل هذا الوقف إلا الإتيان بأمثلة من الوقوف النبوية على الآيات التي ذكرت منذ قليل .

المذهب الثاني :

الوقف على رؤوس الآي والابتداء بما بعدها إن لم يكن هناك ارتباط لفظي بينها وبين ما بعدها . أي : لم يكن في الوقف عليها والابتداء بما بعدها إيهام معنى خلاف المراد فإن كان هناك ارتباط لفظي بين رأس الآية وبين ما بعده مثل قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾ [الصافات : ١٥١] ؛ فإنه يجوز للقارئ أن يقف على رأس الآية عملًا بالسنة ، ثم يعود فيصله بما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾

---

(١) يراجع لطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٢ ، ٢٥٣) وجمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي تحقيق د/ علي حسين البواب (ج٢ ص٥٥٣ ، ٥٥٤) الناشر مكتبة الخانجي - القاهرة . والمنح الفكرية لملا علي (ص٥٩) ط/ مصطفى البابي الحلبي ونهاية القول المفيد في علم التجويد للشيخ محمد مكي نصر (ص١٦٢) وما بعدها ط/ مصطفى البابي الحلبي . وهامش العقد الفريد في فن التجويد لعلي بن أحمد صبرة تحقيق د/ شعبان محمد إسماعيل (ص١١٨) .

(٢) هي هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية ويقال : اسمه حذيفة بن المغيرة ، القرشية المخزومية . توفيت سنة (٦٢هـ / ٦٨١م) من زوجات النبي ﷺ تزوجها في السنة الرابعة للهجرة وبلغ ما روته من الأحاديث (٣٧٨) الأعلام (ج٩ ص١٠٤) .

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب ثواب القرآن - باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ الحديث رقم (٢٩٢٤) وأبو داود في الصلاة باب استحباب ترتيل القراءة - الحديث رقم (١٤٦٦ ، ٤٠٠١) والنسائي (ج٢) في الصلاة باب تزيين القرآن بالصوت (ص١٨١) . وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج٦ ص٣٠٢) وصححه ابن خزيمة ، والدارقطني (ص١٨١) . والحاكم في المستدرك (ج٢ ص٢٣١) وهو حديث حسن وسنده صحيح .

[الصافات : ١٥٢] مراعاة للتعلق اللفظي .

وحينئذ يكون قد جمع بين العمل بالحديث وبين الهدف الأساسي للتلاوة وهو التدبر الموصل للمعنى [١] .

المذهب الثالث :

جواز السكت بلا تنفس على رأس كل آية بناء على أن السكت يجوز في رؤوس الآيات مطلقًا . وحملوا الوقف في حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على السكت ولكنه غير معمول به [٢] .

المذهب الرابع :

حكم الوقف على رؤوس الآيات كحكمه على غيرها مما ليس برأس آية .

فإذا كان هناك تعلقًا لفظيًا برأس الآية بما بعدها فلا يجوز الوقف وإن لم يكن هناك تعلقًا لفظيًا جاز الوقف .

لذا وضع أصحاب هذا المذهب علامات الوقف فوق الفواصل ، كما وضعوها فوق غيرها مما ليس برأس آية [٣] ، وقد أجاب أصحاب هذا المذهب عن حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بجوابين :

الأول : أن سنده غير متصل . قال الشوكاني في كتابه [٤] ما نصه : أخرجه الترمذي في القراءة ولم يذكر التسمية وقال : غريب وليس إسناده بمتصل ، وقد أعل الطحاوي الخبر بالانقطاع فقال : لم يسمعه ابن أبي مليكة من أم سلمة واستدل على ذلك برواية الليث [٥] عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة .

قال الحافظ : « وهذا الذي أعل به ليس بعلة فقد رواه الترمذي من طريق ابن أبي مليكة

---

(١) يراجع المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية (ص٥٩) ونهاية القول المفيد في علم التجويد (ص١٦٤) وهامش العقد الفريد في فن التجويد (ص١١٨) والإضاءة في بيان أصول القراءة للشيخ على محمد الضباع (ص٥٥) ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد حنفي بشارع المشهد الحسيني بمصر .

(٢) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٤٣) والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٥١) .

(٣) يراجع المنح الفكرية (ص٥٩) ونهاية القول المفيد فيعلم التجويد (ص١٦٤) والإضاءة في بيان أصول القراءة (ص٥٤ ، ٥٥) .

(٤) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار .

(٥) رواية الليث : عن أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي أخبرنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث بن سعد عن عبد الله بن أبي مليكة عن يعلى بن مملك فقال : إنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته فقالت : ما لكم وصلاته ، ثم نعتت قراءته : مفسرة حرفًا حرفًا .

عن أم سلمة بلا واسطة وصححه ورجحه على الإسناد الذي فيه يعلى بن مملك »[١] ا.هـ.

الثاني : أن مقصود الرسول ﷺ من الوقف على رؤوس الآي هو بيان جواز الوقف عليها وتعليم الصحابة - رضوان الله عليهم - الفواصل .

قال المحقق الجعبري : إن الاستدلال بحديث أم سلمة على سُنِّيَّة وقف الفواصل لا دلالة فيه على ذلك ؛ لأنه إنما قصد به إعلام الفواصل ، وقد جهل أناس هذا المعنى وسموه وقف السنة ؛ إذ لا يسن إلا ما فعله النبي ﷺ تعبدًا ولكن هو وقف بيان أي بيان الفواصل فما وقف - عليه الصلاة والسلام - عليه دائمًا تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائمًا تحققنا أنه ليس بفاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما أو تعريف الوقف التام أو للاستراحة »[٢] .

قال التربشتي[٣] : « هذه الرواية ليست بسديدة في الألسنة ولا بمرضية في اللهجة العربية بل هي ضعيفة لا يكاد يرتضيها أهل البلاغة ، ولا ريب أنه ﷺ كان أفصح الناس لهجة فالأظهر أنه - عليه الصلاة والسلام - إنما كان يقف ليبين للمستمعين رؤوس الآي . ولو لم يكن لهذا لما وقف على ﴿ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ولا ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ٢، ٣] ؛ لما في الوقف عليهما من قطع الصفة عن الموصوف ، ولا يخفى ما في ذلك »[٤] .

والمذهب المختار من هذه المذاهب : هو المذهب الرابع ؛ وذلك لأن معاني الآيات ، وسمو بلاغتها ، وسر إعجازها ، ورصانة أساليبها كل ذلك لا يظهر ولا يتضح إلا بربط الجمل وتعانق كلماتها .

ولهذا اختار كثير من العلماء وأئمة القراء تبيين معاني كلام الله ﷻ وتكميل معانيه وجعلوا الوقف منبهًا على المعنى ، ومفصلًا بعضه عن بعض ؛ وبذلك تلذ التلاوة ، ويحصل الفهم والدراية ، ويتضح منهاج الهداية . فلا يقفون على مبتدأ دون خبره ، ولا موصوف دون صفته ، ونحو ذلك إلا أن يكون الكلام في الوقف مستقلًّا مفيدًا

---

(١) يراجع نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للشوكاني (ج٢ ص٢٠٦) مكتبة دار التراث بالقاهرة ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٣ ، ٢٥٤) .

(٢) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٩٨) والمنح الفكرية (ص٥٩) - ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٣) .

(٣) التربشتي : وهو فضل الله بن حسن أبو عبد الله شهاب الدين التربشتي فقيه حنفي له كتب بالفارسية والعربية منها الميسر في شرح المصابيح للإمام البغوي . توفي ؒ سنة (٦٦١هـ / ١٢٦٣م) والأعلام (ج٥ ص١٥٢) .

(٤) يراجع لطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٤) .

فيجيزون الوقف عليه ، ولا يجيزون الابتداء بما بعده ، ويسمونه الوقف الحسن [١] .

وأما ما ورد من أن رسول الله ﷺ كان يقطِّع قراءته يقف عند كل رأس آية .

فلم يثبت عنه ﷺ أنه فعل ذلك في كل القرآن الكريم ، وإنما كان وقفه على رؤوس الآي خاصًّا بفاتحة الكتاب فقط كما دل على ذلك الحديث المروي عن أم سلمة السالف الذكر .

وعلى كلٍّ فلا بأس بالوقف على رؤوس الآي عملًا بالحديث على فرض صحته وإطلاقه في جميع القرآن لا أنه خاص بالفاتحة وحدها ثم وصلها بما بعدها لبيان المعنى ؛ ولهذا أجاز جماعة من القراء الوقف على رؤوس الآي عملًا بالحديث [٢] .

خامسًا : أقسام الوقف والابتداء

أ : أقسام الوقف :

ينقسم الوقف في ذاته إلى أربعة أقسام :

١ - اختياري . ٢ - اضطراري .

٣ - اختباري . ٤ - انتظاري .

١ - فالاختياري - بالياء المثناة : فهو الذي يقصده القارئ لذاته من غير ضرورة ملجئة للوقف . وسمي اختياريًّا لحصوله بمحض اختيار القارئ دون ضرورة ولا إجابة على اختبار .

وحكمه : أنه قد يعود إلى الابتداء بما وقف عليه فيصله بما بعده أو يبتدئ بما بعد الكلمة التي وقف عليها . ولهذا النوع أقسام سأذكرها بمشيئة الله تعالى بعد ذلك .

٢ - والاضطراري : هو ما يعرض للقارئ أثناء قراءته بسبب ضروري ملجئه إليه كالعطاس وضيق النفس ونحو ذلك ، وسمي اضطراريًّا ؛ لأن سببه الضرورة والاضطرار [٣] .

وهذا النوع ليس وقفًا حقيقيًّا ؛ لأنه في غير مجال الوقف المعروفة ؛ إذ الواجب على

---

(١) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٥٤) ومعالم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء للشيخ محمود الحصري (ص ٥٢) وما بعدها مطابع الشمرلي - القاهرة ، والقول النبيل في أحكام الوقف والابتداء لعبد الله عليوة (ص٣٦) ط/ دار الفكر .

(٢) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٥٣) القول النبيل (ص٣٧) .

(٣) يراجع المنح الفكرية (ص٦٣) والعقد الفريد في فن التجويد (ص٦٢) وفتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد للشيخ محمود علي بسة تحقيق الشيخ محمد صادق قمحاوي (ص١٤٦) الناشر المكتبة المحمودية التجارية - ميدان الأزهر - القاهرة - الطبعة الثانية .

تالي القرآن الكريم أن لا يقف إلا عند تمام المعنى أو عند تمام الآية غير أنه قد ينقطع نفس القارئ قبل محل الوقف ، وهنا يمكن له أن يقف حيث ينقطع نفسه . ثم يعود إلى الكلمة التي وقف عليها فيبتدئ بها ويصلها بما بعدها ويستمر في قراءته إن صلح الابتداء بما وقف عليه ، وإلا فمما يصلح الابتداء به .

٣ - والاختباري - بالباء الموحدة - : هو أن يقف القارئ على كلمة ليست محل للوقف عادة في مقام التعليم لبيان حكمها من حيث القطع والوصل والحذف والإثبات ونحو ذلك . وهذا يرجع إلى رسم الكلمة في المصاحف العثمانية .

وحكمه : الجواز ، بشرط أن يعود القارئ إلى الكلمة التي وقف عليها ويصلها بما بعدها حتى يتم المعنى .

٤ - والانتظاري : فهو الوقف على الكلمة التي فيها بعض الأوجه من القراءات حين القراءة . بجمع الروايات فيقف عليها القارئ ليستوفي ما فيها من الأوجه حال التلقي على الشيوخ .

وحكمه : الجواز كالاختباري [١] .

هذا وقد قسم بعض العلماء الوقف إلى قسمين :

١ - اضطراري .   ٢ - اختياري .

١ - فالاضطراري : هو ما يدعو إليه انقطاع النفس فقط .

٢ - وأما الاختياري : - وهو أفضلهما - فهو الذي لا يكون باعتبار انفصال ما بين جزأي القول [٢] ، وهو موضوع بحثنا هذا .

اقسام الوقف الاختياري :

ثم إن علماء هذا الفن - رحمهم الله تعالى - قسموا الوقف الاختياري إلى أنواع ، ولكنهم اختلفوا في عددها وفي تسميتها ؛ فكان لكل فريق منهم اصطلاح خاص به .

١ - فذهب أكثر القراء ومنهم الداني وابن الجزري إلى أنها أربعة أقسام : تامٌّ ، وكافٍ ، وحسن ، وقبيح [٣] .

---

(١) يراجع المنح الفكرية (ص٦٣) .

(٢) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٥٩ ، ٣٦٠) والنشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٢٥) .

(٣) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٦٣) والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٥٠) والمقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لزكريا الأنصاري مطبوع بهامش منار الهدى (ص٥) ط/ مصطفى البابي الحلبي .

٢ - وقال آخرون : إنها أربعة أقسام أيضًا :

تامٌّ مختار ، وكافٍ جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك وهو قريب مما قبله [١] .

٣ - ومنهم من جعله أربعة أقسام أيضًا :

مطلق ، وجيد ، وجائز ، وقبيح [٢] .

٤ - وذهبت طائفة منهم ابن الأنباري والسخاوي إلى أنها ثلاثة أقسام :

تامٌّ ، وكافٍ ، وقبيح [٣] .

٥ - وقسمه السجاوندي [٤] خمسة أقسام :

لازم ، ومطلق ، وجائز ، ومجوز لوجه ، ومرخص ضرورة ، ويرمز الشيخ لعلامات الوقف في كتابه ؛ فيرمز لما لا يوقف عليه بعلامة « لا » ، ويرمز للوقف اللازم بحرف « م » ، والمطلق بحرف « ط » ، والجائز بحرف « ج » ، والمجوز بحرف « ز » ، والمرخص لضرورة بحرف « ص » . وتبعه في ذلك النيسابوري في تفسيره « غرائب القرآن ورغائب الفرقان » [٥] .

٦ - وذهبت طائفة إلى تقسيمه سبعة أقسام :

تام ، وتمام ، وحسن ، ومفهوم ، وصالح ، وقبيح [٦] .

٧ - وجنحت طائفة إلى أنه ينقسم إلى ثمانية أقسام :

أعلاها التام ، ثم الحسن ، ثم الكافي ، ثم الصالح ، ثم المفهوم ، ثم الجائز ، ثم البيان ، ثم القبيح [٧] .

٨ - وذهب الجمهور : إلى أن الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب :

تام ، وشبيه به ، وناقص ، وشبيه به ، وحسن ، وشبيه به ، وقبيح ، وشبيه به [٨] .

---

(١) يراجع المكتفى في الوقف والابتداء للداني تحقيق جايد زيدان مخلف (ص١٠٦) .

(٢) يراجع الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (٩) ، ومنار الهدى (ص٩) .

(٣) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص١٠٨) ومنار الهدى في الوقف والابتداء (ص١٠) والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٥٠) .

(٤) محمد بن طيفور الغزناوي السجاوندي المقرئ النحوي المحقق . توفي سنة (٥٦٠هـ / ١١٦٤م) ، والأعلام (ج٧ ص٢٧) .

(٥) يراجع كتاب الوقوف للسجاوندي ورقة (٢) وغرائب القرآن للنيسابوري (ج١ ص٨٩) ط/ الأهرام .

(٦) يراجع كتاب الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء للنكزاوي ورقة (٩) .

(٧) يراجع المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء (ص٥ ، ٦) .

(٨) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٥٤) ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء (ص٩) والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٦) .

٩ - ومنهم من جعله قسمين :

تام ، وقبيح [١] .

١٠ - وقال الأشموني في كتابه : ويتنوع الوقف نظرًا للتعلق خمسة أقسام ؛ لأنه لا يخلو إما أن لا يتصل ما بعد الوقف بما قبله لا لفظًا ولا معنى فهو التام ، أو يتصل ما بعده بما قبله لفظًا ومعنى وهو القبيح أو يتصل ما بعده بما قبله معنى لا لفظًا وهو الكافي ، أو لا يتصل ما بعده بما قبله معنى ويتصل لفظا وهو الحسن ، والخامس متردد بين هذه الأقسام :

فتارة يتصل بالأول ، وتارة يتصل بالثاني ، على اختلافهما قراءة وإعرابًا وتفسيرًا ؛ لأنه قد يكون الوقف تامًا على تفسير وإعراب وقراءة ، غير تام على غير ذلك ؛ لذا قال : وجميع ما ذكروه من مراتبه غير منضبط ولا منحصر لاختلاف المفسرين والمعربين .

ثم قال : وأشرت إلى مراتبه : بتام ، أو أتم ، وكافٍ وأكفى ، وحسن وأحسن ، وصالح وأصلح ، وقبيح وأقبح .

فالكافي والحسن يتقاربان ، والتام فوقهما ، والصالح دونهما في الرتبة ، فأعلاها الأتم ، ثم الأكفى ، ثم الأحسن ثم الأصلح ويعبر عنه بالجائز [٢] .

ولعل سبب تفاوت العلماء فيما بينهم في تقسيم الوقف أن ذلك يرجع إلى ارتباط الوقف بالمعنى الذي يفهم من الجملة القرآنية ومدى صلتها بما بعدها ، وعلى ذلك قسم العلماء الوقف واختلفوا في تقسيماتهم له .

وفي نظري أيضًا أن أكثر هذه التقسيمات متقاربة المقصود ، وإن كانت مختلفة الألفاظ أو الاصطلاح ، ولذا فإن جميع المصاحف الحالية المتداولة تعتمد على جميع أقوال هؤلاء العلماء وإن كان كل قطر عربي يعتمد على ما يعتبره صحيحًا .

ب - أقسام الابتداء :

وأما الابتداء فلا يكون إلا اختياريًا ؛ لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة فلا يجوز إلا بمستقل بالمعنى موفٍ بالمقصود . وهو في أقسامه كأقسام الوقف الأربعة ويتفاوت تمامًا ، وكفاية ، وحسنًا ، وقبحًا ، بحسب التام وعدمه ، وفساد المعنى وإحالته .

وقد يكون الوقف حسنًا والابتداء بعده قبيحًا ، وقد يكون الوقف قبيحًا والابتداء به

---

(١) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٥٠) وجمال القراء وكمال الإقراء (ج٢ ص٥٦٣) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (٩) .

(٢) انظر منار الهدى (ص٩ ، ١٠) .

حميدًا [١] . وسنرى كل ذلك في مكانه مفصلًا بمشيئة الله تعالى .

مع ملاحظة أن البعض : أطلق على هذا الفن : القطع والائتناف كأبي جعفر النحاس .

والبعض : أطلق عليه : المقاطع والمبادئ كأبي العلاء الهمزاني .

والبعض الآخر : أطلق عليه : الوصل والوقف .

وعلى كلٍّ فهي ألفاظ متقاربة المعاني لعلم تعرف به المواضع التي يجب على قارئ القرآن أن يقف عليها وقفًا جائزًا ، أو واجبًا ، أو قبيحًا .

شبهة ودفعها :

قسم علماء هذا الفن الوقوف القرآنية أقسامًا عديدة كما رأينا ، وقد ذهب القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة - رحمهما الله - : إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن بالتام والكافي والحسن والقبيح وتسميته بذلك بدعة ، ومسميه ومتعمد الوقف على نحوه مبتدع ، قال : لأن القرآن معجز ، وهو كله كالقطعة الواحدة وكله قرآن وبعضه قرآن معجز ، وكله تام حسن ، وبعضه تام حسن [٢] .

الرد عليه : قال المحققون : « ليس الأمر كما ذكر أبو يوسف ؛ لأن الكلمة الواحدة ليست من الإعجاز في شيء » . إنما المعجز الرصف العجيب والنظم الغريب ، وليس ذلك في بعض الكلمات ، أما قوله : « إن بعضه تام حسن كما أن كله تام حسن » فغير مسلم به ؛ لأنه إذا قال القارئ « إذ جاء » ووقف ، فيقال له : أهذا تام وقرآن ؟

فإن قال نعم قيل : فما يحتمل أن يكون القائل أراد : إذا جاء الشتاء .

وكذلك كل ما يفرد من كلمات القرآن موجودًا في كلام البشر فإذا اجتمع وانتظم انحاز عن غيره وامتاز وظهر ما فيه من الإعجاز [٣] .

وعلى ذلك العلماء من العصور الأولى للتأليف في إعجاز القرآن الكريم وتدوينه .

وقد وضع الإمام الخطابي أحد الأئمة المؤلفين في الإعجاز في القرن الرابع الهجري قاعدة يعرف بها ذلك حين ذكر في رسالته « بيان إعجاز القرآن » أن الكلام إنما يقوم

---

(١) يراجع الإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٨) والنشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٣٠) .

(٢) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٥٢ ، ٥٥٣) ولطائف الإشارات (ج١ ص٢٥٠) والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٥٤) والتمهيد في علم التجويد لابن الجزري (ص١٧٧) وما بعدها .

(٣) يراجع جمال القراء وكمال الإقراء (ج٢ ص٥٥٣) ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٠) ، التمهيد في علم التجويد (ص١٧٨) .

بهذه الأشياء الثلاثة :

« لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم »[١] .

سادسا : حكم تعلم الوقف والابتداء وتعليمهما

إن علم الوقف والابتداء مما ينبغي للقارئ أن يهتم بمعرفته ويصرف في إتقانه أكبر همته ؛ وذلك لما لا يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل ، وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة فالوقف محطة راحة للفكر واللسان بعد عناء والراحة التي تعقب العناء غير العناء المستمر . فتعين ارتضاء ابتداء بعد التنفس والاستراحة وتحتم أن لا يكون ذلك مما يخل بالمعنى أو يخل بالفهم ؛ إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد الذي من أجله أنزل القرآن الكريم ؛ لذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يهتمون عند تلاوة القرآن الكريم بمراعاة الوقف والابتداء ويتناقلون مسائله مشافهة ويتعلمونه كما يتعلمون القراءة[٢] .

ولقد دل على مشروعية تعلم الوقف والابتداء وتعليمهما أدلة كثيرة منها :

١ - ما روي عن عبد الله[٣] بن عمر ﵄ قال : (لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأيت اليوم رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ، ولا ينبغي أن يوقف عنده وكل حرف منه ينادي : أنا رسول الله إليك لتعمل بي وتتعظ بمواعظي)[٤] .

وفي رواية[٥] (فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ، لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي أن يوقف عنده ينثره نثر الدقل)[٦] .

---

(١) راجع كتاب الثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني (ص٢٧) ط/ دار المعارف بالقاهرة .

(٢) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٢٤ ، ٢٢٥) ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي الجليل من علماء الصحابة ومفتيهم توفي بمكة المكرمة سنة (٧٣هـ / ٦٩٢م) والاصابة لابن حجر (ج٢ ص٣٤٧) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (ج١ ص٣٥) - كتاب الإيمان وقال عنه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه .

(٥) المرجع السابق .

(٦) الدقل : من التمر معروف قيل : هو أردأ أنواعه . وفي حديث ابن مسعود : (هذًا كهذ الشعر ونثرًا كنثر الدقل وهو رديء التمر ويابسه وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون منثورًا) . لسان العرب لابن منظور (ج٢ ص١٤٠٢) ط/ دار المعارف .

وجه الدلالة : أن فيه دلالة على أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا يتعلمون الوقوف القرآنية كما يتعلمون القرآن ، ولم يخالف في ذلك أحد منهم فكان إجماعًا [١] .

٢ - وقال ابن الجزري : (وصح بل تواتر عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح كأبي جعفر يزيد بن القعقاع إمام أهل المدينة الذي هو من أعيان التابعين ، وصاحبه نافع بن أبي نعيم ، وأبي عمرو بن العلاء ، ويعقوب الحضرمي ، وعاصم بن أبي النجود ، وغيرهم من الأئمة .

وكلامهم في ذلك معروف ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب .

وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف يشيرون إلينا فيه بالأصابع ، سُنَّة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين .

بل إن جماعة من الأئمة المتقدمين اشترطوا على الشيخ أن لا يجيز الطالب إلا بمعرفة الوقف والابتداء [٢] .

٣ - ولقد سئل علي [٣] ﷺ عن معنى الترتيل في قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤] فقال : « الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف » .

وجه الدلالة : أن قوله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ ﴾ أمر وهو يقتضي الوجوب ؛ لأن الأصل في الأمر أن يكون للوجوب إلا إذا وجدت قرينة تصرفه عن الوجوب إلى غيره من الندب أو الإباحة أو الإرشاد أو التهديد إلى غير ذلك ؛ فيحمل على ذلك لتدل عليه القرينة ولم توجد قرينة هنا تصرفه عن الوجوب إلى غيره فيبقى على الأصل وهو الوجوب [٤] .

وأيضًا : قوله تعالى : ﴿ تَرْتِيلًا ﴾ تأكيد في إيجاب الأمر به ، وأنه مما لا بد منه للقارئ [٥] .

ولكن ما أقسام الواجب في علم التجويد ؟

لقد قسم مؤلفا كتاب أحكام تلاوة القرآن الكريم [٦] الواجب في علم التجويد

---

(١) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٢٥) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (١٢) ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء (ص٥) والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٣) .

(٢) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٢٥) .

(٣) علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ ورابع الخلفاء الراشدين استشهد سنة (٤٠هـ / ٦٦٠م) . الإصابة (ج٢ ص٥٠٧) .

(٤) يراجع الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (ج٣ ص٢٦٩) ط الأولى/ دار الحديث بجوار إدارة الأزهر وأحكام تلاوة القرآن الكريم تأليف أ.د/ حمودة محمد داود وأ.د/ شعبان محمد إسماعيل (ص٢٠) وما بعدها .

(٥) يراجع التفسير الكبير للإمام الرازي (ج٣ ص٧٩٧) ط/ دار الغد العربي .

(٦) يراجع كتاب أحكام تلاوة القرآن الكريم (ص٢٠ ، ٢١) الناشر دار الهدى - القاهرة .

إلى قسمين :

واجب شرعي ، وواجب صناعي .

ثم عرفا الواجب الشرعي كما عرفه علماء أصول الفقه بأنه : (ما يثاب المكلف على فعله ، ويعاقب على تركه) [١] .

والمراد به في علم التجويد : المحافظة على جوهر الكلمات القرآنية ، وحروفها التي تتكون منها بنيتها ، وعلى حركتها وسكونها ، إلى غير ذلك من الأمور التي يعد تركها من اللحن الجليّ ، فمن أدى هذه الأمور على وجهها فقد استحق الأجر والمثوبة لقيامه بأداء واجب شرعي ، ومن تركها أو تهاون في أدائها فهو آثم مستحق للعقاب ؛ لتركه الواجب الشرعي أو تهاون فيه .

كما عرفا الواجب الصناعي : بأنه ما يحسن فعله ويقبح عند علماء التجويد تركه كإظهار ما حكمه الإظهار ، وإدغام ما حكمه الإدغام ، إلى آخر ما وضعه علماء التجويد من قواعد .

فمن راعى هذه القواعد في قراءته فقد أحسن وأجاد وصار قدوة طيبة ومثلًا يحتذى به في جودة القراءة وحسن الأداء .

ومن أهمل هذه القواعد أو قصر في أدائها استحق التأنيب والتعنيف والتقريع والتعزير وهذا رأي المتأخرين .

ثم قالا : وذهب المتقدمون من الصدر الأول والسلف إلى أن مراعاة هذه القواعد ومنها الوقف والابتداء من الواجب الشرعي الذي يثاب فاعله ويعاقب تاركه .

والخلاصة : أن المحافظة على جوهر اللفظ القرآني ، ومراعاة شكله من : ضم ، أو فتح ، أو كسر ، أو سكون ، أو تشديد ، أو تخفيف إلى غير ذلك ؛ أمر يتحتم على القارئ أن يلتزم به .

وأقول : إن ذلك ونحوه واجب شرعي يثاب فاعله ، وإن الإخلال بأية ناحية من هذه النواحي خطأ ظاهر ولحن جليّ يأثم فاعله ويعاقب عليه ، وهذا بإجماع المسلمين من سلف الأمة وخلفها ، لم يخالف منهم أحد في جميع الأعصار والأمصار .

وأما المحافظة على ما وضعه أئمة القراء من أصول وقواعد ، وتطبيق هذه القواعد في

---

(١) يراجع شرح العمدة (٥٤١/٣) .

القراءة بإظهار المظهر ، وإدغام المدغم ، وإخفاء المخفي ، وقصر المقصور ، ومد الممدود إلى آخر ما دونوه ؛ فقد وقع فيه خلاف بين المتقدمين والمتأخرين .

فالمتقدمون يرون أن المحافظة على هذه القواعد وتطبيقها في القراءة واجب شرعي أيضًا - كالمحافظة على جوهر اللفظ وشكله - يثاب عليه فاعله ، وأن الإخلال بها يعد من اللحن الجليّ والخطأ البين الذي يذم فاعله ويعاقب عليه .

فليس بين القسمين فرق في الحكم بل الحكم في كل منهما واحد ، وهو الوجوب الشرعي ؛ فالمحافظة على جوهر اللفظ وشكله واجب شرعي ، والمحافظة على القواعد التجويدية وتطبيقها في القراءة واجب شرعي أيضًا وليس عند المتقدمين ما يسمى واجبًا صناعيًا .

وأما المتأخرون : فيرون أن المحافظة على هذه القواعد وتطبيقها في التلاوة واجب صناعي يحسن فعله ويقبح تركه ولكن لا يستحق تاركه شيئًا من العقاب الأخرويّ [١] .

أما بالنسبة لحكم الوقوف القرآنية :

فليس فيها ما يسمى بالواجب الشرعي الذي يثاب فاعله ويأثم تاركه وعلى ما يبدو فسبب ذلك في نظري :

أن الأدلة التي استند إليها أهل الأداء ليست قطعية الدلالة ؛ ولذلك كانت الوقوف مناط خلاف بين أهل الأداء ؛ فمنهم من جوز الوقف على رأس كل آية وابتدأ بما بعدها مهما اشتد تعلقها بما بعدها تمسكًا بحديث أم سلمة [٢] .

ومنهم من زعم أن رؤوس الآي وغيرها في حكم واحد من جهة تعلق ما بعد كلّ بما قبله وعدم تعلقه [٣] .

---

(١) يراجع أحكام القرآن الكريم (ص٢٢) وما بعدها .

(٢) روى أحمد في مسنده والترمذي وأبو داود وغيرهم عن أم سلمة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قرأ يقطع قراءته آية آية يقول : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ . ثم يقف ثم يقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . ثم يقول : ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ . ثم يقف ... إلخ .

(٣) ومنهم من وقف على رأس كل آية ثم وصلها بما بعدها لبيان المعنى ، وكذلك أن علم الوقف يفتقر إلى دراسة علوم كثيرة من خلالها تتضح مواطن الوقف الملائم الذي يظهر المعنى جليًا . وذلك ليس بمقدور العامة . من هنا لا يوجد في القرآن الكريم وقف واجب شرعًا بحيث يثاب القارئ على فعله ويعاقب على تركه فلو كان في استطاعة أحد أن يقرأ سورة كاملة في نفس واحد لجاز له ذلك من غير نكير .

وأما قول بعض علماء الوقف : إن الوقف على موضع كذا لازم أو على كذا واجب ؛ فالمراد : أنه لازم أو واجب صناعة وأداء لا شرعًا . ولا يوجد أيضًا في القرآن الكريم وقف حرام أو مكروه بحيث يأثم مرتكبه أو يذم أو يعاقب على فعله أو يعاتب . أما قول علماء الوقف لا يجوز الوقف على موضع كذا فالمراد : أنه لا يجوز صناعة او أداء لا شرعا . يراجع المنح الفكرية (ص٥٩) ونهاية القول المفيد في علم التجويد (ص١٤٦) الإضاءة في بيان أصول القراءة (ص ٥٤ ، ٥٥) .

ويرى ابن الجزري : أنه إذا كان هناك قصد من القارئ يقتضي التحريم فحينئذ يكون الوقف حرامًا يأثم القارئ بفعله كأن يقصد الوقف على ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٦٢] ، وكالوقف على ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٠٥] .

وكالوقف على ﴿ إِنِّى كَفَرْتُ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ، ونحو ذلك من غير ضرورة تلجئه إلى الوقف كضيق نفس أو عطاس أو نحو ذلك .

فإن تعمده على نحو ما ذكر وأمثاله أثم وعوقب على قصده [١] .

قال ابن الجزري في هذا المعنى :

وليس في القرآن من وقف وجب ولا حرام غير ما له سبب [٢]

سابعًا : صلة الوقف والابتداء بالعلوم الأخرى

إن معرفة علم الوقف والابتداء تحتاج إلى علوم كثيرة ؛ قال ابن مجاهد [٣] : (لا يقوم بالتمام في الوقف إلا نحوي ، عالم بالقراءات ، عالم بالتفسير والقصص وتخليص بعضها من بعض ، عالم باللغة التي نزل بها القرآن الكريم وكذا علم الفقه) [٤] .

ومن خلال هذا النص وغيره يتضح لنا : أن علم الوقف والابتداء له صلة وثيقة بالعلوم الإسلامية والعربية [٥] .

أ - صلة الوقف بعلم النحو :

للوقف صلة وثيقة بعلم النحو ؛ حيث يزودنا ثقة بتوقيف الوقف ؛ لأن القرآن نزل بلسان عربيٍّ مبين كما في أكثر من آية من ذلك :

---

(١) يراجع المنح الفكرية (ص ٦٢) .

(٢) انظر متن الجزرية لابن الجزري باب معرفة الوقف والابتداء . ط / مصطفى البابي الحلبي .

(٣) أحمد بن موسى بن العباس أبو بكر بن مجاهد ، كبير علماء القراءات وأول من سبعها . توفي سنة (٣٢٤هـ / ٩٣٥م) . وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق دكتور إحسان عباس (ج١ ص٩٩) ط/ دار الثقافة - بيروت - لبنان .

(٤) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٤٣) والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٥٠) .

(٥) من ذلك قول النكزاوي : (باب الوقف عظيم القدر جليل الخطر ؛ لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل) . يراجع الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ، ورقة (١١) .

١ - الوقف على قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ (١) ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] وقف تام إذا نصبت ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ على الإغراء بتقدير : « الزموا صبغة الله » أي : دين الله وهو قول الكسائي (٢) .

فإن نصبت على البدل من قوله تعالى : ﴿ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ وهو قول الأخفش (٣) لم يتم الوقف على ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٤) .

٢ - وكذلك الوقف على ﴿ نَصِيرًا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ٤٥] كافٍ إذا علقت ﴿ مِّنَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ [النساء : ٤٦] بمبتدأ محذوف تقديره : « من الذين هادوا ناس » ، فإن علقت بقوله : ﴿ نَصِيرًا ﴾ أي : « اكتفوا بالله ناصرًا لكم من الذين هادوا » لم يكف الوقف على ﴿ نَصِيرًا ﴾ .

ولا يوقف على الوجهين على : ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ ؛ لأن ﴿ يُحَرِّفُونَ ﴾ على الأول نعت للمبتدأ المحذوف ، وعلى الثاني حال من ﴿ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾ فلا يقطع من ذلك (٥) .

٣ - وكذلك الوقف على ﴿ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ من قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام : ١٤٢] كافٍ إذا نصب ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ ﴾ [الأنعام : ١٤٢] بإضمار « وأنشأ » وتقديره : « كلوا لحم ثمانية أزواج » .

وإن نصب على البدل في قوله تعالى : ﴿ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ ﴾ أو جعل بدلًا من

---

(١) ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ ﴾ أي فسيكفي الله رسوله عدوه ، فكان هذا وعدًا من الله تعالى لنبيه أنه سيكفيه من عانده ومن خالفه من المتولين بمن يهديه من المؤمنين فأنجز له الوعد - وكان ذلك في قتل بني قينقاع وبني قريظة وإجلاء بني النضير - والهاء والميم في موضع نصب مفعولان . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج٢ ص١٤٣) .

(٢) علي بن حمزة أبو الحسن ، أحد القراء السبعة ، وإمام الكوفة في النحو . توفي سنة (١٨٩هـ / ٨٠٤م) إنباه الرواه للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ج٢ ص٢٥٦) ط/ دار الكتب المصرية - القاهرة ط/ دار الفكر العربي - القاهرة .

(٣) سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط أبو الحسن أخذ عن سيبويه . توفي سنة (٢١١هـ / ٨٢٦م) إنباه الرواة للقفطي (ج٢ ص٣٦) .

(٤) يراجع الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ، ورقة (٤٠) ومنار الهدى للأشموني (ص٥٠) ومعاني القرآن للأخفش (ج١ ص٣٤٠) ط/ عالم الكتب - بيروت ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج٢ ص١٤٤) .

(٥) يراجع المكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني (ص٢٢٠ ، ٢٢١) والجامع لأحكام القرآن (ج٥ ص٢٤٢، ٢٤٣) وفتح القدير للشوكاني (ج١ ص٤٧٤) ط/ دار المعرفة - بيروت .

﴿ مَا ﴾ على الموضع في قوله : « مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ » لم يكن الوقف كافيًا على ﴿ مُّبِينٌ ﴾ ، لأن ما بعده متعلق بما قبله [١] .

٤ - وكذلك الوقف على ﴿ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة : ١] كاف إذا رفع ﴿ رَسُولٌ ﴾ [البينة : ٢] على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره : « هو رسول » ، فإن رفع ﴿ رَسُولٌ ﴾ على البدل من ﴿ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ لم يكن الوقف كافيًا ؛ لأنه لايفصل بين البدل والمبدل منه [٢] .

ب - صلته بعلم القراءات :

للوقف صلة وطيدة بعلم القراءات ؛ لأنه قد يختلف الوقف تبعا لاختلاف القراءة - كما سيظهر ذلك جليًا في الأمثلة - وهذا أيضًا مما يؤكد توقيف الوقوف ؛ لأن القرآن نزل بها كما يدل حديث نزوله على سبعة أحرف [٣] ومن أمثلة ذلك :

١ - الوقف في قوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧] [٤] فإنه ينبني على ما فيها من القراءات فمن قرأ : ﴿ فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ ﴾ بالرفع والتنوين [٥] فقراءته على وجهين :

أحدهما : أن ﴿ لَا ﴾ بمعنى ليس أي : ليس رفث ولا فسوق ، والخبر محذوف تقديره : « كائنًا » أو « مستقرًا » أو « ثابتًا » فهذا خبر معناه النهي أي : لا يكون ذلك في الحج - وإن كان الكلام خبرًا لفظًا ومعنى كما يرى ابن العربي في أحكام القرآن فتقدير الخبر « مشروعًا » [٦] .

---

(١) يراجع المكتفى في الوقف والابتداء (ص٢٦١ ، ٢٦٢) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ، ورقة (٨٥) ومعاني القرآن للزجاج تحقيق د/ عبد الجليل عبده شلبي (ج٢ ص٢٩٩) ط/ عالم الكتب - بيروت ، والجامع لأحكام القرآن (ج٧ ص١١٣) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري تحقيق د/ محيي الدين رمضان (ج٢ ص٩٨٢) ط/ مجمع اللغة العربية - دمشق ، والاقتداء ، في معرفة الوقف والابتداء ، ورقة (٣١١) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج٢٠ ص١٤٢) وفتح القدير للشوكاني (ج٥ ص٤٧٥) .

(٣) ما أخرجه البخاري عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » (ج٥ ص٢٧١) .

(٤) الرفث : التعرض للنساء بالجماع . والفسوق : المعاصي كلها . والجدال : جدال الرجل صاحبه أو المراء . فتح القدير للشوكاني (ج١ ص٢٠٢) .

(٥) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن وقرأ أبو جعفر ﴿ وَلَا جِدَالٌ ﴾ كذلك بالرفع والتنوين ووافقه الحسن . إتحاف فضلاء البشر للشيخ البنا تحقيق الدكتور شعبان إسماعيل (ج١ ص٣٨٩) ط/ عالم الكتب - بيروت .

(٦) يراجع أحكام القرآن لابن العربي (ج١ ص ١٣٤) ط/ عيسى البابي الحلبي .

ثانيهما : الرفع بالابتداء والخبر مقدر والتقدير : « لا رفث ولا فسوق في الحج » والفرق بين الوجهين : أن قوله تعالى : ﴿ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ على الأول خبر ليس [١] ، وعلى الثاني خبر المبتدأ [٢] .

فعلى هذه القراءة بالتقديرين المذكورين الوقف على قوله تعالى : ﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾ كاف .

ومن نصب الأسماء الثلاثة [٣] لم يفصل بينهما بوقف ؛ لتعلق بعضها ببعض .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ كاف على القراءتين [٤] .

٢ - وكذلك الوقف على ﴿ وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ .. ﴾ [آل عمران : ٣٦] كاف على قراءة من قرأ بفتح العين وإسكان التاء في قوله تعالى ﴿ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ [٥] ؛ لأن ذلك إخبار من الله ﷻ عن أم مريم فهو منفصل عن كلام أم مريم ومستأنف .

وليس بوقف لمن قرأ ﴿ بِمَا وَضَعْتُ ﴾ [٦] - بضم التاء - وعليه فلا يقف على ﴿ أُنثَىٰ ﴾ ؛ لأنه من كلامها فلا يفصل بينه .

فكأنها قالت اعتذارًا : إني وضعتها أنثى ، وأنت يارب أعلم بما وضعتُ [٧] .

٣ - وكذلك من قرأ ﴿ إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَٰلِحٍ ﴾ [هود : ٤٦] - بكسر الميم وفتح اللام - [٨] لم يبتدئ بذلك ولم يقف على ما قبله وهو قوله : ﴿ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ؛ لأن الكلام متصل ببعضه فوصله بما قبله أولى ؛ لأنه مع ما قبله كلام واحد ؛ لأن المراد ابن نوح عليه السلام [٩] .

---

(١) يعنون متعلق الجار والمجرور ﴿ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ . (٢) يعنون اسم ﴿ لَا ﴾ باعتبار الأصل .

(٣) وهي قراءة شيبة وقتادة ونافع وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي . التيسير للداني (ص٨٠) .

(٤) يراجع الاقتداء ورقة (٤٧) والمكتفى (ص١٨٢) والجامع لأحكام القرآن (ج٢ ص٤٠٨) والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٢٨٦) .

(٥) ﴿ وضَعَتْ ﴾ بفتح العين وإسكان التاء قراءة الأسود ويحيى بن وثاب وأبي جعفر وشيبة ونافع وأبي عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم . التيسير للداني (ص٧ ، ٨) والسبعة لابن مجاهد تحقيق دكتور شوقي ضيف (ص٢٠٤) ط/ دار المعارف - القاهرة .

(٦) قراءة ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وهي قراءة زيد بن ثابت والنخعي . السبعة لابن مجاهد (ص٢٠٤) والتيسير للداني (ص٨٧) .

(٧) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٥٧٥) ومنار الهدى (ص٧٦) والتفسير الكبير (ج٧ ص١٧٤) والجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص٦٧) .

(٨) القراءة بكسر الميم وفتح اللام ﴿ عَمِلَ ﴾ للكسائي وحده . السبعة لابن مجاهد (٣٣٤) .

(٩) يراجع المكتفى في معرفة الوقف والابتداء (ص٣١٦) منار الهدى (ص٣١٧) والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٥٣١) وفتح القدير (ج٢ ص٥٥٢) .

ومن قرأ ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ بفتح الميم ورفع اللام وتنوينها ورفع الراء من ﴿ غَيْرُ ﴾ [(١)] ، فله تقديران :

أحدهما : أن يراد ابن نوح عليه السلام كالأول بتقدير : « إنه ذو عمل » فعلى هذا أيضًا لا يوقف على ما قبله وهو قوله : ﴿ أَهْلِكَ ﴾ ولا يبتدأ به .

والثاني : أن يراد السؤال بتقدير : « إن سؤالك يا نوح إياي أن أنجي كافرًا عمل غير صالح » فعلى هذا يحسن الوقف على ما قبله وهو قوله ﴿ مِنْ أَهْلِكَ ﴾ ويحسن الابتداء بما بعده ؛ لأنه منقطع مما قبله [(٢)] .

ج - صلته بعلم التفسير :

وذلك أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد . مثال ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩] .

فالوقف على قوله : ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ تام ، وإنما كان تامًا ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ بيان وتفسير للوعد بعد تمام الكلام قبله .

كأن قدم لهم وعدًا فقيل : أي شيء وعده لهم ؟

فقيل : لهم مغفرة وأجر عظيم [(٣)] .

وقال أبو حيان [(٤)] : الجملة مفسرة لا موضع لها من الإعراب و ﴿ وَعَدَ ﴾ يتعدى لمفعولين أولهما : الموصول ، وثانيهما : محذوف تقديره : « الجنة » .

والجملة مفسرة لذلك المحذوف تفسير السبب للمسبب ؛ لأن الجنة مترتبة على الغفران وحصول الأجر وكونها بيانًا أولى ؛ لأن تفسير الملفوظ به أولى من ادعاء تفسير

---

(١) هي قراءة ابن مسعود والشعبي والحسن وأبي جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحمزة والأعمش . التيسير للداني (ص١٢٥) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري (ج٢ ص٧١٣) والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٥٣٠ ، ٥٣١) وفتح القدير للشوكاني (ج٢ ص٥٠٢) .

(٣) يراجع الكشاف (ج١ ص٦١٣) .

(٤) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، الإمام أثير الدين أبو حيان الغرناطي ، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات . توفي سنة (٧٤٥هـ) وغاية النهاية لابن الجزري (ج٢ ص٢٨٥) .

شيء محذوف [١] ، وهذا غاية في بيان هذا الوقف [٢] .

ولكن السجاوندي [٣] : رمز عليه بـ « لا » وعلل بأن الوعد واقع على المغفرة [٤] .

٢ - وكذلك في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة : ٢٦] .

فمن قال من المفسرين : إن التحريم مؤبد وزمن التيه أربعين سنة ، فالوقف التام على قوله تعالى : ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ويبتدئ : ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فيكون على هذا ﴿ أَرْبَعِينَ ﴾ منصوبًا على الظرف والعامل فيه ﴿ يَتِيهُونَ ﴾ [٥] .

ومن قال : إن زمن التحريم والتيه ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ فـ ﴿ أَرْبَعِينَ ﴾ منصوب بـ ﴿ مُحَرَّمَةٌ ﴾ والوقف على قوله تعالى : ﴿ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٦] .

كما أن ﴿ يَتِيهُونَ ﴾ في موضع الحال ، فإن جعلته مستأنفًا جاز الوقف على قوله تعالى : ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [٧] .

٣ - وكذلك الوقف على ﴿ بِرَحْمَةٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٩] تام ، وقيل : كافٍ . والتفسير يدل على ذلك .

روي عن يحيى بن سلام [٨] : في قوله تعالى : ﴿ يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ﴾ [٩] قال : انقطع كلام الملائكة ، وقال الله لهم : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ﴾ فعلى هذا يجوز أن يكون الوقف على قوله تعالى : ﴿ بِرَحْمَةٍ ﴾ تامًا ويجوز أن يكون كافيًا لوجهين :

أحدهما : إن نظرت إلى الانقطاع من حيث الجملة كان تامًا .

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (ج٣ ص٤٤١) ط/ دار الفكر .

(٢) يراجع منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني (ص١١٦) .

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) يراجع كتاب الوقوف للسجاوندي ورقة (٣٨) .

(٥) يراجع روح المعاني للألوسي (ج٦ ص١٠٩) ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (ج٢ ص١٦٥) .

(٦) يراجع جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (ج٦ ص١١٦) ط/ دار المعرفة ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج٢ ص٤٠) ط/ مصطفى البابي الحلبي ، وروح المعاني للألوسي (ج٦ ص١٠٩) .

(٧) يراجع منار الهدى للأشموني (ص١١٨) والاقتداء للنكزاوي ورقة (٦٩) .

(٨) يحيى بن أبي ثعلبة : مفسر فقيه عالم بالحديث واللغة ، ولد بالكوفة ورحل لإفريقية ، توفي سنة (٢٠٠هـ/٨١٥م) لسان الميزان لابن حجر (ج٦ ص٢٥٩) ط/ دائرة المعارف العثمانية - بالهند .

(٩) يراجع المكتفى (ص٢٧١) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (١١٦) ومنار الهدى (ص١٤٦) ، وفتح القدير (ج٢ ص٢٠٨) الجامع لأحكام القرآن (ج٧ ص٢١٤ ، ٢١٥) .

والثاني : وإن نظرت إلى التعلق من حيث المعنى كان كافيًا [١] .

د - صلته بعلم المعاني :

ومن مظاهر الإعجاز في القرآن مراعاة الفصل والوصل في وقوفه ؛ إذ نراهم يقفون عند تمام المعنى ؛ لأنهم يرون أن المعنى يرتبط بالمبنى ارتباطًا وثيقًا وأن المعنى يتغير لمواطن الوقف ومثال ذلك :

١ - الوقف على قوله تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ﴾ والابتداء بقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ﴾ [يوسف : ٢٩] فإنه بذلك يتبين الفصل بين الأمرين ؛ لأن يوسف عليه السلام أمر بالإعراض وهو الصفح عن جهل من جهل وأراد ضره ، والمرأة أمرت بالاستغفار لذنبها ؛ لأنها همت بما يجب الاستغفار منه ولذلك أمرت به [٢] .

٢ - وكذلك الوقف على قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون : ١] وهو كافٍ والابتداء بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ .

ولا يجوز وصله بما قبله ؛ لأنه لو وصل لصار قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ ... ﴾ من مقول المنافقين ، وليس الأمر كذلك بل هو رد لكلامهم أن رسول الله غير رسول ، فكذبهم الله بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ [٣] .

هـ - صلته بعلم الفقه :

لعلم الوقف صلة قوية بعلم الفقه ؛ لأنه قد يختلف في الوقف تبعًا للاختلاف في الحكم الفقهي . ويتضح ذلك في الأمثلة التالية :

١ - الوقف على قوله : ﴿ أَبَدًا ﴾ من قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ﴾ [النور : ٤] كافٍ وذلك على قول من قال : إن شهادة القاذف لا تجوز ولا تقبل وإن تاب [٤] .

والاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ عند القائلين بذلك من الفسق لا غير .

---

(١) يراجع الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء للنكزاوي ورقة (١٤٨) وكتاب الوقوف للسجاوندي ورقة (٦٤) والبرهان في علوم القرآن للزركشي (ج١ ص٣٤٦) وفتح القدير للشوكاني (ج٣ ص١٩) .

(٢) يراجع الإقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (١٤٨) وكتاب الوقوف ورقة (٦٤) والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٤٦) وفتح القدير للشوكاني (ج٣ ص١٩) ومنار الهدى (ص١٩٣) .

(٣) يراجع الوقوف ورقة (١٣٨) ومنار الهدى (ص٣٩٣) والتفسير الكبير (ج٣٠ ص٥٤١) .

(٤) وممن ذهب إلى هذا : الأحناف والأوزاعي والثوري والحسن وسعيد بن المسيب وشريح وإبراهيم والنخعي وسعيد ابن جبير . يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٢ ص١٧٩) فقه السنة للشيخ سيد سابق (ج٧ ص١٩٤) .

ومن قال : إن شهادته جائزة إذا تاب [1] جعل الاستثناء من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ وما بعده لم يجوز الوقف على قوله تعالى : ﴿ أَبَدًا ﴾ ووقف على قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [2] .

ولا يوفق لفهم هذا المعنى إلا من وقف على مذاهب الأئمة المشهورين في الفقه الإسلامي .

٢ - وكذلك الوقف على قوله : ﴿ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ [النساء: ٢٣] جائز ؛ وذلك للفرق بين التحريم النسبي والسببي [3] .

قال أبو حاتم السجستاني [4] : الوقف على كل كلمة واحدة من كلمات هذه الآية إلى قوله تعالى في الآية الثانية : ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ كاف [5] .

ثامنًا : اختلاف العدد الناشئ عن الوقوف

من المعلوم أن عدد آي القرآن مختلف فيه وذلك على حسب اختلاف العادين لآي القرآن الكريم . والعدد لآي القرآن منسوب إلى خمسة بلدان .

١ - مكة . ٢ - المدينة . ٣ - الكوفة . ٤ - البصرة . ٥ - الشام .

١ - فالعدد المكي :

منسوب إلى مجاهد بن جبير ، رواه عبد الله بن كثير القارئ [6] عن مجاهد بن

---

(١) وممن يرى قبول شهادة المحدود في القذف إذا تاب توبة نصوحًا : مالك والشافعي وأحمد والليث وعطاء وسفيان بن عيينة والشعبي والقاسم وسالم والزهري وقال عمر لبعض من حدهم في قذف إن تبت قبلت شهادتك . يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٢ ص١٧٩) وفقه السنة للشيخ سيد سابق (ج٧ ص١٩٤) .

(٢) يراجع المكتفى في الوقف والابتداء (ص٤٠٥ ، ٤٠٦) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (١٩٩) والجامع لأحكام القرآن (ج١٢ ص١٧٨ ، ١٧٩) وفتح القدير (ج٤ ص٨ ، ٩) وروح المعاني (ج٨ ص٩٦ - ٩٩) .

(٣) يراجع منار الهدى في بيان الوقف والابتداء (ص٩٨) .

(٤) سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني أبو حاتم إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض . كان المبرد يلازم القراءة عليه . توفي سنة (٢٤٨هـ/٨٦٢م) وغاية النهاية لابن الجزري (ج١ ص٣٢٠) وكشف الظنون لحاجي خليفة (ج٢ ص١٧٨١) .

(٥) منار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني (ص٩٨) .

(٦) عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله بن زاذان بن فيروز بن هرمز المكي إمام أهل مكة في القراءة وأحد القراء السبع صدوق . توفي سنة (١٢٠هـ) .

جبير[١] عن ابن عباس[٢] عن أبي بن كعب[٣] عن رسول الله ﷺ وعدد آي القرآن فيه : « ٦٢٢٠ » آية .

٢ - والعدد المدني على ضربين[٤] :

أ - مدني أول . ب - ومدني آخر .

أ - فالمدني الأول منسوب إلى نقل أهل الكوفة إياه عن أهل المدينة مرسلًا لم يسموا فيه أحدًا وبه قال نافع وهو : « ٦٢١٧ » آية .

ب - والمدني الأخير منسوب إلى أبي جعفر يزيد بن القعقاع وصهره شيبة بن نصاح وعدد الآي عنده : « ٦٢١٤ »[٥] وبينهما خلاف في ست آيات وهن :

١ - قوله تعالى : ﴿ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴾ [الصافات : ٩] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾ [الملك : ٩] .

٤ - قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ [عبس : ٢٤] .

٥ - قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير : ٢٦] .

ترك هذه الآيات الخمس أبو جعفر وعدهن شيبة بن نصاح ؛ بمعنى أن شيبة يعتبر كل واحدة من الآيات الخمس السابقة رأس آية وليست كذلك عند أبي جعفر .

٦ - قوله تعالى : ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ عدها أبو جعفر وتركها شيبة فلم يعتبر الآية منتهية عندها بل تتمتها : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

---

(١) مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي ، أحد الأعلام ، من التابعين والأئمة المفسرين . توفي سنة (١٠٣هـ) وقيل : سنة (١٠٤هـ) وقيل : سنة (١٠٢هـ) . غاية النهاية (ج٢ ص٤١) .

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ، بحر التفسير وحبر الأمة . توفي سنة (٦٨هـ) وغاية النهاية لابن الجزري (ج١ ص٤٢٥) .

(٣) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي ، صحابي مقرئ قرأ على النبي وعليه جمع من الصحابة والتابعين . توفي سنة (٢٢هـ / ٦٤٢م) . التذكرة للذهبي (ج١ ص١٦) .

(٤) يراجع جمال القراء وكمال الإقراء (ج١ ص١٨٩) وفنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي (ص٧١ ، ٧٢) الناشر مكتبة ابن سينا - القاهرة ، وبشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل للشاطبي شرح الشيخ عبد الفتاح القاضي (ص١٧٥) وما بعدها ط/ الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والرسائل التعليمية ، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج١ ص١١٥) .

(٥) يراجع فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي (ص٧٢) .

٣ - وأما الكوفي :

فرواه حمزة بن حبيب الزيات [١] ﷺ بسنده إلى أبي عبد الرحمن السلمي [٢] . عن علي بن أبي طالب [٣] وعدد الآي فيه : « ٦٢٣٦ » آية .

٤ - وأما البصري :

هو ما يرويه عطاء [٤] بن يسار وعاصم [٥] الجحدري وهو ما ينسب بعد إلى أيوب ابن المتوكل [٦] وعدد آي القرآن عنده : « ٦٢٠٤ » آية .

٥ - وأما العدد الشامي :

وهو ما رواه يحيى [٧] بن الحارث الذماري عن عبد الله بن عامر [٨] اليحصبي عن أبي الدرداء [٩] ، وروى قوم أن أيوب بن تميم [١٠] زعم أنه عدد عثمان بن عفان [١١] وجملة

---

(١) حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات الكوفي المقرئ الفقيه أحد القراء السبعة . توفي سنة (١٥٦هـ / ٧٧٢م) . الأعلام للزركلي (ج٢ ص٢٧٧) .

(٢) عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الضرير مقرئ الكوفة ، أخذ القراءة عن عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن مسعود توفي سنة (٧٤هـ وقيل : سنة ٧٣هـ) . غاية النهاية لابن الجزري (ج١ ص٤١٣) .

(٣) علي بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ ورابع الخلفاء الراشدين ، استشهد سنة (٤٠هـ / ٦٦٠م) . الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (ج٢ ص٥٠٧) .

(٤) عطاء بن يسار أبو محمد الهلالي المدني مولى ميمونة زوج النبي ﷺ وردت عنه الرواية في حروف القرآن . توفي سنة (١٠٣هـ أو ١٠٢هـ) . غاية النهاية (ج١ ص٥١٣) .

(٥) عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري . توفي سنة (١٣٠هـ) . غاية النهاية لابن الجزري (ج١ ص٣٤٩) .

(٦) أيوب بن المتوكل الأنصاري البصري إمام ثقة ضابط . توفي سنة (٢٠٠هـ) غاية النهاية (ج١ ص١٧٢) .

(٧) يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى بن سليمان الغساني الذماري الدمشقي إمام الجامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر يعد من التابعين . توفي سنة (١٤٥هـ) غاية النهاية (ج٢ ص٣٦٧) .

(٨) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة والذي انتهت إليه مشيخة الإقراء بها . توفي سنة (١١٨هـ) . غاية النهاية لابن الجزري (ج١ ص٤٢٣) .

(٩) أبو الدرداء هو عويمر بن زيد ﷺ ويقال : عويمر بن عبد الله ، ويقال : ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي الإمام الرباني شهد أحد وأبلى بلاءً حسنًا وحفظ القرآن عن رسول الله ﷺ وكان عالم أهل الشام ومقرئ دمشق وفقيههم وقاضيهم . توفي سنة (٣٢هـ) . تذكرة الحفاظ للذهبي (ج١ ص٢٤ ، ٢٥) .

(١٠) أيوب بن تميم بن سليمان بن أيوب أبو سليمان التميمي الدمشقي ضابط مشهور ، قرأ على يحيى بن الحارث الذماري وهو الذي خلفه بالقيام في القراءة بدمشق . توفي سنة (١٩٨هـ) . غاية النهاية لابن الجزري (ج١ ص١٧٢) .

(١١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، الخليفة الراشد الثالث . توفي سنة (٣٥هـ / ٦٥٥م) . البداية والنهاية لابن كثير (ج٦ ص١٩٠) ط/ دار الفد العربي .

هذا العدد : « ٦٢٢٧ » آية ، وعن صدقة عن الذماري أنه : « ٦٢٢٦ » آية [١] .

وأما العدد الحمصي :

وهو ما أضيف إلى شريح بن يزيد الحمصي وعدد الآي فيه : « ٦٢٣٢ » آية [٢] ، وهذا الاختلاف بين علماء العدد إن دل فإنما يدل على الاختلاف الناشئ عن الوقوف . وسأضرب أمثلة من القرآن الكريم اختلف علماء العد في عددها لتوضح تلك القضية وبيانها :

فمثلًا في سورة البقرة :

١ - عد البصري قوله تعالى : ﴿ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ رأس آية في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ [البقرة : ١١٤] مع أن الناظر في المصحف الشريف يجد لفظ ﴿ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ ليس رأس آية ولكن رأس الآية : ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ، وأيضًا أن على قوله تعالى : ﴿ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ عليها (ج) علامة الوقف الجائز جوازًا مستوي الطرفين .

٢ - وأيضًا في آية الكرسي عد المدني الأخير والبصري والمكي قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ رأس آية ، مع أن الناظر في المصحف الشريف يجد أنها ليست رأس آية ، ولكن رأس الآية قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

٣ - وأيضًا انفرد المدني الأول بعد قوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ رأس آية . والناظر في المصحف الشريف يجد أنها ليست برأس آية ولكن رأس الآية قوله تعالى : ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

وفي سورة آل عمران :

٤ - قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ عدها الجميع رأس آية سوى الكوفي وحده ، مع أن الناظر في المصحف الشريف يجد أنها ليست رأس آية ولكن رأس الآية قوله تعالى : ﴿ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران : ٤] .

٥ - وقوله تعالى : ﴿ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ أسقطها الكوفي والبصري ، وعدها الباقون ، مع أن الناظر في المصحف الشريف يجد أنها ليست رأس الآية ، ولكن رأس الآية قوله

---

(١) يراجع فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي (ص٧٢) وما بعدها والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء للنكزاوي ورقة (٦ ، ٧) وبشير اليسر شرح ناظمة الزهر للشاطبي ونفائس البيان شرح الفرائد الحسان في عد آي القرآن للشيخ عبد الفتاح القاضي (ص٧) ومناهل العرفان للزرقاني (ج١ ص٣٤٣) .

(٢) يراجع نفائس البيان شرح الفرائد الحسان في عد آي القرآن (ص٧) .

تعالى : ﴿ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

وفي سورة المائدة :

٦ - قوله تعالى : ﴿ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ الآية الأولى من السورة أسقطها الكوفي وحده ، وعدها الباقون ، مع أنها ليست في المصحف الشريف رأس آية ، ولكن رأس الآية قوله تعالى : ﴿ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة : ١] .

وفي سورة الأنعام مثلًا :

٧ - قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ﴾ أسقطها الكوفي وحده ، وعدها الباقون ، وهي في المصحف ليست رأس آية ، وإنما رأس الآية قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [المائدة : ٧٣] .

والأمثلة على ذلك كثيرة تدل على ارتباط الفاصلة بالوقوف .

وسبب هذا الاختلاف في عدد الآي أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي تعليمًا لأصحابه أنها رؤوس آي حتى إذا علموا ذلك وصل ﷺ الآية بما بعدها طلبًا لتمام المعنى فيحسب السامع حينئذ أن ما وقف عليه النبي ﷺ ليست فاصلة فيصلها بما بعدها معتبرًا أن الجميع آية واحدة ، والبعض يعتبرها آية مستقلة ؛ فلا يصلها بما بعدها ، وبالجملة فالخلاف ناشئ عن الوقوف [(١)] .

وليكن في علمنا أنه لا سبيل إلى معرفة آيات القرآن الكريم إلا بتوقيف من الشارع ؛ لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها بدليل أن العلماء عدوا ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ و ﴿ الٓمٓ ﴾ آية حيث وقعت ، ولم يعدوا نظيرها وهو ﴿ الٓر ﴾ آية وعدوا ﴿ يسٓ ﴾ آية ولم يعدوا نظيرها وهو ﴿ طسٓ ﴾ آية[(٢)] .

تاسعًا : مذاهب الأئمة القراء في الوقف والابتداء

إن لكل إمام من الأئمة المشهورين مذهبه في الوقف والابتداء :

فنافع [(٣)] كان يراعي محاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى .

---

(١) يراجع الإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١١٥) والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص٢٥١ ، ٢٥٢) مناهل العرفان للزرقاني (ج١ ص٣٤٤) .

(٢) يراجع الإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١١٥) .

(٣) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبي رويم الليثي أحد القراء السبعة المشهورين . توفي سنة (١٦٩هـ / ٧٨٥م) . غاية النهاية (ج٢ ص٣٣٠) .

وابن كثير [١] : يقف على قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] ، وعلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٠٩] ، وعلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] ، ولم يبال بعدها وقف أم لا ، كذا روي عنه ، وهذا يدل على أنه كان يقف حيث ينقطع نفسه .

وفي رواية أخرى عنه : أنه كان يراعي الوقف على رؤوس الآي مطلقًا ولا يتعمد في أوساط الآي وقفًا سوى ثلاثة مواضع :

قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [٢] .

وأبو عمرو [٣] : كان يتعمد الوقف على رؤوس الآي ، ويقول : هو أحب إليَّ .

وقال أبو الفضل الرازي [٤] : كان يراعي حسن الوقف .

وقال الخزاعي [٥] : كان يراعي حسن الابتداء .

وعاصم والكسائي [٦] : يطلبان الوقف من حيث يتم الكلام .

وقال أبو الفضل الرازي : كان عاصم يراعي حسن الابتداء .

وأما حمزة [٧] : فكان يقف عند انقطاع النفس عند قراءته التحقيق والمد الطويل فلا يبلغ التمام ولا الكافي ، أو لأن القرآن عنده كالسورة الواحدة .

والباقون من القراء كانوا يراعون حسن الحالتين وقفًا وابتداء [٨] .

---

(١) عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز المكي ، إمام أهل مكة في القراءة . توفي سنة (١٢٠هـ) . غاية النهاية (ج١ ص٤٤٣) .

(٢) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٣٨) ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٦٢) .

(٣) زبان بن عمار بن العلاء المازني أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة . توفي سنة (١٥٤هـ/٧٧١م) . الأعلام للزركلي (ج٣ ص٤١) .

(٤) عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بنداد بن إبراهيم بن جبريل بن محمد بن علي بن سليمان أبو الفضل الرازي العجلي الإمام المقرئ ، شيخ الإسلام الثقة الورع الكامل ، توفي سنة (٤٥٤هـ) . غاية النهاية (ج١ ص٣٦١ ، ٣٦٣) .

(٥) محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن بديل ، ركن الإسلام أبو الفضل الخزاعي ، الجرجاني ، إمام صادق مشهور . توفي سنة (٤٠٨هـ) . غاية النهاية (ج٢ ص١٠٩ ، ١١٠) .

(٦) سبقت ترجمته . (٧) سبقت ترجمته .

(٨) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٣٨) ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٦٢ ، ٢٦٣) .

عاشرًا : إثبات توقيفية الوقوف القرآنية

لقد ورد في السنة النبوية الشريفة ما يدل على توقيفية الوقوف القرآنية فمن ذلك :

١ - ماروي عن عبد الرحمن [١] بن أبي بكرة عن أبيه [٢] أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال : « اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال : اقرأ على حرفين فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ سبعة أحرف كلٌّ كافٍ شافٍ ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب » [٣] .

وفي رواية : « ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب ، أو آية عذاب بمغفرة » .

وجه الدلالة في الحديث :

ظاهر الحديث يدل على أنه ينبغي على قارئ القرآن أن يقف على الآية التي فيها ذكر النار والعذاب والعقاب ، ويفصلها مما بعدها إذا كان بعدها ذكر الجنة والثواب .

وكذلك يقف على الآية التي فيها ذكر الجنة والثواب ، ويفصلها مما بعدها إذا كان بعدها ذكر النار والعذاب والعقاب ، كما علم من النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨١] فالوقف هنا تام ، ولا ينبغي أن يوصل بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [البقرة : ٨٢] ويقطع على ذلك ، ونحو قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر : ٦] فالوقف هنا تام ، ولا ينبغي أن يوصل بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ﴾ [غافر : ٧] .

وكذلك نحو قوله تعالى : ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ﴾ فالوقف هنا تام ، ولا ينبغي

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي من أعيان التابعين ولي أعمال البصرة سنة (٩٦هـ / ٧١٤م) . الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، الترجمة رقم (٦٦٧٢) .

(٢) هو نفيع بن الحارث أبو بكرة الثقفي : صحابي من أهل الطائف ، توفي بالبصرة سنة (٥٢هـ / ٦٧٢م) . المرجع السابق ، الترجمة رقم (٨٨٩٥) .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف . فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (ج٨ ص٦٤١) وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (ج١٢ ص٧٦) حديث رقم (١٤٧٧) راجعه وضبط أحاديثه وعلق على حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي بن كعب بأسانيد مختلفة . المسند لابن حنبل (ج٥ ص١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٤) الناشر دار إحياء السنة النبوية .

أن يوصل ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَالظَّالِمُونَ ... إلخ ﴾ [١] .

٢ - وكذلك مما يدل على إثبات توقيفية الوقوف القرآنية :

ما روي عن عبد الله بن مسعود [٢] ﷺ أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ عليّ » قلت : أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « إني أحب أن أسمعه من غيري » ، قال : فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قال : « أمسك » فإذا عيناه تذرفان [٣] .

وجه الدلالة في الحديث :

أن القطع على قوله : ﴿ شَهِيدًا ﴾ كاف وليس بتام ؛ لأن المعنى : فكيف يكون حالهم إذا كان هذا : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فما بعده متعلق بما قبله ، والتمام قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] ؛ لأنه انقضاء القصة وهو في الآية الثانية وقد أمر رسول الله ﷺ عبد الله أن يقطع عليه دونه مع تقارب ما بينهما ؛ فدل ذلك دلالة واضحة على جواز الوقف على ما دون التمام واستعماله ؛ لأن النبي ﷺ أمره أن يقطع عليه ، وأمره يقتضي الوجوب [٤] إلا أن يدل دليل على الندب .

ومما يبين ما ذكرته عن توقيفية الوقوف ويوضحه ويحققه :

٣ - ما رواه تميم الطائي [٥] عن عدي بن حاتم [٦] قال : جاء رجلان إلى رسول الله ﷺ فتشهد أحدهما فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما . ووقف فقال

---

(١) سورة الشورى ٤٢ : آية (٨) وتمامها ﴿ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ .

(٢) عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الصحابي الجليل خادم النبي ﷺ توفي ﷺ سنة (٣٢هـ / ٦٥٢م) . تذكرة الحفاظ للذهبي (ج١ ص١٣) .

(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب التفسير الحديث رقم (٤٥٨٢) وفي كتاب فضائل القرآن - باب قول المقرئ للقارئ : حسبك حديث رقم (٥٠٥٠) ، وباب البكاء عند قراءة القرآن الحديث رقم (٥٠٥٥) . فتح الباري في شرح البخاري لابن حجر (ج٨ ص٩٩ ، ٧٠٢ ، ٧١٧) وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب العلم الحديث رقم (٣٦٦٨ ج٤ ص٧٤) وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن الحديث رقم (٣٠٢٤ ، ٣٠٢٥) . الجامع للترمذي (ج٥ ص٢٣٧) .

(٤) يراجع المكتفى في الوقف والابتداء (ص١٠٦) .

(٥) تميم : هو ابن طرفة الطائي روى عن جابر بن سمرة وعدي بن حاتم وعنه سماك بن حرب وعبد العزيز بن رفيع . توفي سنة (٩٤هـ) وقيل : سنة (٩٥هـ) . تهذيب التهذيب (ج١ ص١٥٣) .

(٦) عدي بن حاتم روى عن النبي ﷺ وعنه تميم بن طرفة وسعيد بن جبير . توفي سنة (٦٨هـ) . المصدر السابق (ج٧ ص١٦٦) والأعلام (ج٥ ص٨) .

له رسول الله ﷺ : « بئس خطيب القوم » قم أو قال : « اذهب » (١) .

ففي هذا الخبر دليل على أنه لا يجوز القطع على المستبشع من اللفظ المتعلق بما يظهر حقيقته ويدل على المراد منه أنه ﷺ إنما أقام الخطيب لما قطع على ما يقبح القطع عليه إذ بقطعه بين حالي من أطاع الله ورسوله ومن عصى ولم يفصل بين ذلك ، وإنما كان ينبغي له أن يقف على قوله : « رشد » ثم يستأنف بعد ذلك أو يصل كلامه إلى آخره فيقول : « ومن يعصهما فقد غوى » .

وإذا كان مثل هذا مكروهًا مستبشعًا في الكلام الجاري بين المخلوقين فهو في كتاب الله ﷻ الذي هو كلام رب العالمين أشد كراهة واستبشاعًا وأحق وأولى أن يتجنب (٢) .

وبعض العلماء يرى : أن ذلك راجع لقول الخطيب : « ومن يعصهما » .

وأن عليه أن يقول : « ومن يعص الله ورسوله » ولا يجمعهما في ضمير واحد حتى لا يوهم التسوية بين الله ورسوله (٣) .

ولقد أورد الأشموني في كتابه (٤) : « وينبغي للقارئ أن يتعلم وقف جبريل فإنه كان يقف في سورة آل عمران عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ ثم يبتدئ : ﴿ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ (٥) والنبي ﷺ يتبعه .

وكان النبي ﷺ يقف في سورة البقرة والمائدة عند قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ (٦) ، وكان يقف عند قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ (٧) . وكان يقف على قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ثم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة - باب صلاة الجمعة وخطبتها (ج٦ ص١٥٩) بشرح النووي ط/ دار الريان وسنن أبي داود كتاب الأدب الحديث رقم (٤٩٨١) (ج٤ ص٢٩٥ ، ٢٩٦) ط/ دار إحياء السنة وسنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي (ج٦ ص٩٠) ط/ دار الحديث - القاهرة .

(٢) يراجع المكتفى في الوقف والابتداء تحقيق جابر زيدان مخلف (ص١٠٤) ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٥) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (١٢) والتمهيد في علم التجويد لابن الجزري تحقيق غانم قدوري (ص١٨٩) ط/ مؤسسة الرسالة .

(٣) يراجع شرح النووي على مسلم (ج١ ص١٥٩) كتاب الجمعة - باب صلاة الجمعة وخطبتها .

(٤) منار الهدى (ص٨) .

(٥) سورة آل عمران : آية (٩٥) وتمامها : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

(٦) سورة البقرة : آية ١٤٨ وتمامها : ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، وسورة المائدة : آية (٤٨) وتمامها : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

(٧) سورة المائدة : آية (١١٦) وتمامها : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ .

يبتدئ : ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [١] . وكان يقف على قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [٢] . وكان يقف على قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ [٣] . وكان يقف على قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة : ١٨] . وكان يقف على قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝ فَحَشَرَ ﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿ فَنَادَىٰ ۝ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٢- ٢٤] . وكان يقف على قوله تعالى : ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ثم يبتدئ بقوله : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [٤] فكان النبي ﷺ يتعمد الوقف على تلك الوقوف وغالبها ليس رأس آية ؛ وما ذلك إلا لعلم لدني علمه من علمه وجهله من جهله فاتباعه ﷺ سنة في جميع أقواله وأفعاله [٥] .

* * *

(١) سورة يوسف : آية (١٠٨) وتمامها : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

(٢) سورة الرعد : آية (١٧ ، ١٨) وتمامها : ﴿ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ .

(٣) سورة النحل : آية (٥) وتمامها : ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

(٤) سورة القدر : آية (٣ ، ٤) وتمامها : ﴿ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ .

(٥) انظر منار الهدى (ص٨) .







الوقف اللازم وأثره على المعنى في القرآن الكريم

ويشتمل على ما يلي :

١ - تمهيد .

٢ - التعريف بالوقف اللازم .

٣ - دراسة استقرائية للوقوف اللازمة بين طبعات المصاحف .

أولاً : ما اتفق على لزوم الوقف عليه .

ثانيًا : الوقوف اللازمة المختلف فيها .

ثالثًا : ما انفردت بلزومه بعض طبعات المصحف .



١ - تمهيد

لما كانت آي القرآن الكريم في أعلى طبقات الإعجاز بجميع أنواعه كان القارئ للقرآن الكريم -- وخاصة الذي لم يحط بعلومه الجمة - بحاجة إلى ما يوضح له مراد كلام الله تعالى وفهم معانيه بقدر الطاقة البشرية ؛ إذ إن معاني القرآن الكريم ومقاصده ذات أفانين كثيرة بعيدة المدى مترامية الأطراف موزعة على آياته بل على كلماته وحروفه فكل كلمة منه لها من نفسها طرب ، ومن ذاتها عجب ، ومن طلعتها عزة ، ومن بهجتها درة ، لاحت عليها دلائل القدرة ؛ لذا عني كثير من العلماء بضبط وقوفه ؛ تيسيرًا لفهمه على قارئه ؛ فظهر الاعتناء بالوقوف ، وروعي فيها ما يراعى في تفسير الآيات فكان ضبط الوقوف مقدمة لما يفاد من المعاني بل إنه يحمل أكثر من دليل على تحقيق الإعجاز القرآني لدى القارئ والسامع .

فهناك من الآيات الكريمة ما لو وصلت بعض جملها ببعض لأفسدت المعنى عند من ليس لديه قريحة عربية .

لذا فقد وضع أئمة فن علم الوقوف على بعض كلمات القرآن رموزًا تدل على الوقف من بينها - بل من أهمها - الوقف اللازم .

٢ - التعريف بالوقف اللازم

أولًا في اللغة : [١] وأما اللازم : فهو اسم فاعل من لزم لازمه لوازم ويقال : صار الأمر ضربة لازم

أي : صار ثابتًا ومنه لزم الشيء يلزمه : وجب وأصبح لزامًا أي : ضروريًّا وألزمته الشيء : جعلته واجبًا عليه ، ورجل لزمة : يلزمه الشيء فلا يفارقه .

واللزام والملازمة للشيء : الدوام عليه أو الثابت الضروري الذي لا مفر منه ، وهو أيضًا الفصل في القضية فكأنه من الأضداد [٢] .

ووردت مادة « اللام والزاي والميم » في القرآن الكريم خمس مرات :

في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ

---

(١) سبق تعريف الوقف لغة .

(٢) يراجع لسان العرب (ج٥ ص٤٠٢٧) والقاموس الجديد للطلاب (ص٨٣٢) والمعجم لألفاظ القرآن (ج٢ ص٥٦٩) .

فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [هود: ٢٨] .

وفي قوله سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣] .

وفي قوله - جل وعلا - : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [طه: ١٢٩] وفي قوله ﷻ : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٧] .

وفي قوله عز من قائل : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٦] وهي تدل على الوجوب والدوام وعدم المفارقة [١] .

ثانيًا : تعريف الوقف اللازم في الاصطلاح : هو : ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد ، وبعبارة أخرى : هو الوقف على كلمة لو وصلت بما بعدها لأوهم وصلها معنى غير المعنى المراد [٢] .

وسمي لزامًا : للزومه وتحتمه وليس معنى ذلك أنه لازم شرعًا بحيث يستحق القارئ الثواب على فعله ، أو العقاب على تركه ، بل إنه لازم صناعي [٣] بمعنى أنه لازم لجودة التلاوة وإحكام الأداء ؛ فالقراءة لا تكون جيدة الصنع محكمة النسيج بديعة النسق إلا إذا روعيت فيها هذه الوقوف .

هذا ويرمز للوقف اللازم في أكثر طبعات المصاحف بحرف « م » وذلك نقلًا عن الإمام السجاوندي الذي رمز له بذلك الحرف في كتابه الوقوف [٤] .

ويعبر عنه البعض بالواجب وعلى كلٍّ : فلا فرق بين اللفظين . والبعض يعبر عنه بالتام [٥] .

والذي أميل إليه : هو أن الوقف اللازم غير التام غالبًا ؛ لأن الوقف التام إذا وصلت جملته الموقوف عليها بما بعدها فقد لا يتغير المعنى ، بخلاف الوقف اللازم ، ألا ترى مثلًا أن قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا

---

(١) معجم ألفاظ القرآن (ج٢ ص٥٦٩ ، ٥٧٠) .

(٢) يراجع كتاب الوقوف ورقة (٣) والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٥) .

(٣) وهو ما يحسن فعله ويقبح عند علماء التجويد تركه - انظر أحكام تلاوة القرآن الكريم (ص٢١) .

(٤) انظر كتاب الوقوف ورقة (٩) .

(٥) انظر النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٣٢) .

إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣] فالوقف على قوله: ﴿ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وقف تام؛ لأنه انقطع عما بعده لفظًا ومعنى، ولكن له وصل بقوله: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ لم يتغير المعنى بخلاف قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] فإن الوقف على كلمة ﴿ لُوطٌ ﴾ لازم، ولو وصلت بما بعدها لتغير المعنى؛ لأن القائل: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ هو خليل الله إبراهيم وليس لوطا عليه السلام.

وذلك سيظهر جليًا بمشيئة الله تعالى في مقامه، وذلك عند الكلام على كل من الوقفين: اللازم والتام.

بل إنني أرى: أن الوقف اللازم أعم من غيره وأوسع دائرة من بقية الوقوف؛ وذلك لأن الوقف اللازم يشمل التام والكافي وربما يشمل الحسن [١].

فمن التام قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يونس: ٦٥].

فالوقف على قوله: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ والابتداء بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾؛ لئلا يتوهم أن هذا من قولهم [٢].

ومن الكافي الوقف على قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فالوقف على قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ والابتداء بقوله: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾؛ لئلا يوهم التبعيض للمفضل عليهم، والصواب جعل الجملة مستأنفة ولا موضع لها من الإعراب [٣].

ومن الحسن الوقف على قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا .... ﴾ [المائدة: ٢٧] فالوقف على قوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ والابتداء بقوله: ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾؛ لئلا يوهم العامل في ﴿ إِذْ ﴾ الفعل المتقدم [٤].

قال ابن الجزري: (من الوقوف ما يتأكد استحبابه لبيان معنى وهو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المراد).

وهذا هو الذي اصطلح عليه السجاوندي: (أنه لازم وعبر عنه بعضهم: بالواجب وليس معناه الواجب عند الفقهاء – الذي يعاقب على تركه – كما يتوهم بعض الناس، ويجيء هذا في قسمي: التام والكافي، وربما يجيء في الحسن ....) [٥].

---

(١) وهذا كما يرى السجاوندي في كتابه الوقوف.

(٢، ٣) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٢٢).

(٤، ٥) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٢٣).

٣ - دراسة استقرائية
للوقوف اللازمة بين طبعات المصاحف

لقد قمت بتوفيق من الله تعالى باستقراء الوقوف اللازمة في أكثر من طبعة للمصحف الشريف فوجدت أن هناك وقوفًا لازمة اتفقت على لزومها جميع طبعات المصاحف الموجودة الآن [١] ، ووقوفًا اختلف فيها بين تلك الطبعات أيضًا .

ووقوفًا انفردت بها طبعة مصحف باكستان والعراق والسعودية بأنها لازمة . ووقوفًا انفردت بها طبعة مصحف الأزهر الشريف .

وإليك هذه القضية مفصلة حتى تكون على علم بذلك كله :

أولًا : ما اتفق على لزوم الوقف عليه :

اتفق على لزوم الوقف على كلمات معينة في طبعات المصاحف ووضع عليها رمز « م » الدال على أنه وقف لازم :

فلقد أجريت بحثًا لحصر الوقوف اللازمة المتفق عليها بين جميع طبعات المصاحف فوجدت أن عددها عشرون وقفًا في عشرين آية من القرآن الكريم .

وإليك الآيات التي وردت فيها وقوف لازمة بالاتفاق على حسب ترتيب سورها في المصحف الشريف مع بيان وجه اللزوم فيها وبيان المعنى العام .

الآية الأولى :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا [٢] بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦] .

فالوقف على كلمة ﴿ مَثَلًا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ لازم ، والابتداء بقوله : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ ؛ لأن ﴿ مَثَلًا ﴾ لو وصل به لصار صفة له ، ولكنه ليس بصفة ، إنما هو ابتداء إخبار عن الله ﷻ جوابًا للكافرين [٣] .

---

(١) كطبعة الشمرلي وطبعة الأزهر وطبعة دار الغد وطبعة السعودية وطبعة العراق وطبعة باكستان .

(٢) يرى البعض أن الوقف على ﴿ مَّا ﴾ في قوله : ﴿ مَثَلًا مَّا ﴾ أنه وقف حسن وليس كذلك ؛ لأن ﴿ مَّا ﴾ زائدة مؤكدة فلا يبدأ بها ؛ لأن ﴿ بَعُوضَةً ﴾ بدل من قوله : ﴿ مَثَلًا ﴾ فلا يقطع منه وخلاصة القول : لا يحسن الوقف على ﴿ مَّا ﴾ لشدة تعلق ما بعدها بما قبلها . انظر المكتفى (ص١٦٢) ومنار الهدى (ص٣٦ ، ٣٧) .

(٣) يراجع الاقتداء للنكزاوي ورقة (٢٢) والوقوف للسجاوندي ورقة (١١) .

والتفسير يؤيد ذلك ويوضحه :

وذلك أنهم لما قالوا : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ أجابهم الله تعالى بقوله : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ .

والمعنى : أن الله تعالى أراد أن يضل بالمثل الذي يضر به كثيرًا من أهل النفاق والكفر ؛ ليزيدهم إضلالاً إلى ضلالهم لتكذيبهم بما قد علموه حقًّا يقينًا من المثل الذي ضربه الله لما ضربه له ، وأنه لما ضربه له موافق ؛ فذلك إضلال الله إياهم به ، ويهدي بالمثل كثيرًا من أهل الإيمان والتصديق ؛ فيزيدهم هدى إلى هداهم وإيمانًا إلى إيمانهم لتصديقهم بما علموه حقًّا يقينًا أنه موافق لما ضربه الله له مثلًا وإقرارهم به ؛ وذلك هداية من الله لهم به [1] .

والدليل على صحة التفسير السابق ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ ثم قال الله تعالى مخبرًا عن نفسه : ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [المدثر : ٣١] .

وزعم البعض : أن قوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ في موضع صفة لـ﴿ مَثَلًا ﴾ فذلك خبر عنهم كأنهم قالوا : « ماذا أراد الله بمثل لا يعرفه كل أحد يضل به هذا ويهدي به هذا » فعلى هذا يكون من كلام الذين كفروا ، ثم استؤنف الكلام والخبر عن الله [2] .

فقال الله : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ وبهذا يكون الوقف على قوله تعالى : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ جائزًا أو مفهومًا ؛ إذ إن ما بعده جعل من تتمة الحكاية عنهم [3] .

وهذا الوجه ليس بظاهر ؛ لأن الذي ذكر أن الله لا يستحيي منه هو ضرب مثل ﴿ مَّا ﴾ أيَّ مثلٍ كان بعوضة أو ما فوقها ، والذين كفروا إنما سألوا سؤال استهزاء وليسوا معترفين بأن هذا المثل يضل الله به كثيرًا ويهدي به كثيرًا ، إلا أن ضمن معنى الكلام أن ذلك على حسب اعتقادكم وزعمكم أيها المؤمنون فيمكن ذلك ، ولكن كونه إخبارًا من الله هو الظاهر [4] .

وأغرب من هذا تجويز ابن عطية : أن يكون قوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ من

---

(١) يراجع جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (ج١ ص١٤١) والاقتداء ورقة (١١ ، ٢٢) .

(٢) يراجع جامع البيان في تفسير القرآن (ج١ ص١٤١) والبحر المحيط لأبي حيان (ج١ ص١٢٥) .

(٣) يراجع منار الهدى للأشموني (ص٣٧) .

(٤) يراجع تفسير البحر المحيط (ج١ ص١٢٥) .

كلام الكافرين ويكون قوله تعالى : ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ من كلام الله تعالى[١] .

وهذا ليس بظاهر أيضًا ؛ لأنه إلباس في التركيب ؛ لأن الكلام إما أن يجري على أنه من كلام الكفار ، أو يجري على أنه من كلام الله تعالى ، وإما أن يجري بعضه على أنه من كلام الكفار وبعضه من كلام الله تعالى من غير دليل على ذلك ؛ فإنه يكون إلباسًا في التركيب وعدولاً عن الظاهر ، وكتاب الله منزه عن ذلك [٢] .

والراجح من هذه التأويلات : الأول ؛ وذلك لأن قوله تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ ﴾ جملتان مستأنفتان جاريتان مجرى البيان وتفسير للجملتين السابقتين المصدرتين بـ ﴿ أَمَّا ﴾ أو أنهما جواب لدفع ما يزعمونه من عدم الفائدة في ضرب الأمثال بالمحقرات ، ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه وسيلة إلى هداية المستعدين للهداية ، وإضلال المنهمكين في الغواية [٣] .

وبهذا يكون الوقف على قوله تعالى : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ ﴾ لازم لما ذكر ، والله أعلم .

الآية الثانية :

قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢] .

فالوقف على كلمة ﴿ ءَامَنُوا۟ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وقف لازم ، ووجه اللزوم :

أن قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ بعده مبتدأ ، و﴿ فَوْقَهُمْ ﴾ خبره فلو وصل لصار ﴿ فَوْقَهُمْ﴾ ظرفًا لـ ﴿ يَسْخَرُونَ ﴾ أو حالًا لفاعل ﴿ يَسْخَرُونَ ﴾ وقبحه ظاهر [٤] ؛ وذلك أن الوصل يوهم أن الذين اتقوا فوق الذين آمنوا وليس كذلك ، بل هم فوق الذين كفروا ؛ لأن الذين آمنوا هم الذين اتقوا ، والشيء لا يكون فوق نفسه .

(١) يراجع جامع البيان في تفسير القرآن (ج١ ص١٤١) والبحر المحيط (ج١ ص١٢٥ ، ١٢٦) والمحرر الوجيز لابن عطية (ج١ ص١٥٤) ط/ المجلس الأعلى - بفاس .

(٢) يراجع جامع البيان في تفسير القرآن (ج١ ص١٤١) والبحر المحيط (ج١ ص١٢٦) .

(٣) يراجع روح المعاني للألوسي (ج١ ص٢٠٩ ، ٢١٠) ط/ دار التراث العربي تفسير البحر المحيط (ج١ ص١٢٥) .

(٤) يراجع كتاب الوقوف ورقة (١٩) وغرائب القرآن للنيسابوري (ج٢ ص٢٩٧) .

والمعنى الإجمالي للآية يوضح ذلك : فالآية الكريمة إخبار من الله تعالى عن تزيين الحياة الدنيا للكافرين ؛ حتى أنهم رضوا بها ، واطمأنوا إليها ، وبدا لهم أنهم في صفقة رابحة مع ما في أيديهم من متاعها الزائل .

وقال الإمام القرطبي : (والمزين لها هو خالقها ومخترعها وخالق الكفر ، ويزينها أيضًا الشيطان بوسوسته وإغوائه) [١] .

وخص الذين كفروا بالذكر ؛ لقبولهم التزيين جملة ، وإقبالهم على الدنيا ، وإعراضهم عن الآخرة . والتزيين من الله واقع للكل ، وقد جعل الله ما في الأرض زينة لها ؛ ليبلوهم أيهم أحسن عملًا ، فالمؤمنون الذين هم على سنن الشرع لم تفتنهم الزينة ، والكفار تملكتهم ؛ لأنهم لا يعتقدون غيرها [٢] . قوله : ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الموصول للعهد والمراد به فقراء المؤمنين كصهيب وبلال وعمار ﷺ أيستهزئون بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبى ، و ﴿ مِنَ ﴾ هنا للتعدية وتفيد معنى الابتداء ، كأنهم جعلوا لفقرهم ورثاثة حالهم منشأ السخرية [٣] ، وهذه حالة أعجب من التي قبلها وهي حالة التناهي في الغرور ، وإذ لم يقتصروا على افتتانهم بزهرة الحياة الدنيا حتى سخروا بمن لم ينهج على منوالهم من المؤمنين الذين تركوا كثيرًا من زهرة الحياة الدنيا [٤] .

وجملة ﴿ يَسْخَرُونَ ﴾ يحتمل أن تكون من عطف الجملة الفعلية على الفعلية لا من باب عطف الفعل وحده على فعل آخر فيكون من عطف المفردات ؛ لعدم اتحاد الزمان .

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ يَسْخَرُونَ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف أي : « وهم يسخرون » فيكون مستأنفًا .

وجيء بقوله : ﴿ زُيِّنَ ﴾ ماضيًا دلالة على أن ذلك وقع وفرغ منه وبقوله : ﴿ يَسْخَرُونَ ﴾ مضارعًا للدلالة على تجدد سخريتهم من المؤمنين وحدوثها بين وقت وآخر [٥] .

ولما كان حال الذين كفروا السخرية والاستهزاء من الذين آمنوا رد الله عليهم بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ والمراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ﴾ : المؤمنون الذين سخر منهم الذين كفروا ، فالذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم ، وآثر التعبير به ؛ لقصد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج٣ ص٢٨ ، ٢٩) .

(٢) يراجع المحرر الوجيز (ج٢ ص١٥٠) . (٣) يراجع روح المعاني (ج٢ ص١٠٠) .

(٤) يراجع التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (ج٢ ص٢٩٦) .

(٥) يراجع تفسير البحر المحيط (ج٣ ص١٣٠) والدر المصون (ج٢ ص١٣٠) .

التنبيه على مزية التقوى ، وكونها سببًا عظيمًا في هذه الفوقية ، ولزوال قلق التكرار .

والفوقية هنا تحتمل وجهين :

أحدهما : أن تكون ظرف مكان على حقيقتها ؛ لأن المتقين في أعلى عليين والكافرين في أسفل السافلين .

وثانيهما : أن تكون الفوقية فوقية مكانية ؛ وذلك لأن المؤمنين في أوج الكرامة ، والكافرين في حضيض الذل والمهانة (١) .

وقيدت الفوقية بيوم القيامة تنصيصًا على دوامها ؛ لأن ذلك اليوم هو مبدأ الحياة الأبدية ، ولإدخال السرور والتسلية على قلوب المؤمنين ؛ حتى لا يتسرب اليأس إلى قلوبهم بسبب إيذاء الكافرين لهم في الدنيا .

ثم يختم الله تعالى الآية بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ وهذا التذييل قصد به تشريف المؤمنين وبيان عظم ثوابهم ؛ لأن التذييل لا بد أن يكون مرتبطًا بما قبله فالسامع يعلم من هذا التذييل معنى محذوفًا تقديره : « والذين اتقوا فوقهم فوقية عظيمة » لا يحيط بها الوصف ؛ لأنها فوقية منحوها من فضل الله ، وفضل الله لا نهاية له (٢) .

أي : والله يرزق من يشاء بغير حساب من المرزوق أو بلا حصر وعد لما يعطيه ، أو أنه لا يخاف نفاذ ما في خزائنه حتى يحتاج إلى حساب لما يخرج منها ؛ فهو - سبحانه - الذي يعطي ويمنع ، وليس عطاؤه في الدنيا دليل رضاه عن المعطى ؛ فقد يعطي الكافر وهو غير راضٍ عنه ، أما عطاؤه في الآخرة فهو دليل رضاه عن من أعطاه (٣) .

الآية الثالثة :

قوله تعالى : ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

فالوقف على كلمة ﴿ بَعۡضٖۘ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ ﴾ لازم ؛ لأنه

---

(١) يراجع روح المعاني (ج٢ ص١٠٠) والبحر المحيط (ج٢ ص١٣٠) .

(٢) يراجع التحرير والتنوير (ج٢ ص ٢٠٧) بتصرف واختصار .

(٣) يراجع حاشية الجمل على الجلالين (ج١ ص ١٦٨) بتصرف وجامع البيان (ج٢ ص٣٣٤) بتصرف واختصار وفتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان (ج١ ص٣٣٩) وما بعدها ط/ العاصمة ش الفلكي القاهرة .

لو وصل صار الجار والمجرور صفة لـ ﴿ بَعْضٍ ﴾ فينصرف بيان تفضيل الرسل إلى بعض فيكون موسى ﷺ من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم [١] .

والتفسير يؤيد وجه اللزوم : وذلك أنه لما قال : ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ اختلف في الأفضلية : فقال بعض المفسرين : المراد بالتفضيل هو أن الله تعالى خص بعضهم بالمنزلة الرفيعة التي تزيد على منزلة غيره كتسمية إبراهيم خليلًا ، وموسى كليمًا ، وإرساله محمدًا ﷺ إلى كافة الخلق ، وجعله خاتم النبيين ، وأن لا تنسخ شريعته وملته أبد الدهر [٢] ، وأن كل من ادعى النبوة بعده فهو كذاب .

وقال آخرون : معناه أن الله تعالى فضلهم بأعمالهم الذين استحقوا بها الفضيلة ، فكل من كانت طاعاته واجتهاده في التعبد أكثر كانت فضيلته أكثر والوجهان مقولان ، والأول أحسن .

والوقف لازم على الوجهين جميعًا ، إلا أنه على الوجه الثاني أشد لزومًا لأنه لما قال : ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي : بطاعاتهم وحسناتهم انقطع الكلام واستأنف كلامًا آخر في صفة منازل الأنبياء ﷺ فقال سبحانه : ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ يعني موسى ﷺ فضله بالتكليم ، **وهذه الجملة من الآية الكريمة تحتمل وجهين :**

أحدهما : أن تكون لا محل لها من الإعراب لاستئنافها .

والثاني : أنها بدل من جملة ﴿ فَضَّلْنَا ﴾ .

والجمهور : على رفع لفظ الجلالة على أنه فاعل ، والمفعول محذوف وهو عائد الموصول ، والتقدير : أي : منهم من كلمه الله ، وقرئ بالنصب على أن الفاعل ضمير مستتر وهو عائد الموصول أيضًا ، ولفظ الجلالة نصب على التعظيم [٣] .

وقوله : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ أي : ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم درجات كثيرة .

والظاهر أن الله تعالى أراد نبينا محمدًا ﷺ ؛ لأنه هو المفضل عليهم ؛ حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ، ولو لم يؤت إلا القرآن

---

(١) يراجع كتاب الوقوف ورقة (٢١) وغرائب القرآن بهامش الطبري (ج٣ ص٢) .

(٢) يراجع كتاب الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورق (٥٤) ومنار الهدى (ص٦٢ ، ٦٣) .

(٣) يراجع كتاب الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (٥٤) بتصرف واختصار وروح المعاني (ج٣ ص٢) والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (ج٢ ص٥٣٦) .

وحده لكفى به فضلًا منيفًا على سائر ما أوتي الأنبياء ؛ لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات .

فلا تعلق لهذا الكلام بالأول ؛ لأنه ذكر في أول الكلام تفضيل لبعضهم على بعض بطاعاتهم لا بالمعجزات ، وتفاضل بعضها على بعض ، ثم انتقل في ذكر منازلهم فالنبوة غير الذي يستحقونه بالطاعة [(١)] .

وإتمامًا للفائدة أقول :

قد استشكل جماعة من أهل العلم الجمع بين هذه الآيات وبين ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بلفظ : « **لا تفضلوني على الأنبياء** » [(٢)] وفي لفظ آخر : « **لا تفضلوا بين الأنبياء** » [(٣)] وفي لفظ : « **لا تخيروا بين الأنبياء** » [(٤)] .

ويجاب على ذلك بما يلي :

١ - قيل : إن هذا القول منه ﷺ كان قبل أن يوحى إليه بالتفضيل ، وإن القرآن ناسخ للمنع من التفضيل .

٢ - وقيل : إنه ﷺ قال ذلك على سبيل التواضع كما قال : « **لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى** » [(٥)] تواضعًا مع علمه أنه أفضل الأنبياء ، كما يدل عليه قوله ﷺ : « **أنا سيد ولد آدم ...** » [(٦)] .

٣ - وقيل : إنما نهى عن ذلك قطعًا للجدال والخصام في الأنبياء فيكون مخصوصًا بمثل ذلك لا إذا كان صدور ذلك مأمونًا .

---

(١) يراجع الكشاف (ج١ ص٢٩٧) وكتاب الاقتداء ورقة (٥٤) .

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (ج١ ص ١٦١ ، ٢٢٢) ط/ الريان ، وذكره في تفسيره (ج١ ص ٣٠٤) وذكر أنه في الصحيحين ولم أقف عليه فيهما .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ عن أبي هريرة . فتح الباري (ج٦ ص٥١٩) ط/ الريان ، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل - باب فضائل موسى ﷺ (ج٨ ص١٤٠) ط/ دار الحديث .

(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب فضائل موسى ﷺ (ج٨ ص١٤١) ورواه أبو داود في سننه في كتاب السنة - باب التخيير بين الأنبياء عن أبي سعيد الخدري حديث رقم (٤٦٦٨) (ج٤ ص ٢١٦ ، ٢١٧) ط/ الريان ، وأحمد في مسنده (ج٣ ص ٣١) حديث رقم (١١٢٨٣) ط/ مؤسسة قرطبة .

(٥) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ حديث رقم (٣٤١٢) وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ، ورواه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد - باب ذكر الشفاعة حديث (٤٣٠٨) .

٤ - وقيل : إنما النهي من جهة النبوة فقط ؛ لأنها خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، ولا نهي عن التفاضل بزيادة الخصوصيات والكرامات [١] .

وقد استحسن الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ القول الأخير حيث قال :

(وأحسن من هذا قول من قال : إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، إنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات ، وأما النبوة في نفسها فلا تفاضل فيها) .

ثم قال : (وهذا قول حسن ؛ فإنه جمع بين الآية والأحاديث من غير نسخ ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض إنما هو بما منع من الفضائل وأعطي من الوسائل) [٢] .

على حين أن الإمام الشوكاني ذكر الأجوبة السابقة ثم ضعفها جميعًا . والراجح عنده : أنه لا تعارض بين القرآن والسنة بوجه من الوجوه ؛ فالقرآن فيه الإخبار من الله بأنه فضل بعض أنبيائه على بعض ، والسنة فيها النهي لعباده أن يفضلوا بين أنبيائه فمن تعرض للجمع بينهما زاعمًا أنهما متعارضان فقد غلط غلطًا بينًا [٣] .

الآية الرابعة :

قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

فالوقف على لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ لازم باتفاق بين جميع طبعات المصاحف .

والتفسير يؤيد وجه اللزوم :

إلا أن أئمة التفسير اختلفوا وتضاربت آراؤهم بين لزوم الوقف على قوله : ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وعدم لزومه على قولين :

الأول : أن الوقف على لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ وقف لازم ؛ وذلك بناء على أن الواو في قوله تعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ استئنافية وأن الكلام قد تم عند قوله : ﴿ إِلَّا

---

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٣ ص٢٦١ ، ٢٦٢) بتصرف واختصار وفتح القدير للشوكاني (ج١ ص٢٦٨ ، ٢٦٩) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٣ ص٢٦٢) .

(٣) المرجع السابق (ج٣ ص٢٦٣) وفتح القدير (ج١ ص٢٦٩) .

ٱللَّهُ ﴾ وأن ما بعده كلام آخر وهو قوله : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ فلو وصل لفهم أن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه كما يعلمه الله ، وذلك أن شرط مذهب السلف الإيمان بالقرآن والعمل بمحكمه والتسليم بالمتشابه ، ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ مبتدأ وهو ثناء من الله عليهم بالإيمان على التسليم بأن الكل من عند الله وهذا هو قول أهل العلم من الصحابة والتابعين والقراء والفقهاء وأهل اللغة [١] ، واستدلوا على ذلك بالأدلة التالية :

١ - بما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ﷺ أنه كان يقرأ : (وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ءَامَنَّا بِهِۦ) [٢] ؛ فهذا يدل على أن الواو للاستئناف ؛ لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة فأقل درجاتها أن تكون خبرًا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه على من دونه [٣] .

٢ - وحكى الفراء : أن قراءة أبي بن كعب أيضًا (وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) [٤] .

٣ - وأخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق الأعمش قال : في قراءة ابن مسعود : (وَإِنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ) [٥] .

٤ - وما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : **« إنَّ القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به »** [٦] .

الثاني : يرى البعض أن قوله تعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ ﴾ معطوف على لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ وهم يعلمون تأويله وجملة ﴿ يَقُولُونَ ﴾ نصبت على الحال أي : قائلين : آمنا به .

وهذا القول مروي عن مجاهد وجماعة من أهل العلم .

واستدل أصحاب هذا القول على ما ذهبوا إليه بأدلة منها :

١ - ما روي في الصحيح أنه ﷺ دعا لابن عباس فقال : « **اللهم فقهه في الدين**

---

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص١٢) وكتاب الوقوف ورقة (٢٤) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك وقال عنه : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) . انظر المستدرك على الصحيحين (ج٢ ص٢٨٩) .

(٣) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٣٢٦) وروح المعاني (ج٣ ص٨٤ ، ٨٥) .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار (ج١ ص١٩١) .

(٥) يراجع الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي (ج٢ ص١٥٠) ط/ دار الفكر وتفسير القرآن العظيم (ج١ ص٣٢٦) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٢ ص١٨١) ويراجع تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٣٢٦) وروح المعاني (ج٣ ص٨٤ ، ٨٥) والدر المنثور (ج٢ ص١٥٠) .

وعلمه التأويل »[1] فلو كان التأويل مما لا يعلمه إلا الله تعالى لما كان للدعاء معنى .

٢ - أن ابن عباس ﷺ كان يقول : « أنا ممن يعلم تأويله » .

٣ - أن الله - سبحانه - مدح الراسخين في هذا المقال وهو يشعر بأن لهم الحظ الأوفر .

٤ - أنه يبعد أن يخاطب الله تعالى عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته[2] .

وقد أجيب على هذه الأدلة بما يلي :

أما عن الأول : أن التأويل الذي دعا به رسول الله ﷺ لابن عباس ﷺ لا يتعين حمله على تأويل ما اختص الله ﷻ بعلمه بل يجوز حمله على تفسير ما يخفى تفسيره مما يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ، ويخفى على من دونهم[3] .

وأما عن الثاني : يمكن أن يقال : مراده ﷺ : أنا ممن يعلم تأويله أي : المتشابه في الجملة حسبما دعا لي به رسول الله ﷺ ، وهذا وإن قيل : إنه متشابه لكنه في الحقيقة واسطة بين المحكم والمتشابه بالمعنى المراد .

وأما عن الثالث : بأن مدح الراسخين بالتذكر ليس لأن لهم حظًا في معرفته ؛ بل لأنهم اتعظوا فخالفوا هواهم ووقفوا عند ما حدد لهم مولاهم ولم يسلكوا مسلك الزائغين الذي صار المتشابه ضررًا عليهم ووبالًا لهم ؛ إذ ضلوا فيه كثيرًا وأضلوا عن سواء السبيل[4] .

وأما عن الرابع : أنه لا يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته ، ويكون ذلك من باب الابتلاء كما ابتلى سبحانه عباده بتكاليف كثيرة وعبادات وفيرة لم يعرف أحد حقيقة السر فيها ، ولعل السر في هذا الابتلاء قص جناح العقل وكسر سورة الفكر ؛ ليعرف الإنسان بالقصور ويقر بالعجز عن الوصول إلى ذلك[5] .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب العلم - باب قول النبي ﷺ : « اللهم علمه الكتاب » انظر فتح الباري (ج١ ص٢٠٤) وأخرجه ابن ماجه في سننه (ج١ ص٥٨ باب١١) من المقدمة تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) . انظر المستدرك (ج٣ ص٥٣٤) .

(٢) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص١٨) وروح المعاني (ج٣ ص٨٤) .

(٣) تجدر الإشارة إلى أن المتشابه على ثلاثة أضرب : الأول : ضرب لا سبيل لأحد إلى معرفته بل استأثر الله تعالى بعلمه كوقت الساعة وخروج الدابة . والثاني : ضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة . والضرب الثالث : متردد بين القسمين السابقين وهو ما امتن الله تعالى على بعض الراسخين في العلم بمعرفته وإخفاء على البعض الآخر وهو الذي يحمل عليه دعاء النبي ﷺ لابن عباس بأن يعلمه الله إياه . روح المعاني (ج٣ ص٨٦) .

(٤) يراجع روح المعاني (ج٣ ص٨٦) بتصرف واختصار .

(٥) يراجع روح المعاني (ج٣ ص٨٦) .

والرأي الراجح : مما سبق يبدو لنا أن الرأي الراجح الذي أميل إليه : هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول - أهل السنة والجماعة - من أن الوقف على لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وقف لازم ، وأن الواو في قوله : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ استئنافية ؛ وذلك لقوة أدلتهم ، وضعف استدلال المعارضين .

ويرجح هذا الرأي أيضًا : ما ذكره صاحب أضواء البيان [١] حيث قال : (ومما يؤيد أن الواو استئنافية لا عاطفة - دلالة الاستقراء في القرآن أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئًا وأثبته لنفسه أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك كقوله : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥] .

الآية الخامسة :

قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١] .

فالوقف على قوله تعالى : ﴿ أَغْنِيَآءُ ﴾ وقف لازم .

ووجه لزومه : أنه لو وصل بما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ لصار من مقولهم ؛ بل هو إخبار من الله عن الكافرين [٢] ، فجملة ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ مستأنفة جوابًا لسؤال مقدر ، كأنه قيل : ماذا صنع الله بهؤلاء الذين سمع منهم القول الشنيع ؟

فقال لهم : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ ﴾ [٣] ، فلو وصل قوله : ﴿ أَغْنِيَآءُ ﴾ بقوله : ﴿ سَنَكْتُبُ ﴾ لغير المراد .

المعنى الإجمالي للآية : أن الله تعالى ذكر في هذه الآية قبيح قول الكفار ولا سيما اليهود .

وسبب نزول هذه الآية : ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما نزل قول الله تعالى : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥] قالت اليهود : يا محمد افتقر ربك فسأل عباده القرض ؛ فنزلت هذه الآية [٤] .

وروى البغوي في معالم التنزيل عن عكرمة والسدي والمقاتل : أن النبي ﷺ كتب مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع ؛ يدعوهم إلى الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

(١) انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (ج١ ص٢٧٠) ط/ عالم الكتب - بيروت .

(٢) يراجع كتاب الوقف ورقة (٣١) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (٨٠) .

(٣) يراجع فتح القدير (ج١ ص٤٠٦) .

(٤) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٤٣٣) .

وأن يقرضوا اللَّه قرضًا حسنًا فقال فنحاص بن عازوراء اليهودي : إن اللَّه فقير حتى يسألنا القرض ؛ فلطمه أبو بكر ﷺ في وجهه وقال : « لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك » . فشكاه لرسول اللَّه ﷺ وجحد ما قاله ؛ فنزلت الآية (١) .

والجمع في قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ مع كون القائل واحدًا ؛ لرضا الباقين بذلك .

والمعنى : لقد سمع اللَّه تعالى قول أولئك الذين نطقوا بالزور والفحش فزعموا أن اللَّه فقير وهم أغنياء .

والمقصود من هذا السماع لازمه ، وهو العلم والإحاطة بما يقولون من قبائح ؛ فهو سماع ظهور وتهديد ، لا سماع قبول ورضا .

وإنما عبر عن ذلك بالسماع ؛ للإيذان بأنه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بأن يسمعه سامع ، ولكون إنكارهم القول بمنزلة إنكار السمع أكده تعالى بالتوكيد القسمي وهذا يدل على التشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد وسوء تصور اليهود للحقيقة الإلهية شائع في كتبهم المحرفة ، ولكن هذه المقالة تبلغ مبلغًا عظيمًا من سوء التصور ومن سوء الأدب معًا ، ومن ثم يستحقون هذا التهديد المتلاحق (٢) .

فرد اللَّه تعالى عليهم بقوله تعالى : ﴿ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقٍّ ﴾ أي : سنكتبه في صحائف الكتبة فالإسناد مجازي والكتابة حقيقة .

أو المعنى : سنحفظه في علمنا ولا نهمله ؛ وعلى هذا فيكون : الإسناد حقيقة ، والكتابة مجازًا والسين للتأكيد أي : لا يفوتنا أبدًا تدوينه وإثباته ؛ لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر باللَّه تعالى سواء كان ذلك عن اعتقاد أم استهزاء بالقرآن ؟! (٣) .

وقد قرن اللَّه سبحانه قولهم المنكر الذي قالوه بفعل شنيع من أفعال أسلافهم وهو قتلهم الأنبياء بغير حق ؛ وذلك لإثبات أصالتهم في الشر واستهانتهم بالحقوق الدينية ، وللتنبيه على أن قولهم هذا ليس أول جريمة ارتكبوها ؛ فقد سبق لأسلافهم أن قتلوا الأنبياء بغير حق ، وللإشعار بأن هاتين الجريمتين من نوع واحد وهو التجرؤ على اللَّه تعالى .

وإنما نسب القتل إلى هؤلاء القائلين باعتبار الرضا بفعل القاتلين من أسلافهم (٤) .

---

(١) انظر معالم التنزيل للبغوي (ج١ ص٣٧٩) والجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص٢٩٤) .

(٢) يراجع ارشاد العقل السليم (ج١ ص٢٩٨) وروح المعاني (ج٤ ص١٤١) .

(٣) يراجع روح المعاني المرجع السابق ، وتفسير الظلال للشيخ سيد قطب (ج١ ص٥٣٧) ط/ دار الشروق - بيروت .

(٤) يراجع فتح القدير (ج١ ص٤٠٦) وكتاب روح المعاني (ج٤ ص١٤١) وكتاب فتح البيان في مقاصد القرآن (ج٢ ص١٧٥) والتحرير والتنوير (ج٤ ص١٨٤) .

ثم صرح سبحانه بالعقوبة فقال تعالى : ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ أي : يقال لهم ذلك ؛ تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا وهم يعذبون في النار : ذوقوا عذاب الإحراق بالنار ، ليجتمع لهم العذاب الجسدي مع العذاب الروحي [١] .

الآية السادسة :

قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۝ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ١١٧، ١١٨] .

فالوقف على قوله : ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ لازم .

ووجه اللزوم كما قال السجاوندي : إن قوله : ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ ...﴾ غير معطوف على ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ بل إن الواو استئنافية [٢] .

وهناك وجهان آخران في إعرابها :

أحدهما : أن الواو حالية على إضمار « قد » أي : « وَقَدْ قَالَ لأَتَّخِذَنَّ ... »

وثانيهما : أن الجملة صفة وعلى هذا تكون معطوفة على الجملة المتقدمة ويكون المراد ﴿ شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ جامعًا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر منه عند اللعن [٣] .

وعلى كلٍّ ينبغي أن يوقف على قوله : ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ ويبتدأ بقوله : ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ .

وذلك لأنه لو وصل لتوهم أن قوله : ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ ... ﴾ من كلام الله تعالى بل هو حكاية عن الشيطان عليه اللعنة .

والمعنى الإجمالي يقرر ذلك ويوضح صلة ذلك الوقف بالمعنى : فالله ﷻ يفصل ما عليه المشركون من ضلال فيقول سبحانه : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ .

ف ﴿ إِن ﴾ هنا نافية و ﴿ يَدْعُونَ ﴾ من الدعاء وهو هنا بمعنى العبادة ؛ لأن من عبد شيئًا فإنه يدعوه عند احتياجه له .

والمراد بالإناث هنا : الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله ، وعبر عنها بالإناث ؛ لأن المشركين سموا أكثر هذه الأصنام بأسماء الإناث كاللات والعزى ومناة .

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٤٣٤) . (٢) كتاب الوقوف ورقة (٣٥) .

(٣) يراجع تفسير إرشاد العقل السليم (ج١ ص٣٨٢) وروح المعاني (ج٥ ص١٤٩) والدر المصون (ج٤ ص٩٣) .

قال الحسن : كان لكل حي من أحياء العرب صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان وكانوا يزينونه بالحلي كالنساء .

وقيل : المراد بالإناث هنا الملائكة ؛ لأن بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون عنها : بنات الله ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ... ﴾ [الزخرف: ١٩] .

وقيل : المراد بها هنا : الجمادات التي لا حياة فيها ، ومع ذلك كانوا يعبدونها (١) .

وقد رجح الإمام الطبري القول الأول قائلًا : (لأن الأظهر من معاني الإناث في كلام العرب ماعرف بالتأنيث دون غيره فإذا كان ذلك كذلك فالواجب تأويله إلى الأشهر من معانيه) (٢) .

وأيضا سماها الله تعالى إناثًا ؛ لضعفها ، وقلة خيرها ، وعدم نفعها ونصرها ، وانحطاط قدرها ؛ بناء على أن العرب تطلق الأنثى على كل ما اتضعت منزلته من أي جنس كان .

وقوله : ﴿ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴾ بيان لما دفعهم إلى الوقوع في ذلك الضلال الذي انغمسوا فيه .

ومريدًا : أي عاتيًا بالغًا الغاية في الشرور والفساد ، ووصف الشيطان بالتمرد ؛ لتجرده للشر وعدم علوق شيء من الخيرية به ، أو لظهور شره ظهور عيدان الشجرة المرداء (٣) .

والمعنى : أن هؤلاء المشركين ما يعبدون من دون الله إلا أصنامًا سموها بأسماء الإناث وما يطيعون في عبادتها إلا شيطانًا عاتيًا متجردًا من كل خير ، ومتعريًا من كل فضيلة .

فهذا الشيطان الشرير دعاهم لعبادة غير الله ؛ فانقادوا له انقيادًا تامًّا ، وخضعوا له خضوعًا لا مكان معه لتعقل أو تدبر .

وقوله : ﴿ مَّرِيدًا ﴾ صفة لشيطان ، وقوله : ﴿ لَّعَنَهُ اللَّهُ ﴾ صفة ثانية أي : طرده من رحمته طردًا مقترنًا بسخط وغضب (٤) .

وبعد أن أنزل الله به لعنته وطرده من رحمته قال يخاطب الله تعالى : ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ أي : أن الشيطان قال مؤكدًا ومقسمًا : لأتخذن من عبادك الذين أبعدتني من أجلهم نصيبًا ، أي : حظًّا مقدورًا معلومًا ، أدعوهم إلى طاعتي وهم

---

(١) يراجع البحر المحيط (ج٣ ص٣٥١ ، ٣٥٢) بتصرف واختصار وروح المعاني (ج٥ ص١٤٨) .

(٢) جامع البيان (ج٥ ص٢٨٠) .

(٣) يراجع روح المعاني (ج٥ ص١٤٨ ، ١٤٩) بتصرف واختصار .

(٤) يراجع جامع البيان (ج٥ ص٢٨٠ ، ٢٨١) بتصرف واختصار والجامع لأحكام القرآن (ج٥ ص٣٨٨) .

الكفرة والعصاة .

وقوله : ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ ﴾ من الاتخاذ وهو : أخذ الشيء على جهة الاختصاص (١) .

وقوله : ﴿ مَّفْرُوضًا ﴾ من الفرض بمعنى القطع ، وأطلق هنا العدد المعين من الناس لاقتطاعه عن سواه من صالحي المؤمنين فكل من أطاع الشيطان من بني آدم فهم نصيبه المقطوع منهم له (٢) .

الآية السابعة :

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء: ١٧١] .

فالوقف على قوله : ﴿ وَلَدٌ ﴾ لازم ، والابتداء بقوله : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ لأنه لو وصل لأوهم أن ما بعده صفة له ، فكان المنفي ولدًا موصوفًا بأنه يملك السماوات والأرض ، والمراد : نفي الولد مطلقًا (٣) .

المعنى الإجمالي للآية : ينهى الله – تعالى – أهل الكتاب عن الغلو والإطراء (٤) – وهذا كثير في النصارى .. فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى عليه السلام حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ؛ فنقلوه من خير النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله ، بل قد غالوا في أتباعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقًّا أم باطلًا ، ضلالًا أم إرشادًا ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] (٥) .

والخطاب هنا ، وإن كان يشمل أهل الكتاب جميعًا من يهود ونصارى ، إلا أن النصارى هم المقصودون هنا قصدًا أوليًا بدليل سياق الآية الكريمة .

وقد ناداهم الله سبحانه بعنوان أهل الكتاب للتعريض بهم ؛ حيث إنهم خالفوا كتبهم

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٥٥٦) والجامع لأحكام القرآن (ج٥ ص٣٨٨) .

(٢) يراجع روح المعاني (ج٥ ص١٤٩) .

(٣) يراجع الوقوف ورقة (٣٧) وغرائب القرآن (ج٦ ص٣٠) .

(٤) الإطراء : مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه . لسان العرب (ج١ ص ٩١) وما بعدها .

(٥) انظر تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٥٨٩) .

التي بين أيديهم وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ أي : لا تصفوا الله بالحلول والاتحاد في بدن الإنسان أو روحه ، واتخاذ الصاحبة والولد ، بل نزهوه عن هذه الأحوال . ثم بين سبحانه القول الفصل في شأن عيسى عليه السلام فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أي : أن عيسى بن مريم رسول من رسل الله ، وأنه وجد بكلمة الله وأمره من غير نطفة ؛ فقال ﷻ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

وبعد أن بين سبحانه القول الحق في شأن عيسى عليه السلام دعا أهل الكتاب إلى الإيمان بجميع رسله ونهاهم عن التمسك بالضلال والوهم (١) .

فقال سبحانه : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ أي : آمنوا بأنه سبحانه إله واحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ، وبأن رسله صادقون مبلغون عن الله ما أمرهم بتبليغه فلا تكذبوهم ، ولا تغلوا فيهم ؛ فتجعلوا بعضهم آلهة ، ولا تقولوا : آلهتنا ثلاثة .

والنصارى مع تفرق مذهبهم يقولون بالتثليث ، ويعنون بالثلاثة : الثلاثة الأقانيم (٢) ، فيجعلونه ﷻ جوهرًا واحدًا وله ثلاثة أقانيم .

ويعنون بالأقانيم : أقنوم الوجود ، وأقنوم الحياة ، وأقنوم العلم .

وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس ؛ فيعنون بالأب : الوجود ، وبالروح : الحياة ، وبالابن : المسيح .

وقيل : المراد بالآلهة الثلاثة : الله ﷻ ، ومريم ، والمسيح (٣) .

ثم أكد سبحانه التوحيد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ .

والمعنى : ما الله أيها القائلون : ثالث ثلاثة ، كما تقولون ؛ لأن من كان له ولد فليس بإله ، وكذلك من كان له صاحبة فغير جائز أن يكون إلهًا معبودًا ، ولكن الله الذي له الألوهية والعبادة إله واحد لا ولد له ولا والد ولا صاحبة ولا شريك (٤) ، ثم نزه سبحانه نفسه وعظمها من أن يكون له ولد بقوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ﴾

---

(١) يراجع محاسن التأويل للقاسمي تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (ج٥ ص١٧٦٣) بتصرف واختصار ط/ إحياء الكتب العربية - القاهرة والبحر المحيط (ج٤ ص١٤٢) بتصرف واختصار .

(٢) الأقانيم : جمع أقنوم - بضم الهمزة وسكون القاف - بمعنى الأصل أو الصفة . يراجع التفسير الوسيط ج٣ ص٥٣١ .

(٣) يراجع فتح القدير (ج١ ص٥٤١) بتصرف واختصار .

(٤) يراجع جامع البيان في تفسير القرآن (ج٦ ص٢٦) .

سبحه تسبيحًا ونزهه تنزيهًا عن أن يكون له ولد ؛ لأن الأبوة والبنوة من صفات المخلوقين وهو سبحانه منزه عن صفاتهم قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقرأ الحسن البصري ﴿ إِنْ يَكُونُ ﴾ بكسر الهمزة ورفع النون من ﴿ يَكُونُ ﴾ على أن « إِنْ » نافية أي : سبحانه ما يكون له ولد ؛ فيكون التنزيه عن التثليث والإخبار بانتفاء الولد مطلقًا ، وعلى هذا فالكلام جملتان ، وعلى قراءة الجماعة جملة واحدة (١) .

ثم قال تعالى : ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ وهذه الجملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره أي : أنه – سبحانه - مالك لجميع الموجودات علويها وسفليها لا يخرج عن ملكوته شيء منها . فكيف يكون المسيح ابنًا لله وهو في الأرض أو في السماوات غير خارج عن أن يكون في بعض هذه الأماكن ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣] .

من هنا يكون الوقف على قوله : ﴿ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ ﴾ ؛ لأن ما بعده مستأنف مسوق للتنزيه (٢) ، ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ إشارة إلى دليل آخر ؛ لأن الوكيل بمعنى الحافظ ، فإذا استقل ﷻ بالحفظ لم يحتج إلى الولد ؛ فإن الولد يعين أباه في حياته ويقوم مقامه بعد وفاته ، والله منزه عن هذا ؛ فلا يتصور له ولد عقلًا (٣) .

الآية الثامنة :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ (٤) شَنَـَٔانُ (٥) قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن

---

(١) يراجع الكشاف (ج١ ص٥٩٤) والبحر المحيط (ج٣ ص٤٠٢) .

(٢) يراجع جامع البيان في تفسير القرآن (ج٦ ص٢٦) وروح المعاني (ج٦ ص٣٧) .

(٣) يراجع روح المعاني المرجع السابق .

(٤) قرأ الجمهور ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ بفتح الياء – من جرم ثلاثيًا – وقرأ عبد الله بن مسعود بضم الياء – من أجرم رباعيا – ومعنى « جرم » عند الكسائي وثعلب : حمل ، يقال : جرمه على كذا أي : حمله عليه ، فعلى هذا يتعدى لواحد وهو الكاف والميم ويكون قوله : ﴿ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ على إسقاط الخافض وهو « على » أي : لا يحملنكم بغضكم لقوم على اعتدائكم عليهم ، وعند الفراء وأبي عبيد والكسائي أيضًا « جرم » بمعنى كسب ، ومنه : فلان جريمة أهله ، أي : كاسبهم ، وعلى هذا فيحتمل وجهين أحدهما : أنه متعد لواحد . والثاني : أنه متعد لاثنين كما أن كسب ، كذلك وأما في الآية فلا يكون إلا متعديًا لاثنين : ضمير الخطاب و ﴿ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ . يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص٤٥) والدر المصون (ج٤ ص١٨٨ ، ١٨٩) .

(٥) الشنآن : البغض وقرأه أبو بكر وابن عامر بإسكان النون ، والباقون بفتحها . يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص٤٥) والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٤٠٤) .

تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ المائدة : ٢] .

فالوقف على قوله تعالى : ﴿ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ لازم ، والابتداء بقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ؛ لأنه لو وصل لصار ما بعده معطوفًا أي : « أن تعتدوا وتعاونوا » ؛ إنما هو أمر مستأنف[1] .

قال الشهاب في حاشيته على البيضاوي : الوقف على ﴿ أَن تَعْتَدُواْ ﴾ لازم ؛ لأن الاعتداء منهي عنه ، والتعاون على البر والتقوى مأمور به[2] .

والمعنى : أن الله ﷻ نهى عباده المؤمنين عن أن يحملهم البغض لقوم - لأنهم صدوهم عن المسجد الحرام - على أن يمنعوهم من دخوله ، كما منعهم من دخوله أولئك القوم ؛ فقال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ... ﴾ .

والمعنى : ولا يكسبنكم بغضكم قومًا الاعتداء عليهم بصدهم إياكم عن المسجد الحرام ، وهذا على قراءة من فتح همزة ﴿ أن ﴾ في قوله : ﴿ أَن صَدُّوكُمْ ﴾[3] ، وبهذا يقع النهي في اللفظ على الشنآن ، وهو في المعنى للمخاطبين .

ومن جعل ﴿ شَنَـَٔانُ ﴾ صفة ؛ فقد أقام الصفة مقام الموصوف ، ويكون تقديره : « ولا يحملنكم بغض قوم » .

ومن قرأ ﴿ إِنْ صَدُّوكُمْ ﴾ بكسر الهمزة : جعل ﴿ إِنْ ﴾ شرطية ، والصد منتظر وقوعه[4] .

ويكون المعنى على هذه القراءة : ولا يحملنكم بغضهم - إن وقع منهم الصد لكم عن المسجد - على الحرام الاعتداء عليهم[5] .

---

(١) يراجع الوقوف ورقة (٣٧) .

(٢) انظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (ج٣ ص٢١٥) .

(٣) وهي قراءة نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ، وعلى هذه القراءة أكثر القراء ، وحجتهم على فتح همزة ﴿ أن ﴾ في قوله تعالى ﴿ أَن صَدُّوكُمْ ﴾ : أن هذا هو الظاهر في التلاوة وعليه أتى التفسير ؛ لأن المشركين صدوا النبي ﷺ والمسلمين عن البيت ومنعوهم من دخول مكة ، فهو أمر قد مضى . يراجع السبعة (ص٢٤٢) والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٤٠٥) والتفسير الوسيط أ. د/ محمد السيد طنطاوي (ج٤ ص٣٨) ط٣ مطبعة السعادة بالقاهرة .

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو البصري ، وحجتهم على كسر همزة ﴿ إِنْ ﴾ أنه جعله أمرًا منتظرًا أو ﴿ إِنْ ﴾ شرطية . يراجع السبعة (ص٢٤٢) .

(٥) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٥) والجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص ٤٦) إرشاد العقل السليم (ج٢ ص ٤) وروح المعاني (ج٦ ص٥٦) والكشف عن وجوه القراءات السبع (ج١ ص٤٠٥) .

ولما نهاهم الحق سبحانه عن الاعتداء أمرهم بالتعاون على البر والتقوى ؛ فقال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ ، وهذا أمر من الله تعالى لجميع عباده المؤمنين بالتعاون على فعل الخيرات وترك المنكرات .

والمراد بالبر : متابعة الأمر مطلقًا ، وبالتقوى : اجتناب الهوى ؛ وذلك لتصير الآية من جوامع الكلم [1] .

قال الألوسي رحمه الله : وهذه الجملة الكريمة معطوفة على قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ من حيث المعنى ، كأنه قيل : لا تعتدوا على قاصدي المسجد الحرام لأجل أن صددتم عنه ، وتعاونوا على العفو والإغضاء .

وقال بعضهم : هو استئناف والوقف على ﴿ تَعْتَدُوا۟ ﴾ لازم [2] .

وبذلك يظهر معنى الوقف على قوله : ﴿ تَعْتَدُوا۟ ﴾ .

ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو مقولة الظلم والمعاصي بقوله : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام من باب أولى [3] .

وإنما أخر الحق سبحانه النهي عن الأمر ؛ مسارعة إلى إيجاب ما هو مقصود بالذات ، فإن المقصود من إيجاب ترك التعاون على الإثم والعدوان إنما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى . ثم أمر بقوله : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .

وهذا تذييل قصد به إنذار الذين يتعاونون على الإثم والعدوان .

والمعنى : أي : اخشوه فيما أمركم ونهاكم ؛ فإنه ﷻ شديد العقاب لمن خالف أمره وانحرف عن طريقه القويم [4] .

الآية التاسعة :

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] .

فالوقف على قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ لازم ، والابتداء بقوله : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ .

---

(١) المراجع السابقة الأجزاء والصفحات نفسها . (٢) انظر روح المعاني (ج٦ ص٥٦) .

(٣) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٥) وتفسير إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٤ ، ٥) وروح المعاني (ج٢ ص٥٦) .

(٤) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٥) وتفسير إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٤) ومحاسن التأويل (ج٢ ص١٨٠٦) .

ووجه اللزوم : أنه لو وصل لأوهم أن الجملة بعده صفة لأولياء ؛ فيكون النهي عن اتخاذهم أولياء : صفتهم أن بعضهم أولياء بعض ، فإذا انتفى هذا الوصف جاز اتخاذهم أولياء ، وهو محال ، وإنما النهي عن اتخاذهم أولياء على الإطلاق [(١)] .

قال ابن عطية : قوله تعالى : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ جملة مقطوعة من النهي تتضمن التفرقة بينهم وبين المؤمنين [(٢)] .

ومعنى الآية يقرر ذلك ويوضحه :

فالله تبارك وتعالى ينهى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله - قاتلهم الله بأن لا يعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين إليهم وألا يعاشروهم معاشرة المؤمنين [(٣)] .

وخص اليهود والنصارى بالذكر ؛ لأن سائر الكفار بمنزلتهما في وجوب معاداتهم .

وهنا تم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ .

ثم ابتدأ الحق سبحانه فقال : ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾ وهذه الجملة الكريمة لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها مستأنفة سيقت تعليلًا للنهي قبلها ، وتأكيدًا للإيجاب المنهي عنه . والضمير في قوله : ﴿ بَعْضُهُمْ ﴾ يعود على اليهود والنصارى على سبيل الإجمال .

ودل ما بينهم من المعاداة على التفضيل ، أي : أن بعض اليهود لا يتولى إلا جنسه ، وبعض النصارى كذلك .

أو يكون المعنى : أن بعض اليهود أولياء لبعض منهم ، وبعض النصارى أولياء لبعض منهم ، والكل متفق على كلمة واحدة هي بغضكم بغضًا شديدًا ومعاداتكم ، فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة [(٤)] ؟!

ثم عقب الحق سبحانه بعد هذه الجملة الاستئنافية بما هو كالنتيجة فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ ﴾. أي : ومن يتولَّ اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم ؛ إذ لا يتولى متولٍّ إلا وهو به وبدينه راضٍ ، وإذا رضي دينه فقد عادى من خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه .

---

(١) يراجع كتاب الوقوف ورقة (٤٠) ومنار الهدى (ص١٢١) .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية تحقيق المجلس العلمي بفاس (ج٥ ص١٢٧) .

(٣) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٦٨) وتفسير البحر المحيط (ج٣ ص٥٠٧) ومجمع البيان في تفسير القرآن (ج٢ ص١١٩) .

(٤) يراجع البحر المحيط (ج٣ ص٥٠٧) وروح المعاني (ج٦ ص١٥٧) والدر المصون في علوم الكتاب المكنون (ج٤ ص٤٩٩) .

وقال ابن عباس : يريد كأنه مثلهم وهذا تغليظ من الله تعالى وتشديد عظيم في الانتفاء من أهل الكفر وترك موالاتهم .

ثم قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ تعليل للجملة التي قبلها .

أي : أن وقوعهم في الكفر هو بسبب عدم هدايته - سبحانه - لمن ظلم نفسه بما يوجب الكفر كمن يوالي الكافرين [١] .

الآية العاشرة :

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ... ﴾ [المائدة : ٦٤] .

فالوقف على قوله تعالى : ﴿ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ لازم ، والابتداء بقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ولا يجوز وصله ؛ لأنه لو وصل لتوهم أن قوله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ من مقول اليهود ومفعول ﴿ قَالُوا۟ ﴾ وليس كذلك ؛ بل هو رد لقولهم : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [٢] .

قال الإمام النووي : (ومن الآداب إذا قرئ نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ و ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] من كل ما يوهم أن يخفض صوته بذلك ؛ إذ كل ما خطر بالبال أو توهم بالخيال فالله تعالى على خلافه) [٣] .

معنى الآية :

يخبر الله تعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - بأنهم وصفوه - تعالى عن قولهم علوًا كبيرًا - بأنه بخيل ، كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء وعبر عن البخل بأن قالوا : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ أي : مقبوضة عن العطاء ممسكة عن الرزق فنسبوه إلى البخل [٤] .

روي أن اليهود - لعنهم الله - لما كذبوا سيدنا محمدًا - عليه الصلاة والسلام - كف الله ما بسط عليهم من السعة وكانوا من أكثر الناس مالًا فعند ذلك قال فنحاص :

---

(١) يراجع جامع البيان في تفسير القرآن (ج٦ ص٢٥٧) والبحر المحيط (ج٣ ص٥٠٧) وفتح القدير (ج٢ ص٥٠) .

(٢) يراجع كتاب الوقوف ورقة (٤٠) وقد ذكر الأشموني : بأن الوقف على قوله : ﴿ بِمَا قَالُوا۟ ﴾ حسن . منار الهدى (ص١٢٢) والذي أميل إليه أنه لازم ؛ لأنه لو وصل لأوهم معنى غير المراد .

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٨٥) ومنار الهدى (ص١٢٢) .

(٤) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٧٥) .

﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ ﴾ .

قال أهل المعاني : إنما قال فنحاص ولم ينهه الآخرون ورضوا بقوله : فأشركهم في ذلك .

وقيل : معناه يد اللّه مكفوفة عن عذابنا فلم يعذبنا إلا بما يبر به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل ، وكأنما حمل اليد على القدرة .

وقيل : إنها استفهام تقديره : « أيد اللّه مغلولة عنا حيث قتر المعيشة علينا ؟ » .

وليس المراد باليد هنا : الجارحة المعروفة بهذا الاسم ؛ لأن اللّه تعالى منزه عن مشابهة الحوادث وإنما غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود [1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩] ؛ والسبب في ذكر اليد هنا : لأن اليد آلة لأكثر الأعمال لا سيما لدفع المال ولإنفاقه ، فأطلقوا اسم السبب على المسبب ، وأسندوا إلى اليد والبنان والكف والأنامل ، فيقال للجواد : فياض الكف ، مبسوط اليد ، وبسط البنان ، تره الأنامل . ويقال للبخيل : كز الأصابع ، مقبوض الكف ، جعد الأنامل .

وقد رد اللّه ﷻ عليهم ما قالوه وقابلهم فيما اختلفوا وافتروه وائتفكوه فقال سبحانه : ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ وفيه أقوال :

أحدها : أنه على سبيل الإخبار ، أي : شدت أيديهم إلى أعناقهم في جهنم جزاء هذه الكلمة العظيمة ، وعلى هذا يكون الكلام بتقدير الفاء أو الواو وتقديره : « فغلت أيديهم » أو « وغلت أيديهم » ؛ وذلك لأن كلامهم قد تم واستؤنف بعده كلام آخر ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ ﴾ [البقرة: ٦٧] والمراد : « فقالوا » ؛ لأن كلام موسى قد تم عند قوله : ﴿ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ﴾ .

ثانيهما : أن معناه جعلوا بخلاء وألزموا البخل فهم أبخل قوم .

فلا ترى يهوديًا - وإن كان ماله في غاية الكثرة - إلا وهو من أبخل خلق اللّه .

ثالثها : أن يكون هذا القول خرج مخرج الدعاء كما يقال : قاتله اللّه .

ولكن هذا الدعاء ليس من اللّه تعالى عليهم ؛ لأنه - سبحانه - هو المصدر الذي

---

(١) يراجع روح المعاني (ج٦ ص١٨٠) وتفسير النسفي (ج١ ص٢٩١) والتفسير الكبير (ج١١ ص٨٠) والجامع لاحكام القرآن (ج٦ ص٢٣٨) .

يتجه إليه الخلق بالدعاء ؛ بل هو تعليم من الله لنا أننا إذا سمعنا وصفا لا يليق به ﷻ فلا بد أن ندحضه وأن ندعو على قائله .

﴿ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ وهذا دعاء ثانٍ معطوف على الدعاء الأول ، والباء سببية . والمعنى : أي : أُبعِدُوا عن رحمة الله وثوابه بسبب قولهم : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ . وقيل : عُذِّبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار (١) .

ثم رد الله – تعالى – عليهم بإثبات ما يدل على غاية السخاء بل وبضد مقالتهم فقال سبحانه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ وهذه الجملة إضرابية معطوفة على جملة مقدرة يقتضيها المقام أي : كَلَّا ليس الشأن كما زعموا ؛ بل هو سبحانه في غاية ما يكون من الجود ، فليس لذكر اليد هنا معنى غير إفادة معنى الجود ؛ لذا فقد أُشير بتثنية اليد مبالغة في معنى الجود والإنعام فإن أقصى ما تنتهي إليه همم الأسخياء أن يعطوا بكلتا يديهم (٢) .

ويمكن أن يراد باليد : النعمة ، ويكون الوجه في التثنية : تثنية جنس ، لا تثنية واحد ؛ فأحد الجنسين : نعمة الدنيا ، والثاني : نعمة الآخرة .

ويمكن أن يراد بهما : النعم الظاهرة والباطنة كما قال تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠] . وقيل : المراد باليدين : القوة والقدرة ، ومعناه : قوتاه بالثواب والعقاب مبسوطتان ، ثم بين الحق سعة فضله وجزيل عطائه بقوله تعالى : ﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ وهذه الجملة الكريمة مستأنفة مؤكدة لكمال جوده سبحانه أي : إنفاقه على ما تقتضيه مشيئته فإن شاء وسع وإن شاء قتر ؛ فهو الباسط القابض ، فإن قبض كان ذلك لما تقتضيه حكمته الباهرة لا لشيء آخر ؛ فإن خزائن ملكه لا تفنى ومواد جوده لا تتناهى (٣) .

---

(١) يراجع التفسير الكبير (ج١١ ص٨٠) ومجمع البيان في تفسير القرآن (ج٢ ص١٤٦) وفتح القدير (ج٢ ص٥٧) وروح المعاني (ج٦ ص١٨١) .

(٢) يراجع فتح القدير (ج٢ ص٥٧ ، ٥٨) ، وروح المعاني (ج٦ ص١٨٠ ، ١٨١) ، ومجمع البيان (ج٢ ص١٤٧) .

(٣) يراجع روح المعاني (ج٦ ص١٨١) ، ومجمع البيان (ج٢ ص١٤٧) ، وفتح القدير (ج٢ ص٥٨) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص٢٣٩) وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن يمين الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض ؟ فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع » هذا حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٢ ص٢٤٢) وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير سورة هود – باب وكان عرشه على الماء الحديث رقم (٤٦٨٤) وأخرجه مسلم في صحيحه (ج٩ ص٨٠١) وما بعدها كتاب الزكاة باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف .

الآية الحادية عشرة :

قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٣] .

فالوقف على قوله تعالى : ﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ لازم ، ويبتدئ القارئ بقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ إذ لو وصل لأوهم السامع أنه من قول النصارى الذين يقولون بالتثليث وليس الأمر كذلك [١] .

والمعنى الإجمالي يقرر الوقف ويوضحه :

فالله ﷻ يبين في الآية الكريمة كفر كثير من طوائف النصارى حيث قالوا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ .

ومعنى قولهم : ﴿ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ أي : ثالث ثلاثة آلهة ؛ لأنهم يقولون : الآلهة ثلاثة : الأب ، والابن ، وروح القدس .

وقيل : عنوا بالثلاثة : الباري ﷻ ، وعيسى ، وأمه عليهما السلام . وهذه الثلاثة في معتقدهم إله واحد [٢] كما تقدم .

قال الإمام الرازي رحمه الله : (واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل ؛ فإن الثلاثة لاتكون واحدًا ، والواحد لايكون ثلاثة ، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادًا وأظهر بطلانًا من مقالة النصارى) [٣] .

ثم رد الله - تعالى - عليهم هذه الدعوة الباطلة وأكد ذلك بزيادة ﴿ مِنْ ﴾ الاستغراقية الدالة على الاستغراق وحصر إلهيته في صفة الوحدانية فقال سبحانه : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ أي : ليس في الوجود إلا الله ﷻ وهذه الجملة الكريمة حالية .

---

(١) يراجع الوقوف ورقة (٤١) والاقتداء ورقة (١٠٠) .

(٢) كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة وأثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا : إن الكلمة هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر أو اللبن وزعموا أن الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله . ويسمون الآن (أرثوذكس) ، والنسطورية : أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه . انظر الملل والنحل للشهرستاني (ج٢ ص٢٩) وما بعدها ويراجع معجم البيان (ج٣ ص١٦٤) والتفسير الكبير (ج٢ ص٦٠) والبحر المحيط (ج٣ ص٥٣٥) وروح المعاني (ج٢ ص٢٠٧) .

(٣) انظر التفسير الكبير (ج١٢ ص٦٠) ويراجع البحر المحيط (ج٣ ص٥٣٥) .

والقائلون بهذه المقالة جمهور النصارى من الملكانية واليعقودية والنسطورية .

والملكانية : أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها ، ومعظم الروم ملكانية قالوا : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ، ويعنون بالكلمة : أقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس : أقنوم الحياة ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنًا بل المسيح مع ما تدرع به ابن فقال بعضهم : إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر الماء أو الماء اللبن .

اليعقوبية : أصحاب يعقوب : قالوا بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم قالوا : انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو ، وعنهم أخبرنا القرآن فقال سبحانه : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

والمعنى : قالوا تلك المقالة والحال أنه لا موجود إلا إله متصل بالوحدانية وهو الله وحده لا شريك له [(١)] .

ثم بين الحق سبحانه سوء عاقبة هؤلاء الضالين ، إن لم يكفوا عن القول بالتثليث ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

فقوله : ﴿ لَيَمَسَّنَّ ﴾ جواب لقسم محذوف وهو ساد مسد جواب الشرط المحذوف في قوله : ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ ... ﴾ والتقدير : « والله إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن » [(٢)] وعبر الحق سبحانه بالظاهر وهو قوله : ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ ﴾ دون المضمر فلم يقل : « وليمسنهم » ؛ لأن في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ﴾ و ﴿ مِنْ ﴾ على هذا بيانية وللإعلام بأنهم كانوا بمكان من الكفر .

و ﴿ مِنْ ﴾ في قوله ﴿ مِنْهُمْ ﴾ يصح أن تكون تبعيضية أي : ليمسن الذين استمروا على الكفر من هؤلاء النصارى عذاب أليم ؛ لأن كثيرًا منهم لم يستمروا على الكفر بل رجعوا عنه ودخلوا في دين الإسلام [(٣)] .

ويصح أن تكون بيانية وقد وضح ذلك صاحب الكشاف بقوله : و ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ ﴾ للبيان كالتي في قوله : ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ... ﴾ والمعنى : « ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة

---

(١) انظر فتح القدير (ج٢ ص٦٤) ويراجع روح المعاني (ج٢ ص٢٠٧) والدر المصون (ج٤ ص٣٧٥) .

(٢) يراجع تفسير إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٥٠) والبحر المحيط (ج٣ ص٥٣٥) .

(٣) يراجع الكشاف للزمخشري (ج١ ص٦٦٤) ويراجع روح المعاني (ج٦ ص٢٠٨) والبحر المحيط (ج٣ ص٣٣٦) ومحاسن التأويل (ج٦ ص٢١٠٠) .

عذاب أليم » أي : نوع شديد الألم من العذاب [١] .

الآية الثانية عشرة :

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٠] .

فالوقف على قوله : ﴿ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ وقف لازم ، والابتداء بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ...﴾ ؛ لأنه لو وصل لتوهم ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ ﴾ نعتًا لأبناء عبد الله بن سلام وأصحابه المؤمنين [٢] .

وقال النكزاوي رحمه الله : وليس بوقف أن جعل ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ ... ﴾ نعتًا لقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أو بدلًا منهم [٣] .

والذي أميل إليه : هو لزوم الوقف على قوله : ﴿ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ حتى يتضح المعنى ولا يتغير المراد ويبدو أن قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ... ﴾ جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر ، وهذا هو الظاهر في إعرابها [٤] .

المعنى الإجمالي : يخبر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة عن شهادة أهل الكتاب من اليهود والنصارى على صفة النبي محمد ﷺ وصدق رسالته ، ومعرفة ذلك معرفة محققة مستيقنة كما يعرفون أبناءهم ؛ حيث لا تختلط على أحدهم وجوه أبنائه بغيرهم .

فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ والضمير في ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ ﴾ يعود على النبي ﷺ كما يرى أكثر المفسرين أي : يعرفون رسول الله ﷺ كما يعرفون أبناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم .

ويؤيد ذلك : ما دار بين عمر بن الخطاب وعبد الله بن سلام [٥] .

---

(١) انظر الكشاف (ج١ ص٦٦٤) ويراجع روح المعاني (ج٦ ص٢٠٨) والبحر المحيط (ج٣ ص٣٣٦) .

(٢) انظر الوقوف ورقة (٤٣) ويراجع الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (١٠٣) .

(٣) انظر المرجع السابق ورقة (١٠٣) ويراجع منار الهدى (ص١٢٨ ، ١٢٩) .

(٤) وهناك إعرابان سأذكرهما في ثنايا تفسير الآية الكريمة .

(٥) روى أبو حمزة وغيره : أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال له عمر : إن الله أنزل على نبيه بمكة : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ فكيف هذه المعرفة ؟ فقال عبد الله بن سلام : يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني !! فقال عمر : كيف ذلك ؟ فقال : أشهد أنه رسول الله حقًا ولا أدري كيف تصنع النساء . انظر حاشية الجمل (ج٢ ص١٥) ويراجع روح المعاني (ج٧ ص١٢٠) وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٨٨) .

ويرى بعضهم : أنه يعود على القرآن ؛ لتقدمه في قوله تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ ﴾ ، أو على التوحيد ؛ لدلالة قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الأنعام : ١٩] .

والأولى : عود الضمير على جميع ما ذكر ؛ لأن معرفتهم بما في كتبهم يتناول كل ذلك ، فكأنه وصف أشياء كثيرة ثم قال : أهل الكتاب يعرفونه أي : يعرفون ما قلنا وما قصصنا ، و ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هنا : لفظه عام ولكن يراد به الخاص ؛ فإن هذا لا يعرفه ولا يقر به إلا من آمن منهم أو من أنصف (١) .

ثم بين الحق سبحانه : أن إنكاره خسران لما عرفوه ولما أمروا بالتدين (٢) بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، فقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ في محل رفع على الابتداء ، وخبره ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، ودخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط وعلى هذا تكون الجملة مستأنفة ويكون الذين خسروا أعم من أهل الكتاب والجاحدين من المشركين .

ويكون المعنى على هذا الوجه : أن الكفار الخاسرين أنفسهم بعنادهم وتمردهم لا يؤمنون بما جاء به رسول الله ﷺ .

وقيل : إنه نعت للذين آتيناهم الكتاب .

وقيل : إنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هم الذين خسروا أنفسهم .

وقيل : إنه منصوب على الذم ، والوجهان الآخران فرعان على النعت ؛ لأنهما مقطوعان عنه .

وعلى الأقوال الثلاثة الأخيرة يكون المعنى : أن ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ هم ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ بسبب ما وقعوا فيه من البعد عن الحق ، وعدم العمل بالمعرفة التي تثبت لهم فهم لا يؤمنون (٣) .

واستشكل كون ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ نعتًا وبناء عليه يكون مساق ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ مساق الذم لا مقام الاستشهاد بهم على كفار قريش وغيرهم من العرب - يعني : كيف يستشهد بهم ويذمون في آية واحدة ؟

وقد أجيب على هذا الاستشكال : بأن الكلام سيق للاستشهاد ، وإن كان في

---

(١) يراجع المحرر الوجيز (ج٦ ص٢٢ ، ٢٣) والجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص٤٠٠) والبحر المحيط (ج٤ ص٩٢) وحاشية الجمل (ج٢ ص١٥) .

(٢) انظر محاسن التأويل (ج٦ ص٢٢٧٠) .

(٣) يراجع فتح القدير (ج٢ ص١٠٥) والدر المصون (ج٤ ص٥٧١) وحاشية الجمل (ج٢ ص١٥) .

بعضه ذم لهم ؛ لأن ذلك بوجهين واعتبارين [1] .

قال ابن عطية : (ويصح ذلك لاختلاف ما استشهد فيه بهم وما ذموا فيه وأن الذم والاستشهاد ليس من وجه واحد) [2] .

الآية الثالثة عشرة :

قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٨] .

فالوقف على قوله : ﴿ سَبِيلًا ﴾ وقف لازم ، ويبتدأ بقوله : ﴿ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ... ﴾ ؛ وذلك لئلا تصير هذه الجملة صفة لقوله : ﴿ سَبِيلًا ﴾ فإن ضمير الهاء في قوله : ﴿ ٱتَّخَذُوهُ ﴾ يعود على العجل فلا ينبغي الوصل حتى لا يفسد المعنى ويغير المراد [3] .

والمعنى يقرر ذلك ويوضحه :

ففي الآية الكريمة يخبر الله تعالى عن إضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل الذي اتخذه لهم السامري [4] من حلي القبط الذي كانوا استعاروه منهم فصنع لهم منه عجلًا جسدًا لا روح فيه ، وقد احتال بإدخال الريح فيه حتى صار يسمع له خوار أي : صوت كصوت البقرة .

وقرئ ﴿ لَّهُۥ جُوَارٌ ﴾ بالجيم وهو الصياح وشدة الصوت .

وقرأ عليّ رضي الله عنه ﴿ لَّهُۥ جُؤَارٌ ﴾ بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح ، وإنما أضاف الصوت إليه ؛ لأنه كان محله عند دخول الريح جوفه وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربه تعالى ، وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على جبل الطور [5] ؛ حيث يقول له الله تعالى : ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴾ [طه : ٨٥] .

ثم أكد الحق سبحانه ذمهم بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ .

---

(١) انظر الدر المصون (ج٤ ص٥٧٠ ، ٥٧١) ويراجع البحر المحيط (ج٤ ص٩٣) وحاشية الجمل (ج٢ ص١٥) .

(٢) انظر المحرر الوجيز (ج٦ ص٢٢) .

(٣) يراجع الوقوف ورقة (٥١) ومنار الهدى (ص١٥١) .

(٤) السامري اسمه موسى بن ظفر من قرية تسمى سامرة . يراجع البداية والنهاية لابن كثير (ج١ ص٣٢٣) الناشر دار الفد العربي ، والبحر المحيط (ج٤ ص٣٩١) والجامع لأحكام القرآن (ج٧ ص٢٨٤) .

(٥) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٢٤٧) والتفسير الكبير (ج١٣ ص٢٨٥) ومحاسن التأويل (ج٧ ص٢٨٥٧) .

والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ .

أي : ألم يعتبروا بأن هذا الذي اتخذوه إلهًا لا يقدر على تكليمهم ، فضلًا عن أن يقدر على جلب نفع أو دفع ضر عنهم (١) .

وليس الاستفهام هنا للإنكار ؛ إذ لا ينكر ما ليس بموجود ، وبهذا يعلم أن معنى كونه في هذا المقام بمنزلة النفي للنفي إنما نشأ من تنزيل المسئول عنه منزلة من لا يرى .

والرؤية هنا بصرية ؛ لأن عدم تكليم العجل إياهم مشاهد لهم ؛ لأن عدم الكلام يرى من حال الشيء الذي لا يتكلم بانعدام آلة التكلم وهو الفم الصالح للكلام وبتكرير الدعاء وهو لا يجيب .

ثم ابتدأ سبحانه فقال : ﴿ ٱتَّخَذُوهُ ﴾ أي : قدموا على ما قدموا عليه من الأمر الشنيع المنكر .

وجملة ﴿ ٱتَّخَذُوهُ ﴾ مؤكدة لجملة ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ ﴾ ؛ فلذلك فصله ، والغرض من التوكيد في هذا المقام : هو التكرار لأجل التعجب ، كما يقال : نعم اتخذوه ، ولتبنى عليه جملة ﴿ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ (٢) ؛ فيظهر أنها متعلقة باتخاذ العجل وهذا التكرار يفيد مع ذلك التوكيد التشنيع عليهم أيضًا .

﴿ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ اعتراض تذييلي أي : أن دأبهم قبل ذلك الظلم ووضع الأشياء في غير موضعها ؛ فليس ببدع منهم هذا المنكر العظيم (٣) .

الآية الرابعة عشرة :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ (٤) قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [يونس : ٦٥] .

فالوقف على كلمة ﴿ قَوۡلُهُمۡۘ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ ﴾ وقف لازم ؛ لأنه لو وصل بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ ﴾ لتوهم أنه من قول

---

(١) انظر فتح القدير (ج٢ ص٢٤٧) ويراجع فتح البيان في مقاصد آي القرآن (ج٣ ص٤١١) .

(٢) يراجع البحر المحيط (ج٤ ص٣٩٣) والتحرير والتنوير (ج٩ ص١١٠) بتصرف واختصار .

(٣) يراجع روح المعاني (ج٩ ص٦٤) والتحرير والتنوير (ج٩ ص١١١) بتصرف واختصار .

(٤) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي . والحُزْن والحَزَن خلاف السرور ، وحَزِن الرجل بالكسر فهو حَزِنٌ وحَزين وأحزنه غيره وحزنه . قال اليزيدي : حزنه لغة قريش ، وأحزنه لغة تميم . انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص١٨١) ويراجع السبعة (ص٢١٩) والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٣٦٥) .

المشركين ، وإن كان من المستحيل أن يتوهم أحد أن هذا من مقول المشركين ؛ بل هو مستأنف ، وليس من مقولهم ؛ إذ لو قالوا ذلك لم يكونوا كفارًا ، ولما حزن النبي ﷺ ، بل هو جواب سؤال مقدر ؛ كأن قائلًا قال : لِمَ لا يحزنه قولهم وهو مما يحزن ؟ فأجيب بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْعِـزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ فكيف تبالي بهم وبقولهم ؟ وأيضًا لو وصل لتوهم عود الضمير إلى الأولياء في قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] ، وقول الأولياء لا يحزن الرسول ﷺ ؛ بل هو مستأنف تسلية عن قول المشركين [١] .

وليس بوقف لمن قرأ ﴿ أَنَّ ٱلْعِـزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ بفتح الهمزة وبها قرأ أبو حيوة على حذف لام العلة أي : لا يحزنك قولهم ؛ لأجل أن العزة للّٰه على صريح التعليل [٢] .

قال القاضي [٣] : (﴿ إِنَّ ٱلْعِـزَّةَ ﴾ بالألف المكسورة وفي فتحها فساد يقارب الكفر ؛ لأنه يؤدي إلى أن القوم كانوا يقولون : ﴿ أَنَّ ٱلْعِـزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ وأن الرسول ﷺ كان يحزنه ذلك وأما إذا كسرت « إن » كان ذلك استئنافًا وهذا يدل على فضيلة علم الإعراب) [٤] وقول القاضي هذا يؤكد شذوذ قراءة أبي حيوة .

معنى الآية الكريمة : ينهى اللّٰه تعالى نبيه محمدًا ﷺ عن الحزن من قول الكفار المتضمن للطعن عليه وتكذيبه والقدح في دينه فكلمة ﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ حذفت صفته لفهم المعنى ، إذ التقدير : « ولا يحزنك قولهم الدال على تكذيبك » .

والنهي عن الحزن وهو أمر نفسي لا اختيار للإنسان فيه ؛ فالمراد به هنا : النهي عن لوازمه كالإكثار من محاولة تجديد شأن المصائب وتعظيم أمرها ؛ وبذلك تتجدد الآلام ويصعب نسيانها .

وفي الجملة الكريمة تسلية له ﷺ ، وتأنيس لقلبه عما كان يلقاه من جهتهم من الأذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة ، وتبشير له بأن اللّٰه - تعالى - ينصره [٥] .

وبقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ تم الكلام ، ثم ابتدأ سبحانه فقال : ﴿ إِنَّ

---

(١) يراجع الوقوف ورقة (٦١) والاقتداء ورقة (١٣٦) ومنار الهدى (ص١٧٨) والكشاف (ج٢ ص٣٥٧) والدر المصون (ج٦ ص٢٣٣) . (٢) يراجع نفس المراجع السابقة في هامش (١) .

(٣) القاضي : هو محمد بن عبد اللّٰه بن محمد بن عبد اللّٰه بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي المالكي ويكنى بأبي بكر . توفي سنة (٥٤٣هـ) ، الأعلام (ج٦ ص٢٣٠) .

(٤) وبالغ ابن قتيبة وقال : (فتح ﴿ إِنَّ ﴾ كفر وغلو على أن تصير معمولة لقولهم ؛ إذ لو قالوا ذلك لم يكونوا كفارًا منار الهدى (ص١٧٨) والتفسير الكبير (ج١٦ ص٤٠٦) .

(٥) يراجع فتح القدير (ج٢ ص٤٥٩) والدر المصون (ج٦ ص٢٣٤) وفتح البيان في مقاصد القرآن (ج٤ ص٢٩٠) .

ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ وهذه الكلمة الكريمة تعليل لدفع الحزن عنه ؛ ولذلك فصلت عن جملة النهي فكأنه ﷺ يقول : كيف لا أحزن والمشركون يتطاولون علينا وهم أهل عزة ومنعة ؟!

فأجيب : بأن عزتهم كالعدم ؛ لأنها محدودة وزائلة ، بل العزة لله الذي أرسلك ، وكما أن هذه الجملة الكريمة تعليل لدفع الحزن فهي أيضًا في محل استئناف بياني .

إذ كل جملة يكون مضمونها علة للتي قبلها تكون استئنافًا بيانيًا فالاستئناف البياني أعم من التعليل [1] .

وتجدر الإشارة إلى أنه لا تعارض بين قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ وبين قوله في آية أخرى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] ؛ وذلك لأن عزة الرسول ﷺ والمؤمنين كلها بالله فهي لله أي : مستمدة من عزته سبحانه .

﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ أي : يسمع ما يقولونه ، ويعلم ما يعزمون عليه ، وهو مكافئهم بذلك [2] .

الآية الخامسة عشرة :

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴾ [هود : ٢٠] .

فالوقف على قوله : ﴿ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾ وقف لازم ، والابتداء بقوله : ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾ .

ووجه اللزوم : لئلا يصير قوله : ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾ صفة لـ ﴿ أَوۡلِيَآءَۘ ﴾ فينبغي تضعيف العذاب عن الأولياء ويثبت أن لهم أولياء غير مضعف عذابهم ؛ بل التضعيف لمتخذي الأولياء [3] لذا قال ابن عطية : ﴿ يُضَٰعَفُ ﴾ فعل مستأنف وليس بصفة [4] .

المعنى الإجمالي : يبين الحق ﷻ في هذه الآية الكريمة أنه كان قادرًا على تعذيب هؤلاء الظالمين في الدنيا قبل الآخرة ، ولكنه أخر عذابهم ؛ إملاء لهم فقال سبحانه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ... ﴾ وهذه الجملة الكريمة استئناف بياني ناشئ عن الاقتصار في تهديدهم على وصف بعض عقابهم في الآخرة ؛ فإن ذلك يثير في نفس السامع أن يسأل : هل هم سالمون من عذاب الدنيا ؟ فأجيب بأنهم لم يكونوا معجزين في الدنيا [5] .

---

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٨ ص٣٥٩) والتحرير والتنوير (ج١١ ص٢٢١) .

(٢) يراجع التفسير الكبير (ج٦ ص٤٠٧) والكشاف (ج٢ ص٣٥٧) والجامع لأحكام القرآن (ج٨ ص٣٥٩) .

(٣) انظر الوقوف ورقة (٦٣) . (٤) انظر المحرر الوجيز (ج٩ ص١٢٦) .

(٥) يراجع التحرير والتنوير (ج١٢ ص٣٦) .

والمعنى : أنهم لم يكونوا بالذين يعجزون ربهم بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم والانتقام منهم ، ولكنهم في قبضته وملكه لا يمتنعون منه إذا أرادهم ولا يفوتونه إذا طلبهم فهذا دليل على أنهم لا قدرة لهم على الفرار [١] ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي : أنصارٌ ينصرونهم من الله ويحولون بينهم وبينه إذا هو أراد عذابهم [٢] وقد كانت لهم في الدنيا منعة يمتنعون بها عن من أرادهم من الناس بسوء .

قال ابن عطية : (وهذه الجملة الكريمة تحتمل معنيين :

أحدهما : أنه نفي أن يكون لهم ولي أو ناصر كائنًا من كان .

والثاني : أنه يقصد وصف الأصنام والآلهة بأنهم لم يكونوا أولياء حقيقة وإن كانوا هم يعتقدون أنهم أولياء) [٣] .

و ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ زائدة ؛ لاستغراق النفي ، وجمع ﴿ أَوْلِيَاءَ ﴾ إما باعتبار أفراد الكفر كأنه قيل : « وما كان لأحد منهم من ولي » . أو باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانًا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية [٤] .

ثم أخبر الحق سبحانه أنه يضاعف لهم العذاب يوم القيامة أي : يشدد ويكثر حتى يكون ضعفي مما كان ، وهذا استئناف إخبار عن حالهم في الآخرة ؛ لأنهم جمعوا إلى الكفر بالبعث : الكذب على الله ، وصد عباده عن سبيل الله [٥] .

وقرأ الجمهور ﴿ يُضَٰعَفُ ﴾ من المضاعفة وابن كثير وابن عامر ويعقوب ﴿ يُضَعَّفُ ﴾ بالتشديد من التضعيف [٦] .

وعلل الحق سبحانه هذه المضاعفة بقوله : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ أي : أنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع ولا يبصروا إبصار مهتد لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين عن استعمال جوارحهم في طاعة الله وقد كانت لهم أسماع وأبصار [٧] .

---

(١) انظر جامع البيان (ج١٢ ص١٥) ويراجع التفسير الكبير (ج١٦ ص٥٠١) .

(٢) انظر جامع البيان (ج١٢ ص١٥) . (٣) انظر المحرر الوجيز (ج٩ ص١٢٦) .

(٤) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٣ ص١٣) وروح المعاني (ج١٢ ص٣٣) .

(٥) يراجع البحر المحيط (ج٥ ص٢١٢) .

(٦) انظر تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (ج١٢ ص٤٨) ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٧) انظر جامع البيان في تفسير القرآن (ج١٢ ص١٥) .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : و﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ في موضع نصب على أن يكون المعنى : « بما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون » ولم يستعملوا ذلك في استماع الحق وإبصاره [١] .

ويجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ ظرفًا والمعنى : « يضاعف لهم أبدًا » أي : وقت استطاعتهم السمع والبصر .

والله سبحانه يجعلهم في جهنم مستطيعي ذلك أبدًا . ويجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ نافية لا موضع لها ؛ إذ الكلام قد تم قبلها والوقف على كلمة ﴿ الْعَذَابُ ﴾ كافٍ .

والمعنى : ما كانوا يستطيعون في الدنيا أن يسمعوا سمعًا ينتفعون به ولا أن يبصروا إبصار مهتد [٢] .

قال الفراء : (ما كانوا يستطيعون السمع ؛ لأن الله أضلهم في اللوح المحفوظ) [٣] .

وقال الزجاج : (لبغضهم النبي ﷺ وعداوتهم له لا يستطيعون أن يسمعوا منه ولا يفقهوا عنه) [٤] .

الآية السادسة عشرة :

قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨] .

فالوقف على قوله : ﴿ عُدْنَا ﴾ وقف لازم ، والابتداء بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ ... ﴾ ؛ لأنه لو وصل لصار قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ... ﴾ معطوفًا على قوله : ﴿ عُدْنَا ﴾ داخلًا تحت شرط ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ ﴾ بل إن جملة ﴿ وَجَعَلْنَا ... ﴾ لا محل لها من الإعراب استئنافية [٥] .

المعنى الإجمالي : يخاطب الله تعالى بني إسرائيل قائلًا لهم : لعل ربكم يا بني

---

(١) والعرب تقول : « جزيته ما فعل وبما فعل » فيحذفون الباء مرة ويثبتونها أخرى ، وأنشد سيبويه :

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

والنشب : يطلق ويراد به المال والعقار ، والمراد به هنا : العقار . انظر الكتاب لسيبويه (ج١ ص٣٧) ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ومختار الصحاح (ص٦٥٩) والجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص١٩) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص١٩ ، ٢٠) .

(٣) انظر معاني القرآن (ج٣ ص٤٥) والجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص٢٠)

(٤) انظر معاني القرآن (ج٢ ص٨) ويراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص٢٠) .

(٥) انظر الوقوف ورقة (٧١) .

إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية [١] ، وإن تبتم ورجعتم إلى طاعته وانزجرتم عن المعاصي - وهذا وعد منه ﷻ - لكشف العذاب عنكم إن رجعتم إليهم .

« وعسى » من الله تعالى واجبة .

ثم بعد ذلك أنذرهم الله تعالى بإنزال العقوبات عليهم إن هم عادوا إلى إفسادهم فقال ﷻ : ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ... ﴾ [٢] .

والمعنى : وإن عدتم إلى المعاصي ومخالفة أمرئ وانتهاك حرمتي بعد أن تداركتكم رحمتي عدنا عليكم بالقتل والتعذيب وخراب الديار ، ولقد عادوا إلى الكفر والفسوق والعصيان ؛ حيث أعرضوا عن دعوة الحق التي جاءهم بها الرسول الكريم ﷺ ، ولم يكتفوا بهذا الإعراض ؛ بل هموا بقتله ﷺ ؛ فكانت نتيجة ذلك أن عاقبهم النبي ﷺ وأصحابه بما يستحقون من إجلاء وتشريد وقتل .

قال ابن عباس ﷺ : فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة [٣] .

ثم بين الله تعالى عقوبتهم في الآخرة فقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ وهذه الجملة الكريمة لا محل لها من الاعراب استئنافية [٤] .

وقال الطاهر ابن عاشور : (إنها معطوفة على جملة ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾ [٥] .

وعلى كلٍّ : ينبغي الوقف على ما قبلها والابتداء بها ؛ وذلك حتى لايوهم عطفها على قوله : ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ .

والمعنى : أى : جعلنا بعظمتنا جهنم التي تلقى داخلها التجهيم والكراهة ﴿ لِلْكَٰفِرِينَ

---

(١) أن العباد الذين سلطهم الله عليهم بعد إفسادهم الأول هم جالوت وجنوده ويتجلى ذلك واضحًا في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ... ﴾ آية (٢٤٦) وهذا منقول عن ابن عباس - الدر المنثور (ج٤ ص١٦٣) - وأما العباد الذين سلطهم عليهم بعد إفسادهم الثاني فيرى كثير من المفسرين أنه بختنصر وجنوده ، وهذا الرأي ليس يبعيد عن الصواب ، ولكن هناك رأي يؤثر على هذا وهو أن المسلط عليهم بعد إفسادهم الثاني : هم الرومان بقيادة زعيمهم « تيطس » سنة (٧٠م) يراجع حاشية الجمل على الجلالين (ج٢ ص٦١٥) وتاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس (ص٧٦) وما بعده .

(٢) يراجع جامع البيان (ج١٥ ص٣٥) ومجمع البيان (ج٦ ص٦١٦) وروح المعاني (ج١٥ ص٢٢) .

(٣) يراجع جامع البيان (ج١٥ ص٣٥) وروح المعاني (ج١٥ص٢٢) .

(٤) يراجع الجدول في إعراب القرآن وصرفه تصنيف محمود صافي (ج١٦ ص١٤) ط/ دار الرشيد - دمشق - بيروت .

(٥) انظر التحرير والتنوير (ج١٥ ص٣٩) .

﴿حَصِيرًا﴾ أي : سجنًا حاصرًا لهم لا يستطيعون الهروب منه وعلى هذا تكون بمعنى الفاعل .

ويحتمل : أن تكون بمعنى المفعول أي : جعلناها موضعًا محصورًا وفراشًا يفترشونه [(١)] كما قال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف : ٤١] [(٢)] .

الآية السابعة عشرة :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨].

فالوقف على قوله : ﴿ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ وقف لازم ، والابتداء بقوله : ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ؛ لأن وصله يوهم أن ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ صفة له ، وليس كذلك [(٣)] .

معنى الآية : ففي هذه الآية الكريمة يوجه الله تعالى نهيًا إلى رسوله محمد ﷺ بأن لا يدعو مع الله في عبادته إلهًا آخر ، ومعلوم أن النبي ﷺ لا يمكن أن يفعل شيئًا من ذلك حتى يُنهى عنه ، بل هو من باب « إياك أعني ، واسمعي يا جارة » فيكون الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ والمراد به : أمته .

والمعنى : ولا تعبد معه غيره ﷻ ولا تستدع حوائجك من جهة ما سواه ثم بين الله تعالى أنه الإله الواحد والمنفرد بالألوهية في ذاته فقال سبحانه : ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وهذه الجملة الكريمة في معنى العلة للنهي الذي في الجملة قبلها .

والمعنى : أي : لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له ؛ فلا يجوز اتخاذ إله سواه .

ثم أخبر الله تعالى : بأنه الدائم الباقي بعد فناء الخلق فقال سبحانه : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .

وهذه الجملة الكريمة أيضًا علة ثانية في النهي ؛ لأن هلاك الأشياء التي منها الأصنام وكل ما عبد مع الله وأشرك به انتفاء الألوهية عنها ؛ لأن الألوهية تنافي الهلاك وهو العدم .

والوجه : في قوله : ﴿ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ مستعمل في معنى الذات .

والمعنى : كل موجود زائل بائد إلا ذاته .

وقيل : كل شئ هالك إلا ما أُريد به وجهه ؛ فإن ذلك يبقى ثوابه .

---

(١) يراجع جامع البيان (ج١٥ ص٣٦) وروح المعاني (ج١٥ ص٢٢) والتفسير الكبير (ج١٩ ص٢٤) بتصرف واختصار .

(٢) غواش جمع غاشية أي : نيران تغشاهم . انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٧ ص٢٠٧) .

(٣) انظر الوقوف ورقة (٩٦) ويراجع منار الهدى (ص٢٤٠) .

وقيل : كل شيء هالك إلا جاهه ؛ كما يقال : لفلان وجه في الناس ، أي : جاه .

ثم ذُيِّلَتْ الآية بما يدل على أن لله القضاء النافذ في خلقه ؛ فقال ﷻ : ﴿ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

والمعنى : له القضاء النافذ في خلقه ، وقيل : له الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره ، وإليه تردون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم .

وفي قوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ إبطال لإنكار البعث [١] .

الآية الثامنة عشرة :

قوله تعالى : ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٢٦] .

فالوقف على قوله : ﴿ لُوطٌۘ ﴾ وقف لازم ، والابتداء بقوله : ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ ؛ لأنه لو وصل لصار قوله : ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ من قول لوط عليه السلام ، وليس كذلك ؛ بل إن هذه الجملة من قول إبراهيم عليه السلام [٢] .

والمعنى الإجمالي يؤكد ذلك ويوضحه : يقول الله تعالى مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام أنه آمن له لوط عليه السلام وصدقه في جميع ما جاء به ؛ فالفاء في قوله : ﴿ فَـَٔامَنَ ﴾ أفادت مبادرة لوط بتصديق إبراهيم والاقتصار على ذكر لوط يدل على أنه وحده هوالذي لبَّي دعوة إبراهيم وصدقه في كل ما أخبر به [٣] .

ولما بالغ إبراهيم عليه السلام في الإرشاد ولم يهتد قومه وحصل اليأس الكلي حيث رأى القوم الآية الكبرى - وهي نجاته من النار - ولم يؤمنوا ، أعلن أنه مهاجر ديار قومه ؛ وذلك لأن الله أمره بمفارقة ديار أهل الكفر ، فقال الله تعالى حكاية عنه : ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ [٤] . أي : قال إبراهيم عليه السلام إني مهاجر إلى ربي .

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٣ ص٤٠٣) والجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٣٢٢) ومجمع البيان في تفسير القرآن (ج٧ ص٤٢١) وروح المعاني (ج٢٠ ص١٣٠) محاسن التأويل (ج١٣ ص٤٧٣٣) والتحرير والتنوير (ج٢٠ ص١٩٧) .

(٢) انظر الوقوف ورقة (٩٧) .

(٣) أما امرأة إبراهيم وامرأة لوط فلم يشملهما اسم القوم في قوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ... ﴾ الآية ؛ لأن القوم خاص برجال القبيلة . قال زهير :

.... أقـوم آل حصـن أم نسـاء

انظر التحرير والتنوير (ج٢٠ ص٢٣٧) .

(٤) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٣ ص٤٠٩) وفتح القدير (ج٤ ص١٩٩) والتفسير الكبير (ج٢٤ ص٣٧٩) وروح المعاني (ج٢٠ ص١٥٢) والتحرير والتنوير (ج٢٠ ص٢٣٧ ، ٢٣٨) .

ويرى بعض المفسرين : أن ضمير ﴿ قَالَ ﴾ عائد على لوط ؛ لأنه أقرب مذكور ، ولكن عود الضمير على إبراهيم هو الظاهر ؛ وذلك ليتناسق مع قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ وكذا قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ .

وكذا قوله : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت : ٢٧] فإن هذه الضمائر كلها عائدة على إبراهيم بلا خلاف .

وأيضا فإن جملة ﴿ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ استئناف بياني كأنه قيل : فماذا كان من إبراهيم عليه السلام ؟ ... قال : ﴿ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ﴾ .

والمعنى : إني مهاجر عن دار قومي إلى الجهة التي أمرني ربي بالهجرة إليها .

وقيل : إلى حيث لا أُمنع عبادة ربي [١] إنه ﷻ ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب على أمره فيمنعني من أعدائي ، ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ الذي لا يفعل فعلًا إلا وفيه حكمة ومصلحة ؛ فلا يأمرني إلا بما فيه صلاحي [٢] .

الآية التاسعة عشرة :

قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس : ٧٦] .

فالوقف على كلمة ﴿ قَوْلُهُمْ ﴾ في قوله : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ وقف لازم ؛ لئلا يصير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ مقول الكفار الذي يحزن النبي ﷺ ؛ بل هو مستأنف وليس من مقولهم ؛ إذ لو قالوا ذلك لم يكونوا كفارًا [٣] .

معنى الآية الكريمة : في هذه الآية الكريمة ينهى الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ عن الحزن بسبب قول الكفار عليه ﷺ بأنه ساحر أو شاعر ، وهذه تسلية من الله تعالى للنبي ﷺ ، وهنا تم الكلام بقوله : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ .

ثم ابتدأ الله تعالى قائلا : ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ وهذه الجملة الكريمة تعليل صريح للنهي وطريق الاستئناف البياني ؛ ولذلك فصلت عن جملة النهي قبلها

---

(١) قال المفسرون : إن إبراهيم عليه السلام هاجر من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة فنزل قرية من أرض فلسطين ، ونزل لوط سدوم وهي المؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من قرية إبراهيم عليه السلام وكان عمره إذا ذاك خمسًا وخمسين سنة وهو أول من هاجر في الله تعالى . انظر روح المعاني (ج٢٠ ص١٥٢) .

(٢) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٣ ص٤١٠) وفتح القدير (ج٤ ص١٩٩) وروح المعاني (ج٢٠ ص١٥٢) والبحر المحيط (ج٧ ص١٤٩) .

(٣) يراجع الوقوف ورقة (١١٠) والاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (٢٣) ومنار الهدى (ص٣٢٢) .

فكأنه قيل : يارب إذا كان حالهم معك ومع نبيك ذلك فماذا تصنع بهم ؟ فقيل : ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ .

والمعنى : أي : نحن نعلم بما يخفونه في صدورهم وما يظهرونه من أقوالهم وأفعالهم فنجازيهم على ذلك [١] .

وقدم السر على العلن في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ؛ لبيان إحاطة علمه سبحانه بحيث إن علم السر عنده تعالى كأنه أقدم من علم العلن .

وقيل : إن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن ؛ إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه مضمر في القلب قبل ذلك ، فتعلق علم الله بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة .

وقيل : للإشارة إلى الاهتمام بإصلاح الباطن فإنه ملاك الأمر ، ولأنه محل الاشتباه المحتاج للبيان [٢] والله أعلم .

الآية العشرون :

قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ [القمر : ٦] .

فالوقف على قوله : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ وقف لازم ، والابتداء بقوله : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ...﴾ ؛ لأنه لو وصل قوله ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ بـ ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ لصار ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرفًا لفعل الأمر ﴿ فَتَوَلَّ ﴾ فيفسد المعنى ؛ بل هو ظرف لـ ﴿ يَخْرُجُونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ [القمر : ٧] .

والمعنى باعتبار ذلك الوقف على التقديم والتأخير أي : يخرجون من الأجداث خشعًا أبصارهم يوم يدع الداع [٣] .

ومعنى الآية يقرر الوقف : ففي هذه الآية الكريمة يأمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالإعراض عن أهل الكفر الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون : سحر مستمر ، فيسليه قائلًا : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ .

والمعنى : أي : أعرض عنهم ؛ حيث لم يؤثر فيهم الإنذار ، وهنا تم الكلام ولزم

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٣ ص٥٨١) والجامع لأحكام القرآن (ج١٥ ص٥٧) وروح المعاني (ج٢٣ ص٥٢) وفتح القدير (ج٤ ص٣٨٢) .

(٢) انظر روح المعاني (ج٢٣ ص٥٢) ويراجع فتح القدير (ج٤ ص٣٨٣) .

(٣) انظر الوقف ورقة (١٣٢) يراجع الاقتداء ورقة (٢٧٢) ومنار الهدى (ص٣٠٦) .

الوقف ثم قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ... ﴾ (١) .

والعامل في ﴿ يَوْمَ ﴾ قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾ أو ﴿ خُشَّعًا ﴾ أو فعل مضمر تقديره : « واذكر يومًا ... » .

وقيل : على حذف حرف الفاء وما عملت فيه من جواب الأمر .

والمعنى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ فإن لهم يوم يدع الداع .

وقيل : تول عنهم يا محمد ؛ فقد أقمت الحجة ، وأبصرهم يوم يدع الداع .

وقيل : أعرض عنهم يوم القيامة ، ولا تسأل عنهم وعن أحوالهم ؛ فإنهم يُدعون ﴿ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴾ أي : فظيع تنكره النفوس ؛ لعدم العهد بمثله ، وينالهم عذاب شديد (٢) .

ثانيا : الوقوف اللازمة المختلف فيها

بعد أن أوردت الوقوف اللازمة المتفق عليها بين طبعات المصاحف الشريفة والتي يجب على قارئ القرآن الكريم أن يلتزم الوقف عليها والابتداء بما بعدها ؛ وذلك حتى لا يفسد المعنى ولا يغير المراد .

فها هي الوقوف المختلف فيها بين طبعات المصاحف على لزومها وعدمه وبيان ذلك مفصلًا مع ترجيح ما أراه راجحًا ، وعددها إحدى عشرة آية .

الآية الأولى :

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة : ١١٨] .

فالوقف على قوله : ﴿ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ اختلف فيه بين طبعات المصاحف :

فورد في طبعة باكستان والعراق والسعودية (٣) : أنه وقف مطلق (٤) ، علمًا بأن

---

(١) قيل : الداعي : إسرافيل عليه السلام ، وقيل : جبرائيل عليه السلام وقيل : ملك غيرهما موكل بذلك ، وجوز أن يكون الدعاء للإعادة في ذلك اليوم . انظر روح المعاني (ج٢٧ ص٧٩) .

(٢) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٤ ص٢٦٣) والجامع لأحكام القرآن (ج١٧ ص١٢٩) وفتح القدير (ج٥ ص١٢١) وروح المعاني (ج٢٧ ص٧٩) .

(٣) طبعة السعودية : هي المنسوخة عن طبعة باكستان .

(٤) انظر الوقوف ورقة (١٤) .

الطبعات الثلاث أخذت لهم بيان الوقوف وعلاماته مما قرره الإمام السجاوندي : في كتابه الوقوف عدا الوقوف المتعانقة فإنها ليست من كتابه ؛ لأنه لم ينص عليها في كتابه إلا في التعليل فقط .

ولست أدري لماذا أغفل السجاوندي هذا الموضع ولم يورده في الوقوف اللازمة مع أن هناك مواضع مشابهة لهذا الموضع وأوردها تحت قاعدة الوقوف اللازمة ، وأيضًا هناك موضعان أوردهما تحت قاعدة الوقف المطلق مع أن الأرجح أن يكون من الوقوف اللازمة وسأذكرهما بعد ذلك الوقف بمشيئة الله تعالى .

وقال عنه الإمام النكزاوي : إنه وقف كاف ، وقيل : صالح [١] ، وأورد الأشموني أنه : حسن [٢] .

ولكن الرأي الراجح والذي أميل إليه : أن الوقف على قوله : ﴿ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ وقف لازم ؛ وذلك لأنه لو وصل بقوله : ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ يتوهم أن جملة ﴿ تَشَٰبَهَتْ ... ﴾ [٣] مقول القول بل هي بالفصل لا محل لها استئنافية أو اعتراضية إخبار من الله تعالى عنهم .

وعلامة الوقف اللازم واردة على هذه الكلمة بجميع طبعات المصاحف عدا هذه الطبعات ، ولو اعتبرنا أنهما وقف مطلق فربما يتهاون القارئ فيه فيصله بما بعده .

معنى الآية : في هذه الآية الكريمة يحكي الله تعالى تعنت الكافرين وطعنهم في نبوة سيدنا محمد ﷺ فقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ .

وقد اختلف المفسرون في المراد من ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما : هم اليهود [٤] ، وقال مجاهد : هم النصارى ، ورجحه الإمام الطبري ؛ لأنهم هم المذكورون في الآية أولًا .

ويرى أكثر المفسرين : أنهم مشركو العرب ؛ لقوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥] .

---

(١) انظر الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (٣٨) .

(٢) انظر منار الهدى (ص٤٧) .

(٣) يراجع الجدول في إعراب القرآن الكريم وصرفه (ج١ ص٢٠٨) .

(٤) عن ابن عباس قال : « قال رافع ابن حريملة لرسول الله ﷺ : إن كنت رسولًا من عند الله كما تقول فقل لله ﷻ فليكلمنا حتى نسمع كلامه ، فأنزل الله ﷻ هذه الآية » . انظر جامع البيان (ج١ ص٤٠٧) .

وقيل : الإشارة بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ إلى جميع هذه الطوائف ؛ لأنهم كلهم قالوا هذه المقالة (١) .

وعبر عنهم بـ ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ استهجانًا لذكرهم ولقبح ما صدر عنهم ولأن ما يحكى عنهم لا يصدر إلا عن الجهلاء .

وفي التعبير بالفعل ﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ تيئيس من علمهم فهم لن يتجدد لهم علم مع تجدد الآيات والعبر والعظات لغباوتهم (٢) .

و﴿ لَوۡلَا ﴾ هنا حرف تحضيض بمعنى : هلا ، قصد منه التعجيز والاعتذار عن عدم الإصغاء للرسول ﷺ .

والمعنى : هلاّ يكلمنا اللَّه مشافهة ، أو بإنزال الوحي علينا بأنك رسول ، ﴿ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٌۗ ﴾ أي : برهان وحجة على صدق نبوتك .

وإنما قالوا ذلك ؛ استكبارًا وعنادًا منهم بأن عدوا أنفسهم أحرياء بالرسالة وسماع كلام اللَّه ، وهذا مبالغة في جهالتهم .

فأجاب اللَّه ﷻ ؛ تسلية للنبي ﷺ ليثبت قلبه : ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ ﴾ أي : كمثل هذا القول الشنيع قال الذين من قبلهم من الأمم السابقة أو من اليهود والنصارى ؛ إذ قالوا : ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ [النساء: ١٥٣] ، وقالوا : ﴿ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ ﴾ [البقرة: ٦١] ، وقالوا : ﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ ﴾ [المائدة: ١١٢] ، وقالوا : ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] (٣) .

قال ابن عاشور : (ويجوز أن تكون جملة ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ ﴾ واقعة موقع الجواب لمقالة الذين لا يعلمون وهو جواب إجمالي اقتصر فيه على تنظير حالهم بحال من قبلهم ، وذلك التنظير كناية عن الإعراض عن جواب مقالهم وأنه لا يتأهل أن يجاب ؛ لأنهم ليسوا بمرتبة من يكلمهم اللَّه) (٤) .

---

(١) قال أبو حيان : (واختلافهم في الموصول مبني على اختلافهم في السبب فإن كان الموصول الجهلة من العرب فنفي عنهم العلم لأنهم لم يكن لهم كتاب ولا هم أتباع نبوة . وإن كان الموصول هم اليهود والنصارى فنفي عنهم العلم لانتفاء ثمرته وهو الاتباع له والعمل بمقتضاه) . انظر البحر (ج١ ص٣٣٦) .

(٢) يراجع جامع البيان (ج١ ص٤٠٧) بتصرف واختصار والمحرر الوجيز (ج١ ص٣٤١) وإرشاد العقل السليم (ج١ ص١١٨) وروح المعاني (ج١ ص٣٩٩) بتصرف واختصار .

(٣) يراجع إرشاد العقل السليم (ج١ ص١١٨) وروح المعاني (ج١ ص٣٧٠) بتصرف واختصار ، والتحرير والتنوير (ج١ ص٦٨٩) والجواهر في تفسير القرآن الكريم (ج١ ص١١٤) .

(٤) انظر التحرير والتنوير (ج١ ص٦٨٩) .

وقوله : ﴿ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۘ ﴾ تقرير لمعنى ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ ﴾ .

والمعنى : تماثلت قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد .

وقيل : في التعنت والاقتراح فهم ، وإن اختلفت مذاهبهم في كذبهم على الله وافترائهم عليه ، فقلوبهم متشابهة في : الكفر بربهم ، والفرية عليه ، وتحكمهم على أنبياء الله ورسله عليهم السلام . ثم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى : ﴿ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ ، أي : أوضحنا الأدلة وأقمنا البراهين لقوم يعترفون بالحق وينصفون في القول ويذعنون لأوامر الله سبحانه ؛ لكونهم مصدقين له سبحانه مؤمنين بآياته متبعين لما شرعه لهم .

وخص الله تعالى بذلك القوم الذين يوقنون ؛ لأنهم أهل التثبت في الأمور ، الطالبون معرفة حقائق الأشياء على يقين .

وجيء بالفعل المضارع في ﴿ يُوقِنُونَ ﴾ لدلالته على التجدد والاستمرار كناية عن كون الإيمان خلقًا لهم ، أما الذين دأبهم الإعراض عن النظر والمكابرة بعد ظهور الحق فإن الإعراض يحول دون حصول اليقين (١) .

الآية الثانية :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٦] .

فالوقف على كلمة ﴿ يَسۡمَعُونَۘ ﴾ اختلف فيه بين طبعات المصاحف :

فلقد ورد في طبعة العراق وباكستان والسعودية : أنه وقف مطلق ، وورد في باقي الطبعات : أنه وقف لازم .

وقال ابن الأنباري : (الوقف على ﴿ يَسۡمَعُونَۘ ﴾ وقف حسن ، ثم يبتدأ : ﴿ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فترفع ﴿ وَٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ بما دل عليهم من الهاء) (٢) .

ولكن الرأي الراجح والذي أميل إليه : أن الوقف على قوله : ﴿ يَسۡمَعُونَۘ ﴾ وقف لازم وذلك أنها لو وصلت لاشترك الموتى مع الذين يسمعون في صفة الاستجابة بل هم لا يسمعون ولا يستجيبون ، وإنما أخبر الله تعالى عنهم أنهم يبعثون فهم مستأنفون بحالهم(٣) ؛ فلأجل إيضاح المعاني والفصل بين المتغاير منها ينبغي بل ويلزم الوقف ،

---

(١) يراجع جامع البيان (ج١ ص٤٠٨) وفتح القدير (ج١ ص١٢٤) والتحرير والتنوير (ج١ ص٦٩٠) .

(٢) انظر ايضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٦٣٢) .

(٣) يراجع المكتفى في الوقف والابتداء (ص١٥١) .

وهذا الوقف يظهر معناه وفائدته من خلال تفسير الآية الكريمة .

معنى الآية : في هذه الآية الكريمة يخبر الله تعالى عن حال أهل الإيمان واستجابتهم لقبول دعوة الحق واتباع الرسول الكريم في كل ما جاء به من قِبَل ربه ، وعن حال أهل الكفر وإعراضهم عن ذلك ؛ إذ قست قلوبهم فهي في أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر عن سماع الحق ، فصور الله تعالى شأن الفريق الأول بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ .

والاستجابة بمعنى الإجابة [(١)] ، فالسين والتاء زائدتان للتأكيد ، وحذف متعلق ﴿ يَسْتَجِيبُ ﴾ لظهوره في المقام ؛ لأن المقام مقام الدعوة إلى التوحيد وتصديق الرسول ﷺ .

والمراد بالسماع : سماع إصغاء وتفهم وإرادة الحق ، فهو سماع للاعتبار .

والمعنى : إنما يجيبك يا محمد إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقى إليهم سماع فهم وتدبر واعتبار فينتفعون به ويعملون .

ثم بين الله تعالى حال الفريق الثاني فقال سبحانه : ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ والواو هنا للاستئناف [(٢)] ولزم الوقف قبلها .

والمراد بالموتى هنا : الكفار ؛ لأنهم موتى القلوب فشبههم الله تعالى بموتى الأجساد وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم .

وقيل : إن لفظ ﴿ الْمَوْتَىٰ ﴾ على حقيقتهم والكلام على سبيل التمثيل [(٣)] ؛ وذلك أن الله تعالى هو قادر على أن يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم إليه يرجعون للجزاء ، فكذلك ههنا أنه هو القادر على إحياء قلوب هؤلاء بحياة الإيمان .

والمعنى : والموتى يحييهم الله يوم القيامة ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ للجزاء فحينئذ يسمعون ،

---

(١) وهنالك فرق بين « يجيب » و« يستجيب » ؛ فيستجيب فيه قبول لما دعي إليه قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [آل عمران ٣: ١٩٥] ، وقال : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ﴾ [الأنبياء ٨٨] ، وليس كذلك يجيب ؛ لأنه قد يجيب بالمخالفة كقول القائل : أتوافق في هذا المذهب أم تخالف ؟ فيقول المجيب : أخالف . انظر التفسير الكبير (ج١١ ص٢٩١) ويراجع التحرير والتنوير (ج٧ ص٢٠٧) .

(٢) تجدر الإشارة إلى ما أورده السمين في إعراب قوله ﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ حيث قال : أظهرها أنها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر سبقت للإخبار بقدرته ، وأن من يقدر على بعث الموتى يقدر على إحياء قلوب الكفرة بالإيمان فلا تتأسف على من كفر . والثاني : أن الموتى منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر بعده أي : ويبعث الله الموتى . ورجح هذا الوجه على الرفع بالابتداء . والثالث : أنه مرفوع بالعطف على الموصول والجملة بعده في موضع الحال والظاهر خلافه . انظر الدر المصون (ج٤ ص٦١٠) ويراجع التبيان في إعراب القرآن (ج١ ص٤٩٣) وروح المعاني (ج٧ ص١٤٢) .

(٣) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص١٣٠) والجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص٤١٨) وروح المعاني (ج٧ ص١٤١) والتحرير والتنوير (ج٧ ص٢٠٧) .

وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى سماعهم ؛ لما أن على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرًا [١] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٠] .

الآية الثالثة :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

إن الوقف على لفظ الجلالة في قوله : ﴿ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ اختلف فيه بين طبعات المصاحف ؛ فورد في جميع طبعات المصاحف أنه وقف لازم ، إلا طبعة العراق فوقف مطلق ؛ اتباعًا للسجاوندي حيث ذكر في كتابه الوقف : (أنه وقف مطلق) [٢] .

والوقف المطلق عنده : (هو ما يحسن الابتداء بما بعده) [٣] .

والذي أميل إليه : أن هذا الوقف وقف لازم ؛ وذلك لأن قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ ليس من قول المشركين ، ولكن هذه الجملة الكريمة رد عليهم ؛ فلو وصلت بسابقتها لتوهم أنها من قولهم ، وبذلك يتغير المراد ويفسد المعنى [٤] .

ولست أدري لماذا أغفل السجاوندي هذا الوقف أيضًا ولم يعتبره وقفًا لازمًا مع أن هناك وقوفًا مشابهة لهذا الوقف ونص على لزومها في كتابه الوقوف .

وعلى كلٍّ : فينبغي الوقف على قوله : ﴿ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴾ ويبتدأ بقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ حتى يستقيم المعنى ويظهر إعجاز القرآن .

ومعنى الآية الكريمة يظهر ذلك ويوضحه : فالله ﷻ في هذه الآية يحكي عن مكر المشركين وحسدهم لرسول الله ﷺ ، وأنهم متى ظهرت لهم معجزة قاطعة تشهد بصدق نبوته ﷺ فيما يبلغه عن ربه قالوا : لن نصدق برسالته حتى نعطى من المعجزات مثل ما أعطي رسل الله [٥] .

---

(١) يراجع التفسير الكبير (ج١١ ص٢٩٢) وروح المعاني (ج٧ ص١٤٢) .

(٢) انظر الوقف ورقة (٤٥) . ونص أبو عمرو الداني في المكتفى أنه كاف . انظر (ص ٢٥٩) وعند نافع ومحمد بن عيسى وأحمد بن موسى : تام ، نص عليه ابن النحاس في القطع (ص٣٢٠) .

(٣) انظر كتاب الوقوف ورقة (٤) .

(٤) يراجع القطع (ص٣٢٠) ومنار الهدى (ص١٣٧) بتصرف .

(٥) يراجع التفسير الكبير (ج١٢ ص٥٥٤) بتصرف واختصار والنسفي (ج٢ ص٣٢) .

قال صاحب البحر : (وإنما قالوا ذلك على سبيل التهكم والاستهزاء ، ولو كانوا موقنين غير معاندين لاتبعوا رسل الله) [١] .

وعبر بالمجيء عن الإعلام بالآية أو تلاوتها تشبيهًا للإعلام بمجيء الداعي أو المرسَل ، وأضافوا الإتيان إلى رسل الله ؛ لأنهم لا يعترفون بما أوتيه نبينا ﷺ من الوحي والرسالة [٢] .

وقد رد الله تعالى عليهم ردًا حاسمًا فقال سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ وهذه الجملة الكريمة استئناف بياني بل وإنكار عليهم .

والمعنى : أنه تعالى لا يصطفي بالرسالة إلا من علم أنه يصلح لها ، وهو أعلم بالجهة التي يضعها فيها ، وقد وضعها فيمن اختاره لها وهو رسول الله محمد ﷺ دون أكابر أهل مكة .

و ﴿ حَيْثُ ﴾ هنا لا يمكن إقرارها على الظرفية ؛ وذلك لأن الله تعالى لا يكون في مكان أعلم منه في مكان ، وإذا لم يكن ظرفًا كان اسمًا وكان انتصابه انتصاب المفعول به على السعة [٣] ، والمفعول على السعة لا يعمل فيه ﴿ أَعْلَمُ ﴾ ؛ لأنه لا يعمل في المفعولات ، فيكون العامل فيه فعل دل عليه ﴿ أَعْلَمُ ﴾ فكأن الأصل : الله أعلم بمواضع رسالاته [٤] .

ثم بين الله تعالى الجزاء الذي سيقع بهؤلاء المستكبرين الماكرين الحاسدين للنبي ﷺ على ما أتاه الله من فضله فقال سبحانه : ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾ .

---

(١) انظر البحر المحيط (ج٤ ص٢١٦) .

(٢) انظر التحرير والتنوير (ج٨ ص٥٣) . وسبب نزول الآية : أن الوليد بن المغيرة قال للنبي ﷺ : لو كانت النبوة حقًا لكنت أنا أولى بها منك لأني أكبر منك سنًا وأكثر مالًا ؛ فأنزل الله هذه الآية . وقال مقاتل : نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال : زاحمنا بنو عبد المطلب في الشرف حتى إذا صرنا كفرسَيْ رهانٍ
قالوا : منا نبي يوحى إليه ، والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدًا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه ؛ فأنزل الله هذه الآية . انظر روح المعاني (ج٨ ص٢٠) ويراجع حاشية الجمل على الجلالين (ج٢ ص٨٦) .

(٣) لكن أنكر أبو حيان في البحر أن يكون ﴿ حَيْثُ ﴾ مفعولًا به على السعة أو مفعولًا به على غير السعة معللًا بأن قواعد النحو تأباه ؛ لأن النحاة نصوا على أن ﴿ حَيْثُ ﴾ من الظروف التي لا تتصرف وشذ إضافة لدى إليها وجرها بالباء ونصوا على أن الظرف الذي لا يتوسع فيه لا يكون إلا متصرفًا وإذا كان الأمر كذلك امتنع نصب ﴿ حَيْثُ ﴾ على المفعول به لا على السعة ولا على غيرها والذي يظهر لي إقرار ﴿ حَيْثُ ﴾ على الظرفية المجازية على أن تضمن ﴿ أَعْلَمُ ﴾ معنى ما يتعدى إلى الظرف فيكون التقدير : الله أنفذ علمًا حيث يجعل رسالته ، أي : هو نافذ العلم في الموضع الذي يجعل فيه رسالته ، والظرفية هنا مجازية . البحر المحيط (ج٤ ص٢١٦) .

(٤) يراجع روح المعاني (ج٨ ص٢٢) ومجمع البيان في تفسير القرآن (ج٣ ص١٨٦) والبحر المحيط (ج٤ ص٢١٦) .

والمعنى : سيصيب هؤلاء المجرمين الذل والهوان والعذاب الشديد يوم القيامة بسبب استكبارهم ومكرهم المستمر ، وقدم الصغار على العذاب ؛ لأنهم تمردوا على اتباع الرسول ﷺ وتكبروا ؛ طلبًا للعزة والكرامة ، فقوبلوا بالهوان والذل أولًا ، ثم بالعقاب الشديد ثانيًا ، وهذا جزاء كل من أخذته العزة بالإثم ؛ فأبى أن ينقاد للحق وأن يتقبل الخير من أي طريق أتاه [(١)] .

الآية الرابعة :

قوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١] .

فالوقف على قوله : ﴿ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ ﴾ اختلف فيه بين طبعات المصاحف الشريفة ؛ ففي بعض الطبعات ورد أن الوقف على ﴿ الأَمْنِ ﴾ وقف لازم [(٢)] ، وفي بعضها كافٍ [(٣)] ، وفي بعضها جائز [(٤)] .

ولعل من قال باللزوم أخذ بما أورده السجاوندي في كتابه الوقوف ، ولكن قد تساهل السجاوندي في الوقوف اللازمة فأورد الوقف اللازم مكان الكافي أو الحسن أو في أماكن كان الوصل فيها أولى من الوقف وهذا يظهر جليًا في طبعة مصحف العراق وباكستان والسعودية . علمًا بأن السجاوندي أورد هذا الوقف تحت الجائز [(٥)] ، أو أنهم نظروا إلى أن الجملة الشرطية مستأنفة أخذًا من كتاب منار الهدى للأشموني حيث قال : (إنه ينبغي الابتداء بالشرط ؛ لأن الابتداء به كلام مستأنف) [(٦)] .

بيد أنني أرى أن هذا الاستئناف لفظي - بمعنى أن الجملة الشرطية محذوفة الجواب منقطعة عما قبلها من جهة اللفظ أو الإعراب ، ولكنها متعلقة به من جهة المعنى .

لذا أرى : أن الوقف على قوله : ﴿ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ ﴾ وقف كافٍ ؛ وذلك لأن جواب

---

(١) يراجع البحر المحيط (ج٤ ص٢١٦) والتفسير القرآني للقرآن للأستاذ عبد الكريم الخطيب (ج٨ ص٣٠٦) ط/ دار الفكر .

(٢) ورد في مصحف طبعة الأزهر : أنه وقف لازم .

(٣) وورد في مصحف طبعة دار الغد وكذلك مصحف طبعة المملكة العربية السعودية المنسوخة عن بعض الطبعات المصرية .

(٤) وورد في مصحف طبعة الشمرلي وكذلك مصحف طبعة باكستان ط/ بيكيجز لميد لاهور ومصحف طبعة العراق . التي تشرفت بطبعه وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالجمهورية العراقية .

(٥) انظر الوقوف ورقة (٤٤) .

(٦) انظر منار الهدى (ص١١) علمًا بأن الأشموني خالف هذه القاعدة وأورد على مثل هذه المواضع وقف جائز كما في سورة النحل عند قوله تعالى : ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ آية (٤١) - انظر منار الهدى (ص٢١٥) .

﴿ إن ﴾ منتظر محذوف تقديره : إن كنتم من أهل العلم فأخبروني أي الفريقين المشركين أم الموحدين أحق بالأمن مع اتحاد الكلام ؟ [١] .

الآية الخامسة :

قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤١] .

الآية السادسة :

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤١] .

الآية السابعة :

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤] .

الآية الثامنة :

قوله تعالى : ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٢٦] .

الآية التاسعة :

قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الدخان : ٧] .

الآية العاشرة :

قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم : ٣٣] .

الآية الحادية عشرة :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح : ٤] .

فإن الوقف على لفظ : « أَكْبَرُ - و - ٱلْعَنكَبُوتِ - و - ٱلْحَيَوَانُ - و - أَكْبَرُ - و - وَمَا بَيْنَهُمَآ - و - أَكْبَرُ - و - لَا يُؤَخَّرُ »

قد اختلف فيه أيضًا بين طبعات المصاحف الشريفة ؛ فقد ورد في بعض الطبعات : أن الوقف على هذه الكلمات وقف لازم ، بينما ورد في بعض الطبعات : أن الوصل

---

(١) انظر منار الهدى (ص١٣٣ ، ١٣٤) ويراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص١١٥) وروح المعاني (ج٧ ص٢٠٧) والوقوف ورقة (٤٤) .

أولى ؛ لذا وضع رمز « صلے » . علىهذه الكلمات ، بل ورد في بعض الطبعات أن الوقف على هذه الكلمات جائز ؛ لذا وضع رمز « ج » على هذه الكلمات .

ولكن الرأي الراجح والذي أميل إليه : أن الوقف على الكلمات السابقة وقف كافٍ ؛ وذلك لأن الجملة الشرطية بعد الكلمات السابقة متعلقة من جهة المعنى إلا أنه أكفى في موضع النحل وموضعي العنكبوت وموضع الزمر والقلم .

وفيما يلي سأذكر وجه كل وقف من هذه الوقوف حتى تظهر جلية وبوضوح للقارئ :

فموضع النحل : بعده جملة شرطية محذوفة الجواب والتقدير : لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الآخرة ، ولو وصل لصار قوله : ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ معلقًا بشرط ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ وهو محال [١] .

وموضع العنكبوت الأول : بعد جملة شرطية محذوفة الجواب أيضًا والتقدير : لو كانوا يعلمون وَهَنَ الأوثان لما اتخذوها أولياء من دون اللّٰه تعالى ، فلو وصل لصار وَهَنُ بيت العنكبوت معلقًا بعلمهم [٢] .

وفي الموضع الثاني من السورة : جواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف أيضًا تقديره : لو علموا حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفاني على الحيوان الباقي ؛ فلو وصل لصار وصف الحيوان معلقًا بشرط أن لو علموا ذلك ، وهو محال [٣] .

وفي موضع الزمر : أن جواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف تقديره : أي : لو كانوا يعلمون لما اختاروا الأكبر على الأدنى ؛ فلو وصل لصار قوله : ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ معلقًا بشرط أن لو كانوا يعلمون وهو محال ؛ إذ عذاب الآخرة أشق مطلقًا علموا أم لا [٤] ، وينطبق ذلك على موضع سورة القلم ، فالوقف على المواضع السابقة وقف أكفى وهو مرتبة فوق الوقف الكافي كما يرى البعض [٥] .

أما قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ فالوقف على قوله : ﴿ وَمَا

---

(١) انظر الوقوف ورقة (٧٠) ويراجع منار الهدى (ص٢١٥) .

(٢) انظر الوقوف ورقة (٩٨) ويراجع منار الهدى (ص٢٩٧) وروح المعاني (ج٢٠ ص١٦٢) .

(٣) انظر الوقوف ورقة (٩٩) ويراجع منار الهدى (ص٢٩٨) .

(٤) انظر الوقوف ورقة (١٤٠ ، ١٤١) ويراجع منار الهدى (ص٤٠١) علمًا بأن الأشموني أورد هذه الوقوف تحت الوقف الجائز في كتابه منار الهدى وكذلك أورده الشيخ زكريا الأنصاري في كتابه تلخيص ما في المرشد أنها وقوف جائزة أيضًا .

(٥) انظر منار الهدى (ص٩) .

بَيْنَهُمَآ ﴾ وقف كافٍ ، وينبغي أن تبدأ بقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ ؛ لأن ربوبيته ﷻ لا تتعلق بكونهم موقنين (١) .

ويلاحظ أن هناك فرقًا بين قوله تعالى حكاية عن موسى : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ وبين هذه الآية ؛ حيث إن الآيتين عجزهما متحد .

ولكن الوصل في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٤] ليس بموهم لخلل المعنى ، بخلاف قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الدخان : ٧] ؛ لأن ما قبلها فيه خطاب للنبي ﷺ حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ ، فلو وصل لربما يتوهم أن الخطاب في ﴿ كُنتُم ﴾ له ﷺ على طريق التعظيم ، أو له ﷺ ولأمته على جهة التغليب ، من هنا يظهر معنى علم الوقف وفوائده المتعددة (٢) .

وأيضًا من المواضع المختلف فيها الوقف على قوله : ﴿ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ ؛ لأن بعده جملة شرطية محذوفة الجواب والتقدير : لو كنتم تعلمون لبادرتم إلى طاعته وتقواه (٣) .

ثالثًا : ما انفردت بلزومه بعض طبعات المصاحف

١ - ما انفردت بلزومه طبعة العراق وباكستان والسعودية :

لقد انفرد مصحف طبعة باكستان والعراق والسعودية بوضع علامة الوقف اللازم « مـ » وذلك على ستين موضعًا في القرآن الكريم بعد المتفق عليه والمختلف فيه بين طبعات المصاحف .

ولقد أوردت هذه الوقوف ولكن رأيت بالبحث والنظر أنها ليست كلها وقوفًا لازمة ؛ بل منها ما هو لازم ، ومنها ما هو تام ، ومنها ما هو كافٍ ، ومنها ما هو حسن .

وسأورد آيات كل قسم على حدة ، مع التعليل لكل وقف يستدعي له ذلك .

أ - الوقوف اللازمة :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ؛ فالوقف على ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، والابتداء بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر نهاية القول المفيد للشيخ محمد مكي نصر (ص١٦٦) .

(٢) يراجع المنح الفكرية في المقدمة الجزرية (ص٦٤) .

(٣) انظر منار الهدى (ص٤٠٥) .

ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ... ﴾ [البقرة: ١٤٥، ١٤٦] ؛ لئلا يوهم أن ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ صفة لـ ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ بل هو مستأنف في مدح عبد الله بن سلام وأصحابه (١) .

٢ - قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ فالوقف على قوله : ﴿ تُشْرِكُونَ ﴾ ، والابتداء بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ... ﴾ [الأنعام: ١٩، ٢٠] ؛ لأن ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ ، فلو وصل لوقع فعل الاشتراك عليه فينتقض الكلام (٢) .

٣ - قوله تعالى : ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فالوقف على قوله : ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ وقف لازم ، والابتداء بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ... ﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢] ؛ لأنه لو وصل لتوهم أن ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ متصل بما قبله ، بل هو مبتدأ خبره قوله تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ... ﴾ ؛ لأن جواب ﴿ إِن ﴾ منتظر محذوف تقديره : إن كنتم من أهل العلم فأخبروني أي الفريقين المشركين أم الموحدين ؟ (٣) . وقال أبو عمرو الداني : الوقف على ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ كاف (٤) .

ولكن الذي أميل إليه : أنه وقف لازم ، وذلك من وجهين :

الأول : أنه لو وصل لغير المعنى . **الثاني** : أنه رأس آية .

٤ - قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فالوقف على قوله : ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وقف لازم والابتداء بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ ... ﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠] ؛ لئلا يوهم أن ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾ صفة لـ ﴿ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٥) .

قال الطاهر ابن عاشور في قوله : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ : إن موقعها الاعتراض بين جملة ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ ... ﴾ وجملة ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ ... ﴾ .

فقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ ... ﴾ استئناف لبيان مراتب فضلهم إثر بيان عدم الاستواء ، وضلال المشركين ، وظلمهم .

فهذه الجملة الكريمة مبينة لنفي الاستواء الذي في جملة ﴿ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ومفضلة للجهاد الذي في جملة ﴿ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ بأنه جهاد بالأموال والأنفس ، وإدماج لبيان مزية المهاجرين من المجاهدين) (٦) .

---

(١) انظر الوقوف ورقة (١٦) .
(٢) انظر الوقوف ورقة (٤٣) .
(٣) انظر الوقوف ورقة (٤٤) .
(٤) انظر المكتفى (ص٢٥٣) .
(٥) انظر نهاية القول المفيد (ص١٥٧) .
(٦) انظر التحرير والتنوير (ج١٠ ص١٤٦) وما بعدها بتصرف واختصار .

٥ - قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ فالوقف على قوله : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ وقف لازم ، والابتداء بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ ... ﴾ [غافر : ٦ ، ٧] ؛ لأنه لو وصل به لصار قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ ﴾ صفة لـ ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ ، وذلك خطأ ظاهر ؛ فينبغي الوقف [١] .

٦ - قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ فالوقف على قوله : ﴿ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ وقف لازم ، والابتداء بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ... ﴾ [الدخان : ١٤ ، ١٥] ؛ لأنه لو وصل لصار قوله : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ ﴾ من مقول الكفار ، بل هو رد من الله تعالى عليهم [٢] .

٧ - قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ فالوقف على قوله : ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ وقف لازم والابتداء بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور : ١٢ ، ١٣] ؛ لأنه لو وصل لصار قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ ﴾ ظرفًا لقوله : ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ وليس كذلك .

وقيل : (لا يوقف عليه ؛ لأن قوله : ﴿ يَوْمَ ﴾ بدل من قوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ ، فلا يفصل بين البدل والمبدل منه بالوقف) [٣] .

٨ - قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ فالوقف على قوله : ﴿ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ والابتداء بقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ... ﴾ [الحشر : ٧ ، ٨] ؛ لأنه لو وصل لفهم أن شدة العقاب للفقراء ، وليس كذلك بل قوله : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره : والفيء المذكور للفقراء [٤] .

٩ - قوله تعالى : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ فالوقف على قوله ﴿ أَمْرًا ﴾ ، والابتداء بقوله : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾ [النازعات : ٥ ، ٦] .

قال السجاوندي : (لا وقف من أول السورة إلى قوله : ﴿ أَمْرًا ﴾ ؛ لأن جواب القسم محذوف بعده أي : أقسم بهذه الأشياء ليبعثن ، والوقف عليه أي : على ﴿ أَمْرًا ﴾ لازم ؛ لأنه لو وصل لصار ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرفًا لـ ﴿ ٱلْمُدَبِّرَٰتِ ﴾ وقد انقضى تدبير الملائكة في هذا اليوم ، بل عامل ﴿ يَوْمَ ﴾ قوله تعالى : ﴿ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾) [النازعات : ٧] [٥] ..

وعلى كلٍّ : فالناظر إلى هذه المواضع المتقدمة يجد أنها رؤوس آيات ، والوقف عليها

---

(١) انظر نهاية القول المفيد في علم التجويد (ص١٥٧) .

(٢) انظر الوقوف ورقة (١٢٢) .

(٣) انظر منار الهدى (ص٣٧٣) .

(٤) انظر الوقوف ورقة (١٣٦) يراجع نهاية القول المفيد (ص١٥٧) .

(٥) انظر الوقوف ورقة (١٤٧) .

يؤدي معنى شافيًا كافيًا منقطع عما بعده .

ب – ما ورد في مصحف طبعة باكستان والعراق والسعودية أنه وقف لازم ولكنه من قبيل الوقف التام [(١)] .

١ – قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] فالوقف على قوله : ﴿ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ وقف تام .

ويرى الأشموني : أنه وقف حسن [(٢)] وقال عنه أبو عمرو الداني : إنه وقف كاف [(٣)] .

ولكن الراجح في نظري والذي أميل إليه : أنه وقف تام ، وسأذكر وجه تمامه بمشيئة الله تعالى في موضعه [(٤)] .

٢ – قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ [الأعراف : ٧٣] فالوقف على قوله : ﴿ صَٰلِحًا ﴾ وقف تام ؛ لأنه لو وصل بما بعده لصارت الجملة صفة ، ففهم أن ﴿ صَٰلِحًا ﴾ منكر من الصالحين لا اسم فاعل لنبي مرسل بخلاف شعيب وغيره ؛ لأنه كما لا يتصف بالجملة لا تصير الجملة صفة له فيصير منكرًا [(٥)] .

قال أبو السعود [(٦)] : (لما كان الإخبار بإرساله عليه السلام إليهم مظنة لأنْ يُسأل ويقال : فماذا قال له ؛ قيل جوابًا عنه بطريق الاستئناف : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾) [(٧)] .

ويرى النكزاوي : أنه وقف كاف ؛ لأن المعنى : « وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا » [(٨)] بينما يرى الأشموني : أنه وقف جائز [(٩)] .

٣ – قوله تعالى : ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الإسراء : ١٠٥] فالوقف على قوله : ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ وقف تام [(١٠)] وقال الأشموني : وقف كاف [(١١)] .

---

(١) يرى البعض أن الوقف اللازم والتام والواجب في مرتبة واحدة .

(٢) انظر منار الهدى (ص٦٦) . (٣) انظر المكتفى (ص١٩٢) .

(٤) سأذكره في فصل الوقف التام وأثره على المعنى في القرآن الكريم .

(٥) انظر الوقوف ورقة (٤٩) .

(٦) أبو السعود : هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي المتوفى سنة (٩٨٢هـ) . يراجع العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم لعلي بن لالى بالى (ج٢ ص٢٨٠) وما بعدها ط/ الميمنية .

(٧) انظر إرشاد العقل السليم (ج٢ ص١٧٥) . (٨) انظر الاقتداء ورقة (١٤٢) .

(٩) انظر منار الهدى (ص١٤٧) . (١٠) انظر المكتفى (٣٦٤) .

(١١) انظر منار الهدى (ص٢٢٨) .

ووجه من قال بالتمام ؛ لأنه لو وصل لصار قوله : ﴿ وَقُرْءَانًا ﴾ معطوفًا فاقتضى أن يكون الرسول قرآنًا ، بل التقدير : وفرقنا قرآنًا فرقناه ، أي : أنزلناه شيئًا بعد شيء لا جملة واحدة [١] .

ولكن يتوقف الوقف على قوله : ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ على إعراب ﴿ وَقُرْءَانًا ﴾ فإذا نصبته بـ ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ كان تامًّا وإذا نصبته بـ ﴿ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ على معنى : وما أرسلناك إلا مبشرًا ونذيرًا وقرآنًا أي : ورحمة ؛ لم يتم الوقف على ﴿ نَذِيرًا ﴾ [٢] .

٤ - قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٨٧] . فالوقف على قوله : ﴿ عَهْدًا ﴾ يرى البعض [٣] : أنه وقف تام ؛ لأنه لو وصل لا يعطف ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٨٨] على ﴿ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ وإن كان ﴿ ٱتَّخَذَ ﴾ موحدًا على لفظ ﴿ مَنِ ﴾ .

فإن قيل : عائد على معنى ﴿ مَنِ ﴾ لأن ﴿ مَنِ ﴾ يصلح للجمع فيؤدي إذًا إلى إثبات الشفاعة لمن قال اتخذ عند الرحمن ولدًا [٤] .

٥ - قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ [يس ٥٢] فالوقف على قوله : ﴿ مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ وقف تام ، والابتداء بقوله : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ .... ﴾ للفصل بين الحكاية عن كلام الكفار وبين كلام الملائكة أو بين كلام المؤمنين [٥] .

قال قتادة : تكلم بأول هذه الآية أهل الضلالة ، وبآخرها أهل الإيمان ؛ قال أهل الضلالة : ﴿ .. يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ .. ﴾ ، وقال المؤمنون : ﴿ .. هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [٦] .

وقد أجاز ابن الأنباري الوقف على قوله : ﴿ هَٰذَا ﴾ إن جعل في محل جر صفة لـ ﴿ مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ أو بدلًا منه ثم يبتدأ ﴿ .. هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ بتقدير : « بعثكم ما وعد الرحمن » [٧] .

٦ - قوله تعالى : ﴿ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾ [النازعات : ٩] فالوقف على ﴿ خَٰشِعَةٌ ﴾ وقف

---

(١) انظر الوقوف ورقة (٧٣) ويراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٠ ص٣٣٩) .
(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٧٥٥) والقطع والائتناف (ص٤٤٢) .
(٣) انظر الاقتداء ورقة (١٨٣) . (٤) انظر منار الهدى (ص١٩٥) .
(٥) يراجع المكتفى (ص٤٧٣ ، ٤٧٤) والاقتداء ورقة (٢٣٤) .
(٦) يراجع زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي تحقيق محمد زهير الشاويش (ج٧ ص٢٦) ط/ بيروت نشر المكتب الإسلامي .
(٧) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٨٥٤) .

تام ؛ لتناهي وصف القيامة وابتداء حكاية قولهم [١] .

وقال الأشموني : حسن على استئناف ما بعده [٢] .

٧ - قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ [النازعات : ١٢] فالوقف على ﴿ خَاسِرَةٌ ﴾ وقف تام ؛ لأنه انقضاء كلام منكري البعث وما بعده من كلام الله تعالى [٣] ، وهذا الوقف كاف عند ابن النحاس [٤] ، وليس بوقف عند الأشموني ؛ لأن ما بعده جوابه ما قبله ، أي : إن ردنا إلى الحافرة كانت ردتنا خاسرة [٥] .

٨ - قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ [البلد : ٥] فالوقف على قوله : ﴿ أَحَدٌ ﴾ وقف تام [٦] ؛ لأنه لو وصل صار قوله : ﴿ يَقُولُ ﴾ وصفا للإنسان [٧] ، وليس كذلك .

ج - ما ورد في مصحف طبعة باكستان والعراق والسعودية أنه وقف لازم ولكنه من قبيل الوقف الكافي .

١ - قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨] .

فالوقف على قوله : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وقف كاف ؛ إذ لو وصل بقوله تعالى : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة : ٩] صارت الجملة صفة لقوله : ﴿ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ فانتفى الخداع عنهم ، وتقدر الإيمان خالصًا عن الخداع ، كما تقول : ما هو بمؤمن مخادع ، ومراد الله تعالى : نفي الإيمان وإثبات الخداع لهم .

وليس بوقف إن جعلت جملة ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾ بدلًا من الجملة الواقفة صلة لـ ﴿ مَن ﴾ وهي ﴿ يَقُولُ ﴾ وتكون ﴿ مَن ﴾ بدل الاشتمال ؛ لأن قولهم مشتمل على الخداع ، أو حال من ضمير ﴿ يَقُولُ ﴾ .

ولا يجوز أن يكون ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾ في محل جر صفة لـ ﴿ مُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ لأن ذلك يوجب نفي خداعهم ، والمعنى على إثبات الخداع لهم ، ونفي الإيمان عنهم ، أي : وما هم بمؤمنين مخادعين ، وكلٌّ من الحال والصفة قيد يتسلط النفي عليه وعليهما فليس بوقف .

---

(١) انظر الوقوف ورقة (١٤٧) .

(٢) انظر منار الهدى (ص٤١٧) .

(٣) انظر المكتفى (ص٦٠٦) .

(٤) انظر القطع والائتناف (ص٧٦٢) .

(٥) انظر منار الهدى (ص٤١٧) .

(٦) انظر الاقتداء ورقة (٣٠٧) والمقصد لتلخيص ما في المرشد لزكريا الأنصاري على هامش منار الهدى (ص٤٢٧) .

(٧) انظر الوقوف ورقة (١٥٢) .

ولكن الوجه القائل بالوقف أولى وأوجه من حيث كونه رأس آية .

ويرى البعض : أن الوقف على قوله : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وقف تام ؛ وذلك لأن جملة ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾ مستأنفة [1] .

٢ - قوله تعالى : ﴿ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] فالوقف على قوله : ﴿ يَحْزَنُونَ ﴾ وقف كاف [2] ؛ لكونه رأس آية واستئناف الفعل بعده ؛ إذ يستحيل أن يكون الاستبشار حالًا للذين ﴿ يَحْزَنُونَ ﴾ [3] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ... ﴾ [الأعراف : ١٨٧] فالوقف على قوله : ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ كاف [4] ، وقال نافع : تام [5] وقال ، زكريا الأنصاري عنه : « أنه حسن » [6] .

ولكني أرى : أن الوقف كاف وذلك لأن قوله تعالى : ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ استئناف مقرر لمضمون ما قبله .

والمعنى : ثقل علمها على أهل السموات والأرض أن يعلموه [7] .

٤ - قوله تعالى : ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ فالوقف على ﴿ وِرْدًا ﴾ [مريم : ٨٦] .

فالوقف كاف ؛ لئلا تشتبه الجملة التي بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ ... ﴾ [مريم : ٨٧] بأنها وصف لها ، بل هي لنفي شفاعة معبوداتهم ؛ وذلك ردًّا لقولهم [8] : ﴿ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] .

٥ - قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩] فالوقف على قوله : ﴿ يُحَافِظُونَ ﴾ وقف كاف [9] ؛ ليعود إرث الجنة إلى المؤمنين الموصوفين بجميع هذه الأوصاف ، فإنه لو وصل ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ بقوله : ﴿ يُحَافِظُونَ ﴾ مع الوقف على

---

(١) يراجع المكتفى (ص١٦٠) وكتاب الوقوف ورقة (٣ ، ١٠) ومنار الهدى (ص٣٣) وبهامشه المقصد لتلخيص ما في المرشد لزكريا الأنصاري (ص٣٣) .

(٢) انظر منار الهدى (ص٩٢) .

(٣) انظر الوقوف ورقة (٣٠) .

(٤) انظر المكتفى (ص٢٨٢) .

(٥) انظر القطع والائتناف (ص٣٤٦) .

(٦) انظر المقصد لتلخيص ما في المرشد هامش منار الهدى (ص ١٥٤) .

(٧) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢١٧) وروح المعاني (ج٩ ص١٣٣) وإيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٦٧٣) .

(٨) انظر الوقوف ورقة (٧٨) ومنار الهدى (ص٢٤٠) .

(٩) انظر المكتفى (ص٤٠٠) .

﴿ ٱلْعَادُونَ ﴾ صار قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ ﴾ [المؤمنون : ٨] مبتدأ و ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ خبره ؛ فاقتصر إرث الجنة على المذكورين في الاثنين [١] .

٦ – قوله تعالى : ﴿ وَقِيلِهِۦ [٢] يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٣] فالوقف على قوله : ﴿ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ وقف كاف [٤] ؛ لئلا يوهم أنه من مقول الرسول ﷺ لله ﷻ بل هو جواب من الله للرسول عليه الصلاة والسلام .

٧ – قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١] .

فالوقف على قوله : ﴿ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ وقف كاف [٥] ، ولا يجوز وصله ؛ لأنه لو وصل لصار قوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ من مقول المنافقين ، بل هو جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ، وهو ما أظهروه من الشهادة وإن كانت بواطنهم على خلاف ذلك [٦] .

٨ – قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ [٧] بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم : ٥١] فالوقف على قوله ﴿ لَمَجْنُونٌ ﴾ وقف كاف [٨] لأنه لو وصل لصار ما بعده من مقول الذين كفروا ، وليس الأمر كذلك ؛ بل هو إخبار من الله تعالى أن القرآن ذكر وموعظة للإنس والجن ، فكيف ينسبون إلى الجنَّة من جاء به وهو رسول الله ﷺ ؟! [٩] .

٩ – قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ [عبس : ١٢] فالوقف على قوله : ﴿ ذَكَرَهُۥ ﴾ وقف كاف [١٠] ؛ لأنه لو وصل صارت الصحف محل ذكر من شاء أن يذكر القرآن وهو محال .

بل التقدير : هو في صحف مكرمة ، فقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ جملة معترضة بين الصفة وموصوفها [١١] ، أي : بين قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ وبين قوله : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴾ [عبس : ١١، ١٣] .

---

(١) انظر الوقوف ورقة (٨٥) .
(٢) القيل : مصدر كالقول ، ومنه قول النبي ﷺ : « نهى عن قيل وقال ... » . التفسير الكبير (ج٢٧ ص١٣٢) .
(٣) انظر الاقتداء ورقة (١٥٦) .
(٤) انظر الوقوف ورقة (١٢٢) ويراجع نهاية القول المفيد (ص١٦٥) .
(٥) انظر منار الهدى ومعه المقصد لتلخيص المرشد (ص٣٩٣) .
(٦) يراجع الوقوف ورقة (١٣٨) وفتح القدير (ج٥ ص٢٣٠) .
(٧) ليزلقونك بأبصارهم أي : ليصوبونك بأعينهم فيزيلونك عن مقامك الذي جعله الله لك . لسان العرب (ج٣ ص١٨٥٥) الجامع لأحكام القرآن (ج١٨ ص٢٥٤) .
(٨) انظر المكتفى (ص٥٨٣) .
(٩) انظر منار الهدى (٤٠٢) ويراجع الوقوف ورقة (١٤١) .
(١٠) انظر المكتفى (ص٦٠٨) .
(١١) انظر الوقوف ورقة (١٤٨) ويراجع منار الهدى (ص٤١٩) وفتح القدير (ج٥ ص٣٨٣) .

د – ما ورد في مصحف طبعة باكستان والعراق والسعودية أنه وقف لازم ولكنه من قبيل الوقف الحسن أو الجائز .

١ – كلمة ﴿ مُوسَىٰٓ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] أورد الأشموني : أنه وقف جائز ؛ لأنه لو وصل لصار ﴿ إِذْ ﴾ ظرفًا لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ، وهو محال ؛ إذ يصير العامل في ﴿ إِذْ ﴾ ﴿ تَرَ ﴾ ، بل العامل فيها محذوف ، أي : إلى قصة الملأ .

ويصير المعنى : ألم تر إلى ما جرى للملأ [١] .

٢ – كلمة ﴿ ٱلْمُلْكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] . قال أبو عمرو الداني عنه : إنه كافٍ [٢] ، وأورد النكزاوي أنه : وقف حسن إن علقت ﴿ إِذْ ﴾ بفعل مضمر تقديره : اذكر [٣] .

وليس بوقف إن علق بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ كأنه قال : « ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في الوقت الذي قال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت » فـ ﴿ إِذْ ﴾ في موضع نصب على الظرف ، والعامل فيه ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ وليس ظرفًا لإيتاء الملك ؛ إذ المحاجة لم تقع وقت أن آتاه الله الملك ، بل إيتاء الملك إياه على المحاجة [٤] .

٣ – كلمة ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٢٧] .

وهذا الوقف حسن إن علق ﴿ إِذْ ﴾ بـ « اذكر » مقدرًا وليس بوقف إن جعل ظرفًا لقوله : ﴿ ٱتْلُ ﴾ لأن الكلام يصير محالًا ؛ وذلك لأن ﴿ إِذْ ﴾ ظرفًا لما مضى ، ولا يعمل فيه ﴿ ٱتْلُ ﴾ لأنه مستقبل ، بل التقدير : اذكر ما جرى لابني آدم وقت كذا [٥] .

٤ – كلمة ﴿ وَٰلِدَتِكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ [المائدة: ١١٠] إن علق ﴿ إِذْ ﴾ بـ « اذكر » المقدرة لا بـ ﴿ ٱذْكُرْ ﴾ المذكورة ، قيل : أي : واذكر إذ أيدتك [٦] .

٥ – كلمة ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم

---

(١) انظر منار الهدى (ص٦٢) . (٢) انظر المكتفى (ص١٩١) .

(٣) انظر الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء ورقة (٥٥) .

(٤) انظر منار الهدى (ص٦٤) .

(٥) يراجع كتاب الوقوف ورقة (٣٩) ومنار الهدى (ص١١٨) .

(٦) انظر منار الهدى (ص١٢٦) .

﴿ بِٱلْأَخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٥] . قال الأشموني : الوقف على قوله ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ جائز من حيث كونه رأس آية [(١)] .

وقد ذكر مراجعو مصحف طبعة باكستان أنه وقف لازم باختلاف [(٢)] ، وقال السجاوندي : (إنه وقف مطلق ؛ لأن ما بعده لم يدخل في التأذين والإخبار حالًا لقوله : ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ فلو وصل لاشتبه بالحال) [(٣)] .

وبناء على ذلك ذكر مراجعو مصحف طبعة العراق أنه مطلق [(٤)] .

٦ - كلمة ﴿ ٱلْبَحْرِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] .

٧ - كلمة ﴿ بَعْضٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٦٧] ؛ لأنه لو وصل بما بعده لكانت الجملة صفة لـ ﴿ بَعْضٍ ﴾ بل هي صفة لكل المنافقين [(٥)] .

٨ - كلمة ﴿ بَعْضٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١] .

٩ - كلمة ﴿ نُوحٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ ﴾ [يونس: ٧١] . قال الأشموني : (لا يوصل بما بعده ؛ لأنه لو وصل لصار ﴿ إِذْ ﴾ ظرفًا لـ ﴿ ٱتْلُ ﴾ بل هو ظرف لمقدر ، أي : اذكر إذ قال .. ، ولا يجوز نصب ﴿ إِذْ ﴾ بـ ﴿ ٱتْلُ ﴾ لفساده ؛ لأن ﴿ ٱتْلُ ﴾ مستقبل و﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى [(٦)] .

وقال الشيخ زكريا الأنصاري : ﴿ نَبَأَ نُوحٍ ﴾ وقف حسن عند بعضهم ، وهو عندي مفهوم [(٧)] .

١٠ - كلمة ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الحجر: ٥١] ؛ لأنه لو وصل بما بعده لصار ﴿ إِذْ ﴾ ظرفًا لقوله : ﴿ نَبِّئْهُمْ ﴾ ، وذلك غير ممكن [(٨)] .

---

(١) انظر منار الهدى (ص١٤٦) .

(٢) الهامش الجانبي لمصحف طبعة باكستان سورة الأعراف (ص٢٤٧) طابعين وناشرين يكيجز لميد لاهور .

(٣) انظر الوقوف ورقة (٤٨) .

(٤) مصحف طبعة العراق - وزارة الأوقاف والشئون الدينية (ص١٦١) .

(٥) انظر منار الهدى (ص١٦٧) .

(٦) انظر منار الهدى (ص١٧٨ ، ١٧٩) .

(٧) انظر المقصد لتلخيص ما في المرشد (ص١٧٨ ، ١٧٩) .

(٨) انظر منار الهدى (ص٢١٠) .

١١ - قوله تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ﴾ [الحجر: ٧٩] ؛ لأن الواو في قوله : ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ للابتداء ؛ فلو وصل لأشبه الحال ، وهو محال [١] .

١٢ - قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ﴾ [مريم: ١٦] ؛ لأنه لو وصل بقوله : ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ ﴾ لصار ظرفًا لقوله : ﴿ وَٱذۡكُرۡ ﴾ ، وليس بظرف [٢] .

١٣ - قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ [مريم: ٣٩] . فالوقف على قوله : ﴿ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ وقف حسن ؛ لأنه لو وصل بقوله : ﴿ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ ﴾ لاستحال المعنى ؛ لأنهم وصفوا بالغفلة في الدنيا ، فلو وصل لصار متعلقًا بالظرف [٣] .

علمًا بأن مصحف طبعة العراق ورد فيه على كلمة ﴿ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ رمز (ج) [٤] الدال على الوقف الجائز جوازًا مستوي الطرفين .

١٤ - قوله تعالى : ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ [طه: ٩] . فالوقف على موسى وقف حسن ؛ لأنه لو وصل بقوله : ﴿ إِذۡ ﴾ لصار ظرفًا للإتيان [٥] .

وقال الأشموني : ﴿ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ ليس بوقف ؛ لأن ﴿ إِذۡ ﴾ منصوب بما قبله وهو الإتيان ، ومن وقف جعل ﴿ إِذۡ ﴾ ظرفًا منصوبًا بمحذوف مقدمًا أي : اذكر إذ ، أو بعده أي : اذكر إذ رأى نارًا كان كيت وكيت [٦] .

١٥ - قوله تعالى : ﴿ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩] ، فالوقف على قوله : ﴿ عَيۡنِيٓ ﴾ وقف حسن ؛ لأنه لو وصل بـ ﴿ إِذۡ ﴾ لصار ﴿ إِذۡ ﴾ ظرفًا لـ ﴿ لتُصْنَعَ ﴾ ، وليس بظرف له [٧] ، وهذا لمن قرأ بسكون اللام والجزم [٨] ، وأما من قرأ ﴿ وَلتَصْنَعْ ﴾ ، بفتح التاء ونصب العين [٩] أي : ولتكون حركتك وتصرفك بمشيئتي وعلى عين مني ، فلا يقف على قوله : ﴿ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [١٠] .

١٦ - قوله تعالى : ﴿ فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ ﴾ [المؤمنون: ١٩]

---

(١) انظر الوقوف ورقة (٦٩) . (٢) انظر الوقوف ورقة (٧٦) .
(٣) انظر الوقوف ورقة (٧٨) ويراجع منار الهدى (ص٢٤٠) .
(٤) انظر مصحف طبعة باكستان آية (٣٩) من سورة مريم .
(٥) انظر الوقوف ورقة (٧٩) ويراجع نهاية القول المفيد (ص١٦٥) .
(٦) انظر منار الهدى (ص٢٤١) (٧) انظر منار الهدى (ص٢٤٢) .
(٨) وهذه قراءة ابن القعقاع . انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١١ ص١٩٧) .
(٩) وهذه قراءة أبي نهيك . انظر المرجع السابق (ج١١ ص١٩٧) .
(١٠) يراجع المرجع السابق (ج١١ ص١٩٧) ومنار الهدى (ص٢٤٢) .

فالوقف على ﴿ أَعْنَٰبٍ ﴾ وقف حسن ؛ لأنه لو وصل لاشتبه الجار والمجرور في قوله : ﴿ لَّكُمْ فِيهَا ﴾ بوصف ﴿ أَعْنَٰبٍ ﴾ فقط ، وليس كذلك ؛ بل هو وصف للنخيل والأعناب معًا [١] .

وقال النكزاوي : (الوقف على ﴿ أَعْنَٰبٍ ﴾ وقف مفهوم) [٢] .

١٧ - قوله تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الشعراء : ٦٩] . فالوقف على إبراهيم وقف حسن ؛ لأنه لو وصل بـ ﴿ إِذْ ﴾ لصار ﴿ إِذْ ﴾ ظرفًا لقوله : ﴿ وَٱتْلُ ﴾ وهو محال ؛ لأن ﴿ إِذْ ﴾ ظرف لما مضى لا يعمل فيه ﴿ ٱتْلُ ﴾ ؛ لأنه مستقبل وهو لا يعمل في الماضي ، بل هو ظرف لمقدر ، والتقدير : اذكر قصة إبراهيم وما جرى له مع قومه [٣] ، وليس بوقف إن جعلت ﴿ إِذْ ﴾ بدلًا من ﴿ نَبَأَ ﴾ بدل اشتمال وهو يؤول إلى أن العامل فيه ﴿ ٱتْلُ ﴾ بالتأويل المذكور [٤] .

١٨ - قوله تعالى : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [يس : ١٣] ، إن علق ﴿ إِذْ ﴾ بمقدر [٥] .

١٩ - قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات : ٨٣] ؛ لأن التقدير : واذكر إذ [٦] .

قال الأشموني : (ليس بوقف ؛ لأن قوله : ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ٨٤] ظرف لما قبله) [٧] .

وقيل : لا وقف من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ؛ لتعلق الكلام بعضه ببعض من جهة المعنى [٨] .

٢٠ - قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ ﴾ [ص : ٢١] ؛ لأن ﴿ إِذْ ﴾ ليس بظرف للإتيان [٩] .

وقال الأشموني : (ليس بوقف ؛ لأن الذي بعده وهي ﴿ إِذْ ﴾ ظرف في محل

---

(١) يراجع علل الوقوف للسجاوندي تحقيق د/ محمد بن عبد الله بن محمد العيدي (ج٢ ص ٧٢٦) الناشر مكتبة الرشد - الرياض والبحر المحيط (ج٦ ص٤٠٠) .

(٢) انظر الاقتداء ورقة (١٩٧) .

(٣) انظر منار الهدى (ص٢٢٩) .

(٤) انظر منار الهدى (ص٢٧٩) .

(٥) انظر منار الهدى (ص٣١٩) .

(٦) انظر الوقوف ورقة (١١١) .

(٧) انظر منار الهدى (ص٣٢٤) .

(٨) انظر الاقتداء ورقة (٢٣٧) ويراجع منار الهدى (ص٣٢٥) .

(٩) انظر الوقوف ورقة (١١٢) .

نصب بمحذوف تقديره : وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا . فالعامل في ﴿ إِذْ ﴾ : « تحاكم » لما فيه من معنى الفعل و ﴿ إِذْ ﴾ في قوله : ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ ﴾ [ص : ٢٢] بدل من ﴿ إِذْ ﴾ الأولى فلا يوقف على ﴿ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ ﴾ ولا على ﴿ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ (١) .

٢١ - قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ [ص : ٤١] ، إن نصب ﴿ إِذْ ﴾ بمقدر ، وليس بوقف إن جعل بدل اشتمال (٢) .

٢٢ - قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الزمر ٣] . فالوقف على ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ وقف حسن إن جعل خبر ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ محذوف أي : يقولون : ما نعبدهم ، وكذا إن جعل الخبر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ ﴾ ، وليس بوقف إن جعل ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾ قائم مقام الخبر (٣) .

٢٣ - قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [غافر : ٦٢] . فالوقف على ﴿ شَىْءٍ ﴾ وقف حسن ، وقيل : تام ؛ لأنه لو وصل لصارت جملة ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ صفة لـ ﴿ شَىْءٍ ﴾ وهذا خطأ ظاهر (٤) .

٢٤ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [الدخان : ١٥] . فالوقف على ﴿ عَآئِدُونَ ﴾ وقف حسن ؛ لأنه لو وصل لصار قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ﴾ [الدخان : ١٦] ظرفًا لعودهم إلى الكفر ؛ بل هو يوم القيامة أو يوم بدر ، والعود إلى الكفر فيهما غير ممكن (٥) .

٢٥ - قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات : ٢٤] . فالوقف على ﴿ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ وقف حسن أو جائز إن نصب ﴿ إِذْ ﴾ بمقدر ، وليس بوقف إن نصب ﴿ إِذْ ﴾ بـ ﴿ حَدِيثُ ﴾ بتقدير : هل أتاك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه ، ولا يجوز نصبه بـ ﴿ أَتَىٰكَ ﴾ ؛ لاختلاف الزمانين (٦) .

٢٦ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر : ٤٧] . فالوقف على ﴿ وَسُعُرٍ ﴾ وقف حسن إن نصب ﴿ يَوْمَ ﴾ بقوله : ﴿ ذُوقُوا۟ ﴾ على التقديم والتأخير أي : يقال لهم : ذوقوا مس سقر يوم يسحبون ، وليس ﴿ يَوْمَ ﴾ ظرفًا لضلالتهم فإن

(١) انظر منار الهدى (ص٣٢٨) . (٢) انظر منار الهدى (ص٣٢٩) .

(٣) انظر منار الهدى (ص٣٣٢) ويراجع الوقوف ورقة (١١٣) .

(٤) انظر منار الهدى (ص٣٤٠) ويراجع الوقوف ورقة (١١٧) .

(٥) انظر الوقوف ورقة (١٢٢) ويراجع نهاية القول المفيد (ص١٦٦) .

(٦) انظر منار الهدى (ص٣٧١) .

جعل ظرفًا متعلقًا بما قبله ومتصلاً به لم يوقف على قوله : ﴿ سُعُرٍ ﴾ (١) .

٢٧ - قوله تعالى : ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الرحمن: ٤٣] . فالوقف على قوله : ﴿ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ وقف حسن ؛ إذ لو وصل لصار قوله : ﴿ يَطُوفُونَ ﴾ حالاً للمجرمين أي : يكذبون طائفين بين النار والحميم ، وليس كذلك (٢) ؛ بل المعنى : هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها ها هي حاضرة تشاهدونها عيانًا ، يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتصغيرًا وتحقيرًا (٣) .

٢٨ - قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ [التحريم: ١١] . فالوقف على ﴿ فِرْعَوْنَ ﴾ وقف حسن ؛ لأن ﴿ إِذْ ﴾ ليس بظرف لضرب المثل بل التقدير : واذكر إذ (٤) .

وقال الأشموني : (﴿ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ ليس بوقف ؛ لتعلق ﴿ إِذْ ﴾ بما قبلها) (٥) .

٢٩ - قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ [الملك: ١٩] . فالوقف على ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ مختلف فيه بين علماء الوقوف ؛ فالبعض يرى : أن الوقف على ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ تام (٦) ، بينما يرى البعض أنه مطلق (٧) ، وهو عند ابن الأنباري : وقف حسن(٨) ، وقد ورد في مصحف طبعة باكستان : أنه لازم اختلافي (٩) ، وفي طبعة العراق : وقف مطلق (١٠) ، وباقي الطبعات : أنه وقف جائز .

والذي أميل إليه : أن الوقف على قوله : ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ وقف جائز جوازًا مستوي الطرفين (١١) ، وذلك أن جملة ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ في إعرابها وجهان :

وجه يجوز وصل ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ بقوله : ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ وهو كون جملة ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ في محل نصب على الحال (١٢) من فاعل ﴿ يَقْبِضْنَ ﴾ ،

---

(١) انظر منار الهدى (ص٣٧٧) .
(٢) يراجع الوقوف ورقة (١٣٣) .
(٣) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٤ ص٢٧٥) .
(٤) انظر الوقوف ورقة (١١٧) .
(٥) انظر منار الهدى (ص٣٩٨) .
(٦) يراجع الوقف والائتناف (ص٧٣٥) والاقتداء ورقة (٢٨٨) .
(٧) انظر الوقوف ورقة (١٤٠) .
(٨) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٩٤٢) .
(٩) انظر مصحف طبعة باكستان سورة الملك آية (١٩) (ص٩٠٣) .
(١٠) انظر مصحف طبعة العراق سورة الملك آية (١٩) (ص٦١١) .
(١١) الجائز : هو ما يجوز فيه الوصل والفصل لتجاذب الموجبين من الطرفين . انظر الوقوف ورقة (٥) ، ويراجع الإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٦) .
(١٢) يراجع فتح القدير (ج٥ ص٢٦٣) بتصرف واختصار .

فبهذا الوجه من الإعراب يجوز الوصل .

ووجه آخر يجوز الوقف على قوله : ﴿ يَقْبِضْنَ ﴾ وهو كون جملة ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ جملة مستأنفة لبيان كمال قدرة الله ﷻ ، وبهذا الوجه يجوز الوقف .

والمعنى : ما يمسكهن في الهواء عند الطيران إلا الرحمن القادر على كل شيء [١] .

٣٠ - قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ ﴾ [القلم: ٤٨] . فالوقف على قوله : ﴿ ٱلْحُوتِ ﴾ وقف حسن ؛ لأن العامل في ﴿ إِذْ ﴾ المحذوف المضاف ، أي : كحال أو قصة صاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم [٢] .

٣١ - قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ [النازعات: ١٥] . فالوقف على ﴿ مُوسَىٰٓ ﴾ وقف حسن ؛ لأنه لو وصل بما بعده لصار ﴿ إِذْ ﴾ ظرفًا لإتيان الحديث ، وهو محال ؛ بل هو مفعول بفعل محذوف تقديره : اذكر إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى [٣] .

٣٢ - قوله تعالى : ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٢] . فالوقف على ﴿ جَارِيَةٌ ﴾ وقف حسن ؛ لأنه لو وصلت صار ما بعدها صفة لها على أن في العين الجارية سررًا مرفوعة وهو محال [٤] ، ويرى البعض : أن الوقف على ﴿ جَارِيَةٌ ﴾ وقف كافٍ [٥] .

وقال نافع : ليس في هذه السورة تمام - أي : وقف تام - [٦] .

٢ - ما انفردت بلزومه طبعة الأزهر الشريف [٧]

فكما انفردت طبعة باكستان والعراق والسعودية بوضع علامة الوقف اللازم (مـ) على مواضع خاصة نقلوها عن كتاب الوقوف للسجاوندي وكتاب علل الوقوف له أيضًا ؛ فقد انفرد مصحف طبعة الأزهر : بوضع علامة (مـ) على خمسة وثلاثين موضعًا ، بعد المتفق عليه والمختلف فيه بين طبعات المصاحف .

---

(١) يراجع المرجع السابق (ج٥ ص٢٦٣) . (٢) انظر منار الهدى (ص٤٠٢) .

(٣) انظر منار الهدى (ص٤١٧) ويراجع الوقوف ورقة (١٤٧) .

(٤) انظر الوقوف ورقة (١٥٢) . (٥) انظر المكتفى (ص٦١٧) .

(٦) انظر القطع والائتناف (ص٧٧٤) .

(٧) ووافقت طبعة دار الغد العربي - المسماة بمصحف الفتح - طبعة الأزهر في بعض المواضع ، بل لقد انفردت بلزوم الوقف على كلمة ﴿ يَأْتُوكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ٤١] .

هذا وقد اختصرت اللجنة القائمة على تصحيح هذا المصحف الشريف علامات الوقوف من ست علامات وهي : (مـ ، لا ، ج ، صلے ، قلے ، ∴ ∴) [١] . إلى ثلاث علامات وهي : (مـ ، ج ، لا) ؛ وذلك تيسيرًا على عامة القراء ، واختصارًا لعدد علامات الوقف ، واحترازًا من إيجاد كلمة غريبة عن القرآن الكريم بين سطور المصحف الشريف [٢] .

وفيما يلي ذكر المواضع التي انفرد بها مصحف طبعة الأزهر الشريف على حسب ترتيب سورها في المصحف الشريف مع التعليل لبعضها [٣] :

ففي سورة البقرة ستة مواضع :

الأول : الوقف على كلمة ﴿ أَنفُسَهُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

الثاني : الوقف على كلمة ﴿ خَيْرٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٣] .

الثالث : الوقف على كلمة ﴿ وَلَدًا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [البقرة: ١١٦] .

وعلى ما يبدو أن علة اللزوم عندهم : لئلا يقع التنزيه على الولد ، بل إن قوله : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ جملة اعتراضية جاءت لإبطال دعوى الظالمين الذين زعموا لله الولد فهي تنزيه لله تعالى عن اتخاذ الولد [٤] .

---

(١) وتجدر الإشارة إلى بيان علامات الوقوف السالفة الذكر فـ « مـ » علامة الوقف اللازم – و « لا » علامة الوقف الممنوع – و « ج » علامة الوقف الجائز جوازًا مستوي الطرفين – و « صلے » علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى – و « قلے » علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى – و « ∴ ∴ » علامة تعانق الوقف بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر .

(٢) انظر التعريف بالمصحف الشريف طبعة الأزهر صفحة (ي) آخر المصحف الشريف .

(٣) ومما ينبغي أن أشير إليه أنني سأورد بعض الوقوف الواردة تحت اللازم في مصحف طبعة الأزهر في فصل الوقف التام أو غيره مما يتفق ونوع الوقف ، كما أنوه على أن بعض هذه الوقوف بينها وبين ما انفردت بلزومه طبعة العراق وباكستان أو ما اختلف فيه بين الطبعات تشابه ، وخاصة فيما قبل الجملة الشرطية محذوفة الجواب ؛ لذا فإنني سأكتفي بما ذكرته سابقًا وعلى القارئ أن يقيس عليها .

(٤) يراجع منار الهدى (ص٢٤٧) وتفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا (ج١ ص٣٥٩) ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي (ج١ ص٢٨٦) ط/ دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان .

وقد أورد الإمام السجاوندي : على كلمة ﴿ وَلَدًا ﴾ رمز « لا » الدال على الوقف الممنوع وعلل له بقوله : (وإن جاز الابتداء بقوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ ولكن يوصل بقولهم ردًا له وتعجيلًا للتنزيه) [١] .

ولكن الرأي الراجح في نظري والذي أميل إليه : أن الوقف على قوله : ﴿ وَلَدًا ﴾ وقف جائز ؛ وذلك حتى لا نوقع قارئ القرآن الكريم – وخاصة القارئ الذي ليس لديه قريحة عربية – في شك وحيرة ، فشتان ما بين اللازم والممنوع .

الرابع : على كلمة ﴿ لَكُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٤] .

الخامس : على كلمة ﴿ كَبِيرٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

وعلة ذلك عندهم : أن وصل كلمة ﴿ كَبِيرٌ ﴾ بما بعدها يوهم خلاف المراد وهو أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ... ﴾ إلخ معطوفًا على ﴿ كَبِيرٌ ﴾ ، وليس كذلك ؛ بل إن قوله : ﴿ وَصَدٌّ ﴾ مبتدأ ﴿ وَكُفْرٌ بِهِ ﴾ معطوف عليه ﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ ﴾ معطوف عليه أيضًا وقوله : ﴿ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ﴾ خبر عن المبتدأ وما عطف عليه .

وذلك أن المشركين لما عيروا المسلمين بأنهم قاتلوا في الشهر الحرام رد الله تعالى على المشركين بأن القتال في الشهر الحرام كبير ، ولكن ما ارتكبتموه من الصد عن سبيل الله والكفر به – سبحانه – وإخراج المسلمين من ديارهم ؛ أكبر عند الله من قتال المسلمين في الشهر الحرام . على أن قتال المسلمين في الشهر الحرام كان خطأ غير مقصود [٢] .

ولكنني أرى : أن للوقف على كلمة ﴿ كَبِيرٌ ﴾ وجهًا وهو أن قوله تعالى : ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ .. ﴾ من جملة مقول القول وهو قوله : ﴿ قُلْ ﴾ فيكون بين قوله ﴿ كَبِيرٌ ﴾ و ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ارتباط لفظي ومعنوي ؛ لذا ينبغي أن لا يوضع على كلمة ﴿ كَبِيرٌ ﴾ علامة الوقف اللازم .

---

(١) يراجع علل الوقوف للسجاوندي تحقيق الدكتور محمد بن عبد الله بن العيدي (ج١ ص٢٣١) الناشر مكتبة الرشد الرياض .

(٢) يراجع المكتفى (ص١٨٤) وعلل الوقوف (ج١ ص٢٩٥ ، ٢٩٦) والاقتداء ورقة (٤٩) وما بعدها ومعالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء للشيخ محمود خليل الحصري (ص٤٨) وما بعدها ط/ الشمرلي .

ويرى الفراء [١] : أن قوله : ﴿ وَصَدٌّ ﴾ عطف على ﴿ كَبِيرٌ ﴾ ، والمعنى : أي : لا قتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله وبنعمة المسجد الحرام أو صد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام [٢] .

ولكن رده ابن عطية [٣] قائلًا : وذلك خطأ ؛ لأنه يوجب أن يكون القتال في الشهر الحرام كفرًا ؛ ولأنه يوجب أيضًا أن يكون إخراج أهل المسجد الحرام منه أكبر عند الله من الكفر [٤] .

السادس : الوقف على كلمة ﴿ لَّكُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

وفي سورة آل عمران موضعان :

الأول : الوقف على لفظ الجلالة ﴿ اللَّهُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. ﴾ [آل عمران : ٢٩] .

الثاني : الوقف على كلمة ﴿ الْآيَاتِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٨] .

وفي سورة النساء موضع واحد :

الوقف على كلمة ﴿ النِّصْفُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ .. ﴾ [النساء : ١١] .

ولكن أميل إلى : أن الوقف هنا كاف لانتهاء حكم الأولاد ثم ابتدأ يبين حكم الأبوين في الميراث [٥] .

وفي سورة المائدة موضعان :

الأول : الوقف على كلمة ﴿ لَّهُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

---

(١) الفراء : هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي المعروف بالفراء الديلمي الكوفي مولى بني أسد وقيل : مولى بني منقر . توفي سنة (٢٠٧هـ) وقيل : (٢٠٩هـ) . وفيات الأعيان (ج٦ ص١٧٦) وما بعدها .

(٢) يراجع معاني القرآن للفراء (ج١ ص١٤١) والقطع (ص١٨٥) .

(٣) ابن عطية : هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي الحافظ القاضي ، توفي سنة (٥٤٦هـ) . الديباج المذهب في أعيان المذهب (ص١٧٤) وبغية الوعاة في طبقات النحاة للسيوطي (ص٢٩٥) .

(٤) يراجع علل الوقوف (ج١ ص٢٩٥) وما بعدها والمحرر الوجيز (ج٢ ص١٦١) والبحر المحيط (ج٢ ص١٤٩) .

(٥) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٤١٥) ومنار الهدى (ص٩٧) .

ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ .. ﴾ [المائدة : ٥] .

ولكني أرى : أن الوقف على ﴿ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ ليس بلازم ؛ وذلك لأن قوله : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ يحتمل وجهين من الإعراب :

أحدهما : أن يكون قوله : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ مبتدأ خبره محذوف تقديره : والمحصنات من المؤمنات حل لكم أيضًا . وهذا الوجه يجوز الوقف .

ثانيهما : يجوز أن يكون معطوفًا على ﴿ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ أو معطوفًا على ﴿ وَطَعَامُ ﴾ وهذا يجوّز وصل ﴿ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ بقوله ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ (١) .

وأورده الإمام السجاوندي : تحت الوقف المجوز لوجه (٢) .

الثاني : الوقف على كلمة ﴿ مَغْلُولَةٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ..﴾ [المائدة : ٦٤] .

وفي سورة الأعراف موضع واحد :

الوقف على ﴿ يَتَفَكَّرُوا۟ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ .. ﴾ [الأعراف : ١٨٤] .

وفي سورة التوبة ثلاثة مواضع :

الأول : الوقف على كلمة ﴿ قُلُوبِهِمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٥] .

الثاني : الوقف على كلمة ﴿ لَّكُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٤١] .

الثالث : الوقف على كلمة ﴿ حَرًّا ﴾ في قوله تعالى ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة : ٨١] .

وفي سورة يونس موضع واحد :

الوقف على كلمة ﴿ وَلَدًا ﴾ في قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ﴾ [يونس : ٦٨] .

وفي سورة هود موضع واحد :

الوقف على كلمة ﴿ خَلَقَهُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٤٤٦) والمقصد لتلخيص ما في المرشد (ص١١٥) والدر المصون (ج٤ ص٢٠٥) .

(٢) يراجع كتاب الوقف ورقة (٣٨) وعلل الوقوف (ج٢ ص٤٤٦) .

خَلَقَهُمْ ...﴾ [هود: ١١٩] .

ولكن الرأي الراجح : أن الوقف على ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ كاف ، وذلك إن جعل بمعنى : وللاختلاف والسعادة خلقهم . وقيل : للرحمة ؛ لأنها أقرب مذكور .

والمعنى : إلا من رحم ربك ولرحمته سبحانه خلق الناس ، وصح تذكير اسم الإشارة مع عودته إلى الرحمة ؛ لكون تأنيثها غير حقيقي .

ومنهم من جعل الإشارة إلى مجموع الاختلاف والرحمة ؛ لأنه لا مانع من الإشارة بها إلى شيئين كما في قوله تعالى : ﴿ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي : بين الفارض والبكر [البقرة: ٦٨] .

وإن قدرت بمعنى : « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ولذلك خلقهم » على التقديم والتأخير كان الوقف على ﴿ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ .. إلى ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

وفي سورة الرعد موضع واحد :

الوقف على ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الرعد: ١٨] .

وفي سورة ابراهيم موضع واحد :

الوقف على ﴿ مِنِّي ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾ [إبراهيم: ٣٦] .

وفي سورة النحل موضع واحد :

الوقف على كلمة ﴿ لَّكُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٦٥] .

وفي سورة مريم موضع واحد :

الوقف على كلمة ﴿ وَلَدٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ .. ﴾ [مريم: ٣٥] .

وفي سورة الأنبياء موضع واحد :

الوقف على كلمة ﴿ وَلَدًا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] .

---

(١) يراجع المكتفى (ص٣٢١) وما بعدها ومنار الهدى (ص١٩١) والاقتداء ورقة (١٤٦) والجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص١١٥) والتفسير الكبير (ج١٦ ص٦٤٨) .

وفي سورة المؤمنون ثلاثة مواضع :

الأول : الوقف على كلمة ﴿ فِيهَآ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٤] .

الثاني : الوقف على كلمة ﴿ عَلَيْهِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٨] .

الثالث : الوقف على كلمة ﴿ قَلِيلًا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٤] .

وفي سورة الشعراء ثلاثة مواضع :

الأول : الوقف على كلمة ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٤] .

الثاني : الوقف على كلمة ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٨] .

الثالث : الوقف على قوله ﴿ رَبِّى ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [الشعراء : ١١٣] .

وفي سورة القصص موضعان :

الأول : الوقف على كلمة ﴿ ٱلْعَذَابَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾ [القصص : ٦٤] .

الثاني : الوقف على كلمة ﴿ وَيَخْتَارُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ .. ﴾ [القصص : ٦٨] .

وفي سورة العنكبوت موضع واحد :

الوقف على كلمة ﴿ لَّكُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٦] .

وفي سورة الأحزاب موضع واحد :

الوقف على قوله ﴿ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

وفي سورة الحشر موضع واحد :

الوقف على كلمة ﴿ ٱلدُّنْيَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ [الحشر : ٣] .

وفي سورة الصف موضع واحد :

الوقف على كلمة ﴿ لَكُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف : ١١] .

وفي سورة الجمعة موضع واحد :

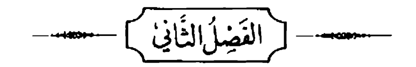
الوقف على كلمة ﴿ لَكُمْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعة : ٩] .

واتفقت طبعة باكستان والعراق والسعودية والأزهر على : لزوم الوقف على كلمة ﴿ ٱلرِّبَوٰا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا ... ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

* * *







الوقف التام وأثره على المعنى في القرآن الكريم

ويشتمل على ما يلي :

أولاً : تمهيد في أهمية الوقف التام .

ثانيًا : تعريف الوقف التام ، وحكمه ، وضوابطه .

ثالثًا : نماذج للوقف التام من القرآن الكريم ، وأثر ذلك على المعنى .



أولًا : تمهيد في أهمية الوقف التام

تجدر الإشارة إلى أن الوقف التام من الوقوف القرآنية التي ينبغي لقارئ القرآن الكريم العناية بمعرفتها لما له من صلة وثيقة بالمعنى من الناحيتين اللفظية والمعنوية ؛ وذلك لما لم يوجد رابط لفظي بين العبارة الموقوف عليها والعبارة التي بعدها ، وكان المعنى الخاص بكل عبارة كاملًا بنفسه ولا يحتاج إلى العبارة الأخرى ليكمل ويصير معنى مفيدًا وكانت العبارة الثانية بداية موضوع وسياق جديد .

هنا يظهر العلم بمواقع الجمل ، بل وتظهر صلة الوقف بالمعنى ؛ حيث يتم الكلام عند انتهاء جملة مستقلة أو قصة أو نحو ذلك مما هو مستقل بنفسه غير متعلق بما بعده لا لفظًا ولا معنى ، ولا يوفق للصواب في الوقف والوصل إلا من أوتي قسطًا موفورًا من البلاغة ، وطُبع على إدراك محاسنها ، ورزق حظًّا من المعرفة في ذوق القرآن الكريم [1] .

---

(١) يراجع قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم لأبي عاصم عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ (ص٨٤) بتصرف . الناشر : مكتبة الدار - المدينة المنورة ط/٥ سنة (١٤٠٤هـ) .

ثانيا : تعريف الوقف التام وحكمه وضوابطه

أ - **تعريفه** : الوقف : قد سبق تعريفه في المقدمة .

وأما التام : ففي اللغة : يقال : تم يتم تمًّا وتمامًا ، الشيء : كملت أجزاؤه فهو تام وتمام الشيء انتهاؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه [(١)] .

ووردت كلمة « تم » أو ما يدل على التمام في القرآن الكريم ثنتان وعشرون مرة منها :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ... ﴾ [البقرة: ١٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٠] ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ... ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١٩٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] [(٢)] .

وفي الاصطلاح : هو الذي يحسن القطع عليه والابتداء بما بعده ؛ لأنه لا يتعلق بشيء مما بعده منفصلًا عنه لفظًا ومعنى .

وبعبارة أخرى : هو الوقف على ما تم معناه ، ولم يتعلق بما بعده لا لفظًا ولا معنى [(٣)] .

---

(١) يراجع لسان العرب لابن منظور (ج١ ص٤٤٧) ومفردات غريب القرآن للأصبهاني (ص٧٥) ط/ مصطفى البابي الحلبي . والقاموس الجديد للطلاب (ص٢٢٢) .

(٢) ومنها قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ... ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٣، ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ... ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ [الأنعام ١١٥، ١٥٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ... ﴾ [الأعراف ١٣٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً... ﴾ [الأعراف ١٤٢] ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة ٤، ٣٢] وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ ... ﴾ [يوسف: ٦] ، وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨١] ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ... ﴾ [القصص: ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: ٨] ، وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨] .

(٣) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٥٠) والمكتفى (ص١٤٠) والتمهيد في علم التجويد (ص١٧٩) وجمال القراء وكمال الإقراء (ج٢ ص٥٦٣) ومنار الهدى (ص١٠) .

والمراد **بالتعلق اللفظي** : التعلق من جهه الإعراب ؛ كأن يكون معطوفًا أو صفة أو نحو ذلك .

وبالتعلق المعنوي : أن يتعلق المتأخر بالمتقدم من حيث المعنى لا الإعراب كالإخبار عن حال المؤمنين ، أو حال الكافرين ، أو تمام قصة ، أو نحو ذلك [(١)] .

ووجه تسميته تامًّا : لتمام الكلام به وانقطاع ما بعده عنه [(٢)] .

ب - **حكم الوقف التام** : وأما حكم الوقف التام : فإنه يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده [(٣)] .

ج - **ضوابط الوقف التام** : من الضوابط أو العلامات الدالة على الوقف التام ما يلي :

١ - الابتداء بعده بالاستفهام ملفوظًا به أو مقدرًا نحو قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ .. ﴾ [الحج: ٦٩، ٧٠] كما قد يكون الاستفهام بعده دالًا على أن الوقف كافٍ نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ... ﴾ [النساء: ٨٨] ؛ إذ إن الوقف على ﴿ كَسَبُوٓا۟ ﴾ وقف كافٍ [(٤)] .

٢ - الابتداء بعده بـ « ياء » النداء ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ... ﴾ [البقرة: ٢٠، ٢١] .

٣ - الابتداء بعده بفعل الأمر ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ... ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢] .

٤ - الابتداء بعده بالشرط ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ... ﴾ [النساء: ١٢٣] ، ونحو قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ... ﴾ [الزلزلة: ٦، ٧] .

٥ - الفصل بين آية عذاب بآية رحمة ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

---

(١) انظر شرح متن الجزرية لابن الجزري (ص٣١) ط/ محمد علي صبيح وأولاده .

(٢) انظر شرح متن الجزرية (ص٣٠) ويراجع منار الهدى (ص١٠) .

(٣) يراجع المراجع السابقة والعميد (ص١٤٨) .

(٤) يراجع المكتفى (ص٢٢٣) .

ٱلصَّٰلِحَٰتِ .. ﴾ [البقرة: ٢٤، ٢٥] .

٦ - العدول عن الإخبار إلى الحكاية ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا .. ﴾ [الأعراف: ١٥٩، ١٦٠] .

٧ - انتهاء الاستثناء ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ..﴾ [البقرة: ١٦٠، ١٦١] .

٨ - انتهاء القول ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ [الشعراء: ٧٠، ٧١] .

٩ - الابتداء بعده بالنفي أو النهي (١) ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ۝ ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ... ﴾ [البقرة: ١٧٦، ١٧٧] ، ونحو قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ۝ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ .. ﴾ [آل عمران: ١٩٥، ١٩٦] .

كما قد يكون كافيًا أو حسنًا قبل النفي .

١٠ - الفصل بين الصفتين المتضادتين ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ... ﴾ [الجاثية: ١١] .

١١ - انقطاع الكلام على موضوع معين للانتقال إلى غيره ؛ كالوقف على قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ؛ لأنه نهاية الكلام على أحكام الطلاق ، وما بعده بدء في ذكر أحكام أخرى (٢) .

---

(١) يراجع الإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٥) ومنار الهدى (ص١١) وحق التلاوة حسني شيخ عثمان (ص٥٣ ، ٥٤) مكتبة المنار ، الأردن - الزرقا .

(٢) يراجع الإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٥) ومنار الهدى (ص١١) وحق التلاوة (ص٥٣ ، ٥٤) والعميد (ص١٤٧) .

ثالثًا : نماذج للوقف التام من القرآن الكريم وأثر ذلك على المعنى

قبل أن أذكر النماذج المبينة للوقف التام ، والموضحة لارتباطه بالمعنى في القرآن الكريم أشير إلى صور الوقف التام كما أوردها العلماء :

فبالتتبع والاستقراء لآي القرآن الكريم وبيان مواطن الفصل والوصل فيها لوحظ أن الوقف التام أكثر ما يكون في رؤوس الآي ؛ لأنها مقاطع وفواصل ، وكذلك يكون التمام عند انقضاء القصص أيضًا .

فمثلًا الوقف على لفظ ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] وقف تام ؛ لأنه نهاية الكلام عن المؤمنين وما بعده منفصل عنه لفظًا ومعنى ، بل هو كلام جديد عن موضوع آخر ؛ وهو موقف الكفار من الرسول ﷺ ورسالته ، ولا يوجد أي رابط لفظي أو معنوي بين العبارتين أو القصتين بدليل ابتداء العبارة الثانية بـ ﴿ إِنَّ ﴾ .

ثم تتم قصة الكافرين وموقفهم من الدعوة ، والختم على قلوبهم وسمعهم ، وإلقاء الغشاوة على أبصارهم [1] عند قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٧] .

وبعد قصة الكافرين شرع الحق ﷻ في بيان صفات المنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، وأبطنوا خلاف ما أظهروا ، وهؤلاء تتم قصتهم عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٠] .

بعد ذلك ساق الله تعالى كلامًا جديدًا بدايته : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ .. ﴾ [البقرة : ٢١] .

قال مجاهد : (في أول سورة البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين ، واثنتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين ، كلها متصل بعضها ببعض ، و﴿ قَدِيرٌ ﴾ آخرها وأتم ما فيها ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ و ﴿ عَظِيمٌ ﴾ و ﴿ قَدِيرٌ ﴾ [2] .

فإذا ما انتقلنا إلى سورة آل عمران مثلًا :

نجد الوقف على ﴿ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٥٠١ ، ٥٠٢) والمكتفى (ص١٦١) والقطع والائتناف (ص١١٥) ومنار الهدى (ص٢٣) والكشاف (ج١ ص٥٤) والجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٩٢) .

(٢) انظر منار الهدى (ص٢٣) ويراجع المكتفى (ص١٦١) والكشاف (ج١ ص٥٤) والجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٩٢) .

﴿ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٧] وقفًا تامًّا .

ووجه تمامه كما يرى كثير من العلماء : لاختلاف نزول الآيتين في غزوتين ؛ لأن من أول القصة أي : من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ .. ﴾ [آل عمران: ١٢٣] إلى قوله : ﴿ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴾ نزل في غزوة بدر (١) .

ومن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] نزل في غزوة أحد ، وبينهما مدة ، والدليل على ذلك ما روي عن أنس ﷺ قال : لما كان يوم أحد كسرت رباعية رسول الله ﷺ وشج (٢) ، فجعل الدم يسيل من وجه رسول الله ﷺ وجعل يمسح الدم عن وجهه وهو يقول : « **كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله تعالى** » قال : فأنزل الله ﷻ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (٣) ، (٤) .

فتنصب ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ على هذا التفسير بتقديرين :

أحدهما : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم » (٥) .

والآخر : « حتى يتوب عليهم » (٦) .

كما قال الشاعر :

فقلت له لا تبك عينك إنما ... نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا

بتقدير : حتى نموت (٧) .

---

(١) يراجع المكتفى (ص٢٠٧) ومنار الهدى (ص٨٧) .

(٢) الشجة : الجرح يكون في الوجه والرأس فلا يكون في غيرهما من الجسم . لسان العرب (ج٤ ص٢١٩٧) .

(٣) حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الجهاد - باب غزوة أحد ، الحديث رقم (١٧٩١) وأخرجه الترمذي في الجامع الصحيح - كتاب تفسير القرآن - باب سورة آل عمران ، الحديث (رقم ٣٠٠٣ ، ٣٠٠٤) وأخرجه ابن ماجه في السنن - كتاب الفتن ، الحديث رقم (٤٠٢٧) .

(٤) وعن الحسن : أن رسول الله ﷺ أدمي وجهه يوم أحد فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : « **كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم** » فأنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ . أخرجه الطبري في التفسير (ج٤ ص٥٧) والواقدي في المغازي (ج١ ص٣٢٠) وسعيد بن منصور في السنن (ج٢ ص٣٤٠) .

(٥) انظر إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٥٨٤) والمكتفى (ص٢٠٩) والقطع والائتناف (ص٢٣٣) .

(٦) يراجع جامع البيان (ج٤ ص٥٦) والجامع لأحكام القرآن (ج٢ ص١٩٩) وتجدر الإشارة إلى أن البعض يرى : أن الوقف لم يتم على ﴿ خَآئِبِينَ ﴾ وتم على ﴿ ظَٰلِمُونَ ﴾ وعلى هذا جعل قوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ اعتراضًا بين المتعاطفين ويكون في الكلام تقديم والمعنى : ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليس لك من الأمر شيء . يراجع المكتفى (ص٢٠٩) والمقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٨٧) .

(٧) البيت لامرئ القيس من البحر الطويل . انظر ديوان امرئ القيس (ص٩٥) ومعاني القرآن للفراء (ج٢ ص٧٠) .

فإذا ما انتقلنا إلى سورة الشعراء مثلًا :

نجد أن هذه السورة المباركة تحكي بين ثناياها أكثر من قصة من القصص القرآني وتنتهي كل قصة عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٩] .

من هنا كان الوقف على ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ في مواضعها الثمانية (١) وقفًا تامًا (٢) ؛ لانتهاء الكلام عندها عن قصة ، والبدء في قصة أخرى (٣) .

وإذا ما انتقلنا إلى سورة لقمان مثلًا :

فالوقف على ﴿ مُّبِينٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١] . وقف تام ورأس آية . ووجه تمامه : أن ما بعد كلمة ﴿ مُّبِينٍ ﴾ لا تعلق له بها ، ولا بما قبلها ، من حيث اللفظ ، ولا من حيث المعنى .

أما عدم تعلقه لفظًا : فلأن الواو في الآية بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ .. ﴾ [لقمان: ١٢] . للاستئناف لا للعطف ولا الحال ، فالجملة بعدها مستأنفة لا ارتباط لها بما قبلها لفظًا (٤) .

وأما عدم تعلقه معنى : فلأن الآيات السابقة تهدف إلى لفت أنظار العباد ، وتوجيه قلوبهم إلى ما نصبه الله تبارك وتعالى في كونه من آيات كمال قدرته ، ودلائل باهر حكمته من : خلق السماوات بغير عمد يرونها ، وإلقاء الجبال الثوابت في الأرض ؛ حتى لا تضطرب بمن عليها ، ومن بث جميع الدواب فيها ، ومن إنزال الماء من السماء إلى الأرض ؛ لإنبات النبات الذي يسر النواظر ويشرح الخواطر ؛ ولذلك تحدى الله المشركين بقوله تعالى : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ... ﴾ [لقمان: ١١] .

ثم تختم الآيات بالحكم على الظالمين بأنهم في بعد عن الحق والصواب .

بعد ذلك تنتقل الآيات إلى قصة « لقمان » وسرد الوصايا والنصائح التي عرضها على « ابنه » وأمره بتنفيذها .

فمن الواضح أنه لا ارتباط في المعنى الخاص بين الآيات المتحدثة عن وصايا لقمان والآيات التي قبلها .

فتأكد بهذا انتفاء التعلقين : اللفظي والمعنوي بين قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ

---

(١) والمواضع الثمانية هي آية رقم (٩) و(٦٨) و(١٠٤) و(١٢٢) و(١٤٠) و(١٥٩) و(١٧٥) و(١٩١) .

(٢) انظر المنار (ص٣٠٣) ، وقال عنه أبو عمرو الداني : أتم . انظر المكتفى (ص٤٥٢) .

(٣) انظر العميد في علم التجويد (ص١٤٧) .

(٤) يراجع روح المعاني (ج٢١ ص٨٢) .

ٱلْحِكْمَةَ... ﴾ وبين ما قبلها . فحينئذ يكون الوقف على ﴿ مُّبِينٍ ﴾ تامًّا كما تقرر ذلك [(١)] .

ومن أمثلة الوقف التام أيضًا :

الوقف على كلمة ﴿ حِينٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الصافات : ١٤٨] فالوقف على هذه الكلمة وهي رأس آية ؛ تام لعدم تعلق الآية بعدها بها ولا بما قبلها لفظًا أو معنى .

أما عدم التعلق اللفظي : فلأن الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ [الصافات : ١٤٩] للفصيحة أفصحت عن شرط مقدر ، والتقدير : إذ علمت ما سبق من قصص المرسلين فاستخبر كفار مكة تقريعًا لهم على هذه القسمة الجائرة التي قسموها بينهم وبين خالقهم .

وأما عدم التعلق المعنوي : فلأن ما سبق من الآيات كان في ذكر طرف من قصص السابقين : نوح ، إبراهيم ، موسى ، هارون ، إلياس ، لوط ، يونس ، أما الآيات اللاحقة ففي تقريع القرشيين المشركين على وصفهم الملائكة بالأنوثة ، ونسبتهم إلى الله ما قامت الأدلة العقلية والبراهين النقلية على تنزيهه ﷻ عنه .

وحيث انتفى التعلقان اللفظي والمعنوي كان الوقف على قوله : ﴿ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ تامًّا [(٢)] .

ولكن أشير إلى أن هناك من القصص القرآني ما يكون بين آياته وقوفًا تامة ويظهر ذلك جليًّا في سورة يوسف عليه السلام إذ إن السورة تحكي القصة في مشاهد متعددة تتعلق بيوسف عليه السلام .

فمشهد رؤياه المنام تتم عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف : ٦] .

وقصة تدبير إخوته له وتبعيده عن أبيه تتم عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴾ [يوسف : ١٤] .

وقصة ما فعلوه به عليه السلام تتم عند قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف : ١٥] .

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٣ ص٤٤٢ ، ٤٤٣) بتصرف واختصار والتفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازي (ج٢١ ص٣٨) مطابع دار الكتاب العربي بمصر وفي رحاب القرآن للدكتور محمد سالم محيسن (ص٥٧ ، ٥٨) الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ومعالم الاهتداء في معرفة الوقف والابتداء للشيخ محمود الحصري (ص١٧ ، ١٨) مطابع الشمرلي - القاهرة .

(٢) انظر معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء (ص١٨ ، ١٩) .

وقصة مجيء إخوته إلى أبيهم يعقوب ﷺ ودموع الخداع على خدودهم وحكم أبيهم عليم بالتكذيب تتم عند قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] وهكذا إلى آخر ما يتعلق بيوسف ﷺ .

وتعد جميع المشاهد المتعلقة بيوسف ﷺ بتلك السورة قصة واحدة وحدة اعتبارية لا حقيقية .

وبالجملة : فلا يقف على مقاطع القصص في القرآن إلا الأفراد من العلماء (١) .

كما أن الوقف التام كثير ما يوجد عند رؤوس الآي وعند انقضاء القصص كذلك يكون الوقف التام في ثنايا الآية :

وهذا النوع خاصة هو الذي ينبغي الاهتمام به والعناية بدراسته ؛ إذ إن الوقف عند انقضاء القصة أو عند رأس الآية أمر قد لا يغيب عن كثير من قراء القرآن الكريم .

أما الوقف على ما تم معناه وانقطع عما بعده لفظًا ومعنى في ثنايا الآية ؛ فهذا ليس بالسهل الميسور ؛ بل إنه يحتاج إلى إعمال فكر وإمعان نظر في معاني القرآن الكريم اللغوية والبلاغية والتفسيرية .

وسأذكر بمشيئة الله تعالى وتوفيقه فيما يلي بعض الآيات التي يكون الوقف التام في ثناياها (٢) .

---

(١) يراجع نهاية القول المفيد في علم التجويد (ص١٥٧ ، ١٥٨) بتصرف .

(٢) علمًا بأن بعض العلماء ذكروا أن الوقف التام قد يوجد بعد انقضاء الفاصلة بكلمة أو بكلمتين ، ومثلوا لذلك بقوله تعالى : ﴿ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝ كَذَٰلِكَ ﴾ [الكهف : ٩٠، ٩١] فآخر الفاصلة ﴿ سِتْرًا ﴾ والتمام ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ وبقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ [الصافات : ١٣٧، ١٣٨] فآخر الفاصلة ﴿ مُّصْبِحِينَ ﴾ والتمام ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ وبقوله : ﴿ وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝ وَزُخْرُفًا ﴾ [الزخرف : ٣٤، ٣٥] فآخر الفاصلة ﴿ يَتَّكِـُٔونَ ﴾ والتمام ﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ . يراجع المكتفى (ص١٤١) والتمهيد في علم التجويد (ص١٨١) ونظام الأداء في الوقف والابتداء لابن الطحان تحقيق الدكتور علي حسين البواب (ص٣٢ ، ٣٣) مكتبة المعارف - الرياض ، ولكن بالتأمل يتضح أن هذه الوقوف ليست من باب التمام والدليل على ذلك : إذا ما أمعنا النظر في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ نجد أن قوله : ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ معطوف على معنى أي : بالصبح والليل يعني فيهما ، وجملة التعلق المعنوي قوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وهو الوقف التام وما قبله وهو ﴿ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ كافيًا . المنح الفكرية (ص٥٨) ولكن إن كان ولابد من ضرب مثال موافقة لقولهم فهو قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ ؛ وذلك لأن ما بعده سياق جديد يتعلق بالتعامل مع اليتامى ، وكذلك قالوا : وقد يكون التمام قبل انقضاء الفاصلة ومثلوا لذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٤] قائلين : إن الوقف على ﴿ أَذِلَّةً ﴾ وقف تام باعتبار أن كلام بلقيس يتم عنده ، وما بعده كلام آخر . ولكن بالتأمل يتبين أنه وقف كاف ؛ لوجود ترابط بين العبارتين في سياق الموضوع . يراجع المنح الفكرية (ص٥٨) وقواعد التجويد (ص٨٥) .

النموذج الأول :

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ...﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

فالوقف على كلمة ﴿ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ ﴾ وقف تام ، بينما يرى البعض : أن الوقف كافٍ (١) ، ولعل من قال بكفايته رأى أن قوله : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾ من تتمة قول الذين يأكلون الربا ؛ فتكون في محل نصب بالقول عطفًا على المقول ، وعلى هذا تكون جملة ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾ حالًا بإضمار « قد » وهو بعيد جدًّا (٢) .

ولكن الذي أرجحه وأميل إليه : أن الوقف على قوله : ﴿ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ ﴾ وقف تام ؛ لأن الفصل بين الجملتين أبين ، ولأن جملة ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾ منقطعة الصلة عما قبلها لفظًا ومعنى ، وهذا هو الظاهر عند أكثر المفسرين (٣) .

المعنى العام : فى هذه الآية الكريمة يصور الله تعالى حال الذين يأكلون الربا ، ويتعاملون به ، ويمتصون دماء الناس ؛ فيقول سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ .. ﴾ .

وليس المراد بقوله ﴿ يَأْكُلُونَ ﴾ اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله بل هو وعيد عام لكل من يعامل بالربا - فيأخذه ويعطيه - (٤) .

وإنما خص الله تعالى الأكل ؛ لزيادة التشنيع على فاعله ، ولكونه هو الغرض الأهم ؛ فإن آخذ الربا إنما أخذه للأكل . فهؤلاء المرابون حالهم أنهم ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ (٥)

---

(١) انظر المكتفى (ص١٩٢) ويراجع الاقتداء ورقة (٦٠) .

(٢) انظر الدر المصون (ج١ ص٦٣٣) ويراجع روح المعاني (ج٣ ص٥٠) وعلل الوقوف للسجاوندي تحقيق د/ محمد بن عبد الله بن محمد العيدي (ج١ ص٣٤٦) الناشر مكتبة الرشد - الرياض .

(٣) علمًا بأن الإمام السجاوندي نص على أنه وقف لازم حيث قال : ﴿ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ ﴾ لأنه لو وصل صار ما بعده مفعول ﴿ قَالُوٓاْ ﴾ وقد تم قولهم على ﴿ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ وإن أمكن جعل ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ﴾ حالًا بإضمار « قد » ولكن الوقف للفصل أبين . انظر الوقوف ورقة (٢٢٣) وعلل الوقوف (ج١ ص٣٤٦) .

(٤) يراجع التفسير الكبير (ج٦ ص٦٤٤) وفتح القدير (ج١ ص٢٩٥) .

(٥) يتخبطه : من التخبط بمعنى الخبط وهو الضرب على غير استواء واتساق كخبط البعير الأرض بأخفافه ، ويقال : للذي يتصرف في أمر ولا يهتدى فيه : خبط في عشواء وتورط في عمياء . وتخبطه الشيطان إذا مسه بخبل أو جنون . يراجع مفردات غريب القرآن (ص١٤٢) .

ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ (١) .

وهذا المقطع من الآية الكريمة يصور المرابين بتلك الصورة المرعبة المفزعة التي تحمل كل عاقل على الابتعاد عن كل معاملة يشم منها رائحة الربا .

غير أن المفسرين قد اختلفوا في ذلك القيام المفزع :

فيرى جمهور المفسرين : أن هذا القيام المفزع للمرابين يكون يوم القيامة حين يبعثون من قبورهم ؛ فإنهم يقومون من قبورهم كقيام المتخبط المصروع في الدنيا حال صرعه ، لا لاختلاف عقولهم ؛ بل لأن الله تعالى أربى في بطونهم ما أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون .

ولعل الله تعالى جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها يوم الجمع الأعظم ، ثم العذاب من وراء ذلك (٢) (٣) .

بينما يرى ابن عطية (٤) أن (المراد بالقيام : تشبيه المرابي في حرصه وتحركه في اكتسابه في الدنيا بالمتخبط المصروع ، كما يقال لمن يسرع بحركات مختلفة : قد جن) (٥) .

والذي أميل إليه : أن كلا القولين محتمل ، وتكون الآية الكريمة قد صورت حال المرابين في الدنيا والآخرة فهم في الدنيا في قلق مستمر ، وانزعاج دائم ، واضطراب

---

(١) المس : الخبل والجنون . يقال : مس الرجل هو ممسوس إذا أصابه الجنون ، وأصل المس اللمس باليد ، ثم استعير للجنون ؛ لأن الشيطان يمس الإنسان فيجنه . يراجع المصدر السابق (ص٤٦٧) .

(٢) يراجع إرشاد العقل السليم (ج١ ص٢٠١ ، ٢٠٢) وتفسير القرآن العظيم (ج١ ص٣٢٦) وروح المعاني (ج٣ ص٤٨ ، ٤٩) وفتح القدير (ج١ ص٢٩٥) والتفسير الوسيط (ج١ ص٨٣٠) .

(٣) وقد استدل أصحاب هذا الرأي لما ذهبوا إليه بما يلي :

١ - ما أخرجه الطبراني عن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إياك والذنوب التي لا تغفر : الغلول ؛ فمن غل شيئًا أتي به يوم القيامة ، وآكل الربا ؛ فمن أكل الربا بعث يوم القيامة مجنونًا يتخبط » ثم قرأ الآية .

٢ - وأيضًا قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم . انظر فتح القدير (ج١ ص٢٩٥) .

٣ - وقال ابن عباس ﷺ : « آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونًا يختنق » رواه ابن أبي حاتم . انظر تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٣٢٦) .

وممن نسب إليه القول بذلك ابن عباس وابن مسعود وابن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي وابن زيد واختاره الزجاج . انظر الجامع لأحكام القرآن الكريم (ج٣ ص٣٥٤) ويراجع روح المعاني (ج٣ ص٤٩) .

(٤) ابن عطية : هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم ، وقيل : عبد الرحمن بن عطية الغرناطي . يراجع بغية الوعاة في طبقات النحاة للسيوطي (ص٢٩٥) ط/ السعادة والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون (ص١٧٤) ط/ السعادة .

(٥) انظر المحرر الوجيز (ج٢ ص) ويراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٣ص٣٥٤) .

ظاهر بسبب جشعهم وشرههم في جمع المال .

وأما في الآخرة فقد توعدهم الله تعالى بالعقاب الشديد والعذاب الأليم [١] .

ثم بين الله تعالى زعمهم الباطل الذي سوغ لهم أكل الربا بقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ أي : ذلك العقاب بسبب أنهم جعلوا البيع والربا شيئًا واحدًا . أو تكون الإشارة راجعة إلى أكلهم الربا .

وإنما شبهوا البيع بالربا ؛ مبالغة بجعلهم الربا أصلًا والبيع فرعًا أي : إنما البيع بلا زيادة عند حلول الأجل كالبيع بزيادة عند حلوله .

وكان القياس في غير القرآن أن يقال : « إنما الربا مثل البيع » ؛ لكن الحق سبحانه أراد أن يوضح لنا تخبطهم فجاء على لسانهم ﴿ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [٢] .

وقولهم هذا الذي حكاه القرآن عنهم يكشف عن مدى ما يفعل السوء بأهله حين يستبد بهم ، ويفسد عليهم أمرهم ، حتى لتنقلب عندهم أوضاع الأمور ، وتختل موازينها في تفكيرهم ؛ فهم هنا يرون الربا الذي يتعاملون به أصلًا يقاس عليه البيع ، على حين أنهما من واديين مختلفين ، وإن يكن ثمة قياس ؛ فالبيع هو الأصل الذي تقاس عليه الصور المشابهة له [٣] .

وقد رد الله عليهم هذا القول وأبطل هذا الادعاء الذي ادعوه فقال تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ .

والمعنى : أنه إذا كان ثمة تقابل بين البيع والربا في ظاهر الأمر فإنهما في الحقيقة ضدان ، وهذه الجملة الكريمة إنكار لتسويتهم بينهما ؛ إذ الحل مع الحرمة ضدان ، فأنى يتماثلان؟! [٤] .

وهنا يظهر معنى الوقف ؛ إذ إن قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ جملة مستأنفة ابتدائية لا محل لها من الإعراب [٥] ، وبذلك تكون الجملة التي قبلها ليست متعلقة بها لفظًا ، وأيضًا أن الجملة الأولى من كلام المرابين ، والجملة الثانية ردٌّ من الله عليهم ؛ وبذلك يكون المعنى الأول غير المعنى الثاني .

(١) يراجع التفسير الكبير (ج٦ ص٦٥٠ ، ٦٥١) والتفسير الوسيط (ج١ ص٨٣١) .

(٢) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٣ ص٣٥٦) وإرشاد العقل السليم (ج١ ص٢٠٢) وروح المعاني (ج٣ ص٥٠) وفتح القدير (ج١ ص٢٩٥) .

(٣) يراجع التفسير القرآني للقرآن (ج٣ ص٣٥٥) .

(٤) يراجع الكشاف (ج١ ص٣٢١) وإرشاد العقل السليم (ج١ ص٢٠٢) والتفسير القرآني للقرآن (ج٣ ص٣٥٥ ، ٣٥٦) .

(٥) يراجع إرشاد العقل السليم (ج١ ص٢٠٢) وروح المعاني (ج٣ ص٥٠) وفتح القدير (ج١ ص٢٩٥) والجدول في إعراب القرآن (ج٣ ص٦٢) .

النموذج الثاني :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٩] .

فالوقف على لفظ الجلالة في قوله : ﴿ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ وقف تام [١] ؛ وذلك لأنه منفصل عما بعده لفظًا ومعنى ؛ إذ إن قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ جملة مستأنفة وليست معطوفة على جواب الشرط وهو ﴿ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ ؛ لأن علمه بما في السماوات والأرض غير متوقف على شرط ؛ فهو يعلم ما في السماوات والأرض على الإطلاق [٢] .

معنى الآية الكريمة : في هذه الآية يخبر اللّٰه تعالى عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر ، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية ؛ بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال ، والأزمان ، والأيام ، واللحظات ؛ فكل ما يضمره العبد ويخفيه ، أو يظهره ويبديه فهو معلوم للّٰه سبحانه لا يخفى عليه منه شيء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة [٣] .

وقدم سبحانه الإسرار على الإعلان في قوله : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ .. ﴾ ؛ إما لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن ؛ إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الإسرار غالبًا ؛ فتعلُّق علمه ﷻ بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية .

وإما للمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع الأشياء ، كأن علمه تعالى بما يسرون أقدم منه بما يعلنونه ، مع كونهما في الحقيقة على السوية [٤] .

وبقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٢٩] قد تم الكلام ، ثم قال اللّٰه تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ وهذه الجملة الكريمة مستأنفة من باب ذكر العام بعد الخاص ، جاءت على سبيل التأكيد والتقرير لما قبلها ؛ إذ إنه إذا كان لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض ، فكيف يخفى عليه

---

(١) انظر المكتفى (ص١٩٩) والاقتداء ورقة (٦٧) .

(٢) انظر منار الهدى (ص٧٥) ويراجع التبيان في إعراب القرآن (ج١ ص٢٥٢) وإرشاد العقل السليم (ج١ ص٢٧٧) .

(٣) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٣٥٦) وفتح القدير (ج١ ص٣٣٢) .

(٤) انظر روح المعاني (ج٣ ص٣٠١) ويراجع إرشاد العقل السليم (ج١ ص٩٣) .

ما هو أخص من ذلك ؟!! [١] .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٣] .

ثم ختمت الآية بما يدل على إثبات صفة القدرة بعد إثبات صفة العلم ، فقال سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي : أنه مع علمه الواسع المحيط ذو قدرة نافذة على كل شيء ، وهذا لون من ألوان التهديد والتحذير ، واستجاشة الخشية ، واتقاء التعرض للنقمة التي يساندها العلم والقدرة [٢] .

النموذج الثالث :

قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣] [٣] .

فالوقف على قوله تعالى : ﴿ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ وقف تام [٤] ، بينما يرى البعض : أنه وقف كافٍ ؛ على أن قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ خاص لأهل الكتاب [٥] .

ولكنني أرجح : أن الوقف على ﴿ الْكِتَابِ ﴾ وقف تام ؛ وذلك لأن ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ كلام مستأنف غير متصل بما قبله ؛ بل منقطع عنه وهو عام للمسلمين وأهل الكتاب [٦] ، وأكثر المفسرين يؤيدون ذلك الوجه

---

(١) يراجع التفسير الكبير (ج٧ ص١٦٩) وفتح القدير (ج١ ص٣٣٢) .

(٢) يراجع التفسير الكبير (ج٧ ص١٧٠) وفي ظلال القرآن (ج١ ص٣٨٦) والتفسير الوسيط (ج٢ ص١٠٢) .

(٣) تجدر الإشارة إلى ذكر سبب نزول الآية الكريمة : فقد روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات ، منها : قول قتادة : ذكر لنا أن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا . فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم ، وقال المسلمون : نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله . فأنزل الله : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ . انظر جامع البيان (ج٥ ص٢٨٨) ويراجع أسباب النزول للسيوطي (ص١٣٤ ، ١٣٥) ط/ عالم الكتاب - بيروت .

وقال الإمام القرطبي : من أحسن ما قيل في سبب نزولها ما رواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال : قال اليهود والنصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان منا ، وقالت قريش : لن نبعث . فأنزل الله : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ . انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٥ ص٣٩٦) وليس هناك ما يمنع نزول الآية لسببين فحكمهما عام للمسلمين وأهل الكتاب والمشركين ومن في حكمهم من سائر الكافرين .

(٤) يراجع المكتفى (ص٢٢٥) والاقتداء ورقة (٩٠) ومنار الهدى (ص١٠٨) .

(٥) يراجع الاقتداء ورقة (٩٠) وإيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٦٠٥) والقطع (ص٢٦٨) .

(٦) يراجع المكتفى (ص٢٢٥) والاقتداء ورقة (٩٥) .

وسيظهر جليًا عند بيان معنى الآية .

معنى الآية الكريمة : يبين الله تعالى في الآيات الكريمة أن الوصول إلى رضوانه لا يكون بالأماني والأوهام ؛ إنما يكون بالإيمان والعمل الصالح فقال سبحانه : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .

والأماني : جمع ، أمنية ، مأخوذة من التمني وهو تقدير الشيء في النفس وإراداته ، فالأمنية ما يقدره الإنسان في نفسه ويصوره فيها ، كأن يتصور أنه يثاب أو يعاقب أو يفعل كذا وكذا [١] .

واختلف المفسرون في الخطاب ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ .. ﴾ ؛ فمنهم من يرى : أن الخطاب لكفار قريش ، ومنهم من يرى : أنه للمشركين ، ومنهم من يرى : أن الخطاب للمسلمين [٢] ، ويرى الحافظ ابن كثير : أن الخطاب لجميع الطوائف ؛ لأن الآية الكريمة تخاطب الناس جميعًا ، سواء أكانوا مؤمنين ، أم مشركين ، أم من أهل الكتاب ؛ لأن الآية الكريمة تضع قاعدة عامة هي أن الوصول إلى ثواب الله ورضاه لا ينال بالأماني والأوهام ، إنما ينال بالإيمان والعمل الصالح [٣] .

والمعنى : ليس ما وعد الله به من الثواب أو إدخال الجنة ، أو ليس ما تحاورتم فيه حاصلًا بمجرد أمانيكم - أيها المسلمون - ولا بأماني أهل الكتاب أو غيرهم ؛ فإن الأماني وحدها لا ترتبط بعمل ولا تتجه إلى هدف ؛ بل هي أباطيل وأضاليل وأوهام ولا يجنى منها إلا حسرة وندم على ما كان من تفريط وتقصير ، إنما تحقيق الأمور لا بد أن يكون بالإيمان ، والعمل الصالح ، والتشمير عن ساق الجد ؛ لامتثال الأمر [٤] [٥] .

ثم قال الله تعالى مقررًا مضمون ما سبق : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ .. ﴾ وهذه الجملة الكريمة مكونة من شرط وجزاء .

وقيل : المراد بالسوء هنا : الكفر ، ولكن ظاهر الآية أعم من ذلك ؛ فإن السوء

---

(١) يراجع حاشية الجمل (ج١ ص٤٢٧) .

(٢) يراجع الكشاف (ج١ ص٥٦٧) والبحر المحيط (ج٣ ص٣٥٥) بتصرف واختصار .

(٣) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٥٥٧) وفتح القدير (ج١ ص٥١٨) والتفسير الوسيط (ج٣ ص٤٢٢) .

(٤) يراجع روح المعاني (ج٥ ص١٥٢) والتفسير القرآني للقرآن (ج٥ ص٩٠٩) .

(٥) قال الحسن البصري ﷺ : « ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، إن قومًا ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحن نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل له » . انظر الكشاف (ج١ ص٥٦٧) .

ما يشمل الكفر والمعاصي [١] .

قال الإمام النكزاوي : (قال الله ﷻ : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ .. ﴾ فلم يخص مؤمنًا دون كافر ، ولا كافرًا دون مؤمن ، ولا يقع التخصيص إلا بتوقيف ، وقد جاء التوقيف عن رسول الله ﷺ بما يدل على أنه عام [٢] .

فقد روي عن أبي هريرة ﷺ قال : لما نزلت ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ شق ذلك على المسلمين فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال : « **قاربوا وسددوا وكل ما أصاب المؤمن كفارة له حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها** » [٣] [٤] .

فصح بهذا أن كل من عمل سوءًا من مسلم أو كافر جُزي به [٥] .

وهذا الحديث يدل على تمام الوقف عند قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ كما قال الداني [٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ تذييل قصد به تأكيد ما قبله من أن ثواب الله تعالى لا ينال إلا بالإيمان والعمل الصالح وأن عقابه تعالى سيحل بمن يعمل السوء ، أي : أن من يعمل السوء سيجازى به ، ولا يجد هذا المرتكب للسوء أحدًا سوى الله سبحانه يلي أمره ويحامي عنه ، ولا نصيرًا ينصره من عذاب الله تعالى إذا حل به [٧] .

---

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٥ ص٣٩٦) وفتح القدير (ج١ ص٥١٨) .

(٢) انظر الاقتداء ورقة (٩٠) ويراجع المصدران السابقان في هامش (٧ ، ص١٣٣) .

(٣) حديث صحيح أخرجه الإمام البخاري في صحيحه - كتاب المرضى - باب ما جاء في كفارة المرض ، وقول الله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ وأخرجه مسلم في صحيحه - كتاب البر ، الحديث رقم (٥٠ ، ٥١ ، ٥٢) وأخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير - باب سورة النساء ، الحديث رقم (٣٠٣٨) .

(٤) وروي عن أبي بكر الصديق ﷺ قال : كنت عند رسول الله ﷺ وأنزلت هذه الآية ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ قلت : يا رسول الله وإننا لنعمل السوء وإنا لمجزيون بكل سوء عملنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **أما أنت يا أبا بكر وأصحابك فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلاقوا الله ﷻ وليست لكم ذنوب ، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة** » . هذا حديث غريب ، في إسناده مقال ، أخرجه الترمذي في الجامع كتاب التفسير - باب (٥) الحديث رقم (٣٠٣٩) وقال موسى بن عبيدة : ضعفه يحيى بن سعيد وأحمد بن حنبل . وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه وليس له إسناد صحيح أيضًا ، قال ابن حجر : له طرق أخرى أخرجها البزار من رواية زياد بن أبي زياد عن علي بن زيد عن مجاهد عن ابن عمر وقال : تفرد به زياد . وصحح الحديث ابن حبان من وجه آخر وهو ما أخرجه أحمد في المسند (ج١ ص١١) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير عن أبي بكر الصديق . النكت الظراف لابن حجر (ج٥ ص٢٩٦ ، ٢٩٧) .

(٥) انظر الاقتداء ورقة (٩٠) . (٦) يراجع المكتفى (ص٢٢٥) .

(٧) يراجع روح المعاني (ج٥ ص١٥٣) والتفسير الوسيط (ج٣ ص٤٢٣) .

النموذج الرابع :

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف : ١٨٤] .

فالوقف على قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ اختلف فيه بين العلماء :

فالبعض يرى : أنه وقف تام [١] ، والبعض يرى : أنه وقف كافٍ [٢] .

ويرى السجاوندي : السكت بدون تنفس على تقدير : أولم يتفكروا فيعلموا [٣] .

ولكن الراجح في نظري : أن الوقف على قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ وقف تام ؛ وذلك للابتداء بعده بالنفي [٤] ، وتفسير الآية يوضح ذلك ويؤيده .

معنى الآية : في هذه الآية الكريمة يدعو الله تعالى المشركين إلى التفكر والتدبر في أمر الرسول ﷺ ؛ وذلك لما نسبوه إلى الجنون فقال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ ، وهذه الجملة الكريمة مسوقة لإنكار عدم تفكرهم في شأنه ﷺ ، وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما أنزل عليه من الآيات التي كذبوا بها .

والهمزة للإنكار ، والتعجب ، والتوبيخ ؛ حيث لم يتفكروا ، والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام .

والمعنى : أَوَلَمْ يتأملوا ويتدبروا في انتفاء ما وصفوا به رسول الله ﷺ من الجِنَّة ؟! فإنه منتفٍ عنه لا محالة ، ولا يمكن لمن أمعن الفكر أن ينسب ذلك إليه [٥] .

قال ابن عطية في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [٦] الآية : تقرير يقارنه توبيخ للكفار ، والوقف على قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ ثم ابتدأ القول بنفي ما ذكروه فقال : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ أي ليس : بصاحبهم شيء مما يدعونه من الجنون ، فيكون هذا ردًّا لقولهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾

(١) انظر المكتفى (ص٢٨١) وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن الوقف على قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم ﴾ [سبأ : ٤٦] . يراجع المكتفى (ص٢٨١) وإيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٦٧١) .

(٢) انظر الاقتداء ورقة (١٣٠) .

(٣) يراجع الوقوف ورقة (٥٣) والتفسير الكبير (ج١٤ ص٣٨٠) .

(٤) يراجع منار الهدى (ص١٥٤) .

(٥) يراجع المرجع السابق (ص١٥٤) وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢١٥) وروح المعاني (ج٩ ص١٢٧) .

(٦) الجنة : حالة من الجنون كالجلسة والركبة ، ودخول ﴿ مِّن ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مِّن جِنَّةٍ ﴾ توجب ألا يكون به نوع من أنواع الجنون . انظر التفسير الكبير (ج١٤ ص٣٨٠) .

[الحجر: ٦] ، ويكون الكلام قد تم عند قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ﴾ [(١)] .

والتعبير ﴿ بِصَاحِبِهِم ﴾ ؛ للإيذان بأن طول مصاحبتهم له مما يطلعهم على نزاهته عما اتهموه به ؛ فإنه ﷺ قد لبث فيهم قبل الرسالة أربعين سنة ، كانوا يلقبونه فيها بالصادق الأمين ، ويعرفون عنه أسمى ألوان الإدراك السليم والتفكير المستقيم [(٢)] .

وإذا ما أمعنا النظر في قوله : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ لوجدنا أنها منفصلة المعنى عما قبلها كما قرر كثير من المفسرين .

وكما أنها انقطعت معنى فقد انقطعت لفظًا ؛ إذ إن ﴿ مَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ :

١ - إما أن تكون استفهامية في محل رفع بالابتداء ، والخبر ﴿ بِصَاحِبِهِم ﴾ ، أي : أيُّ شيء استقر بصاحبهم من الجنون ؟

٢ - وإما أن تكون نافية ، أي : ليس بصاحبهم جنون ولا مس جنة [(٣)] .

ثم ختمت الآية الكريمة بقوله : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ، وهذه الجملة الكريمة مقررة لمضمون ما قبلها ، وتكذيب للمشركين فيما يزعمونه ؛ حيث تبين حقيقة حاله ﷺ أى : ما هو - عليه الصلاة والسلام - إلا مبالغ في الإنذار ، مظهر له غاية الإظهار [(٤)] .

النموذج الخامس :

قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٤٩] [(٥)] .

فالوقف على قوله : ﴿ دِينُهُمْ ﴾ وقف تام [(٦)] ؛ وذلك لأنه منفصل عما بعده ؛ إذ إن

---

(١) انظر المحرر الوجيز (ج٧ ص٢١٧) ويراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٤٦) والجامع لأحكام القرآن (ج٧ ص٣٣٠) وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢١٥) وفتح القدير (ج٢ ص٢١٧) .

(٢) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢١٦) وروح المعاني (ج٩ ص١٢٨) وفتح القدير (ج٢ ص٢١٧) والتفسير الوسيط (ج٥ ص٢٧٧) .

(٣) يراجع روح المعاني (ج٩ ص١٢٧) والدر المصون (ج٥ ص٥٢٦) وحاشية الجمل (ج٢ ص٢١٥) .

(٤) انظر روح المعاني (ج٩ ص١٢٨) ويراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢١٦) وفتح القدير (ج٢ ص٢١٧) .

(٥) لم تدخل الواو في هذه الآية ودخلت في الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ .. ﴾ ؛ لأن الحق سبحانه عطف التزيين على حالهم وخروجهم بطرًا ورئاء وأما قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ .. ﴾ فليس فيه عطف على ما قبله بل هو ابتداء كلام منقطع عما قبله . يراجع التفسير الكبير (ج١٤ ص٥١٢) وحاشية الجمل (ج٢ ص٢٤٩) .

(٦) انظر المكتفى (ص٢٨٧) ومنار الهدى (ص١٥٩) .

ذلك آخر كلام المنافقين والذين في قلوبهم مرض ، وما بعده - وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ... ﴾ من قول الله تعالى - جواب لهم وردٌّ لمقالتهم ؛ من هنا نرى : أن الجملة الأولى غير الجملة الثانية ، بل إن الجملة الثانية وهي قوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ .. ﴾ جملة شرطية لا محل لها استئنافية [١] ، ومن المقرر أن من علامات الوقف التام : الابتداء بعده بالشرط [٢] .

معنى الآية : في هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى صنفين من أعداء المسلمين هما : المنافقون والذين في قلوبهم مرض .

أما المنافقون : فهم قوم من الأوس والخزرج كانوا يظهرون الإسلام ويخفون الكفر ولم يخرج منهم أحد إلى بدر سوى عبد الله بن أبيّ .

وأما الذين في قلوبهم مرض : فهم قوم من قريش أسلموا ولم يهاجروا [٣] .

ثم بين أن قريشًا لما خرجوا لحرب رسول الله ﷺ كان المنافقون والذين في قلوبهم مرض يستصغرون شأن المسلمين ، ويسلقونهم بألسنة حداد ، ويرمونهم بالغرور قائلين في سخرية : كيف وهم في قلة من العدد والعداد يتصدون للمشركين مع كثرتهم ؟!

وقد رد الله ﷻ على هؤلاء المنافقين والذين في قلوبهم مرض بما يكبتهم ، ويخرس ألسنتهم ، ويملأ قلوبهم حسرة وكمدًا ؛ فقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي : ومن يسلم أمره إلى الله ويثق بفضله فإن الله حافظه وناصره ؛ لأنه عزيز لا يغلبه شيء ، حكيم فيما يدبره من أمر خلقه [٤] .

النموذج السادس :

قوله تعالى : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٥] .

فالوقف على قوله : ﴿ قُلُوبِهِمْ ۗ ﴾ وقف تام [٥] وإن كان بعض العلماء يرى أنه وقف كافٍ [٦] .

ولكن الذي أرجحه : أن الوقف على كلمة ﴿ قُلُوبِهِمْ ۗ ﴾ وقف تام ؛ وذلك لأن

---

(١) يراجع المرجعان السابقان وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢٤٢) وروح المعاني (ج١٠ ص١٦) والجدول في إعرب القرآن (ج١ ص٢٠٩) .

(٢) يراجع منار الهدى (ص١١) .

(٣) يراجع التفسير الكبير (ج١٤ ص٥١٢) والتفسير الوسيط (ج٦ ص١٥٩ ، ١٦٠) بتصرف واختصار .

(٤) يراجع التفسير الكبير (ج١٤ ص٥١٢) وجامع البيان (ج١٠ ص١٦) و التفسير القرآني للقرآن (ج١٠ ص٦٣٤ ، ٦٣٥) .

(٥ ، ٦) يراجع المكتفى (ص٢٩٢) والاقتداء ورقة (١٢٦) ومنار الهدى (ص١٦٣) .

جملة ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ .. ﴾ منفصلة عما قبلها لفظًا ومعنى ، وذلك يظهر من خلال تفسير الآية الكريمة .

المعنى العام : قبل هذه الآية الكريمة أمر اللَّه تعالى عباده المؤمنين أمرًا صريحًا قاطعًا بمقاتلة المشركين ، وبين لهم أن قضية الإيمان توجب ذلك عليهم ، ثم زاد في تأكيد الأمر بالقتال فقال : ﴿ قَٰتِلُوهُمْ .. ﴾ [التوبة : ١٤] .

ورتب على هذا الأمر فوائد :

الأولى : تعذيب اللَّه للكفار بأيدي المؤمنين بالقتل والأسر .

والثانية : إخزاؤهم ؛ قيل : بالأسر ، وقيل : بما نزل بهم من الذل والهوان .

والثالثة : نصر المؤمنين عليهم وغلبتهم لهم .

والرابعة : أن اللَّه يشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال ولا حضره (١) .

والخامسة : أنه سبحانه يذهب بالقتال غيظ (٢) قلوب المؤمنين الذين نالهم بسبب ما وقع من الكفار من الأمور الجالبة للغيظ وحرج الصدر .

وقد وقعت للمؤمنين هذه الأمور كلها ، وقد أنجز اللَّه ﷺ جميع ما أوعدهم به على أجمل ما يكون (٣) ، وتم الكلام عند قوله : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ .

ثم قال اللَّه تعالى : ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ وهذه الجملة الكريمة ابتداء كلام مستأنف ، ليس على المعنى الأول ؛ بل إنه كلام يتضمن الإخبار بأن بعض هؤلاء الذين أمروا بمقاتلتهم يتوب من كفره ، فيتوب اللَّه عليه ، وقد كان ذلك ؛ حيث أسلم منهم أناس وحسن إسلامهم .

ولا يمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ جوابًا لقوله ﴿ قَٰتِلُوهُمْ ﴾ ؛

---

(١) انظر فتح القدير (ج٢ ص٣٤١ ، ٣٤٢) ويراجع التحرير والتنوير (ج١٠ ص١٤٧) .

(٢) ظاهر العطف أن ذهاب الغيظ غير شفاء الصدور ، وذلك :

١ - أن الشفاء يكون بقتل الأعداء وخزيهم ، وإذهاب الغيظ يكون بالنصر .

٢ - وقيل : إذهاب الغيظ كالتأكيد لشفاء الصدور ، وفائدته : المبالغة في جعلهم مسرورين بما يمن اللَّه عليهم من تعذيبه لأعدائهم ونصرتهم عليهم .

٣ - ولعل اذهاب الغيظ من القلب أبلغ مما عطف عليه فيكون ذكر من باب الترقي .

٤ - وقيل إن شفاء الصدور بمجرد الوعد والفتح واذهاب الغيظ بوقوع الفتح نفسه . انظر روح المعاني (ج١٠ص٦٢) .

(٣) يراجع المرجعان السابقان .

لأن جملة ﴿ وَيَتُوبُ ﴾ لايمكن جعلها جزاء لمقاتلتهم مع الكفار [١] .

قال الإمام القرطبي [٢] رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ القراءة بالرفع [٣] على الاستئناف ؛ لأنه ليس من جنس الأول ، ولهذا لم يقل : « وَيَتُبْ » بالجزم [٤] ؛ لأن توبته على من يشاء ليست جزاء على قتال الكافرين [٥] .

وذيلت الآية الكريمة بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ؛ لإفادة أن الله تعالى يعامل الناس بما يعلم من نياتهم ، وأنه حكيم لا يأمر إلا بما فيه تحقيق الحكمة ؛ فوجب على الناس امتثال أوامره ، وأنه يقبل توبة من تاب إليه ؛ تكثيرًا للصلاح .

وإيثار إظهار لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ على الإضمار دليل على رتبة المهابة ، وإدخال الروعة في القلوب [٦] .

النموذج السابع :

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] .

فالوقف على قوله : ﴿ بَشَرٌ ﴾ وقف تام [٧] ، ووجه تمامه يظهر في المعنى العام للآية الكريمة .

المعنى العام : يخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة شبهة من شبهات منكري نبوة نبينا محمد ﷺ وذلك أنهم كانوا يقولون كذبًا وافتراء : إن محمدًا إنما يعلمه هذا الذي يتلوه

---

(١) يراجع الكشاف (ج٢ ص٢٥٢) و الجامع لأحكام القرآن (ج٨ ص٨٧) وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢٥٨) وروح المعاني (ج١٠ ص٦٢ ، ٦٣) .

(٢) القرطبي : هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر . توفي سنة (٦٧١هـ) . يراجع الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب لابن فرحون (ص٣١٧) وما بعدها .

(٣) وهي قراءة الجمهور ، وقرئ بنصب ﴿ يَتُوبَ ﴾ بإضمار ﴿ أن ﴾ وهي قراءة ابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي والأعرج والحسن ، وعليه فتكون التوبة داخلة في جواب الشرط ؛ لأن المعنى : إن تقاتلوهم يعذبهم الله .
ولكن قراءة الرفع أحسن ؛ لأن التوبة لا يكون سببها القتال إذ قد توجد بغير قتال لمن شاء الله أن يتوب عليه في كل حال .
يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٨ ص٨٧ ، ٨٨) وفتح القدير (ج٢ ص٣٤٢) وإتحاف فضلاء البشر (ج٢ ص٨٨) .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٨ ص٨٧) ويراجع معاني القرآن للزجاج (ج٢ ص٤٣٧) ومعاني القرآن للأخفش (ج١ ص٩٦ ، ٩٧) .

(٥) انظر حاشية الجمل على الجلالين (ج٢ ص٢٦٩) .

(٦) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢٥٨) والتحرير والتنوير (ج١٠ ص١٣٧) .

(٧) انظر القطع (ص٤٣٣) ويراجع منار الهدى والمقصد هامش منار الهدى (ص٢١٩) .

علينا من القرآن بشر ، ويشيرون إلى رجل [١] أعجمي من أهل الكتاب ، وليس هو من عند الله كما يزعم .

ولقد حليت جملة ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ .. ﴾ بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد لمن يطعن في القرآن ، بل وفي التعبير بالاستقبال في قوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ ﴾ إشارة إلى أن علم الله تعالى محيط بهم ، وأنه ﷻ يعلم ما قالوا وما سيقولون من تلك المقولات المنكرة التي يقولونها في النبي الكريم وفي كتاب الله الذي بين يديه [٢] ، وبقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ قد تم الكلام .

ثم ساق الله تعالى كلامًا جديدًا أجاب به عن نبيه ردًّا عليهم في افترائهم السخيف .

فقال تعالى : ﴿ لِسَانُ [٣] ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ [٤] إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

والمعنى : أي لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه أعجمي غير بَيِّن وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة ، فكيف يمكن لمن لسانه أعجمي أن يعلم محمدًا هذا الكتاب العربي المبين ؟! ومن أين للأعجمي أن يذوق بلاغة هذا الكتاب المعجز في فصاحته وبيانه ؟! [٥] .

وإذا ما أمعنا النظر في قوله تعالى : ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ لوجدنا أنها منقطعة الصلة عما قبلها لفظًا ومعنى .

أما انفصالها معنى : فلأن هذا يعد سياق كلام جديد ردًّا على مقالة المشركين الشنيعة ، ودعواهم أن هذا القرآن من تعليم البشر .

---

(١) واختلفوا في هذا البشر الذي نسب المشركون النبي ﷺ إلى التعلم منه ، فقيل : هو عبد لبني عامر بن لؤي يقال له : يعيش وكان يقرأ الكتب . وقيل : عداس غلام عتبة بن ربيعة . وقيل : عبد لبني الحضرمي صاحب كتب وكان اسمه جبرًا . وقيل : كان بمكة نصراني أعجمي اللسان اسمه بلعام ، ويقال له : ميسرة يتكلم بالرومية . وقيل : سلمان الفارسي . يراجع التفسير الكبير (ج١٨ ص٦٣٦) ولباب التأويل (ج٤ ص٩٤ ، ٩٥) .

(٢) يراجع التفسير الكبير (ج١٨ ص٣٣٦) وتفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٥٨٦) وإرشاد العقل السليم (ج٣ ص١٩٧) والكشاف (ج٢ ص٦٣٥) .

(٣) المراد باللسان هنا : اللغة التي ينطق بها الشخص . لسان العرب (ج٥ ص٤٠٣) وما بعدها .

(٤) يلحدون : من الإلحاد بمعنى الميل ، يقال : لحد وألحد إذا مال عن القصد ، ومنه يقال للعادل عن الحق : ملحد . لسان العرب (ج٥ ص٤٠٠٥) وما بعدها .

(٥) يراجع فتح القدير (ج٣ ص١٩٥) ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٤ ص٩٥) بتصرف واختصار وصفوة التفاسير للصابوني (ج١٤ ص٧٢٧) ط/ مكتبة الغزالي - دمشق - سوريا .

وأما انفصالها لفظًا : فإنهما جملتان مستأنفتان ، وإن كان أبو حيان : قد جوز أن تكون حالين من الضمير في ﴿ يَقُولُونَ ﴾ أي : والحال أن علمهم بأعجمية هذا البشر وعربية هذا القرآن كان ينبغي أن يمنعهم عن مثل تلك المقالة ، وقد رجح الزمخشري : الاستئناف . حيث قال : إن مجيء الجملة الاسمية حالًا بدون واو شاذ ، ومذهبه هذا مرجوح تبع فيه الفراء ؛ إذ مجيئها كذلك في كلام العرب أكثر من أن يحصى [1] .

النموذج الثامن :

قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨] .

فالوقف على قوله : ﴿ وَيَخْتَارُ ﴾ وقف تام [2] ، وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين وعلماء الوقف .

قال ابن النحاس في بيان الوقف عليه : فإن أكثر أصحاب التمام وأهل التفسير ، والفراء : على أنه تمام [3] ، بل إن الوقف على قوله : ﴿ وَيَخْتَارُ ﴾ يظهر مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة [4] ؛ إذ إن أهل السنة ينفون أن يكون اختيار الحق تعالى مبنيًا على اختيار الخلق فليس لهم أن يختاروا ، بل الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ، ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ، وهذا بناء على أن ﴿ مَا ﴾ نافية ، أي : بنفي اختيار الخلق تقريرًا لاختيار الحق ﷻ[5] ،[6] .

المعنى الإجمالي للآية : في الآية الكريمة يخبر الحق ﷻ أنه المتفرد بالخلق والاختيار ، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب ؛ فهو الخالق المتصرف يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ويختار من يشاء لنبوته ؛ فلا اعتراض لأحد على حكمه ، وليس لمشركي مكة

---

(١) انظر روح المعاني (ج١٤ ص٢٣٤) ويراجع الكشاف (ج٢ ص٦٣٥) .

(٢) انظر المكتفى (ص٤٣٩) ومنار الهدى (ص٢٩٣) والمقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٢٩٣) بهامش منار الهدى والجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٣٠٥) والتفسير الكبير (ج٢٣ ص٣١١) وروح المعاني (ج٢٠ ص١٠٤) .

(٣) انظر القطع والائتناف (ص٥٤٨) .

(٤) يراجع منار الهدى (ص٢٩٣) .

(٥) يراجع منار الهدى (ص٥) .

(٦) بينما يرى البعض : أن الوقف على قوله : ﴿ مَا يَشَآءُ ﴾ ثم يبتدأ بقوله : ﴿ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ على أن ﴿ مَا ﴾ موصولة بمعنى « الذي » وعلى هذا الوجه يظهر مذهب المعتزلة في إيجاب الصلاح والأصلح عليه تعالى . قال أبو القاسم الأنصاري : (وهذا متعلق المعتزلة في إيجاب الصلاح والأصلح عليه ، وأي صلاح في تكليف من علم أنه لا يؤمن ولو لم يكلفه لاستحق الجنة والنعيم من فضل الله ؟) انظر التفسير الكبير (ج٢٣ ص٣١١) ويراجع روح المعاني (ج٢٠ ص١٠٣ ، ١٠٤) بتصرف واختصار .

أن يختاروا للنبوة أو غيرها أحدًا لم يختره الله تعالى ؛ لذا قال سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ أي : وليس يرسل من يختاروه هم (١) ؛ بل هو ﴿ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام : ١٢٤] .

قال الإمام القرطبي ﷺ : ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ نفي عام لجميع الأشياء أن يكون للعبد فيها شيء سوى اكتسابه بقدرة الله ﷻ (٢) .

ثم نزه ﷻ نفسه بقوله : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي : تنزه الله تعالى بذاته تنزيهًا خاصًا به ، وتقدس أن ينازعه أحد في ملكه أو يشاركه في اختيار خلقه (٣) .

النموذج التاسع :

قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الشورى : ٢٤] .

فالوقف على قوله : ﴿ قَلْبِكَ ۗ ﴾ وقف تام ، ويبتدأ بقوله : ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ .. ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ وَيَمْحُ ﴾ مرفوع مستأنف غير داخل في جزاء الشرط (٤) ؛ لأن الله تعالى يمحو الباطل مطلقًا أي : أن محو الباطل وإحقاق الحق وعد مطلق عن قوله : ﴿ فَإِن يَشَإِ ﴾ دليله تكرار اسم الله تعالى في الآيه الكريمة (٥) .

أما علة حذف الواو من ﴿ وَيَمْحُ ﴾ : فإنها حذفت لفظًا ؛ لالتقاء الساكنين في الدرج ؛ وخطًّا ؛ حملًا للخط على اللفظ .

وعلى كلٍّ فلا ينبغي الوقف على ﴿ وَيَمْحُ ﴾ ؛ لأننا إن وقفنا عليه بالأصل وهو الواو ؛ خالفنا خط المصحف ، وإن وقفنا عليه بدونها موافقة للرسم العثماني ؛ خالفنا الأصل (٦) .

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٣ ص٣٩٧) والجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٣٠٥) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٣٠٥) وقال الألوسي : وظاهر الآية نفي الاختيار عن العبد رأسًا كما يقوله الجبرية ، ومن أثبت للعبد اختيارًا قال : إنه لكونه بالدواعي التي لو لم يخلقها الله فيه لم يكن في حيز العدم وهذا مذهب الأشاعرة : وهو تعلق قدرة العبد وإرادته الذي هو سبب عادي لخلق الله تعالى الفعل فيه . انظر روح المعاني (ج٢٠ ص١٠٣) .

(٣) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٣٠٧) وروح المعاني (ج٢٠ ص١٠٥) .

(٤) ويرى البعض أن ﴿ وَيَمْحُ ﴾ جزم عطفًا على : ﴿ يَخْتِمْ ﴾ وليس كذلك ؛ لفساد المعنى ؛ لأن الله قد محا الباطل بإبطاله إياه بقوله : ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ والأصح لارتفاعه لرفع ما بعده وهو قوله : ﴿ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ﴾ . يراجع منار الهدى (ص٣٤٧) وروح المعاني (ج٢٥ ص٣٥) بتصرف واختصار .

(٥) يراجع علل الوقوف (ج٣ ص٩٠٩) ومنار الهدى (ص٣٤٧) .

(٦) انظر منار الهدى (ص٣٤٧) ويراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٦ ص٢٥) .

معنى الآية الكريمة : في هذه الآية الكريمة يحكي اللَّه تعالى شبهة من شبه الكافرين ، ويوبخهم على كذبهم وعنادهم فيقول سبحانه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا .. ﴾ أي : بل أيقول كفار قريش : إن محمدًا قد افترى على اللَّه كذبًا بدعوى القرآن والنبوة (١) .

قال صاحب البحر : (وهذا استفهام إنكار وتوبيخ للمشركين على هذه المقالة أي : مثله لا ينسب إلى الكذب على اللَّه تعالى مع اعترافكم له قبل بالصدق والأمانة) (٢) .

ثم أجاب اللَّه تعالى عن افترائهم هذا بقوله سبحانه : ﴿ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ .. ﴾ ، أي : فإن يشأ اللَّه تعالى يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه الكذب ؛ لأن افتراء الكذب على اللَّه لا يكون إلا ممن طبع اللَّه على قلوبهم فهم لا يفقهون ، وأنت أيها الرسول مبرأ ومنزه عن ذلك .

فالمقصود من الجملة الكريمة مبالغة في تقرير الاستبعاد ، وتنزيه ساحة الرسول ﷺ عما قاله المشركون في شأنه ، وإثبات أن افتراء الكذب إنما هو من شأنهم .

وأتى بـ ﴿ إِنْ ﴾ مع أن عدم مشيئته - تعالى - مقطوع به ؛ وذلك إرخاء للعنان .

وقيل : إشعارًا بعظمته - تعالى - وأنه سبحانه غني عن العالمين (٣) .

فبقوله تعالى : ﴿ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ قد تم الكلام ، ولم يرتبط ما بعده به ، ثم ابتدأ الحق سبحانه فقال : ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ .. ﴾ أي : من شأن اللَّه تعالى أن يمحو الباطل ، وأن يثبت الحق بكلماته الفاصلة وقضائه العادل كما قال تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨] .

قال صاحب الكشاف : (يعني لو كان محمد ﷺ مفتريًا كما تزعمون لكشف اللَّه افتراءه ، ومحقه ، وقذف بالحق على الباطل فدمغه) (٤) .

ويجوز : أن يكون عدة لرسول اللَّه ﷺ بالنصر أي : يمحو اللَّه تعالى باطله وما بهتوك به ، ويثبت الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مَرَدَّ له (٥) .

والدليل على أن قوله : ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ مرفوع لا مجزوم : عطف ﴿ وَيُحِقُّ ﴾

---

(١) يراجع التفسير الكبير (ج٢٧ ص٣٥) ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٦ ص١٠٢) وفتح القدير (ج٤ ص٥٣٤) .

(٢) انظر البحر (ج٧ ص٥١٦ ، ٥١٧) ويراجع فتح القدير (ج٤ ص٥٣٤) .

(٣) يراجع التفسير الكبير (ج٢٧ ص٣٥) وروح المعاني (ج٢٥ ص٣٤) بتصرف واختصار والتفسير الوسيط (ج١٣ ص٣٦) .

(٤) انظر الكشاف (ج٤ ص٢٢٢) ويراجع روح المعاني (ج٢٥ ص٣٤) .

(٥) انظر روح المعاني (ج٢٥ ص٣٤) ويراجع الكشاف (ج٤ ص٢٢٢) .

المرفوع عليه ، ثم ختمت الآية بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الأنفال: ٤٣] أي : إن الله سبحانه عالم بما في القلوب يعلم ما تكنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر [١] .

وقال القرطبي رحمه الله : (والمراد أنك لو حدثت نفسك أن تفتري الكذب لعلمه الله وطبع على قلبك) [٢] .

ومما أريد أن أنوه عليه أن الوقف التام هو أقل الوقوف ورودًا في القرآن الكريم ، بينما هو أعلاها مرتبة بعد الوقف اللازم .

هذا ، ولا يتحتم الوقف على الكلمة التي يعتبر الوقف عليها تامًّا ، بل يجوز وصلها بما بعدها ؛ نظرًا إلى أنه لا يترتب على وصلها بما بعدها خلل في المعنى ، أو إيهام خلاف المراد .

وإن كان الوقف عليها أولى من وصلها ، باعتبار تمام الكلام ، وعدم تعلقه بما بعده لفظًا ومعنى [٣] .

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٤ ص١١٤) والجامع لأحكام القرآن (ج١٦ ص٢٥) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٦ ص٢٥) .

(٣) يراجع العميد في علم التجويد (ص٣٦) ومعالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء (ص١٩) وما بعدها .



الفصل الثالث

الوقف الكافي وأثره على المعنى في القرآن الكريم

ويشتمل على ما يلي :

أولًا : تعريف الوقف الكافي .

ثانيًا : وجه تسميته كافيًا وحكمه .

ثالثًا : الفرق بين الوقف التام والكافي .

رابعًا : دليل الوقف الكافي من السنة .

خامسًا : ضوابط الوقف الكافي .

سادسًا : ذكر نماذج للوقف الكافي وبيان أثره على المعنى .



أولًا : تعريف الوقف الكافي

بعد ما عرفنا الوقف التام واتضح لنا من خلال تعريفه أن العبارة الموقوف عليها تامة من جميع الوجوه ومستقلة عن العبارة الأخرى وضربنا لذلك النماذج ، نأتي على تعريف الوقف الكافي فأقول :

أ – في اللغة : الكافي : اسم فاعل من كفى ومعناه : الذي يغنيك عن غيره ، يقال : كفاه الشيء واكتفى به واستكفيته الشيء فكفانيه [١] .

قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ .. ﴾ [الزمر : ٣٦] [٢] أي : يكفيه وعيد المشركين [٣] .

ب – الوقف الكافي في الاصطلاح : هو الذي يحسن القطع عليه ويحسن الابتداء بما بعده ، غير أن الذي بعده متعلق به معنى لا لفظًا .

وبعبارة أخرى : هو الوقف على كلمة لم يتعلق ما بعدها بها ولا بما قبلها من حيث اللفظ ، وتعلق بها أو بما قبلها من حيث المعنى ؛ فهو منقطع لفظًا ، متصل معنى [٤] .

ثانيًا : وجه تسميته كافيًا وحكمه

أ – وجه تسميته بالكافي : وسمي كافيًا للاكتفاء به واستغنائه عما بعده ؛ لعدم تعلقه به من جهة اللفظ ، وإن تعلق به من جهة المعنى ، ويسمى أيضًا : الوقف الصالح ، والمفهوم ، والجائز – كما قال الإمام السخاوي – بينما أطلق عليه الإمام السجاوندي : الوقف المطلق ، وعرفه قائلًا : والمطلق : ما يحسن الابتداء بما بعده .

هذا ، ولا يتعين الوقف على الكلمة التي يعتبر الوقف عليها كافيًا بل يجوز وصلها

---

(١) يراجع لسان العرب (ج٥ ص٣٩٠٧) وما بعدها ومختار الصحاح (ص٥٧٥) والقاموس الجديد للطلاب (ص٨٧٧) .

(٢) سورة الزمر : آية (٣٦) ووردت مادة كفى في القرآن الكريم أربع مرات غير هذا الموضع :

الأول : قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٢٤] .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر : ٩٥] .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

(٣) انظر التفسير الواضح (ج٢٤ ص٣) .

(٤) يراجع النشر (ج١ ص٢٢٨) والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٥١) والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٥) . والمكتفى (ص١٤٣) ونظام الأداء في الوقف والابتداء (ص٣٨) .

بما بعدها باعتبار تمام الكلام . إذ إن هناك تعلقًا في المعنى العام وسياق الموضوع [١] .

ب - **حكم الوقف الكافي** : وحكم هذا النوع من الوقوف أنه يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، وهو أكثر الوقوف الجائزة ورودًا في القرآن الكريم [٢] .

ثالثًا : الفرق بين الوقف التام والكافي

إن الفرق بين الوقف التام والكافي غير محدد تحديدًا منضبطًا عند جميع القراء ، كالفرق بينهما وبين الحسن والقبيح ؛ لأن وجه الاختلاف بين التام والكافي هو تعلق الكافي بما بعده في المعنى أو لا ، وهو أمر نسبي يرجع فيه إلى الأذواق في فهم المعاني ، واعتبار ما وقف عليه متعلقًا بما بعده في المعنى ، أو مستغنيًا عنه .

لذا نجد من علماء هذا الفن من يعد بعض الوقوف كافية ، على حين أنها في نظر غيره تامة ، أو العكس .

أما الفرق بين التام والكافي وغيرهما من الوقوف فليس محلًّا لهذا الاختلاف الكبير ؛ لأنه يعتمد على تعلق ما وقف عليه بما بعده من جهة الإعراب أو لا ، وهو أمر منضبط بعض الشيء أكثر من التعلق المعنوي [٣] .

رابعًا : دليل الوقف الكافي من السنة

لقد ثبت في السنة النبوية الصحيحة ما يدل على جواز القطع على الكافي .

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « **اقرأ عليَّ** » قلت : أأقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : « **إني أحب أن أسمعه من غيري** » قال : فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قال : « **أمسك** » فإذا عيناه تذرفان [٤] .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج١ ص١١٦) وجمال القراء (ج٢ ص٥٦٣) ومنار الهدى (ص١١) .

(٢) يراجع منار الهدى (ص١١) والمنح الفكرية (ص٥٨) .

(٣) انظر العميد في علم التجويد (ص١٤٨ ، ١٤٩) .

(٤) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير الحديث رقم (٤٥٨٢) وفي كتاب فضائل القرآن - باب قول المقرئ للقارئ : حسبك الحديث رقم (٥٠٥٠) وباب البكاء عند قراءة القرآن الحديث رقم (٥٠٥٠) وأخرجه أبو داود في سننه - كتاب العلم الحديث رقم (٣٦٦٨) وأخرجه الإمام الترمذي في الجامع - كتاب تفسير القرآن ، الحديث رقم (٣٠٢٤ ، ٣٠٢٥) .

وجه الدلالة في الحديث :

في هذا الحديث الشريف دليل على جواز القطع على الكافي ؛ لأن قوله : ﴿ شَهِيدًا ﴾ وقف كافٍ وليس بتام ؛ لأنه متعلق بما بعده معنى إذ إن المعنى: فكيف يكون حالهم إذا حصل هذا ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] ؛ فما بعده متعلق بما قبله .

والوقف على قوله : ﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] وقف تام ؛ لأنه انقضاء القصة وهو آخر الآية الثانية .

وقد أمر النبي ﷺ ابن مسعود أن يقطع على ﴿ شَهِيدًا ﴾ مع قربه من ﴿ حَدِيثًا ﴾ ؛ فدل ذلك دلالة واضحة على جواز القطع على الوقف الكافي [1] .

خامسًا : ضوابط الوقف الكافي

للوقف الكافي ضوابط وعلامات منها ما يأتي :

١ - أن يكون ما بعده مبتدأ ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣] .

٢ - أن يكون ما بعده فعلًا مستأنفًا مع السين أو سوف على التهديد ؛ نحو قوله تعالى: ﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف: ١٩] ، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾ [هود: ٩٣] .

٣ - أن يكون ما بعده فعلًا مستأنفًا بغير السين أو سوف ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥] .

٤ - أو مفعولًا لفعل محذوف ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ ٱللَّهِ .... ﴾ [الروم: ٥، ٦] .

أي : وعد الله وعدًا فلما حذف الفعل أضيف المصدر إلى الفاعل .

٥ - أن يكون ما بعده استفهامًا ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ

---

(١) يراجع المكتفى (ص١٣٦ ، ١٣٧) والاقتداء ورقة (١٢) .

وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ .. ﴾ [النساء: ٨٨] .

٦ - كذلك إذا كان ألف الاستفهام مقدرًا نحو قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٧] .

٧ - أو وقع بعده حرف (إنْ) المكسورة الهمزة الساكنة النون - نحو قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴾ [الملك: ٢٠] .

٨ - أو وقع بعده (ألَا) المخففة نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] .

٩ - أو وقع بعده (بل) نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة: ٨٨] ، كما قد يكون الوقف حسنًا قبل ﴿ بَل ﴾.

ومن الكافي أيضًا : ما يقتضيه العدول من الإخبار إلى الحكاية أو عكسه .

كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ... ﴾ [المائدة: ١٢] ؛ لأن قوله : ﴿ وَبَعَثْنَا ﴾ [المائدة: ١٢] معدول بالحكاية عن الإخبار في قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ .. ﴾ .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ ﴾ معدول بالإخبار عن الحكاية في قوله : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ وكذلك في العدول عن الماضى إلى المستقبل وعكسه ، كقوله تعالى : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ ؛ لأن قوله : ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ وهو مستقبل بعد قوله : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ وهو ماضٍ .

وكذلك العدول عن الاستخبار إلى الإخبار كقوله تعالى : ﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾ [البقرة: ٢١٤] على الإخبار بعد تمام الاستفهام على قوله : ﴿ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾ [البقرة: ٢١٤] [1] .

وذكر الأشموني أن علة ذلك هي : (الفصل بين الاستفهام والإخبار ؛ لأن قوله : ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم ﴾ عطف على ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ أي : أحسبتم وألم يأتكم) [2] .

---

(١) براجع البرهان (ج١ ص٣٥٢) وعلل الوقوف (ج١ ص١١٦ - ١٢٦) باختصار ومنار الهدى (ص١١) والإتقان (ج١ ص ١٤٥) وحق التلاوة (ص٥٨) .

(٢) انظر منار الهدى (ص٥٨) .

سادسا : ذكر نماذج للوقف الكافي وبيان أثره على المعنى

أ - ذكر نماذج مشروحة للوقف الكافي وأثره على المعنى :

تمهيد :

قبل أن أذكر بعض النماذج المشروحة للوقف الكافي والمبينة لأثره على المعنى في القرآن الكريم ، يجدر بي أن أبين صور الوقف الكافي ، والتي أوردها علماء هذا الفن في مصنفاتهم فأقول :

إن المتتبع المستقرئ لآيات القرآن يجد للوقف الكافي أكثر من صورة ، أشهرها :

أنه قد يكون على رؤوس الآي أو في ثنايا الآيات . سواء كان قريبًا من رأس الآية ، أم في وسط الآية ، أم قريبًا من أول الآية (١) .

ولكن لما كان الوقف على رأس الآية أمرًا سهلًا وميسورًا لدى الجميع ؛ فسأكتفي بذكر آية واحدة على سبيل المثال لا الحصر ، وعلى القارئ أن يقيس عليها نظائرها :

وهذه الآية هي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحُجرات : ٤] .

فالوقف على كلمة ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ وقف كافي ، وإنما كان الوقف هنا كافيًا ؛ لأن الآية التي بعدها وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحُجرات : ٥] .

لا تعلق لها بما قبلها من حيث اللفظ ؛ باعتبارها جملة مستأنفة ، ولها تعلق بما قبلها من حيث المعنى ؛ لأن الآيات كلها مسوقة لبيان مقام النبي ﷺ الرفيع ، ومكانته السامية عند الله تعالى ، وللحث على تعظيمه وتوقيره ، وحفظ الأدب معه في الحديث والخطاب ؛ فلا يرفع أحد صوته في مجلسه ، ولا يخاطبه مخاطبة الند لنده ، ولا يناديه من وراء حجراته ؛ بل يكون صوتهم في مجلسه أخفض من صوته ، ويكون نداؤهم له بـ : « يارسول الله » بدلًا من « يا محمد » ، وهكذا .

فنظرًا لتوثيق الصلة بين معاني الآيات كان الوقف على كلمة ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾ كافيًا (٢) .

---

(١) يراجع شرح النويري على طيبة النشر ورقة (٨) من مجموعة كتب الشيخ عبد العزيز محمد عيسى بكلية الشريعة - دمنهور . والعميد في علم التجويد (ص١٤٨) .

(٢) يراجع منار الهدى (ص٣٦٦) والمقصد (ص٣٦٦) ومعالم الاهتداء (ص٢٦) وما بعدها .

هذا والوقف الكافي في ثنايا الآيات كثير .

بعد هذا التمهيد الموجز لبيان صور الوقف الكافي ، إليك بعض النماذج من القرآن الكريم مبينًا فيها مواطن الوقف الكافي وأثره على المعنى ، وبتلك الكيفية التي يراعيها قارئ القرآن للوقف الكافي يؤدى المعنى المقصود ، وتؤثر به ، وتعمل الأذن عملها ، مع الفهم والتذوق .

النموذج الأول :

قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة : ٧] .

فالوقف على قوله : ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ وقف كاف (١) ، ويرى بعض العلماء : أنه وقف تام (٢) ؛ ولعل وجه تمامه عند هؤلاء : أن معنى الختم قد انقطع ثم استأنف فقال : ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (٣) .

والذي أميل إليه : هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من أن الوقف على قوله : ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ كاف ، ووجه كفايته : لأن الواو في قوله : ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ ﴾ للاستئناف و﴿ غِشَاوَةٌ ﴾ مبتدأ مؤخر خبره ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ ﴾ (٤) ، ومن هنا فالكلام منقطع لفظًا وتلك هي علة من قال بالتمام ، فإذا ما نظرنا في الآية وجدنا أن معناه متصل بعضه ببعض ؛ إذ إن الآية تكشف عما اشتمل عليه كيان هؤلاء الكفار الذين لا يتحولون عن كفرهم أبدًا ؛ فقلوبهم مغلقة لا يصل إليها النور الإلهي الذي يتمثل في الآيات ، وأسماعهم لا تعرف صوت الحق ؛ لأنها تنبو عنه ، وأبصارهم لا تراه ؛ لأن عليها حجابًا كثيفًا هو حجاب التعامي عن آيات الله ، أولئك لهم عذاب لا ينقطع بسبب كفرهم وإجرامهم ، وتكذيبهم بآيات الله العلي العظيم (٥) .

وعلى كلٍّ فينبغي الوقف على قوله : ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ ، والابتداء بقوله : ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ ؛ وبذلك يظهر معنى الختم ومعنى الغشاوة ؛ إذ إن الختم يكون على

---

(١) انظر المكتفى (ص١٥٩) .

(٢) وممن رأى أن الوقف تام : يعقوب والأخفش سعيد والفراء . يراجع القطع (ص١١٦) ومنار الهدى (ص٣٢) .

(٣) يراجع منار الهدى (ص٣٢) .

(٤) يراجع كتاب الوقوف ورقة (١٠) والتبيان (ج١ ص٢٣) .

(٥) انظر التفسير الواضح (ج١ ص١٣) .

القلوب والأسماع ، والغشاوة وهي الغطاء تكون على الأبصار .

والدليل على ذلك : ما ورد في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً .. ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

وهذا يدل على أن القرآن وحدة موضوعية موصولة الحلقات مترابطة في المعاني والمرامي وأنه يفسر بعضه بعضًا [١] .

هذا وقرئ بنصب ﴿ غِشَٰوَةٌ ﴾ [٢] واختلفوا في نصبه على ثلاثة أوجه :

الأول : نصبت بفعل مضمر ، أي : وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون ، الحق فحذف الفعل ؛ لأن ما بعده يدل عليه[٣] . وعلى هذا يسوغ الوقف على ﴿ سَمْعِهِمْۖ ﴾ ويكون وقفًا كافيًا .

الثاني : منصوب بفعل دال عليه الختم .

الثالث : على إسقاط حرف الجر ويكون ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ ﴾ معطوفًا على ما قبله .

أي : ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم بغشاوة . فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إليه فانتصب [٤] .

ومعنى ختم عليها بغشاوة أي : جعل على أبصارهم غشاوة ؛ لأنه إذا ختمها بالغشاوة فقد جعلها فيه . واستدل من ذهب إلى هذا بقوله تعالى : ﴿ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ .. ﴾ [النحل : ١٠٨] . وعلى هذا لا يوقف على قوله : ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ ﴾ ؛ لتعلق آخر الكلام بأوله . ولكن قراءة الرفع أولى [٥] .

---

(١) يراجع جامع البيان (ج١ ص٨٨) والجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٩١) وتفسير القرآن العظيم (ج١ ص٤٦) .

(٢) وهي قراءة المفضل عن عاصم على تقدير : « جعل على أبصارهم غشاوةً » . انظر زاد المسير (ج١ ص٢٨) .

(٣) كقول عبد الله بن الزبعرى :

يا ليت زوجك قد غدا ... متقلدًا سيفًا ورمحا

أي : وحاملًا رمحًا ؛ لأن التقليد لا يقع على الرمح . يراجع الكامل للمبرد (ص١٨٩) والجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٩١) وكقول بعض بني أسد يصف فرسه قائلًا :

علفتها تبنا وماء باردا ... حتى غدت همالة عيناها

أي : وسقيتها ماء .

(٤) كقول بعضهم :

تمرون الديار فلم تعوجوا ... كلامكمو عليّ إذًا حرام

أي : تمرون بالديار .

(٥) يراجع الاقتداء ورقة (١٩) ومنار الهدى ص٣٢ والبحر (ج١ ص٤٩) والجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٩١) .

قال أبو حيان : (لأن النصب إما أنك تحمله على ﴿ خَتَمَ ﴾ الظاهر ؛ فيعرض في ذلك أنك حلت بين حرف العطف والمعطوف به ، وهذا عندنا إنما يجوز في الشعر) .

وإما أن تحمله على فعل يدل عليه ﴿ خَتَمَ ﴾ تقديره : وجعل على أبصارهم فيجيء الكلام من باب « متقلدًا سيفًا » [١] .

المعنى العام للآية : بعد أن أخبر الحق سبحانه حبيبه محمدًا ﷺ بعدم إيمان الكفرة ، وأن الإنذار وعدمه عندهم سواء – لأن ظلمة الكفر حجبتهم وتحجبهم عن نور الإيمان – بيَّن في هذه الآية العلة في سبب عدم إيمانهم فقال جلت قدرته : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ ﴾ [البقرة : ٧]

والمعنى : أن هؤلاء الكفار الذين لا أمل يرجى منهم جزاؤهم الطبع على قلوبهم وعلى سمعهم . فقد أصبحت قلوبهم في أكنة ؛ بحيث لا ينفذ فيها الحق ، ولا يشرق فيها نور الإيمان ، وضرب على سمعهم بحجاب ؛ فلا ينفذ منه دعوة إلى موطن الإدراك من العقل ؛ فهم أشبه بالنائم المستغرق في نومه ، حواسه كلها سليمة ؛ ولكنها معطلة لا تعمل في تلك الحال .

وفي إيثار تكرار لفظ ﴿ عَلَىٰ ﴾ في قوله : ﴿ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ ﴾ ؛ ليكون أدل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم [٢] ؛ إذ إن هناك إشعار بتغاير الختمين وهو أن ختم القلوب غير ختم الأسماع [٣] .

بل إن هؤلاء على أبصارهم غشاوة [٤] ؛ فلا تجتلي آيات الله الظاهرة في مخلوقاته

---

(١) انظر البحر (ج١ ص٤٩) .

(٢) يراجع تفسير البيضاوي (ج١ ص١٠ ، ١١) ط/ صبيح – بالقاهرة والتفسير الكبير (ج٢ ص٤٢٥) والتفسير القرآني للقرآن (ج١ ص٢٩) بتصرف .

(٣) لذا فرق النحويون : بين « مررت بزيد وعمرو » و« مررت بزيد وبعمرو » فقالوا في الأول : هو مرور واحد ، وفي الثاني : مروران . يراجع منار الهدى (ص٣٢) .

(٤) وعبر الحق سبحانه في جانب القلب والسمع بالختم وفي جانب البصر بالغشاوة لمعنى سام وحكمة رائعة ؛ ذلك أن آفة البصر معروفة ؛ إذ غشاوة العين معروفة لنا فالتعبير في جانب العين بالغشاوة مما يحدد لنا مدى عجزهم عن إدراك آيات الله بتلك الجارحة .

وأما القلب والسمع : فإنهما لما كانا لا تدرك آفتهما إلا بصعوبة فقد صور لنا موانعهما عن الاستجابة للحق بصورة الختم وجمع القلوب والأبصار ، وأفرد السمع ؛ لأن القلوب تختلف باختلاف مقدار ما تفهمه مما يلقى إليها من إنذار وتبشير ومن حجة أو دليل ، فكان ذلك عن تعدد القلوب بتعدد الناس على حسب استعدادهم ، وكذلك شأن الناس فيما تراه أبصارهم من آيات الله في كونه ، فإن أنظارهم تختلف باختلاف عمق تدبرها وضحولته ؛ فكان ذلك من تعدد المبصرين =

وعجائبه في صنعه ، كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين ، كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك ، أو أنهم يبصرون إبصار غفلة لا إبصار عبرة .

وبذلك اجتمع على الكفار عمى البصيرة التي هي نور القلوب ، وعمى البصر الذي هو نور الإبصار ، وانسداد السمع .

وليس المراد من الختم والغشاوة المعنى الحقيقي لهما ؛ إذ لا ختم في الحقيقة ولا غشاوة ؛ بل المراد أنه ﷻ تركهم وشأنهم الذي اختاروا لأنفسهم من إصرارهم على الكفر ، وتركهم الذكر بقلوبهم وعقولهم ، وصرفهم أسماعهم عن المواعظ ، وأبصارهم عن آيات اللّٰه تعالى ؛ فلم يلطف بهم ولم يهدهم جزاء إصرارهم وسوء اختيارهم [1] كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء : ١٥٥] وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] .

وعبر القرآن الكريم في جانب البصر بالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والاستقرار ، وفي جانب القلوب والأسماع بالجملة الفعلية التي تفيد التجدد والحدوث ؛ لأن المشركين قبل إرسال الرسول ﷺ كانوا يرون معالم الهدى في السماء وما بناها ، وفي الأرض وما طحاها ، وفي الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلى ؛ فلم يستفيدوا من أبصارهم لا قبل البعثة ولا بعدها ؛ فناسب ذلك ما يدل على الدوام والاستمرار وهي الجملة الاسمية .

وأما القلب والسمع فإنما بدأت وظيفتهما بمجرد سماع الحجة والبرهان وأخذ القرار فيه بالإيمان أو الكفر ، وهذا شيء وجد بعد أن لم يكن متجددًا وحادثًا ؛ فناسب في جانبهما الجملة الفعلية .

ثم بين الحق سبحانه ما يستحقونه من عقاب بسبب إغراقهم في الكفر واستجابتهم للمعاصي فقال : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أي : لهم بسبب سوء كفرهم وإجرامهم وتكذيبهم بآيات اللّٰه عذاب مؤلم من نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا اللّٰه ؛ لذا فقد وصف بأنه عظيم [2] .

= بتعدد مقادير ما يستنبطونه من آيات اللّٰه في الآفاق ، وأما المسموع فهو بالنسبة للناس جميعًا شيء واحد هي الحجة يناديهم بها المرسلون ، لذلك الناس جميعًا كأنهم على سمع واحد ؛ فكان إفراد السمع إيذانًا من اللّٰه بأن حجته واحدة ودليله واحد لا يتعدد . يراجع المنار (ج١ ص١٢٣) .

(١) يراجع تفسير البيضاوي (ج١ ص١١) والكشاف (ج١ ص٤٨) وفتح القدير (ج١ ص٣٩) وروح المعاني (ج١ ص١٣٧) وحاشية الجمل (ج١ ص١٥) بتصرف وتفسير البيضاوي (ج١ ص١٠) وما بعدها .

(٢) يراجع تفسير البيضاوي (ج١ ص١٠ ، ١١) والتفسير الوسيط (ج١ ص٦٤) .

النموذج الثاني :

قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

فالوقف على قوله : ﴿ مِن قَبْلِكُم ﴾ وقف كاف للفصل بين الاستفهام والإخبار ؛ لأن قوله : ﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم ﴾ عطف على ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ ﴾ تقديره : أحسبتم ولما يأتكم ، وكذلك أيضًا جملة ﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾ جملة مستأنفة (١) لا موضع لها من الإعراب جاءت تفسيرًا أو بيانًا للمثل ؛ وذلك لما أوضح الله تعالى ما نال المؤمنين الصادقين في الأمم السابقة من المحن والشدائد حتى يتأسى بهم المسلمون ؛ وكان ذلك على سبيل المثل فكأن قائلًا قال : ما ذلك المثل أو ما مثل الذين خلوا ومضوا وما حالهم ؟

فكان الجواب : ﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾ .

وبهذا البيان يتضح أن جملة ﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾ [البقرة : ٢١٤] مرتبطة بما قبلها معنى لا لفظًا فحينئذ يكون الوقف على ﴿ مِن قَبْلِكُم ﴾ كافيًا .

وكذلك الوقف على قوله : ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ وقف كاف أيضًا ؛ لأن قوله : ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ كلام مستأنف بقرينة افتتاحه بـ ﴿ أَلَا ﴾ التنبيهية (٢) .

قال الإمام القرطبي : (﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ إخبار من الله مؤتنفًا بعد تمام ذكر القول) (٣) .

معنى الآية الكريمة : في الآية الكريمة دعا المولى جل وعلا المؤمنين وحثهم على تحمل الصبر والثبات حينما يمتحنون بالشدائد في سبيل دينهم فلا يعبئون بما ينالون في أنفسهم وأموالهم من الأذى وذلك تأسيًا بمن سبقهم من المتقين ؛ حتى يفوزوا برضوان الله ونصره .

فقال جل شأنه : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن

---

(١) وجوز أبو البقاء أن قوله : ﴿ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾ في موضع الحال بإضمار « قد » ، وقال أبو حيان عن هذا الوجه : فيه بعد . يراجع التبيان في إعراب القرآن (ج١ ص١٧١) والبحر المحيط (ج٢ ص١٤٠) .

(٢) يراجع علل الوقوف (ج١ ص٢٩٣ ، ٢٩٤) والقطع (ص١٨٤) والمكتفى (ص١٨٤) ومنار الهدى (ص٥٨) والكشاف (ج١ ص٢٥٦) والبحر المحيط (ج٢ ص١٤٠) وروح المعاني (ج٢ ص١٠٤) والتحرير والتنوير (ج٢ ص٣١٧) وحاشية الجمل (ج٢ ص١٦٨) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٣ ص٣٦) .

قَبْلِكُم ... ﴾ [١] . واختلف المفسرون في ﴿ أَمْ ﴾ هنا :

فيرى البعض : أنها للاستفهام الإنكاري ، ويرى البعض الآخر : أنها ﴿ أَمْ ﴾ المتصلة ويرى فريق ثالث : أنها ﴿ أَمْ ﴾ المنقطعة .

والمعنى : على أن ﴿ أَمْ ﴾ للاستفهام الإنكاري : أظننتم أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة بمجرد الإيمان دون أن يصيبكم ما أصاب الذين سبقوكم من شدائد الأنفس والأموال ، ومن مخاوف أفزعتهم حتى بلغ الأمر برسولهم وبالمؤمنين معه أن يقولوا وهم في أقصى ما تحمله النفس البشرية من آلام : متى نصر الله ؟ [٢] .

وعلى القول بأن ﴿ أَمْ ﴾ هنا متصلة [٣] فيكون المعنى : قد خلت من قبلكم أمم أوتوا الكتاب ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق ؛ فصبروا على استهزاء قومهم بهم ، أفتسلكون سبيلهم ، أم تحسبون أن تدخلوا الجنة دون أن يصيبكم ما أصابهم ؟ [٤] .

وأما على القول بأنها منقطعة [٥] فيصير المعنى : لقد أوذيتم أيها المؤمنون في سبيل دينكم أذى عظيمًا ؛ فعليكم أن تصبروا وأن تثبتوا كما فعل الذين من قبلكم ، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة دون ابتلاء وصبر أي : « بل أحسبتم .. » إن كان هذا هو حسبانكم فهو حسبان باطل لا ينبغي لكم [٦] .

ثم بين الله تعالى حال الذين خلوا ومضوا من المؤمنين فقال سبحانه : ﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ... ﴾ .

---

(١) سبب نزول الآية : نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم وبلغت القلوب الحناجر . وقيل : نزلت في غزوة أحد لما قتل من المسلمين عدد كبير .
وقال عطاء : لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة اشتد الضر عليهم ؛ لأنهم خرجوا بغير مال وتركوا ديارهم وأموالهم بيد المشركين وآثروا رضى الله ورسوله ، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله وأسر قوم من الأغنياء المنفقين فأنزل الله هذه الآية تطييبًا لنفوس المؤمنين . يراجع أسباب النزول للواحدي (ص٤٤) مكتبة المتنبي - القاهرة - والجامع لأحكام القرآن (ج٣ ص٣٤) .

(٢) يراجع التفسير الكبير (ج٦ ص٢٨٣) بتصرف واختصار والبحر المحيط (ج٢ ص١٤٠) والتفسير الوسيط (ج١ ص٦٨٠) .

(٣) « أم » المتصلة : هي الواقعة في العطف والوارد بعدها وقبلها كلام واحد والمراد بها الاستفهام على التعين ، وشرطها : أن تتقدمها همزة الاستفهام . البرهان في علوم القرآن (ج٤ ص١٨٠) .

(٤) يراجع التفسير الكبير (ج٦ ص٢٨٢) والبحر المحيط (ج٢ ص١٣٩) والتفسير الوسيط (ج١ ص٦٠٨) .

(٥) « أم » المنقطعة : هي التي تدل على الإضراب والاستفهام معًا . ضياء السالك إلى أوضح المسالك لابن هشام (ج٣ ص١٩٨) ط/ السعادة .

(٦) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٣ ص٣٤) وحاشية الجمل (ج١ ص١٦٩) .

والمعنى : أصابتهم الشدائد والمصائب والنوائب وأزعجوا إزعاجًا شديدًا شبيهًا بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع ؛ حتى بلغ بهم الحال أن يقول الرسول والمؤمنون معه : ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ أي : متى يأتي نصر الله ؟

وذلك استبطاء منهم للنصر ؛ لتناهي الشدة عليهم وهذا غاية الغايات في تصوير شدة المحنة ، فإذا كان الرسل مع علو كعبهم في الصبر والثبات قد عيل صبرهم ، وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضيق ؛ كان ذلك دليلًا على أن الشدة بلغت منتهاها ، فقال الله تعالى جوابًا لهم : ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ، وهذه الجملة الكريمة استئناف على تقدير القول أي : فقيل لهم حيثما التمسوا من الله النصر بعد تلك الشدائد والأهوال التي نزلت بهم : ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ ؛ تطييبًا لأنفسهم وبعثًا للآمال في قلوبهم (١) .

وفي هذه الجملة الكريمة ألوان من المؤكدات والمبشرات بالنصر القريب . ويشهد لذلك التعبير بالجملة الاسمية بدل الفعلية وتصدير الجملة بأداة الاستفتاح ﴿ أَلَآ ﴾ وإضافة النصر إلى الله القادر على كل شيء والذي وعد عباده المؤمنين بالنصر (٢) .

فقال سبحانه : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر : ٥١] .

النموذج الثالث :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

فالوقف على قوله : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ ﴾ وقف كاف ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ جملة مفسرة للمثل ، وهي في موضع رفع ؛ لأنها خبر مبتدأ محذوف لا محل لها من الإعراب ، كأنه قيل : ما المثل ؟ فقال : ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ أي : المثل خلقه من تراب ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ولا يجوز أن يكون وصفًا لـ ﴿ ءَادَمَ ۖ ﴾ ؛ لأن آدم معرفة والمعرفة لا توصف بالنكرة ، ولا يجوز أيضًا أن تكون حالًا ؛ لأن ﴿ خَلَقَهُۥ ﴾ فعل ماض والفعل الماضي لا يكون حالًا .

وبهذا يتضح أن جملة ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ لا تعلق لها بما قبلها تعلقًا صناعيًا بل هي

---

(١) يراجع الكشاف (ج١ ص٢٥٦ ، ٢٥٧) وإرشاد العقل السليم (ج١ ص١٦٥) .
(٢) يراجع إرشاد العقل السليم (ج١ ص١٦٥) وحاشية الجمل (ج١ ص١٧٠) .

متعلقة تعلقًا معنويًا (١) .

معنى الآية : في الآية الكريمة يسوق القرآن مثلًا لهؤلاء الذين أنكروا إنسانية عيسى عليه السلام ورسالته ؛ متعللين بأن خلقه لم يكن وفق السنن الطبيعية ، فقد خلق من غير أب .

ويرد الله ﷻ عليهم في هذا المثل بأنه لا غرابة في ذلك ؛ فهذا ليس مستبعدًا على الله تعالى ، فقد خلق الله آدم كذلك فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ .. ﴾ .

والمعنى : إن شأن عيسى عليه السلام وحاله العجيبة الشأن عند الله في تقديره وحكمه ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ أي : كصفة آدم وحاله العجيبة في أن كليهما قد خلقه الله من غير أب ، ويزيد آدم على عيسى أنه خلق بدون أم أيضًا (٢) .

ثم قال له عند تعلق إرادته تعالى بتنفيذ خلقه : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ أي : صر بشرًا فصار بشرًا ، فالجملة الكريمة تصور نفاذ قدرة الله تعالى تصويرًا بديعًا يدل على أنه سبحانه لا يعجزه شيء في هذا الكون .

وعبر بصيغة المضارع المقترن بالفاء في قوله : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ دون الماضي بأن يقول : « كن فكان » ؛ لأن التعبير بالمضارع فيه تصوير واستحضار للصورة الواقعة كما وقعت .

ومن جهة أخرى : فإن صيغة المضارع في هذا المقام تنبئ عما كان ، وتومئ إلى ما يكون بالنسبة لخلق الله تعالى المستمر كما كان في الماضي (٣)، (٤) .

---

(١) يراجع الاقتداء ورقة (٧١) ومنار الهدى (ص٧٩) والتبيان في إعرب القرآن (ج١ ص١٣٧) والبيان في غريب القرآن لابن الأنباري تحقيق د/ طه عبد الحميد طه . مراجعة مصطفى السقا (ج١ ص٢٠٦) ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب والمحرر الوجيز (ج٣ ص١٠٩) والبحر المحيط (ج٢ ص٤٧٨) .

(٢) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص١٠٢ ، ١٠٣) بتصرف وفتح القدير (ج١ ص٣٤٦) وروح المعاني (ج٣ ص١٩٢) والأمثال في القرآن الكريم أ.د/ محمود ابن الشريف (ص٣٦) ط/ دار المعارف .

(٣) يراجع روح المعاني (ج٣ ص١٨٦) بتصرف والتحرير والتنوير (ج٣ ص٢٦٤) والتفسير الوسيط (ج٢ ص١٦٤) .

(٤) قال الأستاذ / عبد الكريم الخطيب ما نصه : (إن قول الله للشيء : ﴿ كُن ﴾ لا يقتضي وقوع هذا الشيء في الحال ؛ إذ قد يكون الأمر موقوفًا بوقت أو متعلقًا بأسباب لا بد أن يقترن حدوثه بها وهذه الأسباب لا متعلق لها بقدرة الله ، وإنما متعلقها بالشيء ذاته الذي دعته القدرة إلى الظهور والذي قضت حكمة الله ألا يظهر إلا بعد أن يستكمل أسبابه المقترنة به ، وهذا يشير إليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (يس : ٨٢) فمثلًا مما سبق علم الله به واقتضته إرادته إيجاد شيء ما وليكن هذا الإنسان أو ذاك ! إن أمر الله قد صدر من قديم لهذا الإنسان أن يكون على صورة كذا وهيئة كذا وتحمل به أمه في يوم كذا وهكذا ..) . انظر التفسير القرآني للقرآن (ج٣ ص٤٧٩) .

النموذج الرابع :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦] .

فالوقف على قوله : ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ وقف كاف ؛ وذلك لأن قوله تعالى : ﴿ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ ﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل : فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ ؟ فقيل : يقول : ﴿ سُبْحَـٰنَكَ ... ﴾ .

وكذلك الوقف على قوله تعالى : ﴿ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ كاف أيضًا ؛ لأن قوله : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ ﴾ استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام [(١)] .

هذا وقد زعم بعض العلماء أن الوقف على قوله : ﴿ مَا لَيْسَ لِي ﴾ ثم يبتدأ بقوله : ﴿ بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ ، ولكن هذا خطأ من وجهين :

أحدهما : أن حرف الجر لا يعمل فيما قبله ؛ لأنه على هذا الوجه تكون الباء غير متعلقة بشيء ، وذلك غير جائز .

الثاني : أنه ليس موضع قسم فإن اعتبره القارئ قسمًا لم يجز ؛ لأنه لا جواب له ، هذا وإن كان ينوي التقديم والتأخير بتقدير : « إن كنت قلته فقد علمته بحق » فذلك خطأ أيضًا ؛ لأن التقديم والتأخير مجاز ، فلا يستعمل غالبًا إلا بتوقيف أو بدليل قاطع ؛ لأنه إذا ابتدأ بذلك ؛ فقد جعل أنه قاله [(٢)] .

وإن كان الأشموني : أجاز الوقف على وجه التقديم والتأخير ، ولكنه فنده بعد ذلك بقوله : لكنه لا يستعمل ؛ وذلك لما صح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « تلقى عيسى حجته ولقاه الله في قوله : لما قال الله : ﴿ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال أبو هريرة : عن رسول الله ﷺ فلقاه الله : ﴿ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [(٣)] .

---

(١) يراجع المكتفى (ص٢٤٥) والاقتداء ورقة (١٠١) والمقصد لتلخيص ما في المرشد (ص١٢٦) وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٧٥) وروح المعاني (ج٧ ص٦٥) .

(٢) يراجع المكتفى (ص٢٤٥) والقطع (ص٢٩٩) والاقتداء ورقة (١٠١) ومنار الهدى (ص١٢٦) والجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص٣٧٥) .

(٣) أخرجه الإمام الترمذي في الجامع – أبواب التفسير – سورة المائدة وقال : هذا حديث حسن صحيح .

من هنا إذا وقف القارئ على قوله : ﴿ مَا لَيْسَ لِى ﴾ وبدأ بقوله : ﴿ بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ... ﴾ كان تعسفًا لا يليق بفصاحة القرآن ؛ لأن المنكر لا يقسم به والقسم لا يجاب بالشرط .

معنى الآية الكريمة : يخاطب اللّه تعالى رسوله محمدًا ﷺ بأن يذكر وقت مساءلته - سبحانه - لعيسى يوم القيامة قائلًا له : ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ .. ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : وهذا القول يكون من اللّه يوم القيامة على رؤوس الخلائق ليعلم الكفار أنهم كانوا على باطل . وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين ودليلهم عليه قول اللّه تعالى : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ ... ﴾ [المائدة : ١٠٩] .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾ إنما يراد به : إقامة الحجة على أتباعه الذين غيروا معالم رسالته ، وقلبوا حقائقها ، وادعوا عليه ما لم يقله ، وفي هذا توبيخ وتبكيت لهم أو للكفرة ؛ لأن عيسى عليه السلام سينفي عن نفسه أمامهم أنه ما قال ذلك ، إنما أمرهم بعبادة اللّه وحده ، ولا شك أن النفي بعد السؤال أبلغ من التكذيب ، وأشد في التوبيخ والتقريع ، وأدعى لقيام الحجة على من وصفوه بما هو بريء منه (١) .

ثم ألهمه اللّه سبحانه الجواب بعد بقوله تعالى : ﴿ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ أي : قال عيسى عليه السلام مجيبًا ربه بكل أدب وإذعان : أنزهك تنزيهًا عما لا يليق بك - يا رب - فما ينبغي لي أن أقول قولًا لا يحق لي أن أقوله .

ثم أضاف إلى ذلك الاستشهاد باللّه تعالى على براءته ، وإظهار ضعفه المطلق أمام علم خالقه وقدرته ، فقال كما حكى القرآن عنه : ﴿ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ أي : إن كان ذلك القول وهو ﴿ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ صدر مني فقد علمته يا رب ؛ فإنك لا يخفى عليك شيء مما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته ، وأنت العالم بأني لم أقله ؛ لهذا قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ .

أي : أنك تعلم ما أعلم ، ولا أعلم ما تعلم ، وتعلم ما في غيبي ، ولا أعلم ما في غيبك ، وتعلم ما أقول وأفعل ، ولا أعلم ما تقول وتفعل ، إنك أنت العالم بالخفايا

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص١٣٠) وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٧٤) والبحر المحيط (ج٤ ص٥٨) والجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص٣٧٥) والتفسير القرآني للقرآن (ج٧ ص٨٢) .

والنوايا ، وعلمك محيط بما كان وما يكون .

وجملة ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ بجانب تأكيدها لنفي ما سئل عنه عيسى عليه السلام تدل بأبلغ تعبير على إثبات شمول علم الله تعالى بكل شيء وقد أكد نبي الله عيسى ذلك بـ ﴿ إِنَّ ﴾ المؤكدة وبالضمير ﴿ أَنتَ ﴾ وبصيغة المبالغة ﴿ عَلَّٰمُ ﴾ وبصيغة الجمع للفظ ﴿ ٱلْغُيُوبِ ﴾ فهو لم يقل : « إنك عالم الغيب » ، وإنما قال كما حكى القرآن : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ بكل أنواعها ، وبكل ما يتعلق بالكائنات كلها [١] .

النموذج الخامس :

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] .

فالوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ وقف كافٍ ، ويبتدأ بقوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا ... ﴾ ؛ وذلك للفصل بين الخبرين ، وبهذا الوقف يتخلص القارئ من شيء لا يليق بنبي معصوم أن يهم بامرأة ، وينفصل من حكم القسم قبله في قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ ويصير قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا .. ﴾ مستأنفًا ؛ إذ الهم من نبي الله يوسف عليه السلام منفي ؛ لوجود رؤية البرهان ، ويكون الوقف على قوله : ﴿ بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ ويبتدأ بقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ .. ﴾ ؛ فالهم الثاني غير الأول [٢] .

وهذا ما يسمى في علم البلاغة بالمشاكلة وهي : الاتفاق في اللفظ مع الاختلاف في المعنى [٣] .

ويرى البعض : أن جملة ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ معطوفة على جملة ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ كلها ، وليست معطوفة على جملة ﴿ هَمَّتْ ﴾ التي هي جواب القسم المدلول عليه باللام ؛ لأنه لما أردفت جملة ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ بجملة شرط ﴿ لَوْلَآ ﴾ المتمحض ؛ لكونه من أحوال يوسف عليه السلام وحده ، لا من أحوال امرأة العزيز ؛ تعين أنه لا علاقة بين الجملتين ، فتعين أن الثانية مستقلة ؛ لاختصاص شرطها بحال المسند إليه فيها ،

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص١٢٠) والتفسير الكبير (ج١١ ص١٩٩) وفتح القدير (ج٢ ص٩٥) والتفسير الوسيط (ج٤ ص٤٥٨) .

(٢) يراجع المكتفي (ص٣٣٥) والبرهان في علوم القرآن (ص ٣٤٦) ومنار الهدى (ص١٩٢) والكشاف (ج٢ ص٤٥٦) .

(٣) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٣ ص٦٣) والبرهان (ج٣ ص٣٧٧ ، ٣٧٨) وجواهر البلاغة لأحمد هاشم (ص٣٧٥) ط/ دار التراث العربي .

وجواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ محذوف يفسره الكلام قبله [١] أي : لولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ، فكان موجد الهَمّ على تقدير رؤية البرهان ، لكنه وجد رؤية البرهان فانتفى الهَمّ ، وبذلك يظهر أن يوسف عليه السلام لم يخالطه هَمّ بامرأة العزيز ، ولم يقع منه البتة ؛ لأن الله تعالى عصمه من الهَمّ بالمعصية بما أراه من البرهان .

وعلى كلٍّ : فينبغي الوقف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ ، والابتداء بقوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا .. ﴾ ؛ للفصل بين الخبرين كما تقرر [٢] .

معني الآية الكريمة : أخبر المولى تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة عن موقف امرأة العزيز من يوسف عليه السلام بعدما غلقت الأبواب ، وتوسلت إليه بكل وسائل الإغراء وحاولت إيقاعه في شراكها ، وموقف يوسف منها ، فقال سبحانه مبينًا همها أولًا : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ ، أي : ولقد عزمت امرأة العزيز عزمًا جازمًا لا يلويها عنه صارف على ضرورة مخالته ، والظفر بما تريد منه ، بعدما باشرت مباديها من المراودة ، وتغليق الأبواب ، ودعوته عليه السلام إلى الإسراع إليها بقولها : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ ولعلها تصدت هنالك لأفعال أخرى من بسط يدها إليه ، وقصد المعانقة ، وغير ذلك مما اضطره إلى الهرب نحو الباب .

---

(١) ويرى بعض المفسرين أن جواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ مقدم على الشرط للاهتمام به ، والتقدير : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها . انظر التفسير الكبير (ج١٧ ص٢٨) والذي أرجحه وأميل إليه - والله أعلم بالصواب - أن قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ لا يصلح جوابًا ؛ لأن ﴿ لَوْلَآ ﴾ لها الصدارة ، وبذلك يكون قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ دليل الجواب ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص ٢٨: ١٠] ؛ لأن ﴿ لَوْلَآ ﴾ حرف امتناع لوجود ، امتنع الهم ؛ لوجود البرهان ، وامتنع إبداء أم موسى بما في نفسها على ابنها ؛ لوجود ﴿ رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ . فالجواب محذوف تقدم دليله على ﴿ لَوْلَآ ﴾ قال صاحب البحر ما ملخصه : (والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة بل هو منفي لوجود رؤية البرهان ، كما تقول : لقد فارقت لولا أن عصمك الله ولاتقول : إن جواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها ... بل نقول : إن جواب ﴿ لَوْلَآ ﴾ محذوف لدلالة ما قبله عليه ... فهنا التقدير : لولا أن رأى برهان ربه لهم بها ، وجدت رؤية البرهان فانتفى الهم ...) انظر البحر المحيط (ج٥ ص٢٩٥) بتصرف واختصار وراجع ضياء السالك (ج٤ ص٧٣ ، ٧٤) والتبيان (ج٢ ص٧٢٩) وإعراب القرآن لمحيي الدين درويش (ج١٢ ص٤٧٠ - ٤٧١) ط اليمامة - دمشق - بيروت ودار الإرشاد للشئون الجامعية والجدول في إعراب القرآن (ج١٢ ص٣٥٥ - ٣٥٦) والتفسير الكبير (ج١٧ ص٢٨ - ٢٩) وقصص الأنبياء لـ أ . د/ عبد الوهاب النجار (ص ١٥٩) . الناشر دار التراث - القاهرة .

(٢) يراجع البحر المحيط (ج٥ ص٢٩٥) والتحرير والتنوير (ج١٢ ص٢٥٤) والجدول في إعراب القرآن (ج١٢ ص٣٥٥) .

والتوكيد بلام القسم و ﴿ قَدْ ﴾ لدفع ما عسى أن يتوهم من احتمال إقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته ﷺ من الزواجر ، هذا معنى الهم الذي كان من جانب امرأة العزيز [١] .

وأما الهم من جانب نبي الله يوسف ﷺ : فقد أخبر عنه الحق سبحانه بقوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ .

واختلف المفسرون في معنى الهم الذي هَمَّ به يوسف ﷺ على أقوال كثيرة ، منها ما لا يليق قوله بمقام الصالحين من الأمة ، فكيف بمقام من هو نبي من الأنبياء ، أو من هو معد لأن يكون نبيًا ؟! فلا يجوز ذكر تلك الأقوال ؛ لأنها - والله أعلم - من أقوال اليهود الذين كانوا ينتهكون حرمة الأنبياء في الحياة ؛ فكانوا يؤذونهم ويقتلونهم ، وكذلك ينتهكون حرمتهم بعد مماتهم ؛ فينسبون إليهم ما تشمئز منه القلوب ، ويكذبون عليهم بما يأباه كل عقل .

أما الأقوال التي تليق بالذكر فأربعة ، نضعها بين يدي القارئ ؛ حتى يكون على علم بحقيقة ذلك الأمر ، وليختار ما يرتاح له باله ، وليعلم أن المقام دقيق جدًا ؛ لأنه مقام عصمة الأنبياء وتنزيه ساحة المرسلين :

القول الأول : قال جماعة من المفسرين : هَمَّ يوسف بأن يجيبها إلى ما دعته إليه ، ثم ارعوى عن ذلك لما رأى برهان ربه . ونقل ذلك عن ابن عباس ﷺ وابن أبي مليكة وثعلب ، والهم بالسيئة ليس من الكبائر ، ولا من الصغائر إذا لم يقدم المرء على فعلها ؛ لقول الرسول ﷺ : « **قال الله ﷻ : إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ، فإن عملها فاكتبوها سيئة ، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة ، فإن عملها فاكتبوها عشرًا** » [٢] .

والهم بالشيء حسنة كان أو سيئة من طبع البشر ؛ فلا يلام عليه أحد إلا إذا أقدم عليه ، وأخذ في التهيؤ لفعله [٣] .

---

(١) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٣ ص٦٢ - ٦٣) بتصرف وروح المعاني (ج١٢ ص٢١٣) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان - باب تجاوز الله تعالى عن حديث النفس ، الحديث رقم (١٨٩ - ١٩٠) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج١ ص٢٢٧) عن أبي رجاء عن ابن عباس وأخرجه الإمام الترمذي في صحيحه أبواب تفسير القرآن - سورة الأنعام وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وأخرجه البخاري في صحيحه بلفظ مختلف - كتاب الرقاق - باب من هم بحسنة أو بسيئة ، حديث رقم (٦١٠٥) وأخرجه الإمام الدارمي في سننه بلفظ مختلف أيضًا كتاب الرقاق - باب من هم بحسنة .

(٣) التفسير الكبير (ج ١٧ ص٢٩ ، ٣٠) والجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص١٦٨) والسراج المنير (ج٢ ص٩٦) وحاشية الجمل (ج٢ ص٤٤٥) .

أقول : إن هناك فرقًا بين هَمّ يوسف عليه السلام وهَمّ امرأة العزيز ؛ إذ إن همها اقترن بمباشرة الأسباب ؛ ولذا عد عليها خطأ وذنبًا ، وأما همه عليه السلام لم يقترن بشيء ؛ فلم يكن منه معصية .

القول الثاني : المراد بالهم : الاشتهاء حسب الطبيعة البشرية ، **والمعنى** : ولقد اشتهت المرأة ما أرادت من يوسف ، واشتهى يوسف ذلك أيضًا حسب الطبيعة البشرية ، ولولا أن رأى برهان ربه لاستجاب ؛ لكن امتنع حيث علم أن هذا العمل حرام ، وذلك كالصائم في الصيف الشديد الحر ، وهو شديد العطش ، يرى الماء البارد فإنه يشتهيه حسب الطبع ، ولكن يكف نفسه عن شربه ولا يأثم بذلك الاشتهاء بل يزيد من أجره .

هذا ولو لم يوجد من يوسف عليه السلام أي اشتهاء طبيعي لم يكن في تركه فضل ؛ لأن العنين إذا ترك الزنى لا يعد ذلك فضيلة له ، ولكن حيث كان فرق بين اشتهاء المرأة واشتهاء يوسف عليه السلام ؛ باقتران اشتهائها بالطلب والإلحاح ومباشرة الأسباب ، وعدم اقتران اشتهائه بشيء من الأفعال الاختيارية ؛ عد اشتهاؤها خطأ دون اشتهائه [1] .

القول الثالث : يرى فريق من المفسرين أن امرأة العزيز لما عرضت نفسها على يوسف وألحت عليه من أن يستجيب الطلب ، فامتنع يوسف وأبى ؛ غضبت غضبًا شديدًا حيث رأت ذلك عصيانًا لأمرها ، كيف وهي سيدته ؟! فأرادت أن تبطش به وتضربه أو توقعه على نفسها جبرًا وقهرًا ، وأراد يوسف أن يدفعها عن نفسه حتى بالضرب إن احتاج إلى ذلك ، ولكن رأى برهان ربه ، وهو أن المصارعة مع المرأة شنيعة ؛ فالفرار والهروب من الشر أحلى .

فالمعنى : ولقد همت المرأة بيوسف لتضربه أو لتجلبه لنفسها جبرًا ، وهَمّ يوسف أن يدفعها عن نفسه ولو بالضرب ؛ لولا أن رأى أن التدافع مع المرأة - سيما إذا كانت سيدته - شنيع لضربها ضربًا ، ولدفعها دفعًا ، ولكن لهذا البرهان لم يضرب ولم يدفع ، بل فر وهرب تخلصًا من هذا الموقف الحرج [2] .

القول الرابع : أن هَمَّهُ عليه السلام بها امتنع ؛ لوجود البرهان عنده ، وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب آبائه ، وبأخلاقهم الذكية الطاهرة ، وعلى هذا القول جواب

(١) يراجع الكشاف (ج٢ ص٤٥٦) بتصرف والتفسير الكبير (ج١٧ ص٣٠) وإرشاد العقل السليم (ج٣ ص٦٣) وروح المعاني (ج١٢ ص٢١٥ ، ٢١٦) والجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص ١٦٧) .

(٢) يراجع التفسير الكبير (ج١٧ ص٢٩ ، ٣٠) والجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص١٦٦) وتفسير المنار (ج١٢ ص٣٧٨) .

﴿ لَوْلَآ ﴾ محذوف تقدم دليله على ﴿ لَوْلَآ ﴾ [١] .

قال أ . د/ عبد الوهاب النجار ما ملخصه : « وهذا القول يلتئم مع قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ ، ومع قوله في الآية نفسها : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾) [٢] .

وعلى كلٍّ : فلا خلاف في أن يوسف عليه السلام لم يأت بالفاحشة ، وإنما الخلاف في وقوع الهم ، وقد بينت أقوال المفسرين في معناه ومراده .

والذي أميل إليه : أنه عليه السلام منزه عن الهم ، وهذا الذي ذهب إليه أبو حيان في تفسيره [٣] ، وتبعه أ. د/ عبد الوهاب النجار [٤] .

بينما يرى البعض أن الهم في حق يوسف عليه السلام يفسر بحديث النفس . وممن ذهب إلى هذا القول الإمام الزمخشري في تفسيره [٥] ، وتبعه في ذلك فضيلة أ.د/ محمد سيد طنطاوي في تفسيره [٦] ، وأ.د/ محمد بكر إسماعيل في كتابه من لطائف البيان في سورة يوسف عليه السلام [٧] . ولكن أقول : لكلٍّ وجهته ، والله أعلم بحقيقة الحال .

وللإمام الرازي في تفسيره الكبير نكتة لا بأس بإيرادها قال : (إن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة هم : يوسف عليه السلام ، والمرأة ، وزوجها ، والنسوة ، والشهود ، ورب العالمين ، وإبليس ، وكلهم قالوا ببراءة يوسف عليه السلام عن الذنب ؛ فلم يبق لمسلم توقف في هذا الباب .

أما يوسف ؛ فلقوله : ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ [يوسف : ٢٦] ، وقوله : ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ [يوسف : ٣٣] .

وأما المرأة ؛ فلقولها : ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٣٢] ، وقولها أيضًا : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف : ٥١] .

وأما زوجها ؛ فلقوله : ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۞ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ... ﴾ [يوسف : ٢٨، ٢٩] .

وأما النسوة ؛ فلقولهن : ﴿ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا

---

(١) يراجع البحر المحيط (ج٥ ص٢٩٥) والسراج المنير (ج٢ ص٩٦) وقصص الأنبياء (ص١٥٩) .
(٢) انظر قصص القرآن (ص١٥٩) .
(٣) انظر البحر المحيط (ج٥ ص٢٩٥) .
(٤) انظر قصص القرآن (ص١٥٩) .
(٥) انظر الكشاف (ج٢ ص٤٥٦) .
(٦) انظر التفسير الوسيط (ج٧ ص٥٥ ، ٥٦) .
(٧) انظر لطائف البيان في سورة يوسف عليه السلام (ص٩٨) . الناشر مكتبة الرشد .

لَنَرَنهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٠]، وقولهن: ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ [يوسف: ٢٦].

وأما الشهود؛ فلقوله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ... ﴾ [يوسف: ٢٦].

وأما شهادة الله تعالى؛ فلقوله ﷻ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٦].

وأما إقرار إبليس بذلك؛ فلقوله: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، فأقر إبليس بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين، ويوسف من المخلصين؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]؛ فكان هذا إقرارًا من إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريق الهدى) [١].

وقوله سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤] بيان لمظهر من مظاهر رحمة الله تعالى به، ورعايته له.

والمعنى: أي: مثل ذلك الإراءة للبرهان أرينا يوسف؛ لنصرف عنه السوء والفحشاء، أي: لنحول ونبعد عنه السوء والفحشاء [٢]، وفي هذا إشارة إلى أن السوء والفحشاء توجها إلى يوسف عليه السلام فصرفهما الله عنه [٣].

قال العلامة أبو السعود رحمه الله: (وفي قوله تعالى: ﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ .. ﴾ إلخ [يوسف: ٢٤] آية بينة، وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه هَمٌّ بالمعصية ولا توجه إليها، وإلا لقيل: لنصرفه عن السوء والفحشاء، وإنما توجه إليه ذلك من خارج؛ فصرفه الله تعالى بما فيه من موجبات العفة والعصمة) [٤].

وفي هذا دليل على أن يوسف عصم من صغائر الذنوب وكبائرها؛ فبطل قول من قال: إنه وجد الهم من يوسف، والهم ذنب، ولكن كان قبل النبوة؛ فعجبًا لمن أثبت ذنبًا لمن برأه الله تعالى من كل ذنب.

ثم ختمت الآية الكريمة بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤]، وفي

---

(١) يراجع التفسير الكبير (ج١٧ ص٢٦) بتصرف.

(٢) المراد بالسوء: صغائر الذنوب كالقبلة، أو النظر بشهوة، وغير ذلك من مقدمات الزنى، والمراد بالفحشاء: كبائر الذنوب كالزنى، والخيانة مع من أمنه على ماله وأهله. يراجع السراج المنير (ج٢ ص٦٧).

(٣) يراجع التفسير الكبير (ج١٧ ص٢٦) وفتح القدير (ج٣ ص١٨).

(٤) انظر إرشاد العقل السليم (ج٣ ص٦٣) ويراجع روح المعاني (ج١٢ ص٢١٥).

ذلك تعليل لحكمة صرف الله تعالى السوء والفحشاء عن يوسف ، كأنه قال : صرف عنه السوء والفحشاء ؛ لأنه من عبادنا المخلصين . وقد وعد الله بحفظهم من الشيطان ؛ فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢] . وقد اعترف الشيطان بأنه لا يستطيع أن يظفر بهم ؛ حيث قال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] ، وقرئ قوله : ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ بكسر اللام وفتحها [1] ؛ فهو مخلص في أقواله وأفعاله ، فلما كان كذلك أخلصه الله لنفسه وجعله من صفوة عباده ، وبرأه من كل ما يعاب به [2] .

النموذج السادس :

قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤] .

فالوقف على قوله : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ وقف كاف ؛ لأن قوله : ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ... ﴾ في حكم المبتدأ الخارج عن تعليل الإرسال ، ولم يك معطوفًا على ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ؛ لأن العطف يجعل معنى المعطوف كمعنى المعطوف عليه ، والرسل أرسلوا للبيان لا للضلال [3] .

قال الفراء : (إذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فإن كان الفعل الثاني مشاكلًا للأول نسقته عليه وإن لم يكن مشاكلًا له استأنفته ورفعته) [4] .

من هنا : كان الوقف على قوله : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ كافيًا ؛ لأن ما بعده منقطع لفظًا ، ومتصل معنى . أما انقطاعه لفظًا ؛ فذلك أمر قد ظهر بيانه ، وأما اتصاله من حيث المعنى ؛ فكأنه تعالى قال : وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ؛ ليبين لهم تلك الشرائع باللغة التي ألفوها وفهموها ، ومع ذلك فإن المضل والهادي هو الله ﷻ . والبيان

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام في ﴿ٱلْمُخْلِصِينَ﴾ وتأويلها : الذين أخلصوا طاعة الله ، وقرأ الباقون بفتح اللام وتأويلها : الذين أخلصهم الله لرسالته . انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص١٧٠) .

(٢) يراجع روح المعاني (ج١٢ ص٢١٥) وفتح القدير (ج٣ ص١٨) والسراج المنير (ج٢ ص٩٧) والقول المنصف في تفسير سورة يوسف بقلم محمد طه الباليساني (ص٧٧ - ٧٨) ط/ وزارة الأوقاف والشئون الدينية - بغداد - العراق ومن لطائف البيان في سورة يوسف (ص٩٩) .

(٣) يراجع المكتفى (ص٣٣٩) وعلل الوقوف (ج٢ ص٦٢١ ، ٦٢٢) ومنار الهدى (ص٢٠٥) والتبيان في إعراب القرآن (ج٢ ص٧٦٣) ومعاني القرآن للزجاج (ج٣ ص١٥٤) .

(٤) انظر معاني القرآن (ج٢ ص١٦٨) ويراجع التفسير الكبير (ج١٧ ص٢٨٤) وفتح القدير (ج٣ ص٩٤) .

لا يوجب حصول الهداية إلا إذا جعله الله واسطة وسببًا ؛ فربما قوي البيان ولا تحصل الهداية ، وربما ضعف البيان وحصلت الهداية [١] .

معنى الآية الكريمة : في الآية الكريمة : يبين الله تعالى منة من مننه العظيمة على عباده وهي حكمة إرسال الرسل واختيارهم من بين أقوامهم فقال - جل شأنه - : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ... ﴾ [إبراهيم : ٤] أي : وما أرسلنا قبلك يا محمد رسولًا من الرسل إلى قوم من الأقوام إلا وكانت لغته هي لغتهم ؛ وذلك ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه ، وليوضح لهم ما أمرهم الله به من الشريعة التي شرعها لهم ؛ حتى لا يكون لهم حجة على الله تعالى .

والباء في قوله : ﴿ بِلِسَانِ ﴾ للملابسة ، أي : ملتبسًا بلسانهم ، متكلمًا بلغتهم ؛ إذ المراد باللسان هنا : اللغة التي يتخاطب بها الرسول مع قومه ؛ لذا جاء مفردًا [٢] .

فعن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **لم يبعث الله ﷻ نبيًا إلا بلغة قومه** » [٣] .

ثم بعدما خاطب الله - جل وعلا - نبيه محمدًا ﷺ استأنف بأسلوب الالتفات إلى الغيبة قائلًا : ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ .. ﴾ .

والمعنى : فيضل الله من يشاء إضلاله ، أي : يخلق فيه الضلال ؛ لوجود أسبابه المؤدية إليه فيه ، ويهدي من يشاء هدايته . وهو سبحانه العزيز الذي لا يغالبه مغالب ، الحكيم في جميع أفعاله [٤] .

قال الطاهر بن عاشور : (وتفريع قوله : ﴿ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ... ﴾ إلخ على مجموع جملة ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ ؛ ولذلك جاء فعل ﴿ يُضِلُّ ﴾ مرفوعًا غير منصوب ؛ إذ ليس عطفًا على فعل ﴿ لِيُبَيِّنَ ﴾ ؛ لأن الإضلال لا يكون معلولًا للتبيين ، ولكنه مفرع على الإرسال المعلل بالتبيين . والمعنى : أن الإرسال بلسان قومه لعلة التبيين وقد يحصل أثر التبيين بمعونة الاهتداء ، وقد

---

(١) يراجع التفسير الكبير وفتح القدير السابقان .

(٢) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٥٢٢) والكشاف (ج٢ ص٥٣٨) والجامع لأحكام القرآن (ج٩ ص٣٤٠) وفتح القدير (ج٣ ص٩٤) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله وكيع عن عمرو بن ذر قال : قال مجاهد عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « لم يبعث الله نبيًا إلا بلغة قومه » . المسند (ج٥ ص١٥٨) .

(٤) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٣ ص١١٧) ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٤ ص٢٧) وفتح القدير (ج٣ ص٩٤) .

لا يحصل أثره بسبب ضلال المبين لهم » (١) .

واستشكل في هذه الآية : بأن النبي ﷺ أرسل إلى الناس جميعًا ، بل إلى الجن والإنس ، ولغاتهم متباينة ، وألسنتهم مختلفة .

وأجيب على هذا الإشكال بما يأتي :

أن النبي ﷺ وإن كان مرسلًا إلى الثقلين ، لكن لما كان قومه العرب ، وكانوا أخص به وأقرب إليه ؛ كان إرساله بلسانهم أولى من إرساله بلسان غيرهم ، وهم يبينونه لمن كان على غير لسانهم ، ويوضحونه حتى يصير فاهمًا له كفهمهم إياه .

وأيضًا : لو نزل القرآن بجميع لغات من أرسل إليهم وبينه رسول الله لكل قوم بلسانهم ؛ لكان ذلك مظنة للاختلاف ، وفتحًا لباب التنازع ؛ لأن كل أمة قد تدعي من المعاني في لسانها ما لا يعرفه غيرها ، وربما كان ذلك أيضًا مفضيًا إلى التحريف والتصحيف بسبب الدعاوى الباطلة التي يقع فيها المتعصبون (٢) .

النموذج السابع :

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦] .

فالوقف على قوله تعالى : ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ وقف كافٍ ؛ وذلك لأن جملة ﴿ نُّسْقِيكُم .. ﴾ ليست بصفة لـ ﴿ عِبْرَةً ﴾ بل هي استئناف ؛ لبيان ما أبهم من العبرة ، كأنه قيل : كيف العبرة فيها ؟ فقيل : « نسقيكم من بين فرث ودم لبنًا خالصًا ... » (٣) .

وبهذا يظهر أن جملة ﴿ نُّسْقِيكُم ﴾ مرتبطة بما قبلها معنى ، منقطعة لفظًا .

معنى الآية : في الآية الكريمة يلفت الله تعالى الأبصار والبصائر إلى مظهر من مظاهر قدرته ، وعجيب صنعه ، وسعة رحمته ؛ حيث خلق للناس الأنعام وسقاهم من ألبانها ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ... ﴾ .

والأنعام : تطلق على الإبل والبقر والضأن والمعز ، والعبرة : مصدر بمعنى العبور ،

---

(١) انظر التحرير والتنوير (ج١٣ ص١٨٨) .

(٢) يراجع فتح القدير (ج٣ ص٩٤) .

(٣) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٦٤١) والاقتداء ورقة (١٦٤) وإرشاد العقل السليم (ج٣ ص١٨١) والكشاف (ج٢ ص٦١٥) وروح المعاني (ج١٤ ص١٧٦) .

أي : التجاوز من محل لآخر .

والمراد بها هنا : العظة ، والاعتبار ، والانتقال من الجهل إلى العلم ، ومن الغفلة إلى اليقظة ، أي : وإن لكم أيها الناس في خلق الأنعام ، وفيما يخرج منها من ألبان لعظة وعبرة ، يعتبر بها العقلاء ؛ ففي خلقها وتسخيرها دلالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته [١] .

ثم فسر الحق سبحانه العبرة بقوله : ﴿ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ... ﴾ [٢] أي : نسقيكم من بين الفرث والدم الذي اشتملت عليه بطون الأنعام ﴿ لَّبَنًا ﴾ نافعًا لأبدانكم ﴿ خَالِصًا ﴾ مُصَفًّى عما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه ، أو صافيًا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة الفرث ، مع أنه موجود بينهما .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « إذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها وطبخته كان أسفله فرثًا وأوسطه لبنًا وأعلاه دمًا ؛ فالكبد مسلطة عليه تقسمه بتقدير الله عز وجل فيجري الدم في العروق ، واللبن في الضروع ، ويبقى الثفل كما هو » .

وقدم المولى – جل وعلا – قوله : ﴿ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ ﴾ على قوله : ﴿ لَّبَنًا ﴾ ؛ لأن خروج اللبن من بينهما هو موطن العبرة ، وموضع الدليل الأسمى على قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وهذا اللبن الخالص النافع وصفه الله بقوله : ﴿ سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ ، أي : سهل المرور في الحلق ، لذيذًا هنيئًا لا يغص من شربه [٣] .

النموذج الثامن :

قوله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾ [الفرقان : ٢٩] .

---

(١) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٥٧٤) بتصرف والجامع لأحكام القرآن (ج١٠ ص١٢٣) وروح المعاني (ج١٤ ص١٧٦) .

(٢) وتجدر الإشارة إلى بيان وجه قول الله تعالى هنا في سورة النحل : ﴿ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾ وفي سورة المؤمنون : ﴿ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ [آية ٢٢] ؛ وذلك أن الأنعام جمع يذكر ويؤنث ، فجاء هنا على لغة من يذكر ، وفي سورة المؤمنون إنما هو على لغة من أنث . ورجح هذا الرأي ابن العربي حيث قال : (إنما يرجع التذكير إلى معنى الجمع ، والتأنيث إلى معنى الجماعة فذكره هنا باعتبار لفظ الجمع ، وأنثه في سورة المؤمنون باعتبار لفظ الجماعة) . انظر أحكام القرآن لابن العربي تحقيق علي محمد البجاوي (ج٣ ص١١٥١) ط/ عيسى البابي الحلبي والبحر المحيط (ج٥ ص٥٠٨ – ٥٠٩) بتصرف واختصار وفتح القدير (ج٣ ص١٧٤) وأضواء على متشابهات القرآن للشيخ خليل ياسين (ج١ ص٣٢٤) الناشر / دار مكتبة الهلال - بيروت .

(٣) يراجع الكشاف (ج٢ ص٦١٦) ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٤ ص٨١) ومعالم التنزيل للبغوي بهامش لباب التأويل (ج١ ص٨١) وروح المعاني (ج١٤ ص١٧٨) .

قد اختلف العلماء في الوقف على قوله : ﴿ إِذْ جَآءَنِي ﴾ على قولين :

أحدهما : أنه وقف كافٍ .

والثاني ، وإليه ذهب الجمهور : أن الوقف على قوله : ﴿ إِذْ جَآءَنِي ﴾ وقف تام ؛ ووجه تمامه عندهم : أن قوله : ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ﴾ آخر كلام الظالم الذي هو أُبيّ بن خلف ، وما بعده من قوله تعالى [1] .

والذي أميل إليه : هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول أن الوقف على قوله : ﴿ إِذْ جَآءَنِي ﴾ وقف كافٍ ؛ لأن قوله تعالى ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ فيه وجهان :

الوجه الأول : أن يكون من تمام كلام الظالم أُبيّ بن خلف على أنه سمى خليله شيطانًا بعد وصفه بالإضلال الذي هو أخص الأوصاف الشيطانية ، أو على أنه أراد بالشيطان إبليس ؛ لأنه الذي حمله على مجالسة المضلين ، ومخالفة الرسول ﷺ بوسوسته وإغوائه .

وعلى هذا الوجه لا يكون الوقف على ﴿ جَآءَنِي ﴾ تامًّا ؛ لأن قوله : ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ من جملة مقول القول .

الوجه الثاني : أن يكون قوله : ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ من كلام الله تعالى .

والمراد بالشيطان - على هذا الوجه - : إبليس ؛ لأنه الذي حمله على الصداقة لذلك المضل ، وعلى الكفر برسول الله ﷺ ثم خذله .

وعلى هذا الوجه لا يكون الوقف على ﴿ جَآءَنِي ﴾ تامًّا أيضًا ؛ لأن هذا القول وهو ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ إن كان من كلام الله جل شأنه ؛ فإنه مقرر لمضمون ما قبله ، ومؤكد لمعناه ؛ فبينهما ارتباط معنوي وثيق .

من هنا كان الوقف على قوله : ﴿ إِذْ جَآءَنِي ﴾ كافيًا [2] .

معنى الآية الكريمة : إن هذه الآية الكريمة مرتبطة بالآيتين قبلها [3] ؛ وذلك أن عقبة بن

---

(١) يراجع البرهان للزركشي (ج١ ص٣٥١) والمكتفى (ص١٤١ ، ٤١٦) ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٥ ص٨٢) .

(٢) يراجع حاشية الجمل (ج٣ ص٢٥٤) والجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٢٦) وروح المعاني (ج١٩ ص١٣) والكشاف (ج٣ ص٢٧٧) ويراجع في ذلك أيضًا معالم الاهتداء (ص٢٢) .

(٣) الآيتان (٢٧ ، ٢٨) من سورة الفرقان .

أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف اتخذ ضيافة ، فدعا إليها رسول الله ﷺ فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أُبيّ بن خلف صديقه فعاتبه ، وقال : صبأت يا عقبة ، قال : لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي ، فقال : وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمدًا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه ، فوجده ساجدًا في دار الندوة ففعل ذلك ، فقال النبي ﷺ : « **لا ألقاك خارجًا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف** » فقتل يوم بدر ، وأما أُبيّ فقد طعنه النبي ﷺ في غزوة أحد ، فرجع إلى مكة فمات [1] .

وعلى أية حال : فإن الآيات وإن كانت قد نزلت في هذين الشقيين ؛ فإنها تشمل كل من كان على شاكلتهما في الكفر والعناد ؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [2] .

والآية التي نحن بصدد الحديث عنها : تبين موقف عقبة بن أبي معيط عندما يأتي يوم القيامة وقد تخلى عنه صديقه ؛ لأن ذلك اليوم لا تنفع فيه خلة ولا شفاعة . آنذاك يتحسر قائلًا كما حكى القرآن الكريم : ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ﴾ .

والمعنى : والله لقد أضلني من اتخذته في الدنيا خليلًا عن القرآن ، أو عن الموعظة ، أو كلمة الشهادة ، أو مجموع ذلك ، بعد إذ جاءني وتمكنت منه وقدرت عليه .

وفي التعبير بقوله ﴿ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ... ﴾ إشعار بأن هدي الرسول ﷺ قد وصل إليه وكان في إمكانه أن ينتفع به .

وصدرت الآية الكريمة بلام القسم للمبالغة في بيان شدة ندمه وحسرته .

ثم ختم الحق سبحانه الآية بقوله : ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ أي : كثير الخذلان ، يتركه ، ويتبرأ منه عند نزول البلاء والعذاب به ، يقال : خذل فلان فلانًا إذا ترك نصرته بعد أن وعده بها ، وهكذا تكون عاقبة الذين يتبعون أصدقاء السوء [3] .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه عن معمر عن عثمان الجزري عن مقسم مولى ابن عباس ، الحديث رقم (٩٧٣١) انظر المصنف للحافظ الكبير عبد الرزاق الصنعاني تحقيق الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي (ج٥ ص٣٥٥) وما بعدها ط/ دار القلم بيروت - لبنان ويراجع في ذلك أيضًا الكشاف (ج٣ ص٢٧٦) وروح المعاني (ج١٩ ص١١) وحاشية الجمل (ج٣ ص٢٥٤) .

(٢) يراجع فتح القدير (ج٤ ص٧٢) والتفسير الوسيط (ج١٠ ص٢٤٦) .

(٣) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٢٦) وتفسير الخازن (ج٥ ص٨٢) وفتح القدير (ج٤ ص٧٢) وروح المعاني (ج١٩ ص١٣) والتفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي (ج١٠ ص٢٤٨) .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

النموذج التاسع :

قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [غافر : ٨٥] .

فالوقف على قوله : ﴿ بَأْسَنَا ﴾ وقف كاف ؛ لأن قوله : ﴿ سُنَّتَ ﴾ منصوب بفعل مقدر تقديره : سن الله سنة ، فلما حذف الفعل ؛ أضيف المصدر إلى الفاعل [١] .

وبهذا يظهر : أن الكلام منقطع لفظًا ومتصل معنى ، أي : أن الله ﷻ سن هذه السنة في الأمم كلها أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب [٢] [٣] .

معنى الآية : لما نزل العذاب الأليم بالكافرين ؛ وذلك بسبب استهزائهم برسلهم ، وإعراضهم عن دعوتهم ، بين الله ﷻ حالهم عندما أحاط بهم العذاب فقال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ... ﴾ ، أي : عاينوا شدة العذاب ؛ قالوا بفزع وخوف : آمنا بالله وحده ، وكفرنا بما كنا به مشركين ؛ فبين الله تعالى أن إيمانهم هذا لن ينفعهم ؛ لأن ذلك الإيمان ليس بالإيمان النافع لصاحبه ؛ لأنه جاء في غير وقته ، إنما الذي ينفع هو الإيمان الاختياري لا الإيمان الاضطراري [٤] .

قال الإمام الألوسي : (فكأنه قيل : فلما رأوا بأسنا آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم ؛ إذ النافع إيمان الاختيار) [٥] .

ثم قال جل شأنه : ﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ... ﴾ .

أي : سن الله تعالى ذلك ، وهو عدم قبول الإيمان حال اليأس سنة مطردة في الأمم كلها . وهذا حكم الله تعالى في جميع من تاب عند معاينة العذاب إنه لا يقبل منه توبة ؛ ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ، أي : وقت رؤيتهم بأس الله ،

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٣ ص٨٩٧) ومنار الهدى (ص٣٤١) وإعراب القرآن للعكبري (ج٢ ص١١٢٢) والقطع والائتناف (ص٦٣٢) .

(٢) انظر فتح القدير (ج٤ ص٥٠٣) ويراجع منار الهدى (ص٣٤١) .

(٣) قال الشوكاني : (وقيل : هو منصوب على التحذير أي : احذروا يا أهل مكة سنة الله في الأمم الماضية ، والأول أولى) . انظر فتح القدير (ج٤ ص٥٠٣) .

(٤) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٤ ص٨٩ - ٩٠) وفتح القدير (ج٤ ص٥٠٣) والتفسير الكبير (ج٢٦ ص٥٨٩) .

(٥) انظر روح المعاني (ج٢٤ ص٩٣) .

ومعاينتهم العذاب الأليم [١] .

قال الزجاج : (والكافرون خاسرون في كل وقت ، ولكنه تعالى بين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب) [٢] .

النموذج العاشر :

قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾ [النازعات : ٢٧] .

فالوقف على قوله : ﴿ أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ وقف كاف [٣] ؛ لأن جملة ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ ليست صفة للسماء ؛ وذلك لأن الجملة لا تكون صفة للمعرفة إلا بواسطة « الذي » ؛ لذا فكانت كلمة ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ مستأنفة للتنبيه على التدبر في لطائف الصنع ، فكأنه قال : أأنتم أشد خلقًا أم التي بناها ؟ أو : أأنتم أشد خلقًا أم السماء أشد خلقًا ؟ فالمسئول يجيب : السماء أشد خلقًا [٤] .

ويرى أبو حاتم : الوقف على ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ دون ﴿ ٱلسَّمَآءُ ﴾ ؛ لأن ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ صلة للسماء ، وعلل لهذا الرأي بقوله : (إن لم تكن صلة لكانت صفة ، ثم قوله تعالى : ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ [النازعات : ٢٨] صفة أخرى ؛ فقد توالت صفتان لا تعلق لأحدهما بالأخرى ، فكان يجب إدخال العاطف فيما بينهما كما في قوله : ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ [النازعات : ٢٩] ؛ فلما لم يكن كذلك علمنا أن قوله : ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ صلة للسماء ، ثم قال : ﴿ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ ابتداء بذكر صفته) [٥] .

ولكن أرى أنه ينبغي أن يكون على ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ وقفًا ؛ وذلك لأنه لو كان قوله : ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ صلة لـ ﴿ ٱلسَّمَآءُ ﴾ لكان التقدير : أم السماء التي بناها ، وعلى هذا يقتضي وجود سماء ما بناها الله ، وذلك باطل .

وأيضًا : إن قيل : يضمر بينهما « التي » فلا يتوجه الوصل ؛ لأن الحذف يوجب الوقف [٦] ، وقال الشيخ زكريا الأنصاري : (لا أحب الجمع بينهما) [٧] .

---

(١) يراجع المصادر السابقة بهامش (١) .   (٢) انظر معاني القرآن للزجاج (ج٤ ص٣٧٨) .

(٣) ويرى الأخفش وأحمد بن موسى : أن الوقف على ﴿ ٱلسَّمَآءُ ﴾ وقف تام . ولكن الذي أراه أن الوقف كاف ؛ وذلك لأن ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ منقطعة عما قبلها لفظًا متصلة معنى . يراجع القطع (ص٧٦٢) والاقتداء ورقة (٢٩٩) .

(٤) يراجع علل الوقوف (ج٣ ص١٠٨٩ وما بعدها) ، ومنار الهدى (ص٤١٧ ، ٤١٨) .

(٥) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٩٦٥) ، والتفسير الكبير (ج٣١ ص١٩٩) .

(٦) يراجع المكتفي (ص٦٠٧) ، وعلل الوقوف (ج٣ ص١٠٨٩) وما بعدها ، والتفسير الكبير (ج٣١ ص١٩٩) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج٥ ص٢٨٠) .   (٧) انظر المقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٤١٧) .

معنى الآية : في الآية الكريمة استدلال على منكري البعث من كفار مكة لينبههم إلى آثار قدرته ومظاهر عظمته جل شأنه : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾ والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ .

والمعنى : أخلقكم - أيها الناس - بعد الموت وبعثكم أشد وأصعب - في تقديركم - أم خلق السماء التي لها هذا الجرم العظيم ، وفيها من عجائب الصنع وبدائع القدرة ما هو بَيِّنٌ للناظرين ؟ (١) .

قال الإمام الرازي : (نبههم على أمر يعلم بالمشاهدة ؛ وذلك لأن خلق الإنسان على صغره وضعفه إذا أضيف إلى خلق السماء على عظمها وعظم أحوالها يسير ، وإذا كان كذلك فإعادتهم سهلة ؛ فكيف ينكرون ذلك ؟) (٢) .

فالمقصود من الآية الكريمة لفت أنظار الناس إلى أمر معلوم عندهم بالمشاهدة ، وهو أن خلق السماء أعظم وأبلغ من خلقهم ، ومن كان قادرًا على الأبلغ والأعظم ؛ فمن باب أولى أن يكون قادرًا على ما هو أقل منه ، وهو خلقهم وإعادتهم بعد موتهم (٣) .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ... ﴾ [غافر : ٥٧] (٤) .

ثم بين الله تعالى كيفية خلق السماء ؛ فقال سبحانه : ﴿ بَنَىٰهَا ﴾ أي : رفعها عالية فوقكم ، محكمة البناء ، بلا عمد ولا أوتاد . وهذا دليل على أن باني السماء هو الله تعالى لا غيره (٥) .

ب - ذكر نماذج أخرى للوقف الكافي :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا .. ﴾ [البقرة : ٨٣] . فالوقف على لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾ كاف ، ويبتدأ بقوله تعالى : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا .. ﴾ بتقدير : واستوصوا بالوالدين إحسانًا ، ودليل هذا المضمر ما بعد ذلك من قوله : ﴿ وَقُولُوا۟ ... وَأَقِيمُوا۟ ... وَءَاتُوا۟... ﴾ (٦) .

---

(١) براجع تفسير القرآن العظيم (ج٤ ص٤٦٨) وفتح القدير (ج٥ ص٣٧٨) والجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٢٠٣) .

(٢) انظر التفسير الكبير (ج٣١ ص١٩٨) ويراجع تفسير الخازن (ج٧ ص١٧٢) .

(٣) يراجع تفسير الخازن (ج٧ ص١٧٢) بتصرف والتفسير الوسيط (ج١٥ ص٣٧٥) .

(٤) وأيضًا قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ [يس: ٨١] .

(٥) يراجع التفسير الكبير (ج٣١ ص٢٠١) والجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٢٠٣) وفتح القدير (ج٥ ص٣٧٨) .

(٦) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٥٢٣) والمكتفى (ص١٦٨) .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٤] .

ففي الآية الكريمة وقف كافٍ ، وهو قوله : ﴿ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ ؛ ووجه كفايته : أن ما بعده وهو قوله : ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ... ﴾ إلخ ، جملة لا محل لها من الإعراب لاستئنافها عما قبلها ؛ فلو وصلت ﴿ خَآئِفِينَ ﴾ بها لصارت جملة ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ صفة والصفة تكون كائنة متصلة [(١)] .

قال العكبرى : ﴿ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ حال من الضمير في ﴿ يَدْخُلُوهَآ ﴾ و ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ... ﴾ إلخ ، جملة مستأنفة وليست حالاً مثل ﴿ خَآئِفِينَ ﴾ ؛ لأن استحقاقهم الخزي ثابت في كل حال ، لا يتقيد بحال دخول المساجد خاصة [(٢)] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ٢٣٠] .

فالوقف على قوله : ﴿ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ وقف كافٍ ؛ لأن طلاق الزوج الثاني على خطر الوجود لا منتظر معهود ؛ فكان خارجًا من مقتضى الجملة الأولى ، وهي ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ... ﴾ إلخ [(٣)] .

قال صاحب البحر : (في قوله : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا ﴾ قيل : الضمير عائد على ﴿ زَوْجًا ﴾ النكرة والثاني ، وأتى بلفظ ﴿ إِنْ ﴾ دون « إذا » تنبيهًا على أن طلاقه يجب أن يكون على ما يخطر له دون الشرط ، ومعناه : أن « إذا » تأتي للمتحقق ، ﴿ إن ﴾ تأتي للمبهم والمجوز وقوعه وعدم وقوعه ، أو للمحقق المبهم زمان وقوعه كقوله تعالى : ﴿ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] .

والمعنى : فإن طلقها وانقضت عدتها منه ؛ فلا حرج على الزوج المطلق الثلاث وهذه الزوجة أن يتراجعا) [(٤)] .

٤ - قوله تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ

---

(١) يراجع المكتفى (ص١٧٩) والقطع (ص١٦٣) والاقتداء ورقة (٣٩) وعلل الوقف (ج١ ص٢٣٩ - ٢٤٠) ومنار الهدى ص (٤٩) .

(٢) انظر التبيان (ج١ ص١٠٨) ويراجع حاشية الجمل (ج١ ص٩٨) .

(٣) يراجع كتاب الوقوف ورقة (٢٠) وعلل الوقوف (ج١ ص٣١٠) .

(٤) انظر البحر المحيط (ج٢ ص٢٠٢) .

وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ... ﴾ [المائدة: ٧٥] .

فالوقف على قوله : ﴿ صِدِّيقَةٌۖ ﴾ وقف كافٍ ؛ لأن جملة ﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ استئنافية منبهة على سمات الحدوث ، وأنهما مشاركان للناس في تناول الطعام فلو وصلت ﴿ صِدِّيقَةٌۖ ﴾ بجملة ﴿ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾ ؛ لاقتضى أن تكون صفة لـ ﴿ صِدِّيقَةٌۖ ﴾ ولا يصح ذلك ؛ لتثنية ضمير ﴿ كَانَا ﴾ [1] .

٥ - قوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١] .

في الآية الكريمة وقف كافٍ على قوله : ﴿ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾ ؛ لأن ﴿ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ لا يكون وقفًا على قوله : ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ ﴾ ؛ لوقوع ﴿ ثُمَّ ﴾ هنا لترتيب الأخبار ، فهي للتعجب والإنكار ، وليست عاطفة .

ويكون المعنى حينئذ : ومع ذلك الذين كفروا بربهم يعدلون [2] .

قال الإمام الزركشي رحمه الله : (قد تجيء ﴿ ثُمَّ ﴾ كثيرًا لتفاوت ما بين رتبتين في قصد المتكلم فيه تفاوت ما بين مرتبتي الفعل مع السكوت عن تفاوت رتبتي الفاعل ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ . فـ ﴿ ثُمَّ ﴾ هنا لتفاوت رتبة الخلق والجعل من رتبة العدل مع السكوت عن وصف العادلين [3] .

٦ - قوله تعالى : ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ٥] .

فالوقف على قوله : ﴿ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ ﴾ كافٍ ؛ لأن ﴿ فَسَوۡفَ ﴾ للتهديد فيبتدأ بها ؛ لتأكيد الواقع [4] . قال الإمام أبو السعود : (و ﴿ سَوۡفَ ﴾ لتأكيد مضمون الجملة وتقريره أي : فسيأتيهم البتة ، وإن تأخر مصداق أنباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير أن يتدبروا في عواقبه ...) [5] .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٤٦٢) ومنار الهدى (ص١٢٣) والبحر المحيط (ج٣ ص٥٣٧) .

(٢) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٤٧٢) والاقتداء ورقة (١٠٢) ومنار الهدى (ص١٢٧) .

(٣) انظر البرهان (ج٤ ص٢٠٠) .

(٤) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٤٧٣) ومنار الهدى (ص١٢٨) .

(٥) انظر إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٨٢) .

٧ - قوله تعالى : ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ . [الإسراء: ٢٥] .

فالوقف على قوله : ﴿ نُفُوسِكُمْ ﴾ وقف كاف ؛ لأن قوله تعالى بعدها : ﴿ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، وقعت جوابًا عن سؤال نشأ من الجملة قبلها ؛ فإنه ﷻ لما أمر بالبر بالوالدين والإحسان إليهما وحذر من عقوقهما ، كان لسائل أن يسأل : إذا بدرت من الإنسان بادرة أو وقعت منه زلة فهل يكون ذلك من العقوق ؟

فأجيب بقوله : ﴿ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ أي : إن تكونوا صادقين في البر بوالديكم ، وتوقيرهما ، وبدرت منكم جفوة لهما ، أو زلة في حقهما ، واستغفرتم اللّٰه ؛ فإن اللّٰه يغفر لكم ، ويقبل توبتكم . وبهذا يتضح أن جملة ﴿ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ ... ﴾ إلخ مرتبطة بما قبلها معنى لا لفظًا (١) .

هذا ومما ينبغي التنبيه عليه في هذه الآية أنه لا يجوز الوقف على قوله : ﴿ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ ﴾ ؛ لأن هذا الوقف يؤدي إلى تغيير معنى الآية ؛ إذ يكون معناها حينئذ أن اللّٰه تعالى أعلم بما في نفوس عباده إن تحقق فيهم الصلاح ، هذا ما تدل عليه الآية بطريق المنطوق .

وتدل بطريق المفهوم على أنه سبحانه لا يعلم ما في نفوس عباده إن لم يكونوا صالحين ، ولا شك أن هذا مستحيل على اللّٰه تعالى ؛ لأن علمه تعالى شامل للخلق جميعًا ومحيط بدخائل نفوس عباده (٢) .

٨ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ: ٤٩] .

فالوقف على قوله : ﴿ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ وقف كاف ؛ لأن ﴿ مَا ﴾ في قوله ﴿ وَمَا يُبْدِئُ .. ﴾ نافية .

والمعنى : وما يبدئ الباطل خلقًا وما يعيد حقًّا ، والمراد بالحق : القرآن وبالباطل : الشيطان ، أو الأصنام ، أو الباطل الذي يضاد الحق . أما قوله : ﴿ وَمَا يُعِيدُ ﴾ أي : لا يخلق أحدًا ولا يبعثه (٣) .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٦٤٧) والاقتداء ورقة (١٦٨) ومعالم الاهتداء (ص٢٧ ، ٢٨) بتصرف واختصار .

(٢) يراجع منار الهدى (ص٢٢٣) ومعاني الاهتداء (ص٧٦) .

(٣) يراجع المكتفى (ص٤٦٦) والاقتداء ورقة (٢٢٩) وزاد المسير (ج٦ ص٤٦٦) .

٩ - قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر : ٧٠] .

فالوقف على قوله : ﴿ رُسُلَنَا ﴾ وقف كافٍ ؛ لأن ما بعده مستأنف على التهديد ؛ إذ إن قوله : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيد شديد لهم على تكذيبهم بالرسل وبكتبهم .

والمعنى : فسوف يعلمون سوء عاقبة تكذيبهم لأنبياء الله تعالى ، ولكتبه التي أنزلها عليهم . فالكلام منقطع لفظًا متصل معنى (١) .

---

(١) يراجع الاقتداء ورقة (٢٤٨) ومنار الهدى (ص٣٤٠) والتفسير الوسيط (ج١٢ ص٤٠٣) .





وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم



الوقف الحسن وأثره على المعنى في القرآن الكريم

ويشتمل على ما يلي :

أولًا : تعريف الوقف الحسن .

ثانيًا : وجه تسميته بالحسن وحكمه .

ثالثًا : ذكر نماذج للوقف الحسن من القرآن الكريم ، وأثر ذلك على المعنى .





أولًا : تعريف الوقف الحسن

أ - تعريفه في اللغة :

الحسن في اللغة : بفتح - الحاء والسين - مأخوذ من الحسن بضم الحاء وسكون السين - وجمعه : حسان : وهو ما حسن من كل شيء ، ومنه حسنت الشيء إحسانًا وتحسينًا ، وهو ما يحسن الشيء ، أي يعلمه واستحسن الشيء عده حسنًا (١) .

هذا ، وقد وردت مادة « حسن » في القرآن الكريم - بفتح الحاء والسين - تسعة عشر مرة في ثمانية عشر آية .

منها قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ... ﴾ [البقرة : ٢٤٥] (٢) .

وقوله ﷻ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ... ﴾ [آل عمران : ٣٧].

ب - تعريفه في الاصطلاح :

عرف جمهور العلماء الوقف الحسن بأنه : هو الذي يحسن الوقف عليه - لأنه كلام

---

(١) يراجع لسان العرب . مادة « حسن » والقاموس المحيط مادة « حسن » فصل الحاء باب النون .

(٢) وتجدر الإشارة إلى ذكر بقية المواضع ، وهي :

قوله تعالى : ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ... ﴾ [المائدة : ١٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ... ﴾ [الأنفال : ١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ... ﴾ [هود : ٣] .

وقوله جلت قدرته : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ [هود : ٨٨] .

وقوله تعالى : ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ... ﴾ [النحل : ٦٧] .

وقوله ﷻ : ﴿ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ [النحل : ٧٥] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [الكهف : ٢].

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ... ﴾ [طه : ٨٦] .

وقوله جل وعلا : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ [الحج : ٥٨] .

وقوله جل وعلا : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾ [القصص : ٦١] .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ... ﴾ [فاطر : ٨] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [الفتح : ١٦] .

وقوله جلت قدرته : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحديد : ١١] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ ﴾ [الحديد : ١٨] .

وقوله تعالى : ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [التغابن : ١٧] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ... ﴾ [المزمل : ٢٠] .

مفيد حسن - ولا يحسن الابتداء بما بعده ؛ لتعلقه به لفظًا ومعنىً .

وبعبارة أخرى : هو الذي لا يحتاج إلى ما بعده - لأنه مفهوم دونه - ويحتاج ما بعده إليه لجريانه في اللفظ عليه (١) .

وتوضيح ذلك :

أن الجملة الموقوف عليها تامة في ذاتها ، مفيدة بنفسها ، والجملة الثانية الواقعة بعدها غير مفيدة بنفسها ، ولا تتم إلا بالجملة الأولى لوجود التعلق اللفظي ، بل وسياق الموضوع .

والمراد بالتعلق اللفظي : - كما سبق - التعلق من جهة الإعراب ؛ وذلك بأن يكون لما بعد اللفظ الموقوف عليه شدة التعلق به أو بما قبله ؛ كأن يكون صفة له أو حالة منه أو معطوفة عليه ، ونحو ذلك كما سيتضح عند ذكر النماذج إن شاء الله تعالى .

هذا ، وينبغي التنبيه إلى أنه لا يلزم من وجود التعلق في المعنى التعلق في اللفظ ، بخلاف التعلق في اللفظ فيلزم منه وجود التعلق في المعنى ، أي : أن التعلق اللفظي أعم من التعلق المعنوي (٢) .

ويستدل للجمهور : بحديث السيدة أم سلمة رضي الله عنها لوصف قراءة النبي ﷺ حيث قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا قرأ قطع قراءته آية آية ؛ يقول : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ثم يقف ، ثم يقول : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ثم يقف ، ثم يقول ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ثم يقف ، ثم يقول : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ١- ٤] وهكذا إلى آخر السورة » .

قال الإمام الداني : « ولهذا الحديث طرق كثيرة ، وهو أصل معتمد في هذا الباب » (٣) ويعترض على الاستدلال بهذا الحديث : بما سبق أنه خاص بسورة الفاتحة (٤) .

وذهب الشيخ الحصري - رحمه الله تعالى - إلى أن الوقف الحسن :

هو الوقف على كلمة تعلق ما بعدها بها ، أو بما قبلها تعلقًا معنويًا ، ولم يتعلق تعلقًا

(١) يراجع المكتفى (ص١٤٥) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٦٣ ، ٥٦٤) ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٢) والتمهيد في علم التجويد (ص٤٥) ، ومنار الهدى (ص١١) ، ونظام الأداء في الوقف والابتداء (ص٤٥) وشرح النويري على طيبة النشر ورقة (٨) .

(٢) يراجع منار الهدى (ص١١) وما بعدها ، والمقدمة الجزرية (ص٥٨) ، ونهاية القول المفيد في علم التجويد (ص١٦٠) والعقد الفريد في فن التجويد (ص٦٤) .

(٣) انظر المكتفى (ص١٤٧) ، ويراجع منار الهدى (ص١٢) .

(٤) يراجع (ص٢٤) .

لفظيًا ، فلابد من ثبوت التعلق المعنوي في الوقف الحسن ، أما التعلق اللفظي فيكون منفيًا على الراجح [١] .

مثال الوقف الحسن عند الشيخ الحصري :

مثل الشيخ الحصري : وللوقف الحسن بالوقف على كلمة ﴿ وَبَرْقٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ [البقرة: ١٩] .

ووجهته في ذلك : أن الجملة الواقعة بعدها وهي قوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ...﴾ إلخ جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، وقعت جوابًا عن سؤال نشأ من الجملة السابقة ، كأن سائلاً ، قال : فما يصنعون ؛ إذ أصابتهم تلك الشدة ؟

فأجيب بقوله تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ... ﴾ .

ثم قال : هذا هو الراجح في إعراب تلك الجملة ، وهو ما جرى عليه ورجحه المحققون من المفسرين .. ، وقيل : الجملة لها موضع من الإعراب وهو الجر ؛ لأنها في موضع الصفة لذوي المحذوف ، كأنه قيل : جاعلين ، وأجاز بعضهم : أن تكون في موضع نصب على الحال من الضمير الذي هو الهاء فى ﴿ فِيهِ ﴾ والراجع على ذى الحال محذوف ناب الألف واللام عنه والتقدير : من صواعقه [٢] .

اعتراض : يعترض على تمثيل الشيخ الحصري للوقف الحسن ، بالمثال السابق :

بأنه ليس من الوقف الحسن ؛ بل هو من الوقف الجائز جوازًا مستوى الطرفين ، قال الإمام السجاوندي - عليه الرحمة - : عند قوله « وبرق » وقف جائز ؛ لأن قوله : ﴿ يَجْعَلُونَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي هم يجعلون ، وعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ﴿ وَبَرْقٌ ﴾ أو حال عامله معنى التشبيه في الكاف ، وذو الحال محذوف ، أي : كأصحاب صيب ، وعلى هذا التقدير لا وقف على ﴿ وَبَرْقٌ ﴾ لئلا يفصل بين الحال وصاحبها » [٣] .

ومن خلال هذا يتضح لنا : أن الوقف الحسن الذي يعنيه الشيخ الحصري خلاف ما يعنيه جمهور العلماء ؛ فالمثال السابق الذي مثل به للوقف الحسن ، الوقف فيه جائز وكذا الابتداء بما بعده جائز ، بخلاف الوقف الحسن الذي يعنيه الجمهور ، فالوقف فيه

---

(١) يراجع معالم الاهتداء (ص٢٩ ، ٣٠) ، كما يراجع كتاب في رحاب القرآن الكريم (ص٥٩) .

(٢) انظر معالم الاهتداء (ص٣١) وما بعدها ، ويراجع البحر المحيط (ج١ ص٨٦) ، وروح المعاني (ج١ ص١٧٣) .

(٣) انظر علل الوقوف (ج١ ص١٨٩) .

جائز ، والابتداء بما بعده لا يجوز ، إلا إذا كان الوقف على رأس آية ، فإنه يجوز الابتداء بما بعده على بعض المذاهب .

لذا فإني أميل إلى ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن الوقف الحسن ، هو : الذي يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به لفظًا ومعنى .

ثانيا : وجه تسميته بالحسن وحكمه

أ - وجه تسميته حسنًا :

سمي الوقف الحسن بذلك ؛ لأنه يفهم معنى مفيدًا بذاته يحسن السكوت عليه [1] .

ب - حكمه :

الوقف الحسن : إما أن يكون على رأس آية ، أو لا يكون على رأس آية .

فإن لم يكن على رأس آية حسن الوقف دون الابتداء [2] بما بعده وذلك بالاتفاق .

مثال ذلك ، قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة : ٢] فالوقف على قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وقف حسن ؛ لأنها جملة مفيدة بنفسها ، إلا أن الابتداء بما بعد الوقف لا يحسن ؛ لأنه لا يتم إلا بالجملة الأولى ؛ لوجود الرابط اللفظي ، وهو كون « رب » صفة والموصوف « الله » فلا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف .

وأيضًا ، كقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة : ١] فالوقف على كلمة ﴿ ٱلرَّسُولَ ﴾ وقف حسن ؛ لأنها جملة مفيدة يحسن السكوت عليها ؛ ولكن الابتداء ما بعده لا يحسن بل هو من الابتداء القبيح ؛ لأنه يفسد المعنى ؛ إذ يصبح تحذيرًا من الإيمان بالله تعالى . لذا فإن وقف القارئ على مثل هذه الألفاظ فعليه أن يعود إلى الكلمة التي وقف عليها فيبتدئ بها ويصلها بما بعدها إن صلح الابتداء بها ، وإلا فيما قبلها مما يصلح الابتداء به [3] .

---

(١) يراجع المقدمة الجزرية (ص٥٨) ونهاية القول المفيد (ص١٦٠) .

(٢) يراجع في ذلك (ص٢٤) وما بعدها .

(٣) يراجع منار الهدى (ص١٢) ، ونهاية القول المفيد (ص١٦٠) ، والعقد الفريد في فن التجويد (ص٦٤) .

ثالثًا : ذكر نماذج للوقف الحسن من القرآن الكريم وأثر ذلك على المعنى

قبل أن أذكر بعض النماذج المبينة للوقف الحسن ، والموضحة لمعناه ، أريد أن أشير إلى مسألة هامة تلك المسألة تتعلق بالوقف الحسن الذي عرفه جمهور العلماء ، والذي يتفق وحديث السيدة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه غالبًا ما يوضع على هذا الوقف في أكثر طبعات المصاحف حرف « لا » الدال على الوقف الممنوع ، هذا ما لاحظته عند استقراء الوقوف الحسنة على هذا المعنى الذي حده له العلماء .

ولعل ذلك يثير بعض التساؤلات ... كيف يكون الوقف حسنًا ويمتنع الوقف عليه ؟

أقول : إن العلة في ذلك أن الجملة الموقوف عليها كما تقرر قبل ذلك مفيدة بنفسها .

من هنا فالوقف عليها يكون حسنًا ؛ لأنها أفادت فائدة يحسن السكوت عليها إلا أن ما بعدها متعلق بها من جهة الإعراب ، فلا يتم إلا بالجملة الأولى ؛ لوجود الرابط اللفظي . وحتى تزداد المسألة وضوحًا فلنأخذ مثالاً يوضح ذلك .

فمثلًا قوله تعالى : ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ ﴾ [النور: ٣٥] . إذا ما أمعنا النظر في كلمات هذه الآية الكريمة ؛ لوجدنا أن حرف « لا » الدال على الوقف الممنوع وضع على كلمة ﴿ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ مع أن الوقف على تلك الكلمة وقف حسن ؛ لأنها متممة لجملة مفيدة بنفسها ، ولكن ما بعدها وهو قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ ﴾ صفة لـ ﴿ شَجَرَةٍ ﴾ فإذا ما بدأنا بقوله : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا... ﴾ إلخ لبدأنا بالصفة ، ولا يبتدأ بالصفة ؛ لأنها فضلة ، ولا يبتدأ بالفضلة ، وأيضًا لا يقطع بين الصفة والموصوف [١] . وأورد الإمام النكزاوي : أن جملة ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾ مستأنفة ؛ لذا فإنه قال : الوقف على ﴿ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ وقف كاف [٢] .

وقال الشيخ زكريا الأنصاري : الوقف عليها صالح [٣] .

وهذا ما أميل إليه ؛ لأن الصالح بمعنى الحسن عند البعض ، فإذا ما وقف القارئ على مثل هذا فعليه أن يعود إلى الكلمة التي وقف عليها ، فيبتدئ بها ويصلها بما بعدها إن صلح الابتداء بها ، وإلا فما قبلها مما يصلح الابتداء به .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٧٣٧) بتصرف .

وأيضًا كثيرًا ما نجد علامة الوقف الممنوع « لا » على رأس الآية ، وخاصة في مصحف طبعة باكستان ، والأزهر ، والعراق . وذلك كقوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] .

فالوقف على كلمة ﴿ وَبَنِينَ ﴾ وقف حسن ، وهي رأس آية ، ولكن ما بعدها وهو قوله : ﴿ نُسَارِعُ ﴾ مفعول ثان لـ « الحسبان » ، تقديره : أيحسبون إمدادنا لهم بالمال والبنين مسارعة في الخيرات لهم .

من هنا فإن كلمة ﴿ نُسَارِعُ ﴾ متعلقة بما قبلها من جهة الإعراب [1] لذا نجد « لا » علامة الوقف الممنوع على كلمة ﴿ وَبَنِينَ ﴾ وهي رأس آية كما هو معلوم .

أقول : لعلهم يقصدون بالمنع هنا : المنع اللغوي لا الشرعي ، ومن المقرر أن الأمور الشرعية تؤخذ بالتوقيف ، وما دام أن الوقف قد ثبت عن الرسول ﷺ أو الصحابة أو التابعين فيقدم غالبا ولو تعارض مع أصول اللغة علما بأن بعض العلماء : قد أقر الوقف على ﴿ وَبَنِينَ ﴾ وخطّأ أن يكون قوله : ﴿ نُسَارِعُ ﴾ مفعولا ثانيًا لـ ﴿ أَيَحْسَبُونَ ﴾ ؛ وذلك لأن « أن » إذا وقعت بعد « حسب » وأخواتها لم تحتج إلى مفعول ثان ؛ لأن « أن » كافية من اسم « يَحْسَبُونَ » وخبرها ، ولا يجوز أن يؤتى بعد « أن » بمفعول ثان [2] .

وعلى كلٍّ ، فالقارئ كالمسافر ، والمقاطع التي ينتهي إليها القارئ كالمنازل التي ينزلها المسافر ، وهي مختلفة بالتام والحسن وغيرهما ؛ كاختلاف المنازل في الخصب ، ووجود الماء والكلأ وما يتظلل به من شجر ونحوه ، والناس مختلفون في الوقف فمنهم من جعله على مقاطع الأنفاس ، ومنهم من جعله على رؤوس الآي ، والأعدل أنه قد يكون في أوساط الآي وإن كان الأغلب في أواخرها ، وليس آخر كل آية وقفًا ؛ بل المعاني معتبرة والأنفاس تابعة لها والقارئ إذا بلغ الوقف وفي نفسه طول يبلغ الوقف الذي يليه فله مجاوزته إلى ما يليه فما بعده ، فإن علم أن نفسه لا يبلغ ذلك فالأحسن له أن لا يجاوزه . كالمسافر إذا لقي منزلًا خصبًا ظليلًا كثير الماء والكلأ فعلم أنه إن جاوزه لا يبلغ المنزل [3] .

وفيما يلي ذكر بعض النماذج المبينة للوقف الحسن ، وأثره على المعنى :

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٧٢٩ - ٧٣٠) ، ومنار الهدى (ص٢٦٣) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٧٩٢) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٧٩١ - ٧٩٢) ، والاقتداء ورقة (١٩٨) ، ومنار الهدى (ص٢٦٢ ، ٢٦٣) .

(٣) انظر المقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٤ ، ٥) .

النموذج الأول :

قوله تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة : ٤٦] .

فالوقف على كلمة ﴿ نُورٌ ﴾ وقف حسن ؛ لأنه كلام مفيد في ذاته ؛ ولكن الابتداء بما بعده وهو قوله : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ لا يجوز ؛ لأنه متعلق بما قبله لفظًا ؛ إذ إنه معطوف على موضع ﴿ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ والتقدير : آتيناه الإنجيل كائنًا فيه هدى ونور ومصدقًا ، وقيل : إن ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ معطوف على ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ الأول فيكون حالاً من « عيسى » مؤكدًا للحال الأول ومقررًا له . والوجه الأول أولى ؛ لأن التأسيس أولى من التأكيد [1] .

معنى الآية الكريمة : بعد أن بين المولى - جلت قدرته - منزلة التوراة ، وما اشتملت عليه من هدايات وتشريعات أتبع ذلك ببيان الإنجيل ، وما اشتمل عليه من مواعظ وأحكام ، فقال سبحانه : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ... ﴾ .

والمعنى : وآتينا على آثار النبيين السابقين الذين أسلموا من بني إسرائيل ، وأخلصوا دينهم لله تعالى بعيسى ابن مريم ، فجاء على آثارهم متبعًا خطوهم في طريقهم الذي سلكوه . من دعوة الناس إلى الحق والهدى مصدقًا للتوراة التي تقدمته مؤيدًا لها بإيمانه ؛ منفذًا لأحكامها ، حافظًا لها لم يغير منها شيئًا إلا ما جاء نسخه في الإنجيل .

وفي التعبير بقوله : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم ﴾ إشارة إلى أن عيسى عليه السلام لم يكن بدعًا من الرسل ، وإنما هو واحد منهم جاء على آثار من سبقوه ، سالكًا مسلكهم في الدعوة إلى عبادة الله وحده ، وإلى التحلي بمكارم الأخلاق .

وفي نسبته عليه السلام إلى أمه دليل على أنه محدث ، وأنه مربوب لله الذي لم يتخذ ولدًا ، ولم تكن له صحبة ، فليس ابنا لله تعالى كما يدعي المدعون .

ثم وصف الله تعالى الإنجيل الذي أنزله على عيسى عليه السلام : بخمس صفات ، فقال سبحانه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٤٥٦) ، والبحر المحيط (ج٣ ص٤٩٩) ، وروح المعاني (ج٦ ص١٥٠) ، وفتح القدير (ج٢ ص٤٧) .

أي : وآتينا عيسى ابن مريم الإنجيل حالة كونه مشتملًا على هداية الناس ، والنور الذي يكشف لهم ما التبس عليهم من أمور دينية ودنيوية ، بل ومصدقًا للتوراة ومؤيدًا لما فيها من أحكام ، مع اشتماله على هداية الناس إلى الحق والبشارة بمجيء محمد ﷺ والمواعظ والنصائح التي ينتفع بها المتقون ، وخص المتقين بالذكر ؛ لأنهم الذين ينتفعون بالموعظة ، وإن كان الجميع يُدعى ويُوعظ ولكنه على غير المتقين عمى وحسرة [١] .

هذا ، ولا تكرار بين ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ الأول ، و ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ الثاني ؛ لأن الأول : لبيان حال عيسى عليه السلام وأنه جاء يدعو الناس إلى التصديق بالتوراة ، وإلى تنفيذ أحكامها ، والثاني : جاء لبيان حال الإنجيل ، وأنه جاء مقررًا لما اشتملت عليه التوراة من أحكام أنزلها اللَّه تعالى .

وكذلك لا تكرار بين قوله : ﴿ فِيهِ هُدًى ﴾ وقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ إذ إن الثاني جاء لزيادة المبالغة في التنويه بشأن الإنجيل ، فهو مشتمل على ما يهدي الناس إلى الحق والخير ، وهو في ذاته هدى ؛ لأنه منزل من عند اللَّه ، ولأنه بشارة بنبوة رسولنا محمد ﷺ ؛ لذا أعاد اللَّه ذكر الهدى تقريرًا وبيانًا [٢] .

النموذج الثاني :

قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ [التوبة : ١٢] .

فالوقف على قوله : ﴿ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ وقف حسن ؛ لأنه كلام مفيد في ذاته ، ولكن الابتداء بما بعده لا يجوز ؛ لأن قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ ﴾ [٣] .

قال الإمام الألوسي : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ ﴾ أي : قاتلوهم إرادة أن ينتهوا ، أي : ليكن غرضكم من القتال انتهاؤهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم لا مجرد إيصال الأذية بهم كما هو طريقة المؤذيين [٤] .

---

(١) يراجع التفسير الكبير (ج١١ ص٣٩) ، والبحر المحيط (ج٣ ص٤٩٩ - ٥٠٠) ، وفتح القدير (ج٢ ص٤٧) ، وروح المعاني (ج٦ ص١٥٠) ، والسراج المنير (ج١ص٣٦١) ، والتفسير القرآني للقرآن (ج٦ ص١١٠٧) والتفسير الوسيط (ج٤ ص٢٢٩) .

(٢) يراجع المصادر السابقة بهامش (١) (ص١٨٢) .

(٣) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٥٤٥) ، ومنار الهدى (ص١٦٣) ويرى الأشموني أن الوقف على ﴿ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ كاف ، والراجح أنه وقف حسن ؛ لأن ما بعده متصل بما قبله لفظًا ، وهذا تعريف الحسن . انظر منار الهدى (ص١٦٣) .

(٤) انظر روح المعاني (ج١٠ ص٦٠) .

معنى الآية الكريمة : في الآية الكريمة يبين الله ﷻ ما يجب على المؤمنين نحو المشركين إذا لم يستقم المشركون على الوفاء ، وأطلقوا ألسنتهم بقالة السوء في الإسلام ، والمسلمين ، وأمدوا أيديهم إلى المسلمين بأذى ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ... ﴾

والمعنى : وإن نقض هؤلاء المشركون أقسامهم بعد توكيدها ، وعهودهم من بعد ما تعاهدوا وتحالفوا على ألا ينقضوها ، وعابوا الإسلام بالقدح والذم ، عندئذٍ يجب على المسلمين قتال هؤلاء الكفار بأسرهم قتالًا عنيفًا .

إلا أنه خص أئمة الكفر وزعماءه ؛ لأنهم هم الذين يحرضون الاتباع على البقاء على الكفر والأعمال الباطلة (١) .

ثم ساق الحق سبحانه تعليلًا للأمر بقتالهم ، فقال : ﴿ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ﴾ أي أن هؤلاء المشركين لا أقسام ولا عهود لهم على الحقيقة ؛ لأنهم لما لم يفوا بها صارت أيمانهم كأنها ليست بأيمان .

وقرأ ابن عامر : ﴿ إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ ﴾ بكسر همزة ﴿ إيمان ﴾ على أنها مصدر « أمنته » من الأمان أي لا يؤمنون في أنفسهم .

وقيل : إنهم لا يوفون لأحد بأمان يعقدونه له .

ويرى بعض المفسرين : أن معنى الإيمان على قراءة ابن عامر هو الإيمان الشرعي الذي بمعنى التصديق ، أي : أنهم لا تصديق ولا دين لهم ، ومن كان كذلك فلا وفاء لهم .

ويبدو - والله أعلم - أنه ليس هو الإيمان الذي بمعنى التصديق ؛ إذ يبعد ذلك في المعنى ؛ لأن الله وصفهم بالكفر قبله ، فتبعد صفتهم بنفي الإيمان عنهم ؛ لأن معناه قد ذكر ؛ إذ أضاف الكفر إليهم فاستعماله بمعنى آخر أولى ؛ ليفيد الكلام فائدتين ، ودل على أنه ليس من الإيمان ، قوله تعالى عنهم : ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة : ١٠] . أي : لا يوفون لأحد بعهد ، ولا يحفظون ذمام أحد .

ثم ختمت الآية الكريمة ، بقوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ وهذه الجملة متعلقة بقوله : ﴿ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ .

والمعنى : ليكن غرضكم من مقاتلتهم بعدما وجد منهم ما وجد من العظائم أن ينتهوا

(١) يراجع التفسير الكبير (ج١٤ ص ٥٨٥) ، والبحر المحيط (ج٥ (ص١٤) ، وروح المعاني (ج١٠ ص٥٩) ، وحاشية الجمل (ج٢ ص٢٦٩) .

عما هم عليه من الكفر والطعن في دينكم والمظاهرة عليكم ، واحذروا أن يكون غرضكم من القتال العدوان ، واتباع الهوى [١] .

النموذج الثالث :

قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢] .

فالوقف على كلمة ﴿ طَيِّبِينَ ﴾ وقف حسن ؛ لأنه كلام مفيد في ذاته ، ولكن الابتداء بقوله : ﴿ يَقُولُونَ ﴾ لا يجوز ؛ لأنها حال من مفعول ﴿ تَتَوَفَّىٰهُمُ ﴾ وهي حال بعد حال ، والمعنى أي : طيبين قائلين .

وأيضًا الوقف على قوله : ﴿ عَلَيْكُمُ ﴾ حسن ؛ لأنه كلام مفيد في نفسه ولكن الابتداء بما بعده لا يجوز ؛ لأن قوله ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ﴾ مفعول ﴿ يَقُولُونَ ﴾ فهناك رابط لفظي بين الكلمة الموقوف عليها ، والتي بعدها فينبغي على القارئ إن وقف أن يراعي ذلك الرابط حتى لا يفسد المعنى [٢] .

معنى الآية الكريمة : يسوق القرآن الكريم في الآية الكريمة حال المتقين في مشهد الاحتضار ، وهو مشهد هين لين كما وصفه الله تعالى ، فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ... ﴾

والمعنى : إن الذين تقبض الملائكة أرواحهم طيبين طاهرين من دنس الشرك والمعاصي قد طابت نفسهم ، وزكت أرواحهم بما مسها من تقوى ، وما عبق عليها من إيمان تأتيهم الملائكة في موكب التبشير ، يقولون لهم عند قبض أرواحهم ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾ فتسلم عليهم ، وتبشرهم بدخول الجنة أو يبلغهم السلام من الله تعالى [٣] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما الملائكة يأتونهم بالسلام من قبل الله ، ويخبرونهم أنهم أصحاب الجنة [٤] .

---

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج٥ ص٨٥) ، وفتح القدير (ج٢ ص٣٤١) ، والسراج المنير (ج١ ص٥٦٨) ، والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٥٠٠) ، والتفسير الوسيط (ج٦ ص٦٤) .

(٢) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٦٣٧) ، ومنار الهدى (ص٢١٤) ، والمقصد (ص٢١٤) .

(٣) يراجع ارشاد العقل السليم (ج٣ ص٢٧٢) ، والسراج المنير (ج٢ ص٢١٨) ، والبحر المحيط (ج٥ ص٤٨٨) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٤ ص٧٣) ، وفي ظلال القرآن (ج٤ ص٢١٦٩) .

(٤) انظر جامع البيان (ج١٤ ص١٠١) .

ويقال لهم من جملة التبشير : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أي : بسبب ما قدمتموه من أعمال صالحة .

قال الإمام القرطبي : وقوله : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ ... ﴾ يحتمل وجهين :

الأول : أن يكون تبشيرا بدخول الجنة عند الموت .

الثاني : أن يقولوا ذلك لهم في الآخرة [1] .

وشبيه بهذه الآية ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٠] .

هذا ، ولا تعارض بين قوله تعالى : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وبين ما جاء في الحديث الصحيح : « **سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله** » قيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « **ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته** » [2] لأن الإيمان والإعمال الصالحة مطلوبة من الإنسان وتلك أسباب طبيعية لدخول الجنة كما وعد الله تعالى بقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ... ﴾ [الكهف : ١٠٧] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ... ﴾ [مريم : ٩٦] إلى غير ذلك من الآيات .

أما السبب الحقيقي ، فهو فضل الله تعالى ورحمته ؛ حيث قبل هذه الأعمال ، وكافأ عليها [3] .

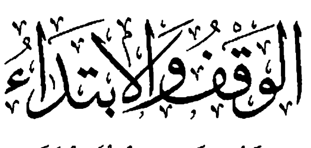
---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٠ ص١٠٢) ، ويراجع فتح القدير (ج٣ ص١٦٠) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه . كتاب المرضى - باب تمنى المريض الموت - بلفظ لن يُدخل أحدًا عمله الجنة ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال: لا ، ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة ، فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزاد خيرًا ، وإما مسيئًا ، فلعله أن يستعتب . الحديث رقم (٥٣٢٢) ، وأخرجه أيضًا في كتاب الرقاق - باب القصد والمداومة على العمل . الحديث رقم (٦٠٧٨) وأخرجه ابن ماجه في سننه . كتاب الزهد - باب التوقى على العمل . الحديث رقم (٤٢٠١) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٢ ص٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، ٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٥ ، ٥٠٣ ، ٥٠٩ ، ٥١٤ ، ٥١٩ ، ٥٢٤ ، ٥٣٧) وفي (ج٣ ص٥٢ ، ٣٣٧ ، ٣٦٢) ، وفي (ج٦ ص١٢٥) وأخرجه الدارمي في سننه . كتاب الرقائق - باب لا ينجى أحدكم عمله (ج٢ ص٣٠٥) .

(٣) يراجع فتح القدير (ج٣ ص١٦٠) ، والتفسير القرآني للقرآن (ج١٤ ص٢٩١) بتصرف واختصار ، والتفسير الوسيط (ج١٤ ص٦٦ ، ٦٧) .





الفصل الخامس

الوقف الجائز وأثره على المعنى في القرآن الكريم

ويشتمل على ما يلي :

أولاً : تعريف الوقف الجائز .

ثانيًا : ذكر نماذج للوقف الجائز ، وبيان أثره على المعنى .



أولًا : تعريف الوقف الجائز

أ - تعريفه في اللغة :

الجائز : اسم فاعل من جاز ، يقال : جاز المكان - يجوزوه جوازًا وجاوزه جوازًا وجازه ، أي : صار فيه وسلكه ، وجاوزت الشيء وتجاوزته ، تعديته ، وتجاوزت عن المسئ عفوت عنه وصفحت .

ويقال : أجازه ؛ أي : خلفه وقطعه ، وأجازه : أنفذه ، يقال : أجزيت العقد جعلته جائزًا نافذًا ، وأجاز رأيه وجوزه أنفذه ، وجوز له ما صنعه ، وأجاز له : أي سوغ له ذلك [1] .

ب - تعريفه في الاصطلاح :

يختلف تعريف الجائز في الاصطلاح تبعًا لاختلاف العلوم .

فعند علماء الفقه وأصوله ما كان المرء إزاءه مخيرًا بين الفعل والترك .

وبعبارة أخرى : ما لا يمنع فعله : فيعم المباح [2] والمندوب [3] والمكروه [4] والواجب [5] ، [6] .

وأما عند علماء الوقوف : فالوقف الجائز هو ما يجوز فيه الوصل ، والفصل ؛ لتجاذب الموجبين من الطرفين .

وبيان ذلك : هو الوقف على كلمة تعلق ما بعدها بها ، أو بما قبلها تعلقًا معنويًا وتعلق بها أو بما قبلها تعلقًا لفظيًا على سبيل الجواز .

---

(١) يراجع لسان العرب (ج١ ص٧٢٤) ، ومختار الصحاح ، (ص١١٧) ، والمصباح المنير للفيومي (ج١ ص١١٤) وما بعدها . ط/ المكتبة العلمية - بيروت .

(٢) المباح : هو ما خير الشارع المكلف بين فعله وتركه ، ولا مدح ولا ذم على الفعل والترك ، ويقال له : الحلال . انظر الموافقات للشاطبي (ج١ ص٦٩) ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

(٣) المندوب : هو : ما يحمد فاعله ولا يذم تاركه . انظر نهاية السول في شرح منهاج الأصول للبيضاوي (ج١ ص٧٧) ط/ عالم الكتب - بيروت - والمسودة في أصول الفقه . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ص٥٧٦ - ط/ الكتاب العربي - بيروت .

(٤) المكروه : هو ما كان تركه أولى من فعله ، أو هو ما طلب الشارع من المكلف تركه لا على وجه الحتم والإلزام كما لو كانت الصيغة بنفسها دالة على الكراهة . يراجع نهاية السول (ج١ ص٧٩) .

(٥) الواجب : سبق تعريفه في (ص٣٤) .

(٦) يراجع معجم لغة الفقهاء . وضعه أ.د/ محمد رواس قلعة جي ، ود/ حامد صادق قنيبي (ص١٥٧) ط دار النفائس .

بمعنى : أن الجملة التي تلي الكلمة الموقوف عليها فيها وجهان من الإعراب ، ولكن لم يترجح أحد الوجهين على الآخر ؛ بل كانا متساويين ؛ فالوقف آنذاك يسمى « وقفًا جائزًا » .

أي : أن كلا من الوقف والوصل جائز من غير ترجيح لأحدها على الآخر ، فجواز الوقف : باعتبار كون الجملة الواقعة بعد الكلمة الموقوف عليها مستأنفة ، وجواز الوصل : باعتبار كون الجملة في محل الخبر ، أو الحال ، أو الصفة ، ونحو ذلك (١) .

فالوقف والوصل في درجة واحدة « فهو مستوى الطرفين » وسيظهر ذلك بوضوح إن شاء الله تعالى في مقامه عند ذكر النماذج .

هذا ويرمز للوقف الجائز في المصحف برمز « ج » وإذا ما أمعنا النظر في الوقف الجائز هذا نراه غالبًا ما يوافق الوقف الكافي في وجه القطع ؛ لذا نجد أكثر علماء الوقوف (٢) : يوردون الوقف الجائز في القرآن الكريم تحت طائلة الوقف الكافي أخذًا بما يجوزه وجه الوقف ، دون ما يجوزه وجه الوصل .

ولكن الذي نهج منهج الوقف الجائز هذا ، هو الإمام السجاوندي رحمه الله حيث أورده في كتبه (٣) الخاصة بعلم الوقوف ، ووضع له علامة « ج » الدالة على الوقف الجائز .

ثانيا : ذكر نماذج للوقف الجائز ، وبيان أثره على المعنى

أ - ذكر نماذج مشروحة للوقف الجائز ، وبيان أثره على المعنى :

بعد أن عرفت الوقف الجائز سأذكر بعض النماذج التي توضح أثر ذلك الوقف على المعنى في القرآن الكريم ، حتى يظهر لطالب علم الوقوف ذلك جليًا ويقيس عليه نظائره .

النموذج الأول :

قوله تعالى : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة : ٩] .

فالوقف على قوله : ﴿ ءَامَنُوا۟ ﴾ وقف جائز ؛ وذلك لأن جملة ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ... ﴾ يحتمل أن تكون معطوفة على قوله : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾

(١) يراجع علل الوقوف (ج١ ص١٢٨) ، وكتاب الوقوف ورقة (٥) ، والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٦) ، ومعالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء (ص٣٦) .

(٢) كابن الأنباري في كتابه إيضاح الوقف والابتداء ، والداني في كتابه المكتفى ، والنحاس في كتابه القطع .

(٣) منها كتاب علل الوقوف وكتاب الوقوف .

أو تكون حالًا من ضمير ﴿ يُخَٰدِعُونَ ﴾ أي : يفعلون ما يفعلون ، والحال ما يضرون بذلك إلا أنفسهم . وعلى هذا يجوز الوصل ؛ لارتباط الجملة الثانية بالأولى .

ويحتمل أن تكون جملة ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ... ﴾ مقطوعة عما قبلها لابتداء النفي [١] . قال الإمام القرطبي رحمه الله : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ نفي وإيجاب . أي : ما تحل عاقبة الخداع إلا بهم [٢] .

وعلى ذلك يجوز الوقف على قوله : ﴿ ءَامَنُوا ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ... ﴾ والوجهان المذكوران لا مرجح لأحدهما على الآخر بل هما سواء .

معنى الآية الكريمة : بين الله - جلت قدرته - في الآية الكريمة الدوافع التي دفعت المنافقين أن يقولوا آمنا بالله واليوم الآخر ، ولم يكونوا مؤمنين ، فقال سبحانه : ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ... ﴾

والمعنى : أن هؤلاء المنافقين بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر والنفاق يعتقدون بجهلهم أنهم يخادعون الله بذلك ، وأن ذلك نافعهم عنده [٣] وأنه يروج عليه كما يروج على بعض المؤمنين ، وما علموا أن الله لا يخدع ؛ لأنه لا تخفى عليه خافية في الأرض ، ولا في السماء [٤] .

قال الإمام الشوكاني : (والمراد بالمخادعة من الله : أنه لما أجرى عليهم أحكام الإسلام مع أنهم ليسوا منه في شيء فكأنه خادعهم بذلك كما خادعوه بإظهار الإسلام وإبطان الكفر مشاكلة لما وقع منهم بما وقع منه ، والمراد بمخادعة المؤمنين لهم : هو أنهم أجروا عليهم ما أمرهم الله به من أحكام الإسلام ظاهرًا ، وإن كانوا يعلمون فساد بواطنهم ، كما أن المنافقين خادعوهم بإظهار الإسلام ، وإبطان الكفر) [٥] .

ثم بيّن الله سبحانه غفلتهم وغباءهم ، فقال - جل شأنه - : ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي : وما يخدعون في الحقيقة إلا أنفسهم ؛ لأن وبال فعلهم راجع عليهم ، فإن من خادع من لا يُخدع فقد خدع نفسه ؛ لأن الخداع إنما يكون مع من لا يعرف البواطن ، وأما من عرف البواطن فمن دخل معه في خداع فقد خدع نفسه

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج١ ص١٨٢) ، ومنار الهدى (ص٣٣) وإرشاد العقل السليم (ج١ ص٣٣) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٩٦) .

(٣) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج١ ص٤٧٤) ٨ بتصرف .

(٤) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج١ (ص٤٧ ، ٤٨) .

(٥) انظر فتح القدير (ج١ ص٤١) .

وأوردها موارد الهلاك وجرعها كأس العذاب الأليم .

وأتى بجملة ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ بأسلوب القصر مع أن خداعهم للمؤمنين قد ينالهم بسببه ضرر ؛ لأن أولئك المنافقين سيصيبهم بسبب ذلك أما المؤمنين فحتى لو نالهم ضرر ، فلهم عند اللَّه ثوابه .

ثم ختمت الآية بقوله : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وهذه الجملة الكريمة يحتمل أن لا يكون لها محل من الإعراب ، أو يكون لها محل وهو النصب على الحال من فاعل ﴿ يَخْدَعُونَ ﴾ .

والمعنى : وما يرجع وبال خداعهم إلا على أنفسهم غير شاعرين بذلك ، فلا يحسون ولا يفطنون له ؛ لتمادي غفلتهم وتكامل حماقتهم كالذي لا حس له ولا شعور [١] .

النموذج الثاني :

قوله تعالى :﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ۝ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٢، ١٦٣] .

في هاتين الآيتين وقفان جائزان :

الأول منهما : الوقف على كلمة ﴿ فِيهَآ ﴾ في قوله : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ وذلك ؛ لأن جملة ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ يصلح أن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب سيقت لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف أثر بيان كثرته من حيث الكم . وعلى ذلك الوجه يجوز الوقف على كلمة ﴿ فِيهَآ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ﴾ [٢] .

ويصلح أن تكون جملة ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ﴾ حالًا من الضمير في ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾ على وجه التداخل أو من الضمير في ﴿ عَنْهُمُ ﴾ على طريقة الترادف . وعلى ذلك يجوز وصل ﴿ فِيهَآ ﴾ بقوله : ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ﴾ ولا مرجح لأحد الوجهين على الآخر ، بل هما سواء .

الثاني : الوقف على كلمة ﴿ وَٰحِدٌ ﴾ في قوله : ﴿ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ وقف جائز أيضًا .

ووجه جوازه : أن قوله : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يصلح أن يكون صفة ، وذلك يجوز الوصل ، ويصلح أيضًا أن يكون استئنافا إخبارًا ؛ وذلك يجوز القطع على قوله : ﴿ إِلَٰهٌ

---

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٩٦) ، والتفسير الكبير (ج١ ص٤٣٩) ، وروح المعاني (ج١ ص١٤٨) وحاشية الجمل (ج١ ص١٦) ، والتفسير الوسيط (ج١ ص٧٠) .

(٢) يراجع علل الوقوف (ج١ ص٢٦٣) ، والتبيان في إعراب القرآن (ج١ ص١٣٢) ، وإملاء ما من به الرحمن (ج١ ص٧١) ، ومنار الهدى (ص٥٢) ، والبحر المحيط (ج١ ص٤٦٢) ، وإرشاد العقل السليم (ج١ ص١٤٢) .

وَاحِدٌ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [١] .

قال العلامة الألوسي : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ خبر ثان للمبتدأ ، أو صفة آخرى للخبر ، أو جملة معترضة لا محل لها من الإعراب ، وعلى أي تقدير : فهو مقرر للوحدانية ، ومزيح ، لما عسى أن يتوهم أن في الوجود إلهًا لكن لا يستحق العبادة [٢] .

المعنى العام :

في الآية الأولى بيَّن الله – جلت قدرته – لونًا من ألوان العذاب الأليم الذي ينتظر الكافرين ، الذين استمروا على الكفر حتى داهمهم الموت ، وهم على تلك الحالة ، فبعد إحاطة اللعنة المستمرة بهم من كل جانب – من الله وملائكته والناس أجمعين – قال تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ... ﴾ .

والخلود : البقاء إلى غير نهاية ، ويستعمل بمعنى البقاء مدة طويلة ، وإذا وصف به عذاب الكفار ، أريد به المعنى الأول ، أي : البقاء إلى غير نهاية . وفي ذلك إشارة إلى كم العذاب وأنه كثير لا ينقطع .

والظاهر أن الضمير في قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ يعود إلى اللعنة ؛ لأنها هي المذكورة [٣] .

في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ ... ﴾ [البقرة: ١٦١] .

وقيل : إنه يعود إلى النار ؛ لأن اللعن إبعاد من الرحمة وإيجاب للعقاب ، والعقاب يكون في النار إلا أنها أضمرت تفخيمًا لشأنها وتهويلًا ، واكتفاء بدلالة اللعنة .

ثم قال – جل شأنه – : ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ .

أي : أن هذا العذاب الذي ينال هؤلاء الكافرين عذاب دائم لا ينقطع ، ولا يخفف عنهم طرفة عين ، ولا هم يمهلون أو يؤجلون عنه وقتًا من الأوقات ، بل يكون حاضرًا متصلًا بعذاب مثله أو ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ليعتذروا أو لينظر إليهم نظرة رحمة .

وفي إيثار الجملة الاسمية في قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ لإفادة دوام النفي واستمراره [٤] .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج١ ص٢٦٣) ، ومنار الهدى (ص٥٢) ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٥٢) .

(٢) انظر روح المعاني (ج٢ ص٣٠) ، ويراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص١٤٢) .

(٣) يراجع التفسير الكبير (ج٤ ص٥٦٧) ، والكشاف (ج١ ص٢١٠) ، وحاشية الجمل (ج١ ص١٢٨) ، وإرشاد العقل السليم (ج١ ص١٤٢) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٩١)

(٤) يراجع التفسير الكبير (ج٤ ص٥٦٧) ، والكشاف (ج١ ص٢١٠) ، وحاشية الجمل (ج١ ص١٢٨) ، وإرشاد العقل السليم (ج١ ص١٤٢) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٢ ص١٩١) ، وروح المعاني (ج٢ ص٣٠) ، والتفسير الوسيط (ج١ ص٤٢٦) .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥] ، ولما ذكر الله سبحانه وعيد الكافرين الجاحدين لآياته ، وما لهم من العذاب والنكال في الآخرة عقب ذلك ببيان أن المستحق للعبادة والخضوع هو الله الواحد الأحد ، فقال تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ .

والمعنى : وإلهكم أيها الناس الذي يستحق العبادة والخضوع إله واحد هو الله - تعالى - ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فمن عبد شيئًا دونه أو عبد شيئًا معه ، فعبادته باطلة فاسدة ؛ لأن العبادة الصحيحة : هي ما يتجه بها العابد إلى المعبود بحق ، الذي قامت البراهين الساطعة على وحدانيته وهو الله رب العالمين .

والتعبير بقوله : ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ بعد قوله : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ ؛ لتقرير وحدانية الإله وتأكيدها ، ونفي الشريك عنه نفيًا حاسمًا بأسلوب القصر (١) .

ثم ختمت الآية الكريمة بما يدل على أن الله تعالى هو المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ، وهو مصدر الرحمة ودائم الإحسان ، فقال سبحانه : ﴿ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ .

وأتى سبحانه بهذين اللفظين في ختام الآية ؛ لأن ذكر الألوهية والوحدانية يحضر في ذهن السامع معنى القهر والعلو ، وسعة القدرة ، وعزة السلطان ، وذلك مما يجعل القلب في هيبة وخشية ، فناسب أن يورد عقب ذلك ما يدل على أنه مع هذه العظمة والسلطان ، مصدر الإحسان ، ومولى النعم فقال : ﴿ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

وهذه طريقة القرآن في الترويح على القلوب بالتبشير بعدما يثير الخشية حتى لا يعتريها اليأس والقنوط (٣) .

النموذج الثالث :

قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣١] .

فالوقف على قوله تعالى : ﴿ بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ وقف جائز وعلة الجواز أن كلمة ﴿ حَتَّىٰ ﴾ الواقعة بعد لفظ الجلالة إما أن تكون ابتدائية أو غائية .

---

(١) يراجع روح المعاني (ج٢ ص٣٠) بتصرف ، وحاشية الجمل (ج١ ص١٢٨) ، والتفسير الوسيط (ج١ ص٤٢٦) بتصرف واختصار .

(٢،٣) يراجع الكشاف (ج١ ص٢١٠) ، والتفسير الكبير (ج٤ ص٥٨٠) ، والتفسير الوسيط (ج١ ص٤٢٧) .

فإن جعلت حتى ابتدائية - وعامل ﴿ إِذَا ﴾ قوله : ﴿ قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا ﴾ جاز الوقف ، وإن جعلت ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ غائية لتكذيبهم لا لخسرانهم - لأنه لا يزال بهم التكذيب إلى قولهم : ﴿ يَٰحَسْرَتَنَا ﴾ وقت مجيء الساعة فالساعة ظرف للحسرة - جاز الوصل [1] .

قال الإمام الرازي : (اعلم أن كلمة ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ غاية لقوله تعالى : ﴿ كَذَّبُوا۟ ﴾ لا لقوله تعالى : ﴿ قَدْ خَسِرَ ﴾ لأن خسرانه لا غاية له ومعنى ﴿ حَتَّىٰٓ ﴾ ههنا أن منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيامة ، والمعنى : أنهم كذبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتة) [2] .

وعلى كلا الوجهين : جائز جوازًا مستوى الطرفين .

معنى الآية الكريمة : في الآية الكريمة صور الله تعالى عاقبة الكافرين المكذبين ، وخسارتهم التي ليس بعدها خسارة ، فقال - جل شأنه - : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ﴾ .

والمعنى : أي أن أولئك الكفار الذين أنكروا البعث والحساب قد انكشف لهم ما كانوا فيه من غفلة وضلال ورأي ، كل ضال غافل المصير الذي ينتهي به ضلاله وغفلته إليه ، وهو الخسران والضياع والهلاك . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ أي : جاءتهم القيامة فجأة على غير انتظار ؛ إذ كانوا على تكذيب قاطع بهذا اليوم فإذا اطلع عليهم كان ذلك مباغتًا لهم ومفاجئًا [3] .

وقيل : المراد بالساعة وقت مقدمات الموت ، فالكلام على حذف المضاف ، أي جاءتهم مقدمات الساعة وهي الموت وما فيه من الأهوال ، وذلك لما كان الموت من مبادئ الساعة ومقدماتها سمي باسمها ، ولذلك قال الرسول ﷺ : « **من مات قامت قيامته** » [4] .

قال الإمام القرطبي : (وسميت القيامة بالساعة لسرعة الحساب فيها) [5] .

آنذاك ﴿ قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ وإنها لحسرة تطول لا نهاية لها [6] حيث

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٤٧٥) ، ومنار الهدى (ص١٢٩ - ١٣٠) ، وحاشية الخطيب على البيضاوى (ج٢ ص١٨٤) ، ومؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت .

(٢) انظر التفسيرالكبير (ج١١ ص٢٧٨) ، ويراجع الكشاف (ج٢ ص١٦) .

(٣) يراجع ارشاد العقل السليم (ج٢ ص٩٣) ، وحاشية الجمل (ج٢ ص٢١) ، والتفسير القرآني للقرآن (ج٧ ص١٥٧) .

(٤) هذا الحديث الشريف رواه الديلمي عن أنس ، رفعه بلفظ إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته ، وللطبراني عن المغيرة ابن شعبة قال : (يقولون القيامة وإنما قيامة الرجل موته) الحديث رقم ٢٦١٨ . انظر كشف الخفا ومزيل الإلباس للعجلوني . تعليق أحمد القلاش (ج٢ ص٣٨٦) ط/ دار التراث - القاهرة - ومكتبة التراث الإسلامي حلب - أقيوم

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص٤١٢) .

(٦) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٩٣) ، وحاشية الجمل (ج٢ ص٢١) ، والتفسير القرآني للقرآن (ج٧ ص١٥٧) .

أفلت من أيديهم ما كان يمكن أن يعدوه لهذا اليوم الذي أنكروه ولم يعملوا له حسابًا

وهذا النداء منهم في قولهم : ﴿ يَحَسْرَتَنَا ﴾ ليس على حقيقته بل إنه يدل على كثرة التحسر ، وقيل هو تنبيه للناس على عظيم ما يحل بهم من الحسرة أي : أيها الناس انتبهوا على عظيم ما بي من الحسرة فوقع النداء على غير المنادى حقيقة .

والضمير في قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ : يعود إلى الساعة وهي يوم القيامة .

ثم بين الله تعالى حالتهم في ذلك اليوم فقال : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ .

أي : والحال يحملون أثقال ذنوبهم على ظهورهم ، وهذا تمثيل لاستحقاقهم أثار الآثام .

وعبر سبحانه بالحمل على الظهور ؛ لأن عادة حمل الأثقال على الظهور [1] .

قال ابن جزي : « وهذا كناية عن تحمل الذنوب » .

وقيل : « إنهم يحملونها حقيقة ، فقد روي أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له في أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتمثل له في أحسن صورة » [2] .

وقوله : ﴿ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ تذييل مقرر لما قبله وتكملة له .

والمعنى : ما أشأم ذلك الحمل ، وما أسوءه إذا كان هو الجريمة التي تدين حامله ، والشهادة التي تشهد عليه وتجره إلى النار [3] .

النموذج الرابع :

قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١١٠] .

فالوقف على قوله : ﴿ مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ وقف جائز ؛ وذلك لاحتمال أن يكون قوله : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ابتداء جواب من فرعون ، أي : فماذا تشيرون ؟ دليله قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا أَرْجِهْ ﴾ [الأعراف : ١١١] .

أي : أخر أمرهما وأصدرهما عنك ولا تعجل في أمرهما حتى ترى رأيك فيهما وقيل : احبسهما .

وعلى ذلك يجوز الوقف على قوله : ﴿ مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ والابتداء ، بقوله : ﴿ فَمَاذَا

---

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن الكريم (ج٦ ص٤١٢) ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج٢ ص١٨٥) ، والتفسير القرآني للقرآن (ج٧ ص١٥٧) .

(٢) انظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (ج٢ ص٧) ط / دار الكتاب العربي بيروت - لبنان .

(٣) يراجع المصادر السابقة بهامش (٤) .

تَأْمُرُونَ ﴾ .

ويحتمل : أن يكون ﴿ فَمَاذَا (١) تَأْمُرُونَ ﴾ من تمام قول الملأ لفرعون وخاطبوا فرعون وحده بقوله : ﴿ تَأْمُرُونَ ﴾ تعظيما له كما تخاطب الملوك بصيغة الجمع أو قالوا ذلك له ولأصحابه . وبناء على ذلك يجوز وصل قوله : ﴿ مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ بقوله : ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ (٢) .

معنى الآية الكريمة : بعد ما التقى موسى ﷺ بفرعون لقاء مباشرًا وبين له أنه رسول من رب العالمين ، وأنه لا يقول إلا كلمة الحق ، وأنه ما جاء إلا هاديًا إلى بني إسرائيل ، وهنا طلب فرعون من موسى ﷺ الآية والبينة على صدقه ، وقد أتى موسى بالبينة التي تدعوا فرعون وملأه إلى الإيمان .

بعد ذلك كله حكى لنا القرآن الكريم أن حاشية فرعون السيئة ، وأصحاب الجاه والغنى في دولته غاظهم ما جاء به موسى ﷺ ودار بينهم حديث طويل متصل تتوارد فيه الآراء ، وتكثر فيه العروض والحلول (٣) فقال سبحانه حكاية عنهم ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٠٩، ١١٠] .

أي قال الأشراف من قوم فرعون : وهم أصحاب مشورته ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي مبالغ في علم السحر ماهر فيه ، ولم يكتفوا بذلك القول الباطل ؛ بل أخذوا يثيرون الناس على موسى ، ويهولون لهم الأمر ؛ ليقفوا في وجهه فقالوا : ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ أي : يريد هذا الساحر أن يسلب منكم ملككم ، وأن يصبح هو ملكا على مصر ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ لاتقاء هذا الخطر الداهم وبماذا تشيرون من أمره فهو من الأمر بمعنى المشاورة ، يقال : أمرته فأمرني ، أي : شاورته فأشار علي (٤) .

قال صاحب الكشاف : « فإن قلت قد عزى هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء

---

(١) ويجوز أن تكون ﴿ مَاذَا ﴾ كلها اسمًا واحدًا مفعولًا ثانيًا لـ ﴿ تَأْمُرُونَ ﴾ والمفعول الأول محذوف وهو ياء المتكلم ، والتقدير : بأي شيء تأمرونني . ويجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ وحدها استئنافا مبتدأ و ﴿ ذَا ﴾ اسم موصول بمعنى الذي خبر عنها و ﴿ تَأْمُرُونَ ﴾ صلة ﴿ ذَا ﴾ ومفعول ﴿ تَأْمُرُونَ ﴾ وهو ضمير المتكلم ، والثاني الضمير العائد على الموصول ، والتقدير : فأي شيء تأمرونه ، أي تأمرونني به . يراجع منار الهدى (ص١٤٩) وفتح القدير (ج٢ ص٢٣١) .

(٢) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٥١١) ، ومنار الهدى (ص١٤٩) ، والكشاف (ج٢ ص١٣٩) ، وفتح القدير (ج٢ ص٢٣١) وروح المعاني (ج٩ ص٢١) .

(٣) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص١٨٨) ، والتفسير القرآني للقرآن (ج٩ ص٤٥١) بتصرف .

(٤) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص١٨٨) والجامع لأحكام القرآن (ج٧ ص٢٥٧) وروح المعاني (ج٩ ص٢١) .

حيث قال : أي قال فرعون : ﴿ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ وهنا عزى إلى الملأ ، فكيف الجمع ؟

قلت : « قد قاله هو ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ .. ﴾ ، وقالوه هم ، فحكى قوله هناك . وقولهم ههنا ، أو قاله ابتداء فتلقته منه الملأ ، فقالوا لأعقابهم ، أو قاله عنه للناس عن طريق التبليغ كما يفعل الملوك ، يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ، ثم تبلغه الخاصة العامة » [1] .

النموذج الخامس :

قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل : ٥] .

فالوقف على ﴿ خَلَقَهَا ۗ ﴾ وقف جائز ، ويرى البعض أنه : تام . وقال الإمام الداني : كاف [2] .

والذي أميل إليه : أن الوقف على ﴿ خَلَقَهَا ۗ ﴾ وقف جائز ؛ وذلك لأن قوله : ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ يصلح أن يكون ابتداءً وخبرًا ، وعلى ذلك يجوز الوقف على قوله : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ وعلى ذلك الوجه يكون قوله : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ ﴾ منصوبًا بـ ﴿ خَلَقَهَا ۗ ﴾ على الاشتغال .

ويصلح أن تكون ﴿ لَكُمْ ﴾ متعلقة بـ ﴿ خَلَقَهَا ۗ ﴾ وتكون جملة ﴿ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ جملة في موضع الحال من الضمير المنصوب . والمعنى : ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان .

وعلى هذا الوجه تكون ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ منصوبة بفعل مقدر يفسره المذكور بعده ، وبناء على ذلك يجوز وصل ﴿ خَلَقَهَا ۗ ﴾ بـ ﴿ لَكُمْ ﴾ ومما يدل على جواز الوجهين أيضًا ، قول السجاوندي : « الوقف على ﴿ خَلَقَهَا ۗ ﴾ جائز لتمام الكلام مع احتمال الاختصاص [3] .

قال الواحدي : تم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ ﴾ ثم ابتدأ ، وقال تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ ويجوز أيضًا أن يكون تمام الكلام عند قوله تعالى :

---

(١) انظر الكشاف (ج٢ ص١٣٩) .

(٢) انظر المكتفى (ص٣٤٧) ، ويراجع الاقتداء ورقة (١٦١) .

(٣) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٦٣٥) ، ومنار الهدى (ص٢١٢) وإملاء ما مَنَّ به الرحمن (ج٢ ص٤٣) ، والكشاف (ج٢ ص٥٩٤) .

﴿ لَكُمْ ﴾ ثم ابتدأ ، وقال تعالى : ﴿ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ [(١)] .

معنى الآية الكريمة : بعد أن بيّن الله تعالى ما يدل على وحدانيته وقدرته عن طريق خلقه للسماوات وللأرض وللإنسان اتبع ذلك ببيان أدلة وحدانيته وقدرته عن طريق خلق الحيوان ، فقال جل شأنه : ﴿ وَالْأَنْعَامَ [(٢)] خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ [(٣)] وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ .

والمعنى : أي من مظاهر نعم الله تعالى عليكم أيها الناس أن خلق الأنعام - وهي الإبل والبقر والغنم - لمنافعكم ومصالحكم . هذا ، ولما كانت حاجة الإنسان إلى اللباس أمرًا ضروريًا بدأ الحق سبحانه بها ، فقال : ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ وهو ما يستدفأ به من اللباس والأكسية المأخوذة من أصوافها وأوبارها وأشعارها فتقيكم برودة الجو ، بل وجعل لكم فيها منافع متعددة .

والمراد بهذه المنافع : هي نسلها ودرها وركوبها وغير ذلك [(٤)] .

وإنما عبر الحق سبحانه بلفظ ﴿وَمَنَافِعُ ﴾ دلالة على الوصف الأعم ؛ ليتناول الكل وأيضًا أنه الأنسب بمقام الامتنان بالنعم -- وقدم الدفء رعاية لأسلوب الترقي إلى العلى .

ثم أفرد الله تعالى منفعة الأكل بالذكر ، فقال : ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ أي : من لحومها تأكلون عند الذبح ، وهذا يعد تخصيص لهذه المنفعة ، وذلك لعظمها وفي تقديم الظرف في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ يؤذن بالاختصاص ؛ إذ قد يؤكل من غيرها .

لكنني أقول : إن الأكل منها هو الأصل ، أما الأكل من غيرها كالدجاج والبط وصيد البر والبحر ، فغير معتد به في الأغلب ، وأكله يجري مجرى التفكه به فخرج ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ مجرى الأغلب في الأكل من هذه الأنعام .

---

(١) انظر التفسير الكبير (ج١٨ ص٤٧٧) وبراجع لباب التأويل في معاني التنزيل (ج٤ ص٦٦) وحاشية الجمل (ج٢ ص٥٥٩) وقال صاحب النظم (أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله تعالى : ﴿ خَلَقَهَا ﴾ والدليل عليه أنه عطف عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ والتقدير : لكم فيها دفء ولكم فيها جمال) . انظر التفسير الكبير (ج٨ ص٤٧٧) .

(٢) الأنعام : جمع نعم ، وهي الإبل والبقر والغنم ، وقد تطلق على الإبل خاصة .

(٣) الدفء : السخانة وهو ما يستدفئ به من أصواف الأنعام وأوبارها وأشعارها . الكشاف (ج٢ ص٥٩٤) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٠ ص٦٩) .

(٤) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٢ ص٥٦٢) ، والتفسير الكبير ج١٨ (ص٤٧٧ - ٤٧٨) بتصرف واختصار ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٤ ص٦٦) والجامع لأحكام القرآن (ج١٠ ص٦٩ - ٧٠) بتصرف واختصار ، وروح المعاني (ج١٤ ص٩٨) .

وقدم منفعة اللباس على منفعة الأكل ؛ لأن اللباس أكثر بقاء من المطعوم فلهذا قدم [١] .

النموذج السادس :

قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٢] .

فالوقف على كلمة ﴿ حَسِيسَهَا ﴾ وقف جائز ؛ لأن جملة ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ يحتمل أن تكون مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، سيقت لبيان بعض أحوال أهل الجنة ، وما هم فيه من نعيم خالد ، وسرور دائم لا انقضاء له ولا انقطاع .

وهذا الوجه يجوز الوقف على ﴿ حَسِيسَهَا ﴾ ومحتمل أن تكون جملة ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ في موضع النصب على الحال من فاعل ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ وعلى هذا الوجه يجوز وصل كلمة ﴿ حَسِيسَهَا ﴾ بما بعدها [٢] .

وكلا الوجهين جائز بدون ترجيح أحدهما على الآخر .

معنى الآية الكريمة : في الآية الكريمة يبّن الله – جل شأنه – حال أهل الجنة عندما ينزلون منازلهم فيها ، فقال سبحانه : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ أي : هؤلاء المؤمنون الصادقون الذين سبقت لهم من خالقهم الدرجة الحسنى ، لا يسمعون صوت النار الذي يحس من حركة لهيبها ؛ لأنهم استقروا في الجنة ؛ وصاروا في أمان واطمئنان [٣] .

في قوله : ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ بيان لفوزهم بأقصى ما تتمناه الأنفس بعد بيان بعدهم عن صوت النار .

أي : وهم في الجنة دائمون ، لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم خالدون خلودًا أبديًا ، لا ينغصه حزن ولا انقطاع .

وقدم ﷻ الظرف في قوله : ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ للقصر

---

(١) يراجع الكشاف (ج٢ ص٥٩٤) ، لباب التأويل في معاني التنزيل (ج٤ ص٦٦) ، والتفسير الكبير (ج١٨ ص٤٧٨) وفتح القدير (ج٣ ص١٤٨) .

(٢) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٧١٢) ، ومعالم الاهتداء (ص٣٧) ، وحاشية الجمل على الجلالين (ج٣ ص١٤٧) .

(٣) يراجع لباب التأويل في معاني التنزيل (ج٤ ص٢٦٢) ، والتفسير الوسيط (ج٩ ص٣٢٤) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١١ ص٣٤٦) ، وروح المعاني (ج١٧ ص٩٨) بتصرف واختصار .

والاهتمام ورعاية الفواصل [(١)] . ونظير الآية الكريمة ، قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت : ٣١] .

النموذج السابع :

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيَ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا [(٢)] بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [الفرقان : ٤٨] .

فالوقف على كلمة ﴿ رَحْمَتِهِۦۚ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۚ ﴾ وقف جائز ، وذلك للعدول من الغيبة إلى التكلم ؛ وهذه علة جواز الوقف .

وأما علة جواز الوصل ، فهي اتحاد مقصود الكلام ، حيث إن الكلام في ذكر تعداد الآيات الدالة على توحيد الله - جل شأنه - [(٣)] .

معنى الآية الكريمة : ساق الله - تبارك وتعالى - في هذه الآية الكريمة دليلًا على وجود قدرته التامة وسلطانه العظيم في إرسال الرياح حيث تكون بشيرًا بالأمطار التي تحيي الأرض بعد موتها ، فقال - جلت قدرته - : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيَ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦۚ ... ﴾

والمعنى : أنه ﷻ الذي أرسل بقدرته التامة الرياح ؛ لتكون بشيرًا لعباده بقرب نزول رحمته المتمثلة في الغيث الذي به حياة الناس والأنعام وغيرهما [(٤)] .

قال الجمل : الرياح أي المبشرات وهي الصبا ، وتأتى من جهة مطلع الشمس ، والجنوب ، والشمال ، والدبور ، وتأتى من ناحية مغرب الشمس . وفي قراءة سبعية ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيَ أَرْسَلَ ٱلرِّيحَ ﴾ [(٥)] . على إرادة الجنس [(٦)] ، وشبيه بهذه الآية قوله تعالى :

---

(١) يراجع لباب التأويل في معاني التنزيل (ج٤ ص٢٦٢) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١١ ص٣٤٦) ، وروح المعاني (ج١٧ ص٦٨) بتصرف ، والتفسير الوسيط (ج٩ ص٣٤٢) .

(٢) إن كلمة ﴿ نشرًا ﴾ فيها أربع قراءات متواترة الأولى : قراءة عاصم : ﴿ بُشْرًا ﴾ بباء مضمومة ، وإسكان الشين الثانية : قراءة الحرميين ، وأبي عمرو ﴿ نُشُرًا ﴾ بنون مضمومة وضم الشين . الثالثة : قراءة ابن عامر ﴿ نُشْرًا ﴾ بنون مضمومة وإسكان الشين . الرابعة : قراءة حمزة والكسائي ﴿ نَشْرًا ﴾ بفتح النون وإسكان الشين ومعنى « نشرا » : أي متفرقة قدام المطر . إبراز المعاني لابن شامة (ص٤٧٦) ط/ مصطفى البابي الحلبي ، وسراج القارئ المبتدئ لابن القاصح (ص٢٢٤) ط/ مصطفى البابي الحلبي .

(٣) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٧٥٠) ، وحاشية الجمل (ج٣ ص٢٦٢) .

(٤) يراجع تفسير القرآن العظيم (ج٣ ص٣٢٠) ، والتفسير الوسيط (ج١٠ ص٢٦٦) .

(٥) قراءة عبد الله بن كثير المكي . السبعة لابن مجاهد (ص٢٨٣) .

(٦) يراجع حاشية الجمل (ج٣ ص٢٦٢) بتصرف واختصار .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨] .

ثم ذكر الحق سبحانه ما يترتب على إرسال الرياح من خير ، فقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ أي : وأنزلناه بقدرتنا من السماء ماءًا طهورًا في ذاته مطهرًا لغيره نافعًا للإنسان والحيوان والنبات ، وغير ذلك من المخلوقات .

قال الإمام القرطبي : « وصيغة طهور بناء مبالغة في طاهر ، وهذه المبالغة اقتضت أن يكون الماء طاهرًا مطهرًا »[١] .

ووصف ﷻ الماء بالطهور زيادة في الإشعار بالنعمة ، وزيادة في إتمام المنة ، فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما ليس كذلك[٢] .

النموذج الثامن :

قوله تعالى : ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٨] .
فالوقف على قوله : ﴿ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴾ وقف جائز ؛ لأن جملة ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ يحتمل أن تكون جملة مستأنفة سيقت لبيان ما أعده الله - جلت قدرته - للكافرين وهذه الجملة أيضًا بدأت بفعل ماض ، وهو قوله : ﴿ وَأَعَدَّ ﴾ والماضي لا يعطف على المستقبل ، وهو قوله : ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ﴾ كما يرى أكثر النحاة .

قال إمام النحو ابن هاشم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ويعطف الفعل على الفعل بشرط اتحاد زمانيها ..)[٣] .

وعلى هذا يجوز الوقف على قوله : ﴿ صِدْقِهِمْ ۚ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ وَأَعَدَّ ... ﴾

ويحتمل أن يكون قوله : ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ ... ﴾ حال من ضمير « يسأل » بتقدير : وقد أعد وأورد الإمام الشوكاني في تفسيره : (عدة أوجه في إعراب قوله : ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ بعد أن قال : يحتمل أن يكون مستأنفًا ...) ، قال : ويحتمل أن يكون حالًا

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٣٩) .

(٢) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٣٩) ، لباب التأويل في معاني التنزيل (ج٥ ص٨٥) ، وحاشية الجمل (ج٣ ص٢٦٢) .

(٣) سواء اتحد نوعاهما نحو قوله : ﴿ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ ﴾ [الفرقان: ٤٩] أم اختلفا ، نحو قوله : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [هود: ١٨] وإذا ما نظرنا إلى الفعل « أورد » نجد أنه معطوف على « يقدم » و « أورد » ماض إلا أنه مستقبل المعنى ؛ لأنه بمعنى « يورد » والثاني مضارع . فهما في حكم المتحدين - يراجع منار السالك إلى أوضح المسالك لابن هشام - تحقيق الأستاذ / محمد عبد العزيز النجار - واشترك في أصله المرحوم الشيخ/ عبد العزيز حسن من علماء الأزهر (ج٢ ص١٠٩) ط/ الفجالة الجديدة .

بتقدير : قد أعد ، أو معطوفًا على ما دل عليه ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ إذ التقدير : أثاب الصادقين ، وأعد للكافرين ويجوز أن يكون معطوفًا على « أخذنا » وهو عطف معنى ، أي : أن الله أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه ؛ ليثبت المؤمنين وأعد للكافرين » .

وقيل : إنه حذف من الثاني ما أثبت في الأول ، ومن الأول ما أثبت مقابله في الثاني

والتقدير : ليسأل الصادقين على صدقهم فأثابهم ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وهذا ما يسمى عند علماء البلاغة بأسلوب الاحتباك [1] .

وخلاصة **القول** : أن في قوله : ﴿ عَن صِدْقِهِمْ ۚ ﴾ جواز الوصل والوقف جوازا مستوى الطرفين [2] .

معنى الآية الكريمة : بعد أن أكد الله تعالى على الأنبياء الدعوة إلى دينه ، وتبليغ رسالته ، وأخذ عليهم الميثاق بذلك . ساق بيانًا لعلة ذلك الأخذ وغايته ، قائلًا : ﴿ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

والمراد بالصادقين هنا : النبيون الذي أخذ الله منهم الميثاق واللام في﴿ لِّيَسْـَٔلَ ﴾ بمعنى كي . أي : لكي يسأل الصادقين من النبيين عن صدقهم في تبليغ الرسالة إلى قومهم .

قال الصاوي : (والحكمة في سؤال الرسل مع علمه تعالى بصدقهم هو التقبيح على الكفار يوم القيامة) [3] لأنهم إذا كانوا يُسألون عن ذلك ، فكيف بمن سواهم ففائدة سؤالهم توبيخ الكفار .

وقيل : ليسأل الأنبياء عما أجابهم به قومهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

وقيل : المراد بـ ﴿ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ هم المصدقون بالنبيين ، والمعنى : ليسأل المصدقين للنبيين عن تصديقهم إياهم ، فيقال لهم : هل صدقتم ؟ وقيل : يقال لهم : هل تصديقكم لوجه الله تعالى ؟ ثم ختمت الآية الكريمة ، بقوله : ﴿ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ أي : أعد الله للكافرين عذابًا مؤلمًا موجعًا بسبب كفرهم وإعراضهم عن قبول الحق .

---

(١) الاحتباك : هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ، ويحذف من كل واحد منهما مقابله ؛ لدلالة الآخر عليه . انظر التعريفات (ص١٢) .

(٢) يراجع علل الوقوف (ج٣ ص٨١٦) ، وفتح القدير للشوكاني (ج٤ ص٢٦٤) .

(٣) انظر حاشية الصاوي على الجلالين (ج٣ ص٢٦٩) .

وهكذا جمعت الآية الكريمة بين ما أعده الله سبحانه من ثواب عظيم للصادقين ، ومن عذاب أليم للكافرين (١) .

نماذج أخرى للوقف الجائز

سأكتفي في هذه النماذج ببيان موطن الوقف وعلته :

١ - قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

فالوقف على قوله : ﴿ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ وقف جائز ؛ لأن ما بعده شرط مسبوق بالفاء وهو قوله : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ فابتداء الشرط يجوّز الوقف ، وفاء التعقيب في قوله : ﴿ فَمَن ﴾ تجوز الوصل . وكلا الوجهين جائز جوازًا مستوي الطرفين (٢) .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ... ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

فالوقف على قوله : ﴿ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ وقف جائز جوازًا مستوي الطرفين ، فعلة جواز وصل ﴿ ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ بقوله : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ ﴾ اتفاق الجملتين ؛ إذ أن جملة النهي وهي ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ ﴾ معطوفة على أول الأوامر ، وذلك يجوز الوصل .

وعلة جواز الوقف : اختلاف حكم الصوم والاعتكاف ، فلكل واحد شأن (٣) .

قال الإمام الخازن : (لما بيّن الله أن الجماع يحرم على الصائم نهارًا ويباح ليلًا ، فكان يحتمل أن حكم الاعتكاف كذلك ؛ لأنه يشارك الصوم في غالب أحكامه بيّن الله حكمه في هذه الآية بتحريمه على المعتكف ليلًا ونهارًا » (٤) .

٣ - قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٢] .

فالوقف على قوله : ﴿ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ وقف جائز ؛ لأن قوله : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ... ﴾ يصلح أن يكون استئنافًا جاريًا مجرى العلة لما قبله ، والمعنى : يجب علينا أن نكون من

---

(١) يراجع البحر (ج٧ ص٢١٤) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٤ ص١٢٨) ، وفتح القدير (ج٤ ص٢٦٤) ، وتفسير القرآن العظيم (ج٣ ص٤٦٩) ، والتفسير الوسيط (ج١١ ص٢٧) .

(٢) يراجع علل الوقوف (ج١ ص٢٧٥) .

(٣) يراجع علل الوقوف (ج١ ص٢٧٩) ، وروح المعاني (ج٢ ص٦٨) .

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل (ج١ ص١١٩) .

أنصار الله ؛ لأجل أننا آمنا بالله ، فإن الإيمان بالله يوجب نصرة دينه ، والذب عن أوليائه ، ومحاربة أعدائه ، وعلى ذلك يجوز الوقف على قوله : ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ ويصلح أيضًا أن يكون قوله : ﴿ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ جملة حالية ، والتقدير : أي : وقد آمنا بالله كذلك ، وعلى ذلك يجوز الوقف على قوله : ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ لأنه لا يفصل بين الحال وصاحبه [١] .

٤ - قوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢] .

في هذه الآية الكريمة من الوقوف الجائزة ثلاثة :

الوقف الأول : قوله : ﴿ مِن قَبْلِكَ ﴾ وعلة جواز الوقف عليه أن جملة ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ يصلح أن تنصب على المدح ، والتقدير : « أمدح المقيمين ... » وهذا الوجه اختاره سيبويه ؛ حيث قال : هذا باب ما ينتصب على التعظيم ، ومن ذلك ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ [٢] .

وعلى هذا الوجه يجوز الوقف على قوله : ﴿ مِن قَبْلِكَ ﴾ والابتداء بقوله تعالى : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ .

قال الأشموني : (وإنما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات ؛ لبيان فضل الصلاة على غيرها) [٣] .

وليس بوقف إن عطف قوله : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ [٤] على قوله : ﴿ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ أي : يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين ، أو عطف على « ما » في قوله : ﴿ وَمَا أُنزِلَ

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج١ ص٣٧٤) ، ومنار الهدى (ص٧٨) وإرشاد العقل السليم (ج١ ص٢٤١) والتفسير الكبير (ج٧ ص٢٣٥) .

(٢) يراجع الاقتداء ورقة (٩٣) ومنار الهدى (ص١١٢) .

(٣) انظر منار الهدى (ص٧٨) .

(٤) وهناك ثلاثة أوجه ولكنها لاتجوز ؛ لأن فيها عطف الظاهر على المضمر من غير إعادة الجار .

الأول : أن قوله : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾ معطوف على الكاف في ﴿ قَبْلِكَ ﴾ .

الثاني : أنه معطوف على الكاف في « إليك » .

الثالث : أنه معطوف على الهاء والميم في « منهم » .

يراجع التبيان (ج١ ص٤٠٨) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص١٤) .

مِن قَبْلِكَ ﴾ فإنها في موضع جر أو عطف على الضمير في « منهم » ، والمعنى : والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك ، وما أنزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة .

نقل الإمام القرطبي اختيارًا لهذا الوجه عن بعضهم ، حيث قال : (إن المقيمين ههنا الملائكة عليهم السلام لدوامهم على الصلاة ، والتسبيح ، والاستغفار ، واختار هذا القول وحكى أن النصب على المدح بعيد ؛ لأن المدح إنما يأتي بعد تمام الخبر ، وخبر الراسخين في ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ فلا ينتصب المقيمين على المدح) .

ولكني أرى أن الوجهين معمول بهما فيجوز الوقف على الأول ، والوصل على الثاني حتى يتحقق الوجهان ، الوقف الثاني : قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ لأن جملة ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ تصلح أن تكون مستأنفة ، فإما أن تكون خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره : وهم المؤتون ، أو مبتدأ خبره ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ ... ﴾ وعلى ذلك يجوز الوقف على ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ... ﴾

وليس بوقف إذا عطف قوله : ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ على قوله : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ أو على الضمير في ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ حتى لا يفصل بين جملة المعطوف والمعطوف عليه .

الوقف الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ فإن جعل ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ مبتدأ أو خبر ، وعليه يجوز الوقف على قوله : ﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ وليس بوقف إن جعل قوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ ﴾ خبر لقوله : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ (1) .

٥ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ... ﴾ [المائدة : ٤٤] .

فالوقف على قوله : ﴿ وَنُورٌ ﴾ وقف جائز ؛ لأن جملة ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ يحتمل أن تكون مستأنفة مبينة لرفعة التوراة ، وسمو طبقتها ، وكلمة ﴿ وَنُورٌ ﴾ منكرة فلو وصلت بها جملة ﴿ يَحْكُمُ ﴾ لصارت صفة لها ؛ لذلك جاز الوقف على قوله : ﴿ نُورٌ ﴾ وابتدئ بقوله : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ... ﴾ ويحتمل أن تكون جملة ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ... ﴾ في موضع الحال من ﴿ ٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ والتقدير : إن أنزلنا التوراة كائنًا فيها هدى ونور

---

(1) يراجع الاقتداء ورقة (٩٣) ، ومنار الهدى (ص١١٢) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص١٤) ، والتبيان في إعراب القرآن (ج١ ص٤٠٨) ، والكشاف (ج١ ص٥٩٠) ، وحاشية الجمل (ج١ ص٤٤٧) ، والتفسير الكبير (ج١٠ ص٥٢٤) .

محكومًا بها ، أي : يحكم النبيون بأحكامها ويحملون الناس عليها . وعلى ذلك يجوز وصل قوله : ﴿ هُدًى وَنُورٌ ﴾ بقوله : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ... ﴾ وكلا الوجهين جائز جوازًا مستوي الطرفين (١) .

٦ - قوله تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ... ﴾ [الكهف : ٢٨] .

فالوقف على قوله : ﴿ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ وقف جائز ، وعلة الجواز : أن جملة ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ يحتمل أن تكون حالًا ؛ لأن الخطاب للنبي ﷺ في الحقيقة .

والمعنى : ولا تصرف عيناك النظر عنهم مريدًا لزينة الحياة الدنيا ، وعلى هذا الوجه يجوز وصل ﴿ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ بقوله : ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ ويحتمل أن تكون جملة ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ استفهامًا محذوف الألف ؛ لدلالة العتاب عليه ، والتقدير : أتريد زينة الحياة الدنيا (٢) .

٧ - قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم : ٧٥] .

فالوقف على قوله : ﴿ مَدًّا ﴾ وقف جائز ، وعلة الجواز أن قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ... ﴾ يحتمل أن تكون ؛ لانتهاء مدد الضلالة ، والمعنى : أي : يستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هو شر مكانًا ، وأضعف جندًا ، وعلى هذا الوجه يجوز وصل ﴿ مَدًّا ﴾ بقوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا ... ﴾

وعلة جواز الوقف على كلمة ﴿ مَدًّا ﴾ ؛ لأن ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ﴾ لابتداء الرؤية وجوابها محذوف تقديره : إذا رأوا العذاب أو الساعة آمنوا . إذ أن المراد بالعذاب ، العذاب الدنيوي بغلبة المؤمنين على أهل الضلالة واستيلائهم .

والمراد بالساعة قيل : يوم القيامة وهو الظاهر ، وقيل : ما يشمله حين الموت ومعاينة العذاب (٣) .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٤٥٤ ، ٤٥٥) ، ومنار الهدى (ص١٢٠) ، وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٣٠) ، وروح المعاني (ج٦ ص١٤٢) .

(٢) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٦٦٠ ، ٦٦١) ، ومنار الهدى (ص٢٣١) ، والكشاف (ج٢ ص٤٨٢) .

(٣) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٦٧٧) ، ومنار الهدى (ص٢٤٠) ، وروح المعاني (ج١٦ ص١٢٧) ، حاشية الجمل (ج٣ ص٧٥) .

قال الجمل : (و ﴿ حَتَّىٰ ﴾ هنا حرف ابتداء والجملة بعدها مستأنفة ، ﴿ وحَتَّىٰ ﴾ ليست بجارة ولا عاطفة ؛ وهكذا حيث دخلت على ﴿ إِذَا ﴾ الشرطية عند الجمهور)(١) .

وعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ﴿ مَدًّا ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ... ﴾

٨ - قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [النور : ٥٣] .

فالوقف على قوله : ﴿ لَّا تُقْسِمُوا ﴾ وقف جائز ؛ لأن قوله : ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ يصلح أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف ، تقديره : أمركم طاعة ، أو طاعتكم طاعة ، أو تكون الجملة مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : طاعة معروفة أمثل من قسمكم لعدم صدقكم فيه ، وتلك هي علة الوقف على قوله : ﴿ قُل لَّا تُقْسِمُوا ﴾ وأما علة جواز الوصل : فهو اتحاد المقول ؛ إذ أن جملة ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ تعليل للنهي كأنه قيل : لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة ؛ لأن طاعتكم طاعة معروفة بأنها واقعة باللسان فقط ، من غير مواطأة من القلب لا يجهلها أحد من الناس . من هنا كان وصل كلمة ﴿ لَّا تُقْسِمُوا ﴾ بقوله : ﴿ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ جائز أيضًا . وعلى كل فكلا الوجهين جائز بدون ترجيح أحدهما على الآخر (٢) .

٩ - قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص : ٣٢] .

فالوقف على قوله : ﴿ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ وقف جائز ؛ لأن ﴿ حَتَّىٰ ﴾ يحتمل أن تكون للابتداء ، والمعنى : حتى إذا توارت الشمس بالحجاب ، قال : ردوها علي ، فهذه علة الوقف على قوله : ﴿ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ ويحتمل أن تكون ﴿ حَتَّىٰ ﴾ متصلة بما قبلها فهي غاية لقوله : ﴿ أَحْبَبْتُ ... ﴾ لأنه يمتد إلى أن توارت الشمس بالحجاب ، ويكون المعنى : آثرت حب الخيل على الصلاة إلى أن توارت الشمس بالحجاب . وتلك هي علة الوصل (٣) .

---

(١) انظر حاشية الجمل (ج٣ ص٧٥) .

(٢) يراجع المكتفى (ص٤١١) ، وعلل الوقوف (ج٢ ص٧٤٢) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج٤ ص٥١) ، وروح المعاني (ج١٨ ص١٩٩) .

(٣) يراجع علل الوقوف (ج٣ ص٨٦٨) ، وما بعدها ، ومنار الهدى (ص٣٢٩) ، وفتح القدير (ج٤ ص٤٣١) ، وروح المعاني (ج٢٣ ص١٩٦) .

١٠ – قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر : ٧٥] .

فالوقف على قوله تعالى : ﴿ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ ﴾ وقف جائز ؛ لأن الماضي ، وهو قوله : ﴿ وَقُضِىَ ﴾ لا يعطف على المستقبل وهو قوله : ﴿ يُسَبِّحُونَ ﴾ وتلك هي علة جواز الوقف على قوله : ﴿ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ ﴾ والاستئناف بقوله : ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم .. ﴾ ويحتمل أن تكون جملة ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم .. ﴾ حالاً أي : وقد قضى على جعل الضمير في ﴿ بَيْنَهُم ﴾ للزمرتين المذكورتين دون الملائكة (١) .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : (﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ أي : « بين أهل الجنة والنار ») (٢) .

وعلى هذا يجوز الوصل حتى لا يفصل بين الحال وعامله .

وجوز الزمخشري : عود الضمير في ﴿ بَيْنَهُم ﴾ إلى العباد كلهم ، وأن إدخال بعضهم النار ، وبعضهم الجنة لا يكون إلا قضاءً بينهم بالحق والعدل ، وأن يرجع إلى الملائكة على أن ثوابهم وإن كانوا معصومين جميعًا لا يكونوا على سنن واحد ، ولكن يُفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم ، وهو القضاء بينهم بالحق (٣) .

١١ – قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت : ٢٨] .

فالوقف على كلمة ﴿ ٱلنَّارُ ۖ ﴾ وقف جائز ؛ لأن جملة ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ ﴾ يصلح أن تكون مستأنفة مقررة لما قبلها

والمعنى : أن النار نفسها دار إقامتهم الدائمة الباقية المستمرة ، فهو بمثابة الدار المهيأة لسكنهم الدائم . وعلى هذا التأويل يكون في الكلام تجريد وهو أن ينتزع من النار دارا أخرى سماها دار الخلد . وقيل : ليس في الكلام تجريد ، بل المراد أن الدار تشتمل على دركات فمنها واحدة بخصوصها تسمى دار الخلد ، وهي في وسط النار وهم خالدون فيها . وعلى كل فيجوز الوقف على قوله : ﴿ ٱلنَّارُ ۖ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ لَهُمْ فِيهَآ ... ﴾ .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٣ ص٨٨٦) ، وكتاب الوقوف ورقة (١١٠) ومنار الهدى (ص٣٣٦) .
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٥ ص٢٨٧) ، ويراجع روح المعاني (ج٢٤ ص٣٧) .
(٣) يراجع الكشاف (ج٤ ص١٤٧) .

ويصلح أن تكون جملة ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ﴾ حالًا عامله معنى الفعل في الجزاء تقديره : يجزي أعداء الله النار كائنًا لهم فيها دار الخلد ، وعلى هذا الوجه : يجوز وصل كلمة ﴿ ٱلنَّارُ ﴾ بما بعدها [١] .

(١) مراجع علل الوقوف (ج٣ ص٩٠١) ، ومنار الهدى (ص٣٤٣) ، وروح المعاني (ج٢٤ ص١١٩) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٤١) .







وقف المعانقة وأثره على المعنى في القرآن الكريم

ويشتمل على ما يلي :

أولًا : تعريف وقف المعانقة .

ثانيًا : المواضع التي يجوز فيها وقف المعانقة في القرآن الكريم .

ثالثًا : نماذج للوقف المتعانق ، وأثره على المعنى .





أولًا : تعريف وقف المعانقة

أ - في اللغة :

المعانقة في اللغة : - بضم الميم - من عانق وضع كل من الرجلين ذقنه على كتف الآخر ، وعنقه على عنقه ، وضمه إلى نفسه ، وتعانقا واعتنقا فهو عنيقه .

وقيل : المعانقة في المودة ، والاعتناق في الحرب ، وقد يجوز الاعتناق في المودة كالتعانق [١] .

ب - في الاصطلاح :

وقف المعانقة : وهو أن يجتمع وقفان في محل واحد يصح الوقف على كل واحد منها ، لكن إذا وُقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر ؛ لئلا يختل المعنى ، ويسمى أيضًا بوقف المراقبة [٢] .

قال الإمام ابن الجزري : (قد يجيزون الوقف على حرف ، ويجيز آخرون الوقف على آخر ، ويكون بين الوقفين مراقبة على التضاد ، فإذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر) [٣] .

وأول من نبه على المراقبة في الوقف والابتداء ، الإمام الأستاذ أبو الفضل الرازي ، أخذه من المراقبة في العروض [٤] . هذا ، وعلامة وقف المعانقة أو المراقبة في المصحف الشريف هكذا (∴ ∴) وهذه العلامة لا تكون في موضع واحد ، بل تكتب على الكلمتين اللتين بينهما معانقة أو مراقبة على التضاد .

والعلة في اختيار النقاط الثلاث رمزًا للمعانقة أو المراقبة ؛ لأن مادة كل من الكلمتين تحتوي حروفا تكون مجموع نقاطها ثلاثة ، كما نراه في « عنق » أو « رقب » [٥] .

---

(١) يراجع لسان العرب (ج٣ ص٣١ - ٣٣) وما بعدها ، ومختار الصحاح مادة « عنق » (ص٤٥٨) .

(٢) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٦٥) ، والنشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٣٧) ونهاية القول المفيد (ص١٧٢) .

(٣) انظر النشر (ج١ ص٢٣٧) ، ويراجع الإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٩) .

(٤) والمراقبة في العروض : هي المراقبة في آخر الشعر عند التجزئة بين حرفين ، وهو أن يسقط أحدهما ويثبت الآخر ، ولا يسقطان معًا ولا يثبتان جميعًا وهو في « مفاعيل » التي للمضارع لا يجوز أن يتم إنما هو « مفاعيل » أو « مفاعلن » . انظر لسان العرب (ج٣ ص١٧٠١) .

(٥) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٦٥) ، والإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٤٩ ، ١٥٠) ، ونهاية القول المفيد (ص١٧٤) .

ثانيا : المواضع التي يجوز فيها وقف المعانقة في القرآن الكريم

بالتتبع والاستقراء لبعض طبعات المصاحف الشريفة ، وكتب التجويد [١] وجدت أن عدد وقوف المعانقة نيفًا وثلاثين وقفًا منها ما هو متفق عليه بين طبعات المصاحف ، ومنها ما هو مختلف فيه ، ومنها ما انفردت به بعض الطبعات . وفيما يلي ذكر هذه الوقوف مجملة حتى يكون القارئ على علم بمواضعها في القرآن الكريم :

ففي سورة البقرة خمسة مواضع :

الأول : قوله : ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ فإنه يراقب ﴿ فِيهِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢] .

الثاني : قوله : ﴿ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ فإنه يراقب ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [البقرة: ٩٦] .

الثالث : قوله : ﴿ تَهْتَدُونَ ﴾ فإنه يراقب ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ وقوله ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٠] .

الرابع : قوله : ﴿ ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ فإنه يراقب ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

الخامس : قوله : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ ﴾ فإنه يراقب ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ في آية الدين [البقرة: ٢٨٢] .

وفي سورة آل عمران أربعة مواضع :

الأول : قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فإن بينه وبين ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ مراقبة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧] .

الثاني : قوله : ﴿ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ فإنه يراقب ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ۝ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [آل عمران: ١٠، ١١] .

الثالث : قوله : ﴿ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ فإنه يراقب ﴿ مِن سُوٓءٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ

(١) وذلك مثل مصحف طبعة باكستان والعراق والسعودية المنسوخ عن طبعة باكستان ، وكذلك يراجع كتاب نهاية القول المفيد (ص١٧٢ ، ١٧٣) ، والمكتفى وعلل الوقوف ، ومنار الهدى عند هذه الآيات .

تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠].

الرابع: قوله: ﴿ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإن بينه وبين ﴿ ٱلْقَرْحُ ﴾ مراقبة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ [آل عمران: ١٧١، ١٧٢].

وفي سورة المائدة ثلاثة مواضع:

الأول: قوله: ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فإنه يراقب ﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦].

الثاني: قوله: ﴿ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ فإنه يراقب ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ﴾ [المائدة: ٣١، ٣٢].

الثالث: قوله: ﴿ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ فإن بينه وبين قوله: ﴿ هَادُوا۟ ﴾ مراقبة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ... ﴾ [المائدة: ٤١].

وفي سورة الأعراف أربعة مواضع:

الأول: قوله: ﴿ جَٰثِمِينَ ﴾ فإنه يراقب ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ﴾ في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ﴾ [الأعراف: ٩١، ٩٢].

الثاني: قوله: ﴿ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ فإنه يراقب ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

الثالث: قوله: ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ فإنه يراقب ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ ... [الأعراف: ١٧٢].

الرابع: قوله: ﴿ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ فإنه بينه وبين ﴿ ٱلسُّوٓءُ ﴾ مراقبة في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ... ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وفي سورة التوبة موضع واحد :

قوله : ﴿ مُنَٰفِقُونَۖ ﴾ فإنه يراقب ﴿ ٱلۡمَدِينَةِۖ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ... ﴾ [التوبة: ١٠١] .

وفي سورة يونس موضع واحد :

قوله : ﴿ ءَامَنُواْۚ ﴾ فإنه يراقب ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣] .

وفي سورة هود موضع واحد :

قوله : ﴿ هَٰذَاۖ ﴾ فإنه يراقب ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [هود: ٤٩] .

وفي سورة إبراهيم موضع واحد :

قوله : ﴿ وَثَمُودَۛ ﴾ فإنه يراقب ﴿ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [إبراهيم: ٩] .

وفي سورة الفرقان ثلاثة مواضع :

الأول : قوله : ﴿ ءَاخَرُونَۖ ﴾ فإنه يراقب ﴿ وَزُورٗا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾ [الفرقان: ٤] .

الثاني : قوله : ﴿ وَٰحِدَةٗۚ ﴾ فإنه يراقب ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ... ﴾ [الفرقان: ٣٢] .

الثالث : قوله : ﴿ خَبِيرًا ﴾ فإن بينه وبين قوله : ﴿ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ﴾ مراقبة في قوله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ... ﴾ [الفرقان: ٥٨، ٥٩] .

وفي سورة الشعراء موضع واحد :

قوله : ﴿ مُنذِرُونَ ﴾ فإنه يراقب ﴿ ذِكۡرَىٰ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] .

وفي سورة القصص موضع واحد :

قوله : ﴿ إِلَيْكُمَا ﴾ فإنه يرقب ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص : ٣٥] .

وفي سورة الأحزاب موضعان :

الأول : قوله : ﴿ عَوْرَةٌ ﴾ فإنه يراقب قوله : ﴿ بِعَوْرَةٍ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٣] .

الثاني : قوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فإنه يراقب ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٦٠، ٦١] .

وفي سورة غافر موضع واحد :

قوله ﴿ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ فإنه يراقب ﴿ رُسُلَنَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر : ٦٩، ٧٠] .

وفي سورة الزخرف موضع واحد :

قوله : ﴿ حمٓ ﴾ يراقب ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [الزخرف : ١، ٢] .

وفي سورة الدخان موضعان :

الأول : قوله : ﴿ حمٓ ﴾ يراقب ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [الدخان : ١، ٢] .

الثاني : قوله : ﴿ ٱلْأَثِيمِ ﴾ يراقب ﴿ كَٱلْمُهْلِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ [الدخان : ١، ٢] .

وفي سورة محمد موضع واحد :

قوله : ﴿ أَوْزَارَهَا ﴾ فإنه يراقب ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد : ٤] .

وفي سورة الفتح موضع واحد :

قوله : ﴿ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ ﴾ يراقب ﴿ فِي ٱلۡإِنجِيلِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وفي سورة الممتحنة موضع واحد :

قوله : ﴿ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ ﴾ فإنه يراقب ﴿ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الممتحنة : ٣] .

وفي سورة الطلاق موضع واحد :

قوله : ﴿ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ فإنه يراقب ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ... ﴾ [الطلاق : ١٠] .

وفي سورة القلم موضع واحد :

قوله : ﴿ زَعِيمٌ ﴾ فإنه يراقب ﴿ شُرَكَآءُ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾ [القلم : ٤٠، ٤١] .

وفي سورة المدثر موضع واحد :

قوله : ﴿ ٱلۡيَمِينِ ﴾ فإنه يراقب ﴿ جَنَّٰتٖ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المدثر : ٣٩، ٤٠] .

وفي سورة الانشقاق موضع واحد :

قوله : ﴿ يَحُورَ ﴾ فإنه يراقب ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴾ [الانشقاق : ١٤، ١٥] .

وفي سورة القدر موضع :

قوله : ﴿ أَمۡرٖ ﴾ فإنه يراقب ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ﴾ [القدر : ٤، ٥] .

هذا ، ومما تجدر الإشارة إليه أن ما اتفق على تعانقه بين جميع طبعات المصاحف ثلاثة مواضع :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] .

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

الثالث : في قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ... ﴾ [محمد : ٤٧] .

وأما ما اختلف على تراقبه بين طبعات المصاحف ، فثلاثة مواضع أيضًا :

الأول منها : في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ ... ﴾ [المائدة : ٢٦] .

الثاني : في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ... ﴾ [المائدة : ٤١] .

الثالث : في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ ... ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

وبهذا يتبين بأن مجموع المتفق على تعانقه ، والمختلف فيه بين طبعات المصاحف ستة مواضع .

ثالثًا : نماذج للوقف المتعانق وأثره على المعنى

بعد حصر الوقوف المتعانقة مجملة نأتي بتوفيق من الله إلى ذكر بعض النماذج مما سبق حصره ، مع بيان علة الوقف ووجهه وشرح الآيات حتى يتضح للقارئ أثر الوقف المتعانق على المعنى :

النموذج الأول :

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] .

في هذه الآية الكريمة تراقب بين كلمتي ﴿ رَيْبَ ﴾ و ﴿ فِيهِ ﴾ ويصح الوقف على كل واحدة منهما ، لكن إذا وُقف على قوله : ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ امتنع الوقف على ﴿ فِيهِ ﴾ بل توصل بقوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . فإذا لم يقف القارئ على ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ فله أن يقف على ﴿ فِيهِ ﴾ فالقارئ مخير بين الكلمتين ولا يسوغ له الوقف عليهما معًا ؛ لئلا يختل المعنى .

وبيان ذلك : أن الوقف على قوله : ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ باعتبار أن ﴿ هُدًى ﴾ رفع ﴿ فِيهِ ﴾ أو بالابتداء ، و ﴿ فِيهِ ﴾ خبره ، ويكون معنى ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ لا شك ، ويضمر العائد على ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ لاتضاح المعنى ، وذلك بأن ينوي القارئ خبرًا لـ ﴿ لَا ﴾

تقديره : لا ريب فيه . فيه هدى للمتقين ، ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ... ﴾ [الشعراء: ٥٠] . أي لا ضير علينا في ذلك .

وقول العرب لا بأس ، أي لا بأس عليك . وهذا الوقف مروي عن نافع وعاصم (١) .

وقال الزجاج : (ويجوز رفعه على قولك ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ كأنك قلت ذلك الكتاب حقًّا ؛ لأن لا شك فيه بمعنى حق ، ثم قال بعد ذلك : فيه هدى للمتقين) (٢) .

وقيل : هو خبر ، ومعناه النهي ، أي : لا ترتابوا . وتم الكلام كأنه قال ذلك الكتاب حقًّا (٣) . فإذا لم يقف القارئ على ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ وإنما وقف على قوله : ﴿ فِيهِ ﴾ على تقدير أن ﴿ فِيهِ ﴾ خبرًا لـ ﴿ لَا ﴾ أو وصفه لـ ﴿ رَيْبَ ﴾ وحذف خبر ﴿ لَا ﴾ تقديره : لا ريب فيه عند المؤمنين (٤) .

هذا وقد رجح بعض العلماء الوقف على كلمة ﴿ فِيهِ ﴾ مستدلين لذلك بقوله تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [السجدة: ٢] . فإنه لا يوقف على ﴿ رَيْبَ ﴾ اتفاقًا ؛ لأنهم يشترطون لصحة الوقف صحة الوقف على نظير ذلك الموضع .

وذكر الإمام الرازي وأبو الفداء ابن كثير : علة أخرى للترجيح ، وهي : أن قوله : ﴿ هُدًى ﴾ على الوقف الثاني أي الوقف على ﴿ فِيهِ ﴾ يصير صفة لـ ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ فـ ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ نفسه هدى ، وذلك أبلغ من كونه فيه هدى (٥) .

ولكني أميل إلى : أن آية السجدة لا يصح الاحتجاج بها ؛ لأنه لا ينبغي أن تقاس آية البقرة بآية السجدة لاختلاف النظم ، وأن لا تطرد فكل موضع بحسبه .

أما كون ﴿ هُدًى ﴾ صفة لـ ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ فقد استبعد أبو علي الفارسي جواز الصفة ونص على نصبه على الحال في وجه له .

وذكر أبو حيان وغيره من المفسرين : أن ﴿ هُدًى ﴾ حال لازمة ، ووضع الإمام السجاوندي عليها رمز « ج » الدال على الوقف الجائز جوازًا مستوي الطرفين معلّلا بأن

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٨٨ ، ٤٨٩) بتصرف ، والمكتفى (ص١٥٩) ، ومنار الهدى (ص٢٩ ، ٣٠) ، والكشاف (ج١ ص٣٥) و (ج٣ ص٣١٢) وتفسير النسفي (ج١ ص١١) .

(٢) انظر معاني القرآن (ج١ ص٧٠) .

(٣) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٥٩) .

(٤) يراجع علل الوقوف (ج١ ص١٧٣ ، ١٧٤) ، ومنار الهدى (ص٣٠) ، والتبيان في إعراب القرآن (ج١ ص١٥) .

(٥) يراجع التفسير الكبير (ج٢ ص٣٧٩) ، وتفسير القرآن العظيم (ج١ ص٣٩) .

خبر ﴿ لَا ﴾ محذوف ، تقديره : لا ريب فيه [١] كما ذكر ﴿ فِيهِ ﴾ مكررًا في قوله تعالى : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

بهذا يظهر أن الوقف على ﴿ لَا رَيْبَ ﴾ له وجه في اللغة ، وذلك يدل على جوازه .

معنى الآية الكريمة : في هذه الآية الكريمة يشير المولى - جل في علاه - إلى القرآن الكريم باسم الإشارة الدال على البعد فيقول سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾

والمعنى : ذلك الكتاب الكامل في بلاغته وإعجازه وتشريفه البعيد المدى في منزلته الرفيعة لا يعتريه شك ولا ريبة ؛ إذ أن الريبة تدعو إلى القلق ؛ وهذا الكتاب العزيز لأنه صدق يدعو إلى الطمأنينة .

وفي إيثار الإشارة بصيغة البعيد دليل على أنه سام أينما توجهت إليه ، فإن نظرت إليه من ناحية تراكيبه : فهو معجز للبلغاء ، وإن نظرت إليه من ناحية معانيه : فهو فوق مدارك الحكماء ، وإن نظرت إليه من ناحية قصصه وتاريخه : فهو أصدق محدث عن الماضيين وأدق محدد لتاريخ السابقين ، فلا جرم إن كانت الإشارة في الآية الكريمة للبعيد لإظهار رفعة القرآن .

وصحت الإشارة إلى ﴿ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ وهو لم ينزل بعد ؛ لأن الإشارة إلى بعضه تعتبر إشارة إلى الكل حيث كان بصدد الإنزال ، فهو حاضر في الأذهان فشبه بالحاضر في العيان .

ونفى الحق سبحانه عن ذلك الكتاب الريب على سبيل الاستغراق مع وقوع الريب فيه من المشركين ؛ حيث وصفوه بأنه أساطير الأولين ؛ لأنه لروعة حكمته وسطوع حجته لا يرتاب ذو عقل متدبر في كونه وحيًا سماويًّا ، ومصدر هداية وإصلاح ، ومن ارتاب في القرآن الكريم ؛ فلأنه لم يقبل عليه بأذن واعية أو بصيرة نافذة أو قلب سليم [٢] .

ثم بيَّن المولى - جلت قدرته - : وظيفة هذا الكتاب ورسالته فقال سبحانه : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ أي : بيان وإرشاد لهم إلى ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ؛

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٨٨ ، ٤٨٩) ، وعلل الوقوف (ج١ ص١٧٣) ، والبحر المحيط (ج١ ص٣٧) ، والمحرر الوجيز (ج١ ص٩٩) ، وإعراب القرآن للنحاس (ج١ ص١٣٠) ، ونشر عالم الكتب والحجة لأبي علي (ج١ ص١٩٩) .

(٢) يراجع الكشاف (ج١ ص٣٤) ، وإرشاد العقل السليم (ج١ ص١٩) بتصرف ، وروح المعاني (ج١ ص١٠٦ ، ١٠٧) ، وتفسير النسفي (ج١ ص١١) ، والتفسير الوسيط (ج١ ص٥٠ ، ٥١) .

لما تضمنه القرآن من العقائد والأحكام ، والأخلاق التي لا غاية وراءها .

وخص الله المتقين بهدايته تشريفا لهم ؛ لأنهم هم المقتبسون من أنواره والمنتفعون بآثاره ، وإن كانت هدايته شاملة لكل ناظر من مؤمن وكافر ولذلك أطلقت الهداية .

هذا وفي تقديم جملة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ على جملة ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى أراد أن ينفي عن ساحة القرآن الكريم الريب ويستقر في النفوس وصفه وتطمئن القلوب لآثاره ومقاصده وهداياته .

وفصل جملة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ عما قبلها لكمال الاتصال حيث كانت جملة ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ ﴾ مفيدة لكماله ، وجملة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ مفيدة لنفي الريب عنه (١) .

النموذج الثاني :

قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٩٦] .

في هذه الآية الكريمة وقف متعانق بين كلمتي ﴿ حَيَاةٍ - أَشْرَكُوا ﴾ فإن جعل القطع على ﴿ حَيَاةٍ ﴾ كان الابتداء بقوله : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ ... ﴾ على الوصل أي : وصل ﴿ أَشْرَكُوا ﴾ بـ ﴿ يَوَدُّ ﴾ لأن ﴿ يَوَدُّ ﴾ صفة لموصوف محذوف ، فلا يجوز الوصل دونه .

والمعنى : ومن الذين أشركوا قوم يود أحدهم ، على حذف الموصوف ، كقوله تعالى ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [فصلت : ١٦٤] . والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود ؛ لأنهم قالوا : عزير ابن الله .

فإن جُعل الوقف على ﴿ أَشْرَكُوا ﴾ فلا يقف على كلمة ﴿ حَيَاةٍ ﴾ بل تُوصل بما بعدها على تقدير : أحرص الناس على حياة ، وأحرص من الذين أشركوا ، وقوله : ﴿ يَوَدُّ ﴾ استئناف سيق بيانًا لزيادة حرصهم على الحياة .

ونظرًا لتراقب الوقف ، فقد اختلف العلماء في الوقف في كلمتي ﴿ حَيَاةٍ - أَشْرَكُوا ﴾ فيرى الإمام الداني : أن الوقف على ﴿ أَشْرَكُوا ﴾ كافٍ ، ويرى الأخفش

---

(١) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١ ص١٦١) ، وروح المعاني (ج١ ص١١٠) بتصرف ، وتفسير النسفي (ج١ ص١٢) ، وحاشية الجمل (ج١ ص١١) ، والتفسير الوسيط (ج١ ص٥١) .

والفراء : أنه تام وقال نافع : التمام على ﴿ حَيَوٰةٍ ﴾ [١] .

والذي أميل إليه : أن بين الكلمتين مراقبة على ما تقرر ، وإليه ذهب أكثر المفسرين في تأويل الآية الكريمة .

وعلى كل : فإن الوقف كاف على إحدى الكلمتين ، فإذا وقف على ﴿ حَيَوٰةٍ ﴾ فالوقف كاف ، وإذا وقف على ﴿ أَشْرَكُواْ ﴾ فالوقف كاف أيضًا ؛ لأن معنى الآية متصل بعضه ببعض .

معنى الآية الكريمة : لما ادعى اليهود أن الجنة خالصة لهم دون غيرهم ، وأنه لن يدخلها إلا من كان هودًا أو نصارى ، أبطل الله دعواهم ، وأخبر أنهم في غاية الحرص على الحياة الدنيا ، فقال – جل شأنه – : مخاطبًا رسوله ﷺ عن حقيقة أمرهم ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ... ﴾ .

والمعنى : ولتجدن – يا محمد – من الذين أشركوا أناسًا أشد حرصًا على أية حياة وإن كانت ذليلة فهي عندهم خير من الموت كيفما كانت ، بصرف النظر عن حياة العزة والكرامة ؛ لذا عبر الحق سبحانه بصيغة التنكير في ﴿ حَيَوٰةٍ ﴾ وعلى هذا التأويل يكون المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ هم اليهود ؛ لأنهم قالوا :عزير ابن الله ، أو يكون المعنى : ولتعلمن – يامحمد – اليهود الذين يزعمون أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس أشد حرصًا على حياة طويلة من سائر الناس ؛ بل وأحرص من الذين أشركوا بالله ولم يؤمنوا بالآخرة ، وعلى هذا يكون قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ... ﴾ معطوفًا على ما قبله بحسب المعنى ، كأنه قيل : أحرص من الناس ، ومن الذين أشركوا على الحياة ، فقوله : ﴿ أَحْرَصَ ﴾ فيه كلمة ﴿ مِّنْ ﴾ مقدرة بعد ﴿ أَحْرَصَ ﴾ وبهذين المعنيين يظهر أثر الوقف على المعنى في كلمتي ﴿ حَيَوٰةٍ – أَشْرَكُواْ ﴾ [٢] .

وخص الله تعالى الذين أشركوا بالذكر بعد اندراجهم في الناس ؛ لأنهم لا يؤمنون بعاقبة ، ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا ؛ فحرصهم عليها لا يستبعد ؛ لأنها جنتهم ، فإذا زاد عليها في الحرص من له كتاب ، وهو مقر بالجزاء كان حقيقًا بأعظم التوبيخ ، ثم بين الحق

---

(١) يراجع المكتفى (ص١٦٩) وعلل الوقوف (ج١ ص٢١٨ ، ٢١٩) ، والاقتداء ورقة (٣٣) ، والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٦٥) ، والكشاف (ج١ ص١٦٨) ، والتفسير الكبير (ج٣ ص٢٦٤) ، والبحر (ج١ ص٣١٤) ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (ج١ ص٢٠) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج١ ص١٧٨) ، وحاشية الجمل (ج١ ص٨٠ ، ٨١) .

(٢) يراجع جامع البيان (ج٢ ص٣٧٠) ، والتفسير الكبير (ج٣ ص٢٦٤) ، وإرشاد العقل السليم (ج١ ص١٠٤) ، والكشاف (ج١ ص١٦٧) وفي ظلال القرآن (ج١ ص٩٢) بتصرف واختصار .

ﷺ مظهرًا من مظاهر حرصهم على الحياة ، وبعدهم عن تمني الموت فقال - جل شأنه - : ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ أي : يتمنى الواحد منهم أن يعيش السنين الكثيرة ، ولو تجاوزت الحد الذي يبلغه الإنسان في العادة ، فكلمة ﴿ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ كناية عن المدة الطويلة التي يود أن يحياها ، وليس المراد خصوص العدد ، بل إن العرب كانت تذكر ذلك عن إرادة المبالغة ، وإنما يودون البقاء في الدنيا ؛ لأنهم يرون أنها خير من الآخرة لما يتوقعون من سخط الله وتعذيبه لهم على ما أسلفوا من كفر وعصيان .

ثم بيَّن الحق - جل شأنه - أن تعميرهم الطويل ، لن ينجيهم من العقوبة ؛ لأن الموت لا يتركهم مهما طال عمرهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : وما ذلك التعمير لو تم بنافعه ، ولا بمبعده عن عذاب الله المحتوم ؛ لأنه لا بد من الموت والعرض على الله تعالى مهما طال العمر .

والتعبير بالجملة الاسمية في قوله : ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ .. ﴾ للدلالة على دوام بقائهم في النار ، وعدم تزحزحهم عنها . ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ أي : والله عالم بخفايا أعمالهم فهو مجازيهم لا محالة [1] .

النموذج الثالث :

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ۛ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ۛ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

في الآية الكريمة تراقب بين كلمتين ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ و ﴿ مِن سُوٓءٍ ﴾ والكلمتان يصح الوقف على كلٍّ منهما ، لكن إذا وقف القارئ على ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ امتنع وقفه على كلمة ﴿ سُوٓءٍ ﴾ بل عليه أن يصلها بـ ﴿ تَوَدُّ ﴾ وإذا وقف على كلمة ﴿ سُوٓءٍ ﴾ فعليه أن يصل ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ بقوله : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ ﴾ حتى لا يختل المعنى [2] .

والعلة في ذلك :

أن الوقف على ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ باعتبار أن ﴿ مَّا ﴾ الواقعة بعدها في قوله : ﴿ وَمَا

---

(١) يراجع إرشاد العقل السليم (ج١ ص١٠٤) ، وروح المعاني (ج١ ص٣٣١) ، وفتح القدير (ج١ ص١١٥) ، وحاشية الجمل (ج١ ص٨١) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٥٧٤) ، والمكتفى (ص١٩٩) ، والقطع (ص٢٢٠) وعلل الوقوف (ج١ ص٣٦٨) ، ومنار الهدى (ص٧٥) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص٥٩) ، والبحر المحيط (ج٢ ص٤٢٧) وما بعدها ، والتحرير والتنوير (ج٣ ص٢٢٣) بتصرف ، واختصار .

عَمِلَتْ ﴾ موصولة في موضع رفع بالابتداء و ﴿ تَوَدُّ ﴾ جملة في موضع الخبر لـ ﴿ مَا ﴾ والتقدير : والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ، أو يكون المعنى : تجد ما عملت من سوء تتمنى كل نفس أن يكون بينها وبينه أمدًا بعيدًا .

وأما لم يقف على ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ بل وقف على قوله : ﴿ مِن سُوٓءٍ ﴾ فذلك باعتبار أن ﴿ مَا ﴾ الثانية في قوله : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ ﴾ في موضع نصب عطفًا على ﴿ مَآ ﴾ الأولى في قوله : ﴿ مَا عَمِلَتْ ﴾ و ﴿ تَوَدُّ ... ﴾ إلخ إما أن تكون جملة مستأنفة جوابًا لسؤال مقدر كأن سائلًا قال حين أمروا بذكر ذلك اليوم ، فماذا يكون إذ ذاك ؟

فقيل : تود لو أن بينها وبينه إلخ ، ويجوز أن تكون جملة ﴿ تَوَدُّ ... ﴾ في موضع الحال ، أي : ودادة تباعد ما بينها وبين ما عملت من سوء ، أو التقدير : يوم تجد ما عملت من سوء محضرًا حال ما تود بعده عنها [1] .

ولكن أحسن الوقفين ، وأجودهما الوقف على قوله : ﴿ مِن سُوٓءٍ ﴾ .

قال الإمام السجاوندي : (والأجود أن يوقف على ﴿ سُوٓءٍ ﴾ تقديره : وما عملت من سوء كذلك ؛ لأن السوء يوجد محضرًا كالخير ، و ﴿ تَوَدُّ ﴾ مستأنف ؛ لأن صاحب الخير يود لو لم يره من خجل الحياء ، كما أن صاحب السوء من وجل الجزاء ، والضمير المتحد عائد إلى ﴿ مَا ﴾ أو إلى جنس العمل [2]) .

معنى الآية الكريمة : بعد أن نهى الله سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء يلقون إليهم بالمودة ، وذكرهم بأنه - سبحانه - لا يخفى عليه شيء في الأرض ، ولا في السماء ، تابع السياق باستحضار اليوم المرهوب ، الذي تواجه فيه كل نفس برصيدها كله ، فقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا .. ﴾ .

والمعنى : اذكر لهم - يا محمد - يوم ترى كل نفس من نفوس المكلفين ما عملته في الدنيا من خير وإن كان مثقال ذرة ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ لديها مشاهدًا في الصحف تبشيرًا لها ؛ ليكون الثواب بعد مشاهدة العمل ، وترى كل نفس أيضًا : ما عملته من سوء وشر في الدنيا محضرًا يوم القيامة في صحائف أعمالها لتساء به ، وتتمنى حين تراه لو أن

---

(١) يراجع المصادر السابقة بهامش (٣) (ص٢١٩) .

(٢) انظر علل الوقوف (ج١ ص٣٦٨) ، وكتاب الوقوف ورقة (٢٥) .

بينها وبين ذلك اليوم أو بينها وبين ما عملته من سوء أمدًا بعيدًا [١] .

والأمد الغاية والمنتهى ، أي : تود لو أن بينها وبين يوم القيامة ، أو بينها وبين عملها السّيئ غاية ونهاية بعيدة .

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالأمد : المسافة البعيدة ، واستظهر ذلك حملًا لهذه الآية ، بقوله تعالى : ﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ [الزخرف : ٣٨] وعلى كل فالتمني في الآية معلوم سواء حمل لفظ الأمد على الزمان أم على المكان ؛ إذ المقصود تمني بعده .

وقرن ﷺ الخير بقوله : ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ دون السوء مع أن عمل السوء أيضًا يكون محضرًا ؛ للإشعار بكون الخير مرادًا بالذات ، بمعنى : أن الإنسان يتمناه ويرجو حصوله لما يترتب على ذلك من ثواب ، وأما عمل السوء ، فتتمنى كل نفس اقترفته لو بعد عنها ، ولم تره بسبب ما يترتب عليه من عقاب .

ثم ختمت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ .

أي : ويخوفكم الله عقابه إن خالفتم ما كلفكم به ، والله بهذا التحذير الشديد والعقاب الصارم رؤوف بعباده رحيم بهم يحب لهم أن يستقيموا على طريقه .

وفي هذا إشارة إلى أنه ﷺ إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم مراعاة لصلاحهم [٢] .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب : (وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ بعد قوله سبحانه : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ استصحاب لرحمة الله ولطفه بعباده الواقعين تحت بأسه وعذابه ، وذلك مما يطمع المذنبين في عفو الله ومغفرته ، فيرجعون إليه ويمدون أيديهم بالتوبة له فيجدونه ربًا رحيمًا غفورًا ، أما الطمع في رحمة الله دون استصحاب العمل على مرضاته ، بالنزوع عن مقاربة المنكرات ، فذلك مكر الله) [٣] ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤] .

النموذج الرابع :

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) يراجع الكشاف (ج١ ص٣٥٢) ، وروح المعاني (ج٣ ص١٢٦) ، وفي ظلال القرآن (ج١ ص٣٨٦) .

(٢) يراجع التفسير الكبير (ج٧ ص١٧١ ، ١٧٢) ، وروح المعانى (ج٣ ص١٢٦ ، ١٢٧) ، والسراج المنير (ج١ ص١٩٨) ، والتفسير الوسيط (ج٢ ص١٠٣ ، ١٠٤) .

(٣) انظر التفسير القرآني للقرآن (ج٣ ص٤٣٢) .

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ... ﴾ [المائدة: ٤١] .

ففي الآية الكريمة وقف متعانق بين كلمتي ﴿ قُلُوبُهُمْۛ - هَادُواْۛ ﴾ فمن وقف على كلمة ﴿ قُلُوبُهُمْۛ ﴾ لم يقف على ﴿ هَادُواْۛ ﴾ بل عليه أن يصلها بقوله تعالى : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ... ﴾ إلخ ومن وقف على كلمة ﴿ هَادُواْۛ ﴾ فعليه أن لا يقف على قوله : ﴿ قُلُوبُهُمْۛ ﴾ بل يصلها بما بعدها حتى يتم المعنى ، فالقارئ مخير بين الوقفين ولا يصح الوقف عليهما معًا .

وعلة ذلك : أن قوله تعالى : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ فيه وجهان :

الأول : يجوز أن يكون مرفوعًا بالابتداء وما قبله خبره ، أي : من الذين هادوا قوم سماعون ، فهو من حذف الموصوف ، وإقامة الصفة مقامه ، وعليه يكون الوقف على قوله : ﴿ قُلُوبُهُمْۛ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ ... ﴾ إلخ على الاستئناف أي على أنها جملة مستأنفة ؛ لبيان أحوال فريق آخر من الناس وهم اليهود ، وأن قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ من أوصاف اليهود .

وبهذا يتضح أن الكلام قد تم عند قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ ﴾ وأن الابتداء بقوله : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ لفريق المنافقين .

الثاني : أن يكون قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ ﴾ معطوفًا على قوله : ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ وعليه يكون الوقف على قوله : ﴿ هَادُواْۛ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ سَمَّٰعُونَ ... ﴾ إلخ أي : هم سامعون راجعًا إلى الفئتين - المنافقين واليهود - والمعنى : لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن اليهود . ثم بعد ذلك وصف الكل بكونهم سماعين لقوم آخرين . وكلا الوقفين جائز ، فعلى الأول : التحريف محكي ومختص باليهود . وعلى الثاني : أن البيان بشيئين المنافقين ، واليهود [(١)] .

معنى الآية الكريمة : في الآية الكريمة يعزي الله تعالى رسوله ﷺ ويواسيه ، ويهون عليه فعال الكافرين والمنافقين ، ويكشف للجماعة المسلمة حقيقة المسارعين في الكفر من

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٦١٩) ، والمكتفى (ص٢٣٩ ، ٢٤٠) ، وعلل الوقوف (ج٢ ص٤٥٣) ، والاقتداء ورقة (٩٧) ومنار الهدى (ص١١٩) ، والتفسير الكبير (ج١١ ص٢٢ ، ٢٣) ، والبحر المحيط (ج٣ ص٤٨٧) ، وفتح القدير (ج٢ ص٤١) ، وحاشية الجمل (ج١ ص٤٠٠) .

هؤلاء وهؤلاء ، ويوجه الرسول ﷺ إلى المنهج الذي يسلكه معهم حين يأتون إليه متحاكمين بعد ما يكشف له ﷺ عما تآمروا عليه قبل أن يأتوا إليه وما بيتوه [١] ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ... ﴾ .

والمعنى : يا أيها الرسول لا تهتم ولا تبال بأمر الذين يسارعون بالوقوع في الكفر ولا تأس عليهم ، فإني ناصرك عليهم ، وكافيك شرهم .

وفي نداء الحق سبحانه له ﷺ بعنوان الرسالة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ .. ﴾ للتشريف والإشعار بما يوجب عدم الحزن .

والمراد من النهي عن الحزن ، النهي عن لوازمه التي يفعلها الشخص مختارًا كتذكر المصائب وتعظيم شأنها .

وفي التعبير بقوله : ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ... ﴾ دليل على انحدارهم في الكفر ، وإلقائهم أنفسهم فيه على أسرع الوجوه ، بحيث إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها [٢] .

قال الإمام أبو السعود : (والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة ، وإيثار كلمة « في » على كلمة « على » للإيماء إلى أنهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه ، وإنما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها ، كإظهار موالاة المشركين ، وإبراز آثار الكيد للإسلام ، ونحو ذلك ...) [٣] .

ومن هم المسارعون بالوقوع في الكفر والتنقل في أساليبه وألوانه ؟

هم : المنافقون الذين لم يتجاوز الإيمان أفواههم ، يقولون بألسنتهم آمنا ، وقلوبهم كافرة ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ أي : ومن بعض اليهود مبالغون في سماع الأكاذيب والأباطيل ، وفي قبول ما يفتريه أحبارهم من الأكاذيب في دين الله تعالى ، وتحريف التوراة وفي الطعن في محمد ﷺ [٤] .

ثم بيَّن المولى جلت قدرته مسلكًا آخر من مسالك المنافقين واليهود الخبيثة بعد بيان احتفالهم بالأخبار الكاذبة ، فقال سبحانه : ﴿ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَ ... ﴾ .

أي : أنهم مبالغون في قبول كلام لقوم آخرين ، لم يحضروا مجلسك تكبرًا وإفراطًا

---

(١) يراجع التفسير الكبير (ج١١ ص٢١) بتصرف ، وفي ظلال القرآن (ج٢ ص٨٩٢) .

(٢) يراجع الكشاف (ج١ ص٦٣٣) ، وروح المعاني (ج٦ ص١٣٥) .

(٣) انظر إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢٧) .

(٤) يراجع التفسير الكبير (ج١١ ص٢٣) ، والتفسير الواضح (ج٦ ص٥٣) .

في العداوة والبغضاء ، وهم يهود خيبر ، والسماعون للكذب بنو قريظة .

وهؤلاء القوم الذين لم يحضروا مجلس رسول الله ﷺ نفورًا - أو هم والمسارعون في الكفر من المنافقين واليهود - من صفاتهم ودأبهم تحريف جنس الكلام عن مواضعه فهم ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ ﴾ أي يزيلونه ويتأولونه على غير تأويله بعد أن فهموه ، [1] وعرفوا مواضعه التي أرادها الله ﷻ .

والمراد بذلك تحريف أحكام الله وتغييرها بأحكام أخرى [2] قال ابن عباس رضي الله عنهما : (هي حدود الله في التوراة غيروا الرجم بالجلد والتحميم) [3] ثم إن هؤلاء لم يكتفوا بتحريف الكلم ، بل كانوا إلى جانب ذلك يقولون لأتباعهم السامعين لهم ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ أي : إن أفتاكم محمد بمثل هذا الذي نفتيكم به ، كالجلد والتحميم بدل الرجم [4] فاقبلوا حكمه وخذوه واعملوا به ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾ فإن أفتاكم بغير هذا فاحذروا قبوله والعمل به .

ثم عقب الحق سبحانه قائلًا : ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ... ﴾ أي : ومن يقض الله بكفره وضلاله ، فلم يقدر أحد على دفع ذلك عنه ، أولئك الموصوفون بما ذكر لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من رجس الكفر وظلمة النفاق لقبح صنيعهم وسوء اختيارهم ﴿ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ أي ذل وفضيحة بظهور نفاق المنافقين ، وضرب الجزية على الكافرين ﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يقادر

---

(١) يراجع الكشاف (ج١ ص٦٣٣) ، وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢٧) ، وفتح القدير (ج٢ ص٤٠) ، وصفوة التفاسير للصابوني (ج٦ ص٣٣٠) .

(٢) يراجع المصادر السابقة بهامش (٤) (ص٢٢٣) .

(٣) التحميم : معناه تسويد الوجه ، يقال : حمم الرجل : سخم وجه بالحمم ، وهو الفحم . لسان العرب (ج٢ ص١٠١) ، ومختار الصحاح (ص١٥٧) .

(٤) تجدر الإشارة هنا إلى ذكر سبب نزول الآية الكريمة : فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محممًا مجلودًا ، فدعاهم فقال : « هكذا تجدون حد الزنا في كتابكم » قالوا نعم فدعا رجلًا من علمائهم ، فقال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حد الزنا في كتابكم ، قال : لا ، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فقلنا : تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع ، فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم فأنزل الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ... ﴾ إلى قوله ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾ يقولون : ائتوا محمدًا فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه ، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا » . أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الحدود . باب حد الزنا . صحيح مسلم بشرح النووي (ج١١ ص٢٠٩) ، وما بعدها .

قدره ، وهو الخلود في النار وما أعد لهم فيها [١] .

النموذج الخامس :

قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

ففي الآية الكريمة تراقب بين كلمتي ﴿ ٱلْخَيْرِ - ٱلسُّوٓءُ ﴾ ويصح الوقف على كل واحدة منهما لكن إذا وقف على ﴿ ٱلْخَيْرِ ﴾ امتنع الوقف على ﴿ ٱلسُّوٓءُ ﴾ بل يجب وصلها بما بعدها وهو قوله : ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ وإذا أُريد الوقف على كلمة السوء امتنع على قوله : ﴿ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ فالقارئ مخير بين الوقف على إحدى الكلمتين ولا يسوغ الوقف عليهما معًا ؛ لئلا يختل المعنى .

وتوضيح ذلك :

أن الوقف على قوله : ﴿ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ على أن الكلام انقطع دونه ، وقوله : ﴿ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ كلام مستأنف ، أي : ليس بي ما تزعمون من جنون وذلك ؛ لأنهم نسبوه إلى الجنون ، ونفاه الله ﷻ عنه كما في قوله تعالى : ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٤] .

أما إذا اعتبرنا أن قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ من تمام الكلام الأول ؛ إذ إنه معطوف على قوله : ﴿ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ فهو من جواب ﴿ لَوْ ﴾ ويكون المعنى ولو كنت أعلم الغيب ؛ لاستكثرت من تحصيل الخير ، ولاحترزت عن الشر ؛ حتى صرت بحيث لا يمسني سوء . وبذلك يتحقق وقف التعانق ، ويكون بين الكلمتين تراقب [٢]

أوْلى الوقفين :

وأولى الوقفين في نظري : هو الوقف على قوله : ﴿ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ لأنه من تمام الكلام الأول ، وبذلك يكون الكلام متصلًا بعضه ببعض . وهذا هو الظاهر وعليه أكثر المفسرين .

أما الوقف على قوله ﴿ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾ فيه تفكيك لنظم الكلام واقتصار على أن يكون

---

(١) يراجع إرشاد العقل السليم (ج٢ ص٢٨) ، وروح المعاني (ج٦ ص١٤٠) ، وفتح القدير (ج٢ ص٤١) ، والتفسير الوسيط (ج٤ ص٢٠٧) .

(٢) يراجع المكتفى (ص٢٨٢) وعلل الوقوف (ج٢ ص٥٢٦ ، ٥٢٧) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٦٧٣) ، ونهاية القول المفيد (ص١٧٣) ، والتفسير الكبير (ج١٤ ص٣٩٢) ، والبحر المحيط (ج٤ ص٤٣٦ - ٤٣٧) ، وفتح القدير (ج٢ ص٢٧٦) .

جواب ﴿ لَوْ ﴾ هو قوله ﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ فقط ، ومن المقرر أن تقدير حصول علم الغيب يترتب عليه الأمران لا أحدهما ؛ فيكون إذ ذاك جوابًا قاصرًا [١] .

قال الأشموني : ﴿ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ ليس بوقف لعطف ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ على جواب ﴿ لَوْ ﴾ [٢] .

معنى الآية الكريمة : في الآية الكريمة أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يبين للناس قاطبة أن الأمور بيد الله جلت قدرته وأن علم الغيب كله مرجعه إليه سبحانه ولا اطلاع له ﷺ على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه فقال جل شأنه : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ ﴾ [٣] .

والمعنى : قل - يا محمد - لا أملك أن أجلب لنفسي خيرًا ولا أدفع عنها شرًّا ، إلا بمشيئة الله تعالى ، فإن يمكّني من ذلك فإنني حينئذٍ أملكه بمشيئته .

وفي هذا إشارة ؛ لإظهار العبودية ، وإقرار بالعجز عن الأمور التي ليست من شأن العبيد ، واعتراف بالضعف عن انتحال ما ليس له ﷺ بل وذلك أبلغ واعظ لمن يدعي لنفسه ما ليس من شأنها ، وينتحل علم الغيب بالنجامة أو الرمل ، ونحو ذلك .

ثم أكد هذا وقرره بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ [٤] لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ أي : لو كنت أعلم جنس الغيب ؛ لتعرضت لما فيه من الخير فجلبته إلى نفسي وتوقيت ما فيه حتى لا يمسني ، ولكني عبد لا أدري ما عند ربي ، ولا

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٥٢٦ ٥٢٧) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٦٧٣) ، والتفسير الكبير (ج١٤ ص٣٩٢) ، والبحر المحيط (ج٤ ص٤٣٦ ، ٤٣٧) .

(٢) انظر منار الهدى (ص١٥٥) .

(٣) تجدر الإشارة إلى أن قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ ﴾ استثناء متصل أي لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًّا في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئة الله بأن يمكنني من ذلك فحينئذٍ أملكه بمشيئته . وقيل : الاستثناء منقطع أي لكن ما شاء الله من ذلك كائن . انظر روح المعاني (ج٩ ص١٣٦) .

(٤) فإن قيل قد أخبر الرسول ﷺ عن المغيبات ، وقد جاءت أحاديث في الصحيح تدل على ذلك ، وهو أعظم معجزاته . فكيف توفق بينه وبين قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ... الخ ﴾ فالجواب ما يلي :

١ - يحتمل أنه قاله على سبيل التواضع والأدب والمعنى لا أعلم الغيب إلا أن يطلعني الله عليه ويقدره لي .

٢ - يحتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلعه الله على علم الغيب ، فلما أطلعه الله أخبر به ، كما قال سبحانه : ﴿ عَٰلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] .

٣ - أو يكون خرج هذا الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ، ثم بعد ذلك أظهره سبحانه على أشياء من المغيبات فأخبر عنها ؛ ليكون ذلك معجزة ودلالة على صحة نبوته . يراجع حاشية الجمل (ج٢ ص٢١٧ ، ٢١٨) .

ما قضاه في قدره لي . فكيف أدري غير ذلك وأتكلف علمه ؟ .

وقيل : لو كنت أعلم متى يكون لي النصر في الحرب ؛ لقاتلت فلم أُغلب .

وقيل : لو كنت أعلم الغيب ، لأجبت عن كل ما أسأل عنه .

والأولى : حمل الآية على العموم ، فتندرج هذه الأمور وغيرها تحتها (١) .

قال صاحب الظلال : (وبهذا الإعلان تتم لعقيدة التوحيد الإسلامية كل خصائص التجريد المطلق من الشرك في أية صورة من صوره ، وتنفرد الذات الإلهية بخصائص لا يشاركها البشر في شيء منها ، ولو كان هذا البشر محمدًا رسول اللّه ، وحبيبه ، ومصطفاه - عليه صلوات اللّه وسلامه - فعند عتبة الغيب تقف الطاقة البشرية ، ويقف العلم البشري وعند حدود البشرية يقف شخص رسول اللّه ﷺ ...) (٢) .

ثم بيَّن القرآن مهمة الرسول ﷺ ووظيفته بقوله تعالى :

﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي ما أنا إلا مبلغ عن اللّه لأحكامه أنذر بها قومًا ، وأبشر بها آخرين وليس من شأني علم الغيب . وقوله : ﴿ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يجوز أن يتعلق بقوله : ﴿ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ جميعًا ؛ لأن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالإنذار والتبشير . ويجوز أن يتعلق بقوله : ﴿ بَشِيرٌ ﴾ وحده وعليه يكون المتعلق بالنذير محذوفًا ، أي : إلا نذيرًا للكافرين وبشيرًا لقوم يؤمنون (٣) .

النموذج السادس :

قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [القصص: ٣٥] . ففي الآية الكريمة مراقبة بين كلمتي ﴿ إِلَيْكُمَا ۚ - بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ ﴾ . فإذا وقف القارئ على ﴿ إِلَيْكُمَا ۚ ﴾ لم يقف على كلمة ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ ﴾ بل يصلها بما بعدها ، فإذا ما وصل كلمة ﴿ إِلَيْكُمَا ۚ ﴾ وقف على قوله : ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ ﴾ فالقارئ مخير بين الكلمتين ، ولا يسوغ له الوقف عليهما معًا .

وعلة الوقف على إحدى الكلمتين : أن قوله : ﴿ إِلَيْكُمَا ۚ ﴾ يجوز أن يتعلق بـ ﴿ يَصِلُونَ ﴾ .

---

(١) يراجع الكشاف (ج٢ ص١٨٥) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٧ ص٣٣٦ ، ٣٣٧) ، وفتح القدير (ج٢ ص٢٧٤) ، وروح المعاني (ج٩ ص١٣٦ ، ١٣٧) .

(٢) انظر في ظلال القرآن (ج٣ ص١٤١٠) .

(٣) يراجع الكشاف (ج٢ ص١٨٥) ، وروح المعاني (ج٩ ص١٣٧) ، وفتح القدير (ج٢ ص٢٧٤) .

والمعنى : فلا يصلون إليكما تمتنعان منهم بسبب آياتنا . أو متعلق بمحذوف تقديره : فوضا أمركما إلي ، واذهبا إلى فرعون وقومه بآياتنا الدالة على صدقكما .

وعلى كلا الوجهين : يكون الوقف على قوله : ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ وهذه الجملة الكريمة تكون مؤكدة لمضمون ما قبلها من تقوية قلب موسى ﷺ وتبشيره بالغلبة والنصر على أعدائه .

أما إذا كان قوله : ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ متعلقا بـ ﴿ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ على معنى : أنتما ومن اتبعكما الغالبون بآياتنا كان الوقف على قوله : ﴿ إِلَيْكُمَا ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾ [1] .

معنى الآية الكريمة : لما كُلف موسى ﷺ بتبليغ الرسالة إلى فرعون وملئه ، وأحس بثقل التبعة الملقاة على عاتقه ، فقال رب إني قتلت منهم نفسًا وأخشى إن أتيتهم أن يقتلوني بها ، وأخي هارون أوضح مني بيانًا وأطلق لسانًا فأرسله معي معينًا واجعله لي وزيرًا ألتجئ إليه ويحمل معي عبء هذه الرسالة إني أخاف أن يكذبوني ؛ لأنهم لا يكادون يفقهون عني .

فأجابه الله تعالى إلى طلبه ، فقال سبحانه : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ [2] بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ ... ﴾

والمعنى : سنقوي أمرك ، ونعز جانبك بأخيك ، ونجعل لكما سلطانًا وحجة قوية بينة تدل على صدقكما ، وأنكما رسولا رب العالمين ، وأن الله معكما وناصركما على فرعون وقومه فلا يصلون إليكما بأذى ، ولا يتغلبان عليكما بحجة ، بل أنتما ومن اتبعكما الغالبون لا غيركم [3] ، قال الخطيب الشربيني : (وهذ يدل على أن فرعون لم يصل إلى السحرة بشيء مما هددهم به ؛ لأنهم من أكبر الأتباع الباذلين أنفسهم في الله تعالى) [4] .

وصدق الله ﷻ إذ يقول : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) يراجع المكتفى (ص٤٣٨) والاقتداء ورقة (٢١٤ ، ٢١٥) ، ومنار الهدى (ص٢٩١) ، وعلل الوقوف (ج٢ ص٧٨٠) ، والبحر المحيط (ج٧ ص١١٨) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج٤ ص١٤٤) ، والتبيان في إعراب القرآن (ج٢ ص١٠٢١) .

(٢) فشد العضد كناية عن القوة ؛ لأن اليد تشتد وتقوى بشدة العضد ، وهو ما بين المرفق إلى الكتف ، ويقال في دعاء الخير : شد الله عضدك ، وفي ضده : فت الله عضدك . انظر روح المعاني (ج٢٠ ص٧٨) ، وفتح القدير (ج٤ ص١٧٣)

(٣) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٢٨٧) ، وتفسير القرآن العظيم (ج٣ ص٣٨٩) ، وروح المعاني (ج٢٠ ص٧٨) ، والتفسير الواضح (ج٢٠ ص٣٠) .

(٤) انظر السراج المنير (ج٣ ص٩٣) .

﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر: ٤٠، ٥١].

النموذج السابع :

قوله تعالى : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الممتحنة: ٣] . في الآية الكريمة تعانق بين كلمتي ﴿ أَوْلَٰدُكُمْ ﴾ - ﴿ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ إذ يصح الوقف على كل واحدة منهما بشرط ألا يوقف عليهما معًا ؛ لئلا يختل المعنى .

وبيان ذلك :

أن الوقف إذا كان على ﴿ أَوْلَٰدُكُمْ ﴾ فباعتبار أن ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ظرف لـ ﴿ يَفْصِلُ ﴾ وحينئذٍ تكون جملة ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ مستأنفة ؛ لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد في ذلك اليوم ، وعليه فيوقف على قوله : ﴿ أَوْلَٰدُكُمْ ﴾ ويستأنف بقوله : ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ... إلخ ﴾ .

أما على جواز أن ﴿ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ ﴾ أي : لن تنفعكم أرحامكم ، ولا أولادكم في هذا اليوم ؛ فحينئذٍ لا يوقف على ﴿ أَوْلَٰدُكُمْ ﴾ بل يكون الوقف على يوم القيامة والابتداء بقوله : ﴿ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ... ﴾ إلخ [1] .

معنى الآية الكريمة : بعد ما نهى الحق سبحانه عباده المؤمنين عن موالاة الأعداء ومصافتهم بأي صورة من الصور ؛ إذ أنهم لا يخلصون المودة لأولياء الله ؛ لما بينهم من المباينة بين سبحانه أن القرابة والأولاد الذين يتوادون من أجلهم لن تنفع ، فقال - جلت قدرته - : ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ .

والمعنى : لن تفيدكم قراباتكم ، ولا أولادكم الذين توالون المشركين من أجلهم شيئًا يوم القيامة ، فلن يجلبوا لكم نفعًا ، ولن يدفعوا عنكم ضرًا ؛ لأن في هذا اليوم ﴿ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ [2] .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٣ ص٥٦٤) ، والمكتفى (ص٥٦٤) ، ومنار الهدى (ص٣٩٠) ، وفتح القدير (ج٥ ص٢١٠ ، ٢١١) ، والبحر المحيط (ج٨ ص٢٥٣ ٢٥٤) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٣٢٥) .

(٢) ورد في كلمة ﴿ يفصل ﴾ أربع قراءات :

١ - قرأ الحرميان وأبو عمرو : بضم الياء وإسكان الفاء وفتح الصاد مخففة ﴿ يُفْصَل ﴾ .

٢ - وقرأ حمزة والكسائي : بضم الياء وفتح الفاء وتشديد الصاد مع الكسر بالبناء للفاعل ﴿ يُفَصِّلُ ﴾ .

٣ - وقرأ ابن عامر : بضم الياء وفتح الفاء وتشديد الصاد مع الفتح على البناء المجهول ﴿ يُفَصَّل ﴾ .

٤ - وقرأ عاصم : بفتح الياء وإسكان الفاء ، وكسر الصاد مخففة على البناء للفاعل ﴿ يَفْصِل ﴾ . يراجع الكشف عن وجوه القراءات (ج٢ ص٣١٨) .

أي : يفرق بينكم وبين أقاربكم وأولادكم يوم القيامة . كما قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] .

وكما قال جل شأنه : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤- ٣٧] .

وخص الحق سبحانه الأولاد بالذكر مع دخولهم في الأرحام ؛ لمزيد المحبة لهم والحنو عليهم .

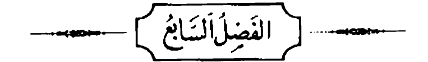
ثم ختمت الآية بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي : لا يخفى عليه شيء من أقوالكم وأفعالكم ؛ بل هو مطلع عليها فيجازيكم يوم القيامة [1] .

(١) يراجع التفسير الكبير (ج٣٠ ص٤٩٦) ، وفتح القدير (ج٥ ص٢١٠) ، وروح المعاني (ج٢٨ ص٩٦) ، والتفسير الوسيط (ج١٤ ص٤٢٠) . وتجدر الإشارة إلى ذكر سبب نزول الآية الكريمة ، وما قبلها حتى تتم الفائدة : ذكر المفسرون : في سبب نزول هذه الآية ، وما قبلها روايات منها : ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال : بعثني رسول الله ﷺ أنا والمقداد والزبير ، فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ - وهو مكان بين مكة والمدينة - فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها فأتوني به » فخرجنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا لها : أخرجي الكتاب فقالت : ما معي من كتاب ، فقلنا : أخرجي الكتاب ، أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال ﷺ : « ما هذا يا حاطب ؟ » فقال حاطب : لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت إنسانًا ملصقًا في قريش ، ولم أكن منها ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم بمكة ؛ فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع لهم يدًا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني . فقال عمر ﷺ : دعني يارسول الله أضرب عنقه فقال - عليه الصلاة والسلام - : « إنه شهد بدرًا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فنزلت الآيات .. هذا الحديث أخرجه الإمام البخارى في صحيحه . كتاب الجهاد - باب الجاسوس الحديث رقم ١٤٢٩ وأخرجه الترمذي في صحيحه أبواب التفسير - سورة الممتحنة (ج١٢ ص١٩١) يراجع في ذلك أيضًا روح المعاني (ج٢٨ ص٦٥) وما بعدها ، وتفسير القرآن العظيم (ج٤ ص١٠٨) .



الوقف والابتداء

وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم



الوقف على المستثنى منه وبعض أسماء الإشارة
ووقف البيان وأثر ذلك على المعنى

ويشتمل على ما يلي :

أولًا : الوقف على المستثنى منه وأثر ذلك على المعنى .

ثانيًا : الوقف على بعض أسماء الإشارة وأثر ذلك على المعنى .

ثالثًا : وقف البيان وأثره على المعنى في القرآن الكريم .




أولًا : الوقف على المستثنى منه وأثر ذلك على المعنى

تمهيد :

من المقرر أن الاستثناء على ضربين : متصل ومنقطع ، فالاستثناء المتصل هو : الذي يكون المستثنى من جنس المستثنى منه .

والمنقطع هو : الذي يكون فيه المستثنى من غير جنس المستثنى منه [١] . بعد هذا التمهيد الموجز أبين حكم الوقف على المستثنى منه ، وأثر ذلك على المعنى : مما لا خلاف فيه أن العلماء اتفقوا على جواز الوقف على المستثنى سواء أكان الاستثناء متصلًا أم منقطعًا . وكذلك لا خلاف بينهم في عدم جواز الوقف على المستثنى منه ، إذا كان الاستثناء متصلًا ، بل قالوا بوجوب وصل المستثنى منه بالمستثنى ؛ وذلك لتحقق الفائدة المقصودة من الكلام [٢] .

ومن أمثلة ذلك :

١ - قوله تعالى : ﴿ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا ... ﴾ [البقرة: ٤٩] .

فالمستثنى منه في الآية الكريمة : واو الفاعل في قوله : ﴿ فَشَرِبُوا۟ ﴾ والمستثنى ، قوله : ﴿ قَلِيلًا ﴾ وهو من جنس المستثنى منه ؛ إذ المراد من المستثنى منه ، وهو « الواو » ، « جنود طالوت » والمراد من المستثنى ، وهو ﴿ قَلِيلًا ﴾ بعض هؤلاء الجنود ، فلا يجوز الوقف على قوله : ﴿ فَشَرِبُوا۟ ﴾ ، ولا قوله : ﴿ مِنْهُ ﴾ لأن الوقف على كلتا الكلمتين أو إحداهما يوقع في روع السامع أن الشرب تحقق من جميع الجنود ، وهو خلاف الواقع . فحينئذٍ ينبغي وصل المستثنى منه بالمستثنى ؛ تقريرًا للحقيقة ودفعًا للمعنى الفاسد الذي لم يكن مرادًا من الآية الكريمة ؛ إذ الشرب لم يتحقق من جميع الجنود ، كما حكت الآية [٣] .

٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ... ﴾ [النور: ٣١] .

فالمستثنى منه كلمة زينة في قوله : ﴿ زِينَتَهُنَّ ﴾ والمستثنى الاسم الموصول « ما » وهو من جنس المستثنى منه ؛ لأن الظاهر من الزينة بعض منها .

---

(١) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج٤ ص٢٣٦) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٥٦) ، وضياء السالك إلى أوضح المسالك (ج٢ ص١٨٤) وما بعدها ، وشرح ابن عقيل تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ج١ ص٥٩٧) وما بعدها ، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ، للأستاذ الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة (ج١ ص١٣٦) وما بعدها ط/ السعادة - القاهرة .

(٢) يراجع منار الهدى (ص ٧٣ ، ٧٤) ، والبرهان في علوم القرآن (ج٤ ص٢٣٦) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٥٦) .

(٣) يراجع منار الهدى (ص٧٤) ومعالم الاهتداء (ص١٠٣) .

وبهذا يتضح : أن الوقف ممتنع على قوله : ﴿ زِينَتَهُنَّ ﴾ لأن الوقف عليها يوهم السامع أن النهي متناول جميع أنواع الزينة ، ظاهرها وخفيها ، وهذا المعنى غير مراد من الآية الكريمة . وحينئذٍ يتعين وصل المستثنى منه بالمستثنى ؛ حتى يكون المعنى المراد واضحًا لا غموض فيه [١] .

أما إذا كان الاستثناء منقطعًا : فقد اختلف العلماء في الوقف على المستثنى منه على ثلاثة مذاهب :

المذهب الأول : يرى أنه يجوز الوقف على المستثنى منه مطلقًا ، أي : سواء صرح بالخبر أم لا ، ووجهتهم في ذلك : أن المستثنى منه في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه وذلك كقول من قال : زيد ، لمن قال : من أبوك ؟

فكذلك تقدير الاستثناء المنقطع ، نحو قول من قال : ما في الدار أحد إلا الحارث ، لكن الحارس في الدار ، فلو ابتدأ بـ « لكن الحارث في الدار » لكان حسنًا [٢] .

لذا فقد أجازوا الوقف على مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ والابتداء ، بقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [يونس: ٤٤] .

المذهب الثاني : يرى منع الوقف على المستثنى منه مطلقًا سواء صرح بالخبر أم لا . ووجهتهم في ذلك : احتياج الاستثناء المنقطع إلى ما قبله لفظًا ومعنىً ؛ أما لفظًا : فلأنه لم يعهد استعمال ﴿ إِلَّا ﴾ أو ما في معناها إلا متصلًا بما قبلها لفظًا ألا ترى أنك إذا قلت : « ما في الدار أحد غير حمار » فوقفت على ما قبل غير وابتدأت به كان قبيحًا فكذلك هذا .

وأما المعنى : فلأن ما قبله مشعرًا بتمام الكلام في المعنى ، فإن قولك : « ما في الدار أحد » هو الذي صحح قولك « إلا حمار » ألا ترى أنك لو قلت : « إلا الحمار » على انفراده كان خطأً .

المذهب الثالث : يفصل بين ما إذا كان الخبر مصرحًا به أو غير مصرح ، فإذا كان مصرحًا به : جاز الوقف على المستثنى منه ؛ لأن جملة المستثنى حينئذٍ تكون مستقلة ومستغنية عما قبلها .

وإذا كان الخبر غير مصرح به : لم يجز الوقف على المستثنى منه ؛ لأن جملة المستثنى

---

(١) يراجع منار الهدى (ص٢٦٧) ومعالم الاهتداء (ص١٠٣) وما بعدها .

(٢) يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٥٦) وما بعدها ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد (ص١٧٦) .

حينئذٍ تكون مفتقرة إلى ما قبلها [١] .

ومن أمثلة الاستثناء المنقطع الذي لم يصرح فيه بالخبر ، قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [البقرة : ٧٨] .

ووجه كون الاستثناء هنا منقطعًا : أن الأماني ليست من جنس الكتاب ولا مندرجة تحت مدلوله ، ولا يصح أن تكون منصوبة بـ ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ لأن إدراك الأماني أي الأكاذيب ليس علمًا ؛ بل هو جهل مركب أو اعتقاد ناشئ عن تقليد فحينئذٍ يكون الناصب لها محذوف تقديره : لكن يعتقدون أماني أو يدركون أماني أو نحو ذلك .

والأماني : جمع أمنية بتشديد الياء وتخفيفها وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى إذا قدر ، ولذلك تطلق على الكذب ، وعلى ما يتمناه الإنسان والمعنى : لكن يعتقدون أكاذيب أخذوها تقليدًا عن شياطينهم المحرفين أو مواعيد فارغة مجردة سمعوها من أحبارهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودًا ، وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة [٢] .

ومن أمثلة الاستثناء المنقطع الذي صرح فيه بالخبر :

قوله تعالى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴾ [الانشقاق : ٢٥] .

ووجه كون الاستثناء منقطعًا : أن ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ليس من جنس من عاد عليهم الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الإنشقاق : ٢٤] وهم الكافرين المكذبون المذكرون في الآية الكريمة .

وعلى هذا تكون ﴿ إِلَّا ﴾ بمعنى « لكن » المخففة ، والاسم الموصول ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ مبتدأ ، وجملة ﴿ ءَامَنُوا۟ ﴾ صلة الموصول ، وجملة ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ عطف على الصلة ، وجملة ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴾ خبر المبتدأ .

ويرى البعض : أن الاستثناء متصل .

والرأى الراجح : أنه منقطع لأن الاسم الموصول راجع إلى « الذين كفروا وقد وضع موضع المظهر ؛ للإشعار بأنهم لا يؤمنون ولا يسجدون عند تلاوة القرآن » [٣] .

---

(١) يراجع الإتقان في علوم القرآن (ج١ ص١٥٢) ، والمصدران السابقان في هامش (١) .

(٢) يراجع الكشاف (ج١ ص١٥٧) ، والتبيان في إعراب القرآن (ج١ ص٨٠) ، وروح المعاني (ج١ ص٣٠١ ، ٣٠٢) ومعاني القرآن للأخفش (ج١ ص١٩٤) ، وحاشية الجمل (ج١ ص٦٤) .

(٣) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٢٨٢) ، والتبيان (ج٢ ص١٢٧٩) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٥١٢) ، ومعالم الاهتداء (ص١٠٧) .

ثانيًا : الوقف على بعض أسماء الإشارة ، وأثر ذلك على المعنى

١ - الوقف على ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ :

ينبغي التنبيه إلى أن لفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يستعمل أحيانًا في أساليب اللغة للفصل بين كلامين كالانتقال من غرض إلى غرض ، ومن شأن إلى شأن ، ومن قصة إلى أخرى [١] .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : - عن ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ وأمثالها - : (هي كلمة يستعملها الفصيح عند الخروج من كلام إلى كلام ، وهو كما قال الله تعالى : ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ [ص: ٥٥] . أي : هذا حق وأنا أعرفكم أن للطاغين كذا ...) [٢] .

هذا ، وقد ورد لفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ، ولكنه لم يستعمل بمعنى الانتقال من شأن إلى شأن ، أو من قصة إلى أخرى إلا في مواضع معينة من القرآن الكريم ، ولا يصح الوقف عليه إلا في هذه المواضع .

المواضع التي ورد فيها لفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ بالمعنى المتقدم :

وتنحصر هذه المواضع فيما يلي :

الموضع الأول : في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠] . **ويحتمل لفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في الآية الكريمة أكثر من وجه :**

الأول : أنه خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : فرضكم ذلك ، أو الواجب في حقكم ذلك أي : الذي بينته لكم من الواجبات في الآيات السالفة ، أو الأمر أو الشأن ذلك .

الثاني : أن يكون مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : ذلك حكم الله أو أمره أو شرعه أو نحو ذلك .

الثالث : أن يكون في موضع نصب على أنه مفعول لفعل محذوف ، والتقدير : امتثلوا ذلك أو افعلوا ذلك .

قال الألوسي : (واختيار ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ هنا للدلالة على تعظيم الأمر وبعد منزلته ...) [٣] .

وإنما أخذ التعظيم وبعد المنزلة من اللام في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ لأنها موضوعة للدلالة

---

(١) يراجع فتح القدير (ج٣ ص٤٥١) ، وروح المعاني (ج١٧ ص١٤٧) ، ومعالم الاهتداء (ص١٧٩) وما بعدها .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٦ ص٢٢٩) .

(٣) انظر روح المعاني (ج١٧ ص١٤٧) .

على بعد المشار إليه إما في الحس وإما في الرتبة . وعلى هذه الأوجه الثلاث ينتفي الارتباط اللفظي بين ذلك وبين جملة ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ... إلخ ﴾ لأنها جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب . وبناء على ما ذكر يكون الوقف على ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ كافيًا (١) .

الموضع الثاني : في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] .

وهذه الآية الكريمة يقال فيها ما قيل في الآية السابقة والوقف على لفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ فيها كاف أيضًا .

الموضع الثالث : في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [الحج : ٦٠] . ولفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ له أكثر من وجه من وجوه الإعراب :

الأول : أن يكون لفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره : جزاء المهاجرين المتقدم ذكرهم في الآية السابقة ذلك ، والمعنى : أي الذي أخبرتكم به وهو أنه ﷻ يرزقهم رزقًا حسنًا ، ويدخلهم مدخلًا يرضونه ، أو الأمر والشأن ذلك ، أي : الذي أنبأتكم عنه ، وهو جزاء المهاجرين .

الثاني : أن يكون مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : ذلك جزاء المهاجرين .

الثالث : أن يكون مفعولًا لفعل محذوف ، تقديره : اعملوا ذلك .

والمعنى : اعملوا ذلك الذي بينته لكم من جزاء المهاجرين ؛ لتعملوا مثل عملهم فتظفروا بمثل جزائهم .

وعلى ما تقدم من إعراب نجد أنه ليس هناك تعلقًا لفظيًا بين ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ وبين قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ ... إلخ ﴾ لأن هذه الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب فحينئذٍ يكون الوقف على لفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ كافيًا (٢) .

الموضع الرابع : في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ [محمد : ٤] .

فلفظ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ في الآية الكريمة يحتمل أكثر من وجه من وجوه الإعراب :

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٧١٩) ومنار الهدى (ص٢٥٦) ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٢٥٦) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٢ ص٥٣ ، ٥٤) ومعالم الاهتداء (ص١٨٠) .

(٢) يراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٢ ص٩٠) ، وحاشية الجمل (ج٣ ص١٧٧) ، ومعالم الاهتداء (ص١٨١) .

الأول : أن يكون ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف ، تقديره : الأمر ذلك .

والمعنى : أي الأمر في الكفار ذلك الذي بينته وذكرته لكم من القتل والأسر ، وما بعدهما من المن والفداء .

الثاني : أن يكون مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : ذلك حكم الكافرين ، وهو القتل والأسر ، وبعدهما المن أو الفداء .

الثالث : أن يكون معمولًا لمحذوف ، تقديره : افعلوا ذلك ، والمعنى : نفذوا فيهم ما ذكرته لكم من القتل والأسر .. إلخ . وعلى جميع الأوجه السابقة يكون الوقف على ذلك وقفًا كافيًا لانتفاء التعلق اللفظي ، وتحقق التعلق المعنوي [1] .

ب - الوقف على ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ :

يجوز الوقف على ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ في المواضع التالية :

الموضع الأول : في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف : ٩١] . فالكاف في لفظ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ تحتمل الوجوه التالية ، وبناء عليه يتعين نوع الوقف .

الأول : يحتمل أن تكون في موضع رفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : أمر ذي القرنين كذلك ، أي : كما قلنا وحكيناه في شأنه ، أو كما وصفناه من علو المكانة ، وبسطة الملك .

الثاني : ويحتمل أن تكون صفة لمصدر محذوف لـ ﴿ وَجَدَ ﴾ والمعنى : أي وجدها تطلع وجدانا مثل وجدانها تغرب في عين حمئة ، وعلى هذا الوجه : تكون في محل نصب .

الثالث : ويحتمل أن تكون في محل جر على أنها صفة قوم ، والمعنى : وجدها تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليه الشمس في الكفر والحكم .

والحاصل : أن الكاف من ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ هنا اسم بمعنى « مثل » في موضع رفع أو نصب أو جر أما الواو في قوله : ﴿ وَقَدْ أَحَطْنَا ﴾ فإنها للاستئناف ، وبهذا يتضح أن الوقف على لفظ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ في الآية الكريمة وقف كاف لعدم التعلق اللفظي [2] .

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٣ ص٩٤٧) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٦ ص٢٢٩) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج٣ ص٤٣٥) ، ومعالم الاهتداء (ص١٨) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٧٦٠) ، والقطع (ص٤٥٠) ، والمكتفى (ص٣٧٢) ، ومنار الهدى (ص٢٣٤) ، والبحر المحيط (ج٦ ص١٦١) ، وحاشية الجمل (ج٣ ص٤٥) .

الموضع الثاني : في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩] .

فالكاف في ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ تحتمل الوجوه التالية :

الأول : أن تكون في محل رفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : الأمر كذلك ، والمعنى : أي أن فرعون كما وصفنا ، أو أن إخراجنا لهم مما كانوا يتمتعون به كما بينا ، والمراد من هذا الأسلوب : تقرير حال بني إسرائيل ، وتثبيته في نفس السامع .

الثاني : أن تكون في محل نصب على أنها صفة لمصدر ، محذوف ، تقديره : أخرجناهم إخراجًا مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه .

الثالث : أن تكون في محل جر على أنها صفة لـ ﴿ مَقَامٍ ﴾ أي : مقام كريم ، مثل ذلك المقام الذي كان لهم .

والواو في قوله : ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا ﴾ يحتمل أن تكون مستأنفة ، أو تكون عاطفة جملة ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا ﴾ على ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ وعلى كلا الاحتمالين يجوّز الوقف على ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أما على كون الواو مستأنفة : فالوقف كاف وأما على كونها عاطفة : فهي عاطفة جملة على جملة أخرى وعطف الجمل يجوز الوقف ، وعلى ذلك يكون الوقف حسنًا [1] .

الموضع الثالث : في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ... ﴾ [فاطر: ٢٨] .

فالكاف في لفظ ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ اسم بمعنى « مثل » في محل نصب صفة لمصدر لفظ ﴿ مُخْتَلِفٌ ﴾ والتقدير : مختلف اختلافًا كائنًا مثل ذلك ، أي : مثل اختلاف الثمرات والجبال فهو من تمام الكلام قبله والوقف عليه كافٍ ، ومما يدل على أن الوقف كاف أن ما بعدها ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب [2] .

الموضع الرابع : في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٨] . ففي الكاف من قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ وجهان :

أحدهما : أن تكون مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف ، تقديره : الأمر كذلك .

ثانيهما : أن تكون منصوبة المحل على أنها نعت لمصدر محذوف ، والتقدير :

---

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٧٥٦) ، والبحر المحيط (ج٧ ص١٩) ، والتبيان (ج٢ ص٩٩٦) .

(٢) يراجع المكتفى (ص٤٧٠) ، ومنار الهدى (ص٣١٦) ، وروح المعاني (ج٢٢ ص١٩١) .

أهلكناهم إهلاكًا وانتقمنا منهم انتقامًا كذلك ، أو التقدير : كم تركوا تركًا مثل ذلك الترك . وعلى ما تقدم يصح الوقف على ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ ومما يدل على جواز الوقف : أن الواو في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ﴾ تحتمل الاستئناف والعطف على قوله : ﴿ تَرَكُوا ﴾ ولكن هذا العطف من قبيل عطف الجمل وعطف الجمل لا يمنع الوقف وعلى وجه العطف يكون الوقف حسنًا ، وما عدا هذه المواضع لا يجوز الوقف فيها على ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ (١) .

ج - الوقف على ﴿ هَٰذَا ﴾ :

لا يجوز الوقف على اسم الإشارة ﴿ هَٰذَا ﴾ إلا في موضعين هما (٢) :

الموضع الأول : في قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ [ص: ٥٥] . فـ ﴿ هَٰذَا ﴾ في الآية الكريمة يحتمل ثلاثة وجوه :

الأول : أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف ، تقديره : الأمر هذا .

والمعنى : أي أمر المتقين وشأنهم وجزاؤهم هذا الذي سبق بيانه ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ ﴾ وهم الذين كذبوا الرسل ﴿ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ أي منقلب يصيرون إليه .

الثاني : ويحتمل أن يكون مبتدأ محذوف الخبر ، والتقدير : هذا - الذي تقدم ذكره - جزاء المؤمنين . ثم بيّن جزاء غير المؤمنين ، فقال ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ .

الثالث : ويحتمل أن يكون ﴿ هَٰذَا ﴾ مفعولاً لفعل محذوف ، والتقدير : اعلموا

---

(١) يراجع منار الهدى (ص٣٥٤) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج٤ ص٤٢٦) ، والتبيان في إعراب القرآن (ج٢ ص١١٤٧) .

(٢) وتجدر الإشارة إلى أن هناك موضع ثالث ، وهو قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس: ٥٢] . ويرى البعض : أن الوقف فيه على ﴿ هَٰذَا ﴾ جائز بناء على كون اسم الإشارة ﴿ هَٰذَا ﴾ صفة لـ ﴿ مَرْقَدِنَا ﴾ لتأويله بالمشتق وعليه تكون ﴿ مَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ ﴾ اسم موصول مبتدا والخبر محذوف تقديره : حق ما وعد الرحمن ، أو أن تكون ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : هو أو هذا ما وعد الرحمن ، ولكن الظاهر من سياق الآية أن اسم الإشارة مبتدأ و ﴿ مَا ﴾ اسم موصول خبره ، وجملة ﴿ مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ ﴾ صلة الموصول ، وجملة ﴿ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ معطوفة على جملة الصلة قبلها ، وعلى هذا الإعراب لا يصح الوقف على ﴿ هَٰذَا ﴾ لما فيه من فصل المبتدأ عن خبره . بل إن هذه الآية الكريمة كما قال قتادة : تكلم بأولها أهل الضلالة ، وبآخرها أهل الإيمان ، قال أهل الضلالة : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۜ ﴾ وقال المؤمنون : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ لذا نجدهم يفصلون بين الكلامين بسكتة لطيفة . يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٨٥٤) ، والقطع (ص ٦٠٠) ، والمكتفى (ص٤٧٤) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج٤ ص٢٩١) ، وزاد المسير (ج٧ ص٢٦) .

هذا أو خذوا هذا ، والمعنى : أي هذا الجزاء الذي أعده الله لعباده المؤمنين لتعلموه ؛ فتعملوا لأجله حتى تحصلوا عليه بمباشرة أسبابه ، وهي الإيمان والأعمال الصالحة .

وعلى جميع الاحتمالات المتقدمة في اسم الإشارة ﴿ هَٰذَا ﴾ فالواو في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ ﴾ للاستئناف ، وهذا هو الظاهر فيها . وعليه فيكون الوقف على ﴿ هَٰذَا ﴾ كافيًا ويحتمل أن تكون للعطف عطفت جملة ﴿ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴾ على جملة ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ وعليه يكون الوقف على ﴿ هَٰذَا ﴾ حسنًا [1] .

الموضع الثاني : في قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ [ص: ٥٧] . فـ ﴿ هَٰذَا ﴾ يحتمل أن تكون مبتدأ ، خبره ﴿ حَمِيمٌ ﴾ وجملة ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ معترضة .

وأجاز الأخفش : في ﴿ هَٰذَا ﴾ أن تكون مبتدأ ، خبره ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ ولكن الظاهر أن الخبر هو قوله : ﴿ حَمِيمٌ ﴾ والتقدير : هذا حميم فليذوقوه .

ويحتمل في ﴿ هَٰذَا ﴾ أن تكون خبرًا لمبتدأ محذوف ، تقديره : العذاب هذا فليذوقوه ، ويرفع ﴿ حَمِيمٌ ﴾ على تقدير : هو حميم ، أو منه حميم .

وعلى ما تقدم يجوز الوقف على ﴿ هَٰذَا ﴾ والابتداء بقوله تعالى : ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ أما إن جعل ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ خبرًا لـ ﴿ هَٰذَا ﴾ أو نصب بفعل يفسره ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ ، أي : فليذوقوا هذا فليذوقوه ، حسن الوقف على قوله : ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ ويكون قوله : ﴿ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ مرفوعين على أنهما خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هو حميم وغساق .

ومن رفع قوله : ﴿ هَٰذَا ﴾ بالابتداء ، وجعل ﴿ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ خبرًا ، لم يقف على ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ بل عليه أن يقف على قوله : ﴿ وَغَسَّاقٌ ﴾ [2] .

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٨٦٣) ، والمكتفى (ص٤٨٤) ، والقطع (ص ٦١٤ ، ٦١٥) وعلل الوقوف (ج٣ ص٨٧١ ، ٨٧٢) ، ومنار الهدى (ص٣٣٠) ، والتبيان في إعراب القرآن (ج٢ ص١١٠٤) ، والبحر المحيط (ج٧ ص٤٠٥) ، وروح المعاني (ج٢٣ ص٢١٤) .

(٢) يراجع المكتفى (ص٤٨٤) ، وعلل الوقوف (ج٣ ص٨٧٢) ، ومنار الهدى (ص٣٣٠) ، ومشكل إعراب القرآن لمكي . تحقيق ياسين محمد السواس (ج٢ ص٢٥٢) نشر دار المأمون للتراث - دمشق ، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري . تحقيق دكتور طه عبد الحميد طه . مراجعة مصطفى السقا . نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ثالثًا : وقف البيان وأثره على المعنى في القرآن الكريم

أ - تعريف وقف البيان :

البيان في اللغة : هو ما بُين به الشيء من الدلالة وغيرها ، وبان الشيء بيانًا : اتضح فهو بيِّن وكلام بيِّن أي فصيح والجمع أبيان [١] .

وأما في الاصطلاح : هو أن يبين معنى لا يفهم بدونه . وبيان ذلك : أن هناك كلمات في القرآن تعلق ما بعدها بها ، أو بما قبلها تعلقًا لفظيًا ومعنويًا ، وهذا يقتضي منع الوقف عليها ، إلا أن هناك سببًا يقتضي الوقف عليها فيعمل به بيانًا للمعنى الذي ربما لا يفهم بدونه [٢] .

ب - نماذج لوقف البيان :

١ - من أمثلته قوله تعالى : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح : ٩] .

اختلف العلماء في جواز الوقف على قوله : ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ **على قولين :**

القول الأول : ذهب أصحاب هذا القول إلى جواز الوقف على قوله : ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ لبيان الفرق بين الضميرين في قوله : ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ وقوله : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ لأن الضمير الأول وهو الهاء في ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ عائد على رسول الله ﷺ وذلك ؛ لأن التعزير والتوقير للرسول ﷺ وذلك لعودة ضمير إلى أقرب مذكور . أما الضمير في قوله : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ فهو عائد على الله ﷻ إذ التسبيح لا يكون إلا له - سبحانه - فلو وصل ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ بقوله : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ لأوهم خلاف المراد فينبغي الوقف على ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ دفعًا للإيهام وتقريرًا للحقيقة وبيانًا وتنبيهًا على أن الضمير في قوله : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ راجع إلى الله تعالى .

القول الثاني : يرى أنه لا يجوز الوقف على قوله : ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ بل ينبغي وصله بقوله : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ لأن قوله : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ معطوف على ﴿ لِتُؤْمِنُوا ﴾ وقد حذفت نونه للنصب فبينهما ارتباط لفظي ومعنوي ، إذ أن الضمائر كلها عائدة على الله ﷻ .

---

(١) يراجع لسان العرب (ج١ ص٤٠٦) وما بعدها .

(٢) يراجع منار الهدى (ص١٠ ، وص٣٦٤) ومعالم الاهتداء (ص٤٧) .

والمعنى : تعزروه وتوقروه ، أي : تثبتوا له صحة الربوبية ، وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك [١] . ويؤيد هذا الرأي : ما قاله الألوسي : (في قوله تعالى : ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ لله ﷻ ولا يخفى أن الأولى كون الضميرين فيما تقدم لله تعالى أيضًا ؛ لئلا يلزم فك الضمائر من غير ضرورة ...) [٢] .

٢ - ومن أمثلته أيضًا : الوقف على كلمة ﴿ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] وذلك ؛ لأن قوله : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ ... ﴾ داخل معه في حيز الظرف ، وهو ﴿ إِذْ ﴾ فحينئذٍ يكون بين جملة ﴿ وَاتَّقِ اللَّهَ ... ﴾ وبين ما قبلها علاقة وثيقة في اللفظ والمعنى .

وهذا يقتضي منع الوقف عليها ، ويحتم وصله بما بعده ، ولكن وصله يوهم خلاف المعنى المقصود ؛ إذ بالوصل يصير قوله : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ... ﴾ [الأحزاب : ٣٧] خطابًا من النبي ﷺ للذي أنعم الله عليه ، وأنعم النبي ﷺ عليه : وهو زيد بن حارثة الذي كان مملوكًا لرسول الله ﷺ ثم اعتقه وتبناه ، ولكن في الحقيقة أنه خطاب موجه من الله تعالى لنبيه ﷺ لذا فينبغي أن يوقف على قوله : ﴿ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ دفعًا لهذا الوهم الباطل وتقريرًا للحقيقة وتنبيهًا على أن الخطاب لرسوله ﷺ ولا من رسوله لعبده زيد بن حارثة ، فجاء الوقف بيانًا لتلك القضية [٣] .

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٩٠٠) ، والقطع (ص٦٧٠) ، والمكتفى (ص٥٢٨) ، وعلل الوقوف (ج٣ ص٩٥٥) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٦ ص٢٦٧) .

(٢) انظر روح المعاني (ج٢٦ ص٩٦) .

(٣) يراجع منار الهدى (ص٣٠٨) والتفسير الكبير (ج٢٤ ص٥٩٦) وما بعدها ، ومعالم الاهتداء (ص٤٩) وما بعدها .



الوقف والابتداء

وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم



الوقف على بعض الحروف والابتداء بها
وأثر ذلك على المعنى

ويشتمل على ما يلي :

أولًا : الوقف على ﴿ نَعَمْ ﴾ وأثره على المعنى .

ثانيًا : الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وأثره على المعنى .

ثالثًا : الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ والابتداء بها ، وأثر ذلك على المعنى .

رابعًا : الوقف على ﴿ لَا ﴾ والابتداء بها ، وأثر ذلك على المعنى .

خامسًا : الوقف على ﴿ أَمْ ﴾ والابتداء بها ، وأثر ذلك على المعنى .



الوقف على بعض الحروف والابتداء بها وأثر ذلك على المعنى

لما كانت بعض الحروف تختلف معانيها بالوقف عليها أو الابتداء بها - في كتاب الله ﷻ - فقد عُني علماء هذا الفن ببيان معاني هذه الحروف ودلالاتها ، وحكم الوقف عليها والابتداء بها ، وذلك إسهامًا منهم في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية .

وسأتناول بمشيئة الله تعالى هذه الحروف مستعرضًا الآيات التي ورد فيها الحرف المراد ، ومبينًا جواز الوقف أو عدمه مع ذكر علة ذلك .

أولًا : الوقف على ﴿ نَعَمْ ﴾ [1] وأثره على المعنى

أ - معنى نعم :

من المقرر أن « نَعَمْ » حرف جواب يجاب بها عن كلام قبلها ، ويختلف معناها باختلاف ما قبلها . فإن كان ما قبلها جملة خبرية مثبتة كانت أو منفية فهي حرف يدل على تصديق المخبِر - بكسر الباء - فإذا قيل : قام محمد ، أو قيل لم يقم ، فتصديقه فيهما « نَعَمْ » .

وإن كان ما قبلها جملة إنشائية سواء كانت أمرًا أم نهيًا أم تحضيضًا فهي حرف يفيد وعد الطالب بتحقيق مطلوبه ، فإذا قيل لك : افعل كذا أولًا تفعل ، أو هلا تفعل ، فقولك : « نَعَمْ » وعد للطالب بإجابة مطلوبه ، فكأنك قلت : سأفعل أو لن أفعل ، فكلمة « نَعَمْ » نابت مناب الجملة التي دلت على تحقيق المطلوب من فعل أو ترك . وإن كان ما قبلها استفهامًا فهي حرف يدل على الإعلام ، أي إعلام من يستخبر ، ويستفهم عن أمر ما . فالمتكلم بها يُعلم مخاطبه بجواب استفهامه ، ولم يستعمل في القرآن الكريم إلا بهذا المعنى[2] .

---

(١) ولـ « نَعَم » : لغتان مشهورتان في قبائل العرب ، وقد قرئ بهما : فلغة قريش في « نعم » : - كسر العين - وبذلك قرأ الكسائي وهي لغة كنانة أيضًا . وروى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : لا تقولوا : « نَعَمْ » - بفتح النون والعين - وقولوا : « نَعِم » - بفتح النون وكسر العين - يريد ﷺ أن « نَعَمْ » بالفتح - اسم للمال و«نَعِم بالكسر : هو الجواب ، ففرق بالحركة بين معنيين ، وروي عنه أنه سمع رجلًا يقول « نَعَمْ » - بالفتح - فقال : « نَعَم » المال ولكن « نَعِم » يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » لمكي بن أبي طالب تحقيق د/ أحمد فرحات (ص ١٠٧) وما بعدها ط/ دار المأمون للتراث - دمشق - وبيروت .

(٢) يراجع المصدر السابق (ص١٠٧) وما بعدها ، ويراجع في ذلك أيضًا ضياء السالك إلى أوضح المسالك (ج٣ ص١٦٤) وحاشية الجمل (ج٢ ص١٤٤) .

ب - المواضع التي وردت فيها ﴿ نَعَمْ ﴾ في القرآن الكريم :

ورد حرف ﴿ نَعَمْ ﴾ في القرآن الكريم في أربعة مواضع :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ ... ﴾ [الأعراف : ٤٤] .

الثاني : في قوله ﷻ : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف : ١١٤] .

الثالث : في قوله سبحانه : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الشعراء : ٤٢] .

الرابع : في قوله جل شأنه : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [الصافات : ١٨] .

ج - الوقف على ﴿ نَعَمْ ﴾ في هذه الآيات ، وأثره على المعنى :

الآية الأولى : الوقف على ﴿ نَعَمْ ﴾ فيها وقف كافٍ ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ نَعَمْ ﴾ جواب أهل النار عن سؤال أهل الجنة لهم ، وهو قوله حكاية عنهم : ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ... ﴾ فيكون الكلام قد أفاد الفائدة التي يحسن السكوت عليها بذكر السؤال الذي هو ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ... ﴾ ويكون الجواب هو قوله : ﴿ قَالُوا۟ نَعَمْ ﴾ أي : قال أهل النار مجيبين : « نَعَمْ وجدناه حقًّا ... » .

قال الزمخشري : (وإنما قالوا ذلك اغتباطًا بحالهم وشماتة بأهل النار وزيادة في غمهم ؛ لتكون حكايته لطفًا لمن سمعها) (١) .

وأما قوله : ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ ... ﴾ إلخ فهو إخبار من الله تعالى لما جرى بعد ذلك (٢) .

قال الإمام الزركشي : (والمختار الوقف على ﴿ نَعَمْ ﴾ في هذه الآية ؛ لأن ما بعدها ليس متعلقا بها ولا بما قبلها ؛ إذ ليس هو قول أهل النار و ﴿ قَالُوا۟ نَعَمْ ﴾ من قولهم) (٣) .

والمراد بنفي التعلق الذي يقصده الإمام الزركشي : هو التعلق اللفظيُّ فقط أما التعلق المعنويُّ : فمتحقق قطعًا ؛ لأن الآيات بعد ذلك لا تزال تتحدث عن أهل الجنة ،

---

(١) انظر الكشاف (ج٢ ص١٠٦) .

(٢) يراجع شرح كلا وبلى ونعم (ص١٧٥) ، والإتقان في علوم القرآن (ص١٥٣) ، ونهاية القول المفيد (ص١٧٥) ، ومعالم الاهتداء (ص١٠٩) .

(٣) انظر البرهان (ج١ ص٣٧٥) .

ومالهم من نعيم مقيم ، وعن أهل النار ومالهم من عذاب أليم ، وإذا كان الارتباط بين قوله : ﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ... ﴾ إلخ وبين ما قبله معنويًا لا لفظيًا كان الوقف على ﴿ نَعَمْ ﴾ كافيًا .

الآية الثانية : لا يجوز الوقف فيها على ﴿ نَعَمْ ﴾ لأن جملة ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة التي قامت ﴿ نَعَمْ ﴾ مقامها في الجواب كأنه قال إيجابًا لقولهم : ﴿ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ : أي : نعم لكم أجر ، وإنكم لمن المقربين فحذفت جملة ﴿ إنّ لكم لأجْرًا ﴾ ونابت ﴿ نَعَمْ ﴾ عنها في الجواب وكلتا الجملتين مقول القول ولا يفصل بعض المقول عن بعضه . ومعنى الآية إذن : إن لكم لأجر عظيمًا ، وإنكم مع استحقاقكم هذا الأجر لمن المقربين مني أي : لا أقتصر لكم على العطاء وحده على غلبة موسى ، بل أزيدكم أن تكونوا من المقربين فتحوزون إلى الأجر الكرامة والرفعة والجاه والمنزلة ؛ لأن من أعطى شيئًا إنما يتهنأ به ويغتبط إذا نال معه الكرامة والرفعة (١) .

الآية الثالثة : يقال فيها ماقيل في الآية الثانية .

الآية الرابعة : لا يسوغ الوقف فيها على ﴿ نَعَمْ ﴾ أيضًا ؛ لأن قوله تعالى ﴿ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ابتداء ، وخبر في موضع الحال من المضمر الذي في الفعل المحذوف بعد ﴿ نَعَمْ ﴾ .

تقديره : قل لهم تبعثون والحال أنكم أذلاء صاغرون ، فوصلها بما بعدها أحسن من الوقف عليها (٢) .

قال الإمام الزركشي : (والمختار ألا يوقف على ﴿ نَعَمْ ﴾ في هذه المواضع الثلاثة لتعلق ما بعدها بما قبلها لاتصاله بالقول) (٣) .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص١٠٦) والكشاف (ج٢ ص١٣٩) والبحر المحيط (ج٤ ص٣٦١) ، وروح المعاني (ج٩ ص٢٤) ومعالم الاهتداء (ص١٠٩) وما بعدها .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص١٠٦ ، ١٠٧) ، والبحر المحيط (ج٧ ص٣٥٥) .

(٣) انظر البرهان (ج١ ص٣٧٥) .

ثانيًا : الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وأثره على المعنى

أ - معنى ﴿ بَلَىٰ ﴾ [١] :

من الثابت في اللغة أن ﴿ بَلَىٰ ﴾ حرف جواب تختص بالنفي ، بمعنى : أنها لا تقع إلا بعد كلام منفي ، فلا تقع بعد كلام مثبت إلا في النذر اليسير من الأساليب [٢] وهي تفيد إبطال النفي قبلها ونقضه سواء كان مجردًا أم توبيخًا أم تقريرًا .

فالمجرد : نحو قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧] . فـ ﴿ بَلَىٰ ﴾ في هذه الآية أفادت إبطال نفي البعث وإذا بطل نفي البعث ثبت نقيضه وهو إثبات البعث ، وحينئذٍ يكون قوله : ﴿ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ تصريحًا بما أفادته ﴿ بَلَىٰ ﴾ من إبطال النفي المتقدم .

والتوبيخ : نحو قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ ... ﴾ [الزخرف: ٨٠] .

والتقرير : نحو قوله - جل شأنه - : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾

---

(١) ذكر بعض النحويين : أن أصل ﴿ بَلَىٰ ﴾ « بل » التي للإضراب و « لا » التي للنفي ، ولذلك كان حقها أن تأتي جوابًا للنفي كما تأتي « بل » فإذا قال القائل : ألا تكرمني ، فقال المجيب : بلى ، فإنما يريد : بل أكرمك ، فحذف الفعل الذي بعد « بل » وزاد على « بل » ألفًا ؛ ليحسن السكوت عليها وليعلم أن الكلام قد انقطع ولو وقف على « بل » لانتظر السامع إتيان كلام آخر بعد « بل » فإذا جيء بالألف للوقف علم أنه لا كلام بعد ذلك ؛ إذ الوقف لايكون إلا بعد انقطاع الكلام ، وقد أتى إثبات المحذوف بعد ﴿ بَلَىٰ ﴾ في القرآن وحذفه ، والحذف أكثر كما في قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾ والتقدير: بلى يدخلها غيرهم . وقال بعض الكوفيين : ﴿ بَلَىٰ ﴾ أصلها « بل » لكن زيدت عليها الألف لتدل على الإيجاب في جواب الاستفهام الداخل على النفي ، وفي جواب النفي قبل المنفي في الأصل والألف أحدثت معنى الإيجاب لما قبل ﴿ بَلَىٰ ﴾ ، ومن أجل زيادة الألف جازت فيها الإمالة ، ومن أجل جواز الإمالة فيها جاز أن تكتب بالياء . يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٧٦) وما بعدها بتصرف واختصار ، والتمهيد في علم التجويد (ص ١٩٧) والجامع لأحكام القرآن (ج٢ ص١١) .

(٢) نحو ما روي عن رسول الله أنه قال لأصحابه : « أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ » قالوا : « بلى » . أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٤ ص١٠٦) ، والإمام الترمذي في أبواب التفسير سورة الحج (ج١٢ ص٢٨) وابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب صفة أمة محمد الحديث رقم (٤٢٨٢) ، وسنن ابن ماجه (ج٢ ص١٤٣١) ، وما رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله قال لرجل أراد زيادة بعض أولاده بالإعطاء : « أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء ؟ » قال : « بلى » . أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الهبات باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة وأحمد في مسنده (ج٤ ص٢٦٩ ، ٢٧٠) وسنن ابن ماجه كتاب الهبات باب الرجل ينحل ولده . الحديث رقم (٢٣٧٥ ج٢ ص٧٩٥) ، والنسائي في سننه كتاب النحل (ج٣ ص٢٦٠) .

[الملك: ٨، ٩] . و ﴿ بَلَىٰ ﴾ في هذه الآية قد دلت على إبطال نفي إثبات النذير ، وإذا بطل عدم إثبات النذير ثبت إتيانه ، وعلى هذا يكون قوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾ تصريحًا بما دلت عليه ﴿ بَلَىٰ ﴾ من إبطال النفي السابق [١] .

ب - مواضع ﴿ بَلَىٰ ﴾ في القرآن الكريم والوقف عليها .

وردت ﴿ بَلَىٰ ﴾ في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعًا في ست عشرة سورة **وهي على ثلاثة أقسام :**

القسم الأول : - ما يختار فيه كثير من القراء ، وأهل اللغة الوقف عليها ؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلقة بما بعدها ، وذلك في تسعة مواضع سأذكرها فيما يلي مع بيان علة الوقف عليها في كل آية :

الموضع الأول :

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٠، ٨١] . فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ في الآية الكريمة وقف كاف ؛ لأنها جواب للنفي في قول اليهود : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ وإبطال له على وجه أعم شامل لهم ولسائر الكفرة ، كأنه قال : بلى تمسكم النار أنتم ، وكل من أحاطت به خطيئته أكثر من ذلك ومما يدل على أن الوقف عليها كاف ؛ أن ما بعدها ، وهو قوله : ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ﴾ مستأنف لا محل له من الإعراب سيق تعليلًا لما أفادته ﴿ بَلَىٰ ﴾ من ثبوت مس النار والمعنى :ليس الأمر كما تزعمون أيها اليهود من أن النار لن تمسكم إلا أيامًا معدودة ، بل الحق أنكم ستخلدون فيها ؛ لأن من كسب شركًا مثلكم ، واستولت عليه خطاياه ، وأحاطت به من كل جانب كما يحيط السرادق بمن بداخله ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ وأنتم قد كفرتم بالله ورسله ، فلابد من خلودكم في النار [٢] .

ويرى الأشموني ، وزكريا الأنصاري : (أنه لايجوز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ هنا

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٧٢) ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٨) ، وهامش ضياء السالك لأوضح المسالك (ج٣ ص١٦٥) ، ومعالم الاهتداء (ص١١٠ ، ١١١) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٨١) ، والمكتفى (ص١٦٧) ، ومعالم الاهتداء (ص١١٤) ، وروح المعاني (ج١ ص٣٠٥) وحاشية الجمل (ج١ ص٧٠) والتفسير الوسيط (ج١ ص٢٣٩) .

بحجة أنها ، وما بعدها جواب للنفي السابق قبلها) [(١)] .

وهذا القول : محل نظر ؛ لأننا إذا ما أمعنا النظر في قوله تعالى : ﴿ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ...﴾ لوجدنا أنه جملة شرطية فـ ﴿ مَن ﴾ شرط في محل رفع بالابتداء و ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ﴾ الخبر والفاء جواب الشرط ، وبذلك لا تعلق لها بما قبلها من حيث اللفظ ، بل تعلقها من حيث المعنى وحينئذٍ يصح الوقف عليها وهو وقف كاف كما قرر أكثر أهل العلم .

قال مكي : (وأجاز قوم الابتداء بـ ﴿ بَلَىٰ ﴾ ههنا والوقف عليها أحسن وأقوى ؛ لأنها جواب لما قبلها) [(٢)] .

الموضع الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢] .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وقف كاف ؛ لأنها جواب للنفي في قولهم : ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾ والمعنى : بلى يدخلها غيرهم ، ثم حذف ذلك لدلالة ﴿ بَلَىٰ ﴾ عليه . ويدل على كافية الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ أن مابعدها وهو قوله تعالى : ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ... ﴾ جملة استئنافية لا محل لها من الإعراب في قوة التعليل لما أستفيد من ﴿ بَلَىٰ ﴾ وهو أن غير اليهود والنصارى يدخلون الجنة فكأنه قيل : ليس الأمر كما يزعمه هؤلاء من قصر دخول الجنة عليهم وحرمان غيرهم من دخولها ، وإنما الحق أن كل من استسلم ، وانقاد لأوامر الله ونواهيه فأخلص له نفسه ، ولم يشرك به غيره حال كونه محسنًا في جميع أعماله ، فله ثواب عمله ولا خوف عليهم في الآخرة ولا يعتريهم حزن أو كدر بل هم في نعيم مقيم .

وإذا كانت جملة ﴿ مَنْ أَسْلَمَ ... إلخ ﴾ استئنافية تعليلية كانت مرتبطة بما قبلها معنىً لا لفظًا فيكون الوقف كافيًا كما تقرر [(٣)] .

---

(١) انظر منار الهدى والمقصد على هامشه (ص٤٢) .

(٢) انظر شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٨١) .

(٣) يراجع « شرح كلا وبلى ونعم » (ص٨٢) ، والمكتفى (ص١٧١) ، وفتح القدير (ج١ ص١٣٠) ، وروح المعاني (ج١ ص٣٦٠) .

قال الإمام الزمخشري : (يجوز أن تكون ﴿ بَلَىٰ ﴾ ردًّا لقولهم ، ثم يقع ﴿ مَنْ أَسْلَمَ ... ﴾ كلامًا مبتدأ ، ويكون لفظ ﴿ مَنْ ﴾ متضمنًا لمعنى الشرط وجوابه ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾ ويكون ﴿ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ فاعلًا لفعل محذوف ، أي : بلى يدخلها من أسلم ، ويكون قوله : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ﴾ كلامًا معطوفًا على « يدخلها من أسلم »)[1] .

الموضع الثالث :

في قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١١١ ، ١١٢] .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كافٍ ؛ لأنها جواب لقولهم : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾ وإيجاب لما نفوه ، والمعنى : بلى عليهم في الأميين سبيل ، ويدل على أن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كافٍ أن الكلام قد انقطع دونها ، ثم ابتدأ الله تعالى بقوله : ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ وهذه الجملة الكريمة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مقررة لمعنى الجملة التي سدت ﴿ بَلَىٰ ﴾ مسدها وهذه الجملة الكريمة دلت بمنطوقها على تعظيم شأن الأوفياء المتقين ، والإشادة بذكرهم ، ودلت بمفهومها على ذم المخالف الذي لم يَفِ بالحقوق ويدخل في هؤلاء اليهود دخولًا أوليًا. وعلى هذا تكون جملة ﴿ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ ﴾ مؤكدة بمفهومها معنى الجملة التي قامت ﴿ بَلَىٰ ﴾ مقامها . وحيث كانت جملة ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ ... ﴾ مستأنفة مؤكدة لمضمون ما قبلها كان الارتباط بينها وبين ماقبلها من ناحية السياق لا اللفظ فيكون الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كافيًا[2] .

ويرى الإمام الرازي : بعد ما ذكر وجهًا للزجاج بالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ رأى أن هناك وجهًا آخر وهو الابتداء بـ ﴿ بَلَىٰ ﴾ هنا حيث قال : (إن كلمة بلى تذكر ابتداء لكلام آخر يذكر بعده ؛ وذلك لأن قولهم : « ليس علينا فيما نفعل جناح » قائم مقام قولهم : ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ فذكر الله تعالى : أن أهل الوفاء بالعهد والتقى هم الذين يحبهم الله تعالى لا غيرهم ، وعلى هذا الوجه لا يحسن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾)[3] .

ولكن الرأي الراجح : أنه ينبغي الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وذلك ؛ لأن مابعدها جملة

---

(١) انظر الكشاف (ج١ ص١٧٨) ويراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٨٢) .

(٢) يراجع المكتفى (ص٢٠٤) وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص٨٤) ، والكشاف (ج١ ص٣٧٥) وفتح القدير (ج١ ص٣٥٣) ، وروح المعاني (ج٣ ص٢٠٣) ، وحاشية الجمل (ج١ ص٢٨٩) ، والتمهيد (ص٢٠٠) ، ومعالم الاهتداء (ص١١٧) .

(٣) انظر التفسير الكبير (ج٧ ص٢٧٨) ، يراجع معاني القرآن للزجاج (ج١ ص٢٣٤) .

مستأنفة ، كما هو مقرر قبل .

الموضع الرابع :

في قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ۝ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤، ١٢٥] .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ في الآية الكريمة وقف كافٍ ؛ لأنها جواب لما بعد ﴿ لَن ﴾ وتحقيق له ، تقديره : بلى يكفيكم الإمداد بالملائكة ثم حذف ذلك لدلالة ﴿ بَلَىٰ ﴾ وما بعدها عليه ومما يؤيد أن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كاف أن جملة ﴿ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ ... إلخ ﴾ شرطية حيث إنها صدرت بـ ﴿ أَنْ ﴾ التي للشرط وهي مما يبتدأ بها ؛ لأنها وما بعدها كالابتداء والخبر ومعناه : إن تصبروا على لقاء العدو ومضض الجهاد وتتقوا ربكم بالاجتناب لمعاصيه ، وعدم مخالفته تحقق الإمداد .

ومما تقدم : نجد أن الجملة الشرطية منقطعة عما قبلها لفظًا ؛ ولكنها متصلة بها معنى وذلك هو ضابط الوقف الكافي [١] .

الموضع الخامس :

في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٢٨] .

فالوقف على كلمة ﴿ بَلَىٰ ﴾ في الآية الكريمة وقف كافٍ ؛ وذلك لأنها جواب النفي قبلها ، وهو قول الكفار ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ إذ أن قولهم انتهى عند كلمة ﴿ سُوٓءٍ ﴾ فهي آخر كلام الكفار . و ﴿ بَلَىٰ ﴾ من كلام الله تعالى ، أو من كلام أولي العلم ، أو من كلام الملائكة عند معاينة الموت ومعاناته ، وعلى كل فهي رد على قولهم : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ وإبطال له فيكون عملهم السوء في الدنيا ثابتًا ؛ لأنه إذا نُفي عمل السوء ثبت نقيضه وهو عمل السوء ، وعلى هذا يكون الوقف على ﴿ مِن سُوٓءٍ ﴾ كافيًا ؛ لأنه من كلام الكفار ، وما بعده رد ونفي لقولهم . ويكون الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كافيًا أيضًا ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

---

(١) يراجع « شرح كلا وبلى ونعم » (ص٨٥) ، والتمهيد في علم التجويد (ص٢٠٠) ، والمكتفى (ص٢٠٧) ، والبحر المحيط (ج٣ ص٥٠) ، وإرشاد العقل السليم (ج١ ص٢٦٨) ، وروح المعاني (ج٤ ص٤٤) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص١٩٥) .

مستأنف أتى به تعليلًا لمضمون الجملة التي دلت ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ عليها وقامت مقامها .

والتقدير : بلى أنتم قد عملتم السوء في الدنيا إن الله عليم بالذي كنتم تعملونه فمجازيكم عليه ولاينفعكم هذا الكذب شيئًا ، فهناك ارتباط معنوي بين ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ وبين ماقبلها وما بعدها ، وحينئذٍ يكون الوقف على كل من كلمة ﴿ سُوٓءِۭ ﴾ و ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ كافيًا [١] ، [٢] .

وقال الأخفش وأبو حاتم وأحمد بن جعفر : إن الوقف على كلمة ﴿ سُوٓءِۭ ﴾ ويبتدأ بـ ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ ولكن ليس ذلك اختيار القراء بل الاختيار الوقف على ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ والابتداء بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ كما تقدم ، بل إن هناك دليلًا آخر يقرر الوقف على ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ وهو أن مابعدها ﴿ إِنَّ ﴾ المكسورة وهي مما يكسر في الابتداء ولو تعلقت بما قبلها ولم يكن قولًا أو قسمًا لفتحت فكسرها دليل على الابتداء بها . وعليه فيجوز الوقف على ما قبلها وهي كلمة ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ [٣] .

الموضع السادس :

في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس : ٨١] . فالوقف على كلمة ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ وقف كافٍ ؛ لأنها جواب الاستفهام الداخل على النفي قبلها ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ والمعنى : بلى يقدر على ذلك فـ ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ دلت على إثبات قدرة الله تعالى على أن يخلق مثل السموات والأرض . والسؤال والجواب في الآية الكريمة من جهته ﷻ وبناء على ذلك فالوقف على قوله : ﴿ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ ﴾ وقف كافٍ لتحقق الارتباط المعنوي بين السؤال والجواب دون الارتباط اللفظي .

ومما يدل على أن الوقف على ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ كافٍ أيضًا : أن ما بعدها جملة من مبتدأ وخبر ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ... ﴾ وإن كانت معطوفة على الجملة التي سدت ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ مسدها ، والتقدير : « بلى قادر على ذلك » وهو الخلاق العليم

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩٠) ، والتمهيد في علم التجويد (ص٢٠١) ، وروح المعاني (ج١٤ ص١٢٩) ، وفتح القدير (ج٣ ص١٥٩) ، ويراجع في ذلك أيضًا معالم الاهتداء (ص١٢٢) .

(٢) ويرى الإمام الداني : أن الوقف على ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ في الآية الكريمة تام ، ورجحه النحاس بقوله : لأنه انقضى كلامهم وتم . يراجع المكتفى (ص٣٥٠) والقطع (ص٤٢٧) ولكن الصحيح والراجح : أن الوقف على ﴿ بَلَىٰٓ ﴾ كافٍ ؛ لأن جملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ متصلة معنى كما قرروا ذلك .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩١) .

ومقتضى العطف يمنع الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ ولكن لكونه من عطف الجمل لا من عطف المفردات يسوغ الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كما تقرر . هذا وقد أجاز البعض الابتداء بـ ﴿ بَلَىٰ ﴾ في الآية الكريمة ويبدو - والله أعلم - أنه وجه ضعيف ؛ إذ لا يحسن الابتداء بها هنا ؛ لأنها جواب لما قبلها كما سبق (١) .

الموضع السابع :

في قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ [غافر : ٥٠] . نفت ﴿ بَلَىٰ ﴾ في الآية عدم إتيان الرسل بالبينات ، وأثبتت إتيانهم بها والوقف عليها كاف ؛ لأن ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ جواب الاستفهام الداخل على النفي قبلها ، وهو قول الخزنة : ﴿ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ والمعنى: قالوا بلى أتتنا الرسل بالبينات ، ثم حذف ذلك لدلالة ﴿ بَلَىٰ ﴾ عليه ودليل الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ أن جملة ﴿ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ ﴾ مستأنفة واقعة جوابًا عن سؤال نشأ من الجملة السابقة ، كأنه قيل : لما اعترف أهل النار بإتيان الرسل لهم بالبينات فأجيبوا بقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ ... ﴾ أي : قال لهم الملائكة الذين هم خزنة جهنم على الهزء بهم ﴿ فَٱدۡعُواْ ﴾ أي : إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم ، فإنا لانجترئ على ذلك ، ولا ندعوا لمن كفر بالله ورسله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة .

ثم أخبروهم : بأن دعاءهم لا يفيد شيئًا ولايجدي ، فقالوا : ﴿ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ أي : في ضياع وبطلان وخسارة وتبار . فالارتباط بين الجملتين أي قوله : ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ وبين قوله : ﴿ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ ﴾ معنوي لا لفظي ؛ فلذا كان الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كافيًا (٢) .

الموضع الثامن :

في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الأحقاف : ٣٣] .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وقف كافٍ ؛ لأنها جواب الاستفهام الداخل على النفي

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩٤) ، والمكتفى (ص٤٧٦) ، ومنار الهدى (ص٣٢٢) ، والتمهيد في علم التجويد (ص٢٠٢) ، وروح المعاني (ج٢٣ ص٥٦) ، ومعالم الاهتداء (ص١٢٣) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٩٧) ، والمكتفى (ص٤٩٥) ، والتمهيد في علم التجويد (ص ٢٠٣) ، والبحر المحيط (ج٧ ص٤٧٠) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٥ ص٣٢٢) ، وفتح القدير (ج٤ ص٤٩٥) .

قبلها ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... ﴾ .

والمعنى : بلى يقدر على ذلك ؛ إذ أن ﴿ بَلَىٰ ﴾ تنفي عدم العلم بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى ، فيكون العلم بقدرة الله تعالى على إحياء الموتى ثابتًا ؛ بل وقوع ﴿ بَلَىٰ ﴾ مقرر للقدرة على كل شيء من البعث وغيره . ومما يدل على أن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كاف أيضًا : أن ما بعدها وهو قوله : ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ جملة مصدرة بـ ﴿ إِنَّ ﴾ المكسورة الهمزة ، وهي مما يكسر في الابتداء بل إن هذه الجملة لامحل لها من الإعراب معللة لما أستفيد من ﴿ بَلَىٰ ﴾ وهو تعليل الخاص بالعام ، فكأنه قيل : إحياء الموتى شيء وكل شيء مقدور له فينتج أن إحياء الموتى مقدور له ، ويلزمه أنه تعالى قادر على أن يحيي الموتى [1] .

الموضع التاسع :

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق : ١٤، ١٥] .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وقف كافٍ ؛ لأنها جواب للنفي الواقع قبلها في قوله تعالى : ﴿ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أي : أن لن يرجع بعد موته ، والمعنى : بلى يحور ، أي : بلى يرجع إلى الآخرة . ويدل على أن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كاف ، أن ما بعدها ﴿ إِنَّ ﴾ المكسورة وهي مما يبتدأ بها ، وتكسر في الابتداء ، بل إن الجملة المصدرة بـ ﴿ إِنَّ ﴾ وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب سيقت تعليلًا لما أفادته ﴿ بَلَىٰ ﴾ والمعنى بلى ؛ ليحورن وليرجعن البتة أن ربه الذي خلقه ، وكان بأعماله الموجبة للجزاء بصيرًا بحيث لا تخفى عليه منها خافية ، فلابد أن يرجعه ويجازيه عليها [2] .

قال الزجاج : (كان بصيرًا به قبل أن يخلقه ، عالمًا بأن مرجعه إليه) [3] . وبين الجملة التعليلية ، وبين ما قبلها تعلق في المعنى دون اللفظ ، فيكون الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ كافيًا كما تقرر .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩٨ ، ٩٩) ، والمكتفى (ص٥٢٢) ، والتمهيد في علم التجويد (ص٢٠٣) ، والكشاف (ج٤ ص٣١٣) ، وروح المعاني (ج٢٦ ص٣٤) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص١٣٨) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص١٠٤) ، والمكتفى (ص٦١٤) ، والتمهيد في علم التجويد (ص٢٠٤) ، والكشاف (ج٤ ص٧٢٧) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٢٩٤) ، وروح المعاني (ج٣٠ ص٨١) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٥١٠) .

(٣) انظر معاني القرآن ج٥ ص٣٠٥ .

القسم الثاني : المواضع التي لا يجوز الوقف فيها على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وينحصر هذا القسم في خمسة مواضع سأذكرها فيما يلي مع بيان علة منع الوقف عليها ، وهذه المواضع هي :

الموضع الأول :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٠] .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ هذا لايجوز ؛ لأن القسم متصل بها وهي والقسم جواب الاستفهام الداخل على النفي في قوله : ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ﴾ فجملة ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ من مقول الكفار ؛ إذ لم يقتصروا على قولهم : ﴿ بَلَىٰ ﴾ الدال على اعترافهم بما أنكروه في الدنيا من البعث والحساب والجزاء ؛ بل أكدوا اعترافهم باليمين إظهارًا لكمال يقينهم بحقيقته ، وإيذانا بأن هذا الاعتراف صدر عنهم برغبة ولهفة طمعًا في أن ينفعهم . فنظرًا لعدم جواز فصل بعض المقول عن بعض ولوجوب وصل المقسم به بالمقسم عليه لايجوز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ [(١)] .

الموضع الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ... ﴾ [سبأ : ٣] .

فقوله تعالى : ﴿ قُلْ بَلَىٰ ﴾ رد لكلام منكري البعث ، وإثبات لما نفوه كأنه قيل :ليس الأمر إلا إتيانها ، ثم أعيد إيجابه مؤكدًا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين بالله ، فقال : ﴿ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ فهذا تأكد للإتيان الذي أنكروه وتثبيت له على أتم الوجوه وأكملها . لذا لايجوز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ لعدم جواز الفصل بين المؤكد ، والمؤكد والمقسم ، والمقسم عليه [(٢)] .

الموضع الثالث :

في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣٤] .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٨٧) ، والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٧٤) ، والتمهيد (ص٢٠٠) ، وإرشاد العقل السليم (ج٢ ص٩٢) ، وروح المعاني (ج٧ ص١٣١) ، وحاشية الجمل (ج٢ ص٢١) ، ومعالم الاهتداء (ص١٢٦) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩٢ ، ٩٣) بتصرف ، ومنار الهدى (ص٣١١) ، والكشاف (ج٣ ص٥٦٧) ، وروح المعاني (ج٢٢ ص١٠٥) ، وحاشية الجمل (ج٣ ص٤٥٩) .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ في الآية الكريمة لايجوز ؛ لأن القسم مرتبط بـ ﴿ بَلَىٰ ﴾ كالذي في سورة الأنعام (١) .

قال نافع : (والوقف البالغ على قوله : ﴿ وَرَبِّنَاۚ ﴾ ويبتدىء بالقول مستأنفًا و ﴿ بَلَىٰ ﴾ هنا جواب الاستفهام الداخل على النفي ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ ﴾ (٢) .

الموضع الرابع :

في قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] .

من المقرر : أن ﴿ بَلَىٰ ﴾ تنقض النفي وتبطله وتثبت المنفي وتحققه وهي هنا تنقض النفي ، وهو قوله : ﴿ لَّن يُبْعَثُواْۚ ﴾ وتثبت المنفي وهو البعث فالمعنى : بلى تبعثون ... وقوله : ﴿ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ توكيد لما استفيد من معنى ﴿ بَلَىٰ ﴾ ولا يصح الوقف هنا على ﴿ بَلَىٰ ﴾ لأنه لايسوغ الفصل بين المؤكَّد ، والمؤكد ولا يفصل بعض المقول من بعض ؛ لأن المقول ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ ﴾ (٣) .

الموضع الخامس :

في قوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ٤] .

أوجبت ﴿ بَلَىٰ ﴾ ما بعد النفي وهو الجمع فكأنه قيل : بلى نجمعها و ﴿ قَٰدِرِينَ ﴾ منصوب على الحال من فاعل الفعل المقدر الذي دلت عليه ﴿ بَلَىٰ ﴾ .

والتقدير : بلى نجمعها حال كوننا قادرين على أن نسوي بنانه فالوقف يكون على قوله : ﴿ بَنَانَهُۥ ﴾ ؛ لأن ﴿ عَلَىٰٓ ﴾ وما بعده متصل بـ ﴿ قَٰدِرِينَ ﴾ حال من الضمير المحذوف كما ذكرت ، والضمير متصل بـ ﴿ بَلَىٰ ﴾ وكلاهما جواب النفي الذي تقدم ذكره وهو قوله : ﴿ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ فالكلام مرتبط بعضه ببعض .

والخلاصة : لايجوز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ لعدم صحة الفصل بين الحال وصاحبه وعامله (٤) .

---

(١) يراجع « كلا وبلى ونعم » (ص٩٩) والبرهان (ج١ ص٣٧٤) والتمهيد (ص٢٠٣) .

(٢) انظر شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩٩) .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص١٠١) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٣٥١) ، ومعالم الاهتداء (ص١٢٩ ، ١٣٠) بتصرف .

(٤) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص١٠٣ ، ١٠٤) ، والتمهيد (ص٢٠٤) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٤٤٦) ، وروح المعاني (ج٢٩ ص١٣٧) والكتاب لسيبويه (ج١ ص٣٤٦) .

وأجاز الداني : الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ حيث قال الوقف عليها كاف ، وقيل تام ، ثم يبتدئ : ﴿ قَٰدِرِينَ ﴾ على الحال بمعنى نجمعها قادرين [١] .

ولكني أرى : أن في تعليل الداني نظرًا لأنه إذا كان قوله : ﴿ قَٰدِرِينَ ﴾ منصوبًا على الحال ، فكيف يحسن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ ، والله أعلم بالصواب .

القسم الثالث : المواضع التي يجوز فيها الوقف والوصل والوصل أرجح ، وينحصر هذا القسم في المواضع التالية : [٢] .

الموضع الأول :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ... ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ جائز باعتبار تمام الكلام في الجملة التي قبلها ؛ لأنها جواب عن الاستفهام الداخل على النفي في قوله : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ ﴾ والمعنى : بلى قد علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك .

والأرجح : أن توصل ﴿ بَلَىٰ ﴾ بما بعدها ، أي : لا يُوقف إلا على قوله : ﴿ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ لأن قوله : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ من جملة مقول قول إبراهيم عليه السلام ولا يفصل بعض القول عن بعض .

وذهب بعض العلماء : إلى استواء الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ والوصل ، والوقف على تقدير : إضمار قول آخر لقوله : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ .

والأرجح : الوصل - كما تقدم - لأنه كلما ترك الإضمار كان أحسن [٣] .

الموضع الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

---

(١) انظر المكتفى (ص٥٩٧) .

(٢) حصرها الإمام الزركشي في خمسة مواضع ، ولكن بالتتبع وجدت أنها ثمانية مواضع كما أوردها مكي في كتابه. يراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٧٥) ، وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص٨٧) وما بعدها .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٨٢ ، ٨٣) ، والمكتفى (ص١٩٠) ، ومنار الهدى (ص٦٤) ، والبحر المحيط (ج٢ ص٢٩٨) ، وفتح القدير (ج١ ص٢٨١) .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ في الآية الكريمة مختلف فيه ، وذلك بناء على الاختلاف في قوله تعالى : ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ هل هو من كلام الملائكة ، أو من كلام ذرية آدم ؟ وذلك على قولين :

القول الأول : أنه من كلام الملائكة ، وذلك أن ذرية آدم لما اعترفوا بربوبية الله تعالى قال الله تعالى للملائكة : ﴿ اَشْهَدُواْ ﴾ فقالوا : ﴿ شَهِدْنَا ﴾ أي : على اعتراف بني آدم .

فعلى هذا يحسن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ لأنه تمام كلام بني آدم ، وقوله : ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ... إلخ ﴾ حكاية كلام الملائكة .

القول الثاني : أن قوله : ﴿ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ... ﴾ إلخ من تمام كلام الذرية ؛ لأن قوله : ﴿ أَن تَقُولُواْ ﴾ متعلق بـ ﴿ شَهِدْنَا ﴾ إذ المعنى : شهد بعضنا على بعض كراهية أن تقولوا [1] .

الموضع الثالث :

في قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٣٨] .

اختلف العلماء في جواز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وعدمه في هذه الآية على قولين :

أحدهما : يرى البعض : أن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ جائز ؛ لأنها جواب للنفي الذي قبلها ، وهو قوله تعالى : ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ والمعنى : بلى يبعثهم الله ، ولكن هذه الجملة حذفت لدلالة ﴿ بَلَىٰ ﴾ عليه ، وتكون جملة ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ مستقلة غير متعلقة بما قبلها لفظًا وإن تعلقت معنى .

ثانيهما : ذهب أكثر العلماء : إلى أنه لايجوز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ بل ينبغي وصلها بقوله ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ لأن قوله ﴿ وَعْدًا ﴾ مصدر مؤكد للجملة التي دلت ﴿ بَلَىٰ ﴾ عليها وهو إيجاب بعثهم ، وهذا هو الرأي الراجح ؛ لأنه لايحسن التفريق بين التأكيد والمؤكد . هذا ويرى فريق ثالث : أن الابتداء بـ ﴿ بَلَىٰ ﴾ لأن قوله : ﴿ مَن يَمُوتُ ﴾ انقضاء كلام الكفار ثم يُبتدأ بـ ﴿ بَلَىٰ ﴾ على معنى بلى يبعث الله الرسول ؛ ليبين لهم الذي يختلفون فيه ، ولكن ذلك لايحسن ؛ لأنها جواب لما قبلها [2] .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٨٧ ، ٨٨) ، والمكتفى (ص٢٧٨ ، ٢٧٩) ، والتفسير الكبير (ج١٤ ص٣٤٩) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٧ ص٣١٨) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩١ ، ٩٢) ، والمكتفى (ص٣٥١ ، ٣٥٢) ، ومنار الهدى (ص٢١٥) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٠ ص١٠٥) ، والتفسير الكبير (ج١٨ ص٥٢٥) ، والكشاف (ج٢ ص٦٠٦) .

الموضع الرابع :

في قوله تعالى : ﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٨، ٥٩] . اختلف العلماء في جواز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وعدمه في هذه الآية أيضًا على قولين :

الأول : يرى بعض العلماء : أن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ جائز ، وحجتهم في ذلك : أن ﴿ بَلَىٰ ﴾ جواب للنفي في قوله : ﴿ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٦] على أن ﴿ إِنْ ﴾ بمعنى ﴿ مَآ ﴾ وذلك في مذهب الكوفيين واللام في قوله : ﴿ لَمِنَ ﴾ بمعنى ﴿ إِلَّآ ﴾ والتقدير : وما كنت إلا من الساخرين على معنى بلى كنت من الساخرين . وعلى ذلك يُوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ ويبتدأ بقوله : ﴿ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي ﴾ على طريق التقرير والتوبيخ [١] .

الثاني : ويرى أكثر العلماء أن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ لا يجوز ؛ لأنها لم تسبق بنفي ملفوظ به ، ولأن الفعل المضمر بعدها قد ظهر فهي ، وما بعدها جواب للجملة التي قبلها المصدرة بـ ﴿ لَوْ ﴾ في قوله : ﴿ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ ... ﴾ .

والمعنى : بلى هداك ، فقام قوله : ﴿ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي ﴾ مقام « هداك » لأن إتيان الآيات هدىً لمن هدى الله تعالى ؛ فكأن الكافر قال: لم يتبين لي الأمر في الدنيا ولا هداني ، فرد الله عليه حسرته ، بقوله : بلى قد جاءتك آياتي مرشدة لك فكذبت واستكبرت ، وآثرت الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى [٢] .

وبناء على ذلك : تكون جملة ﴿ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي ﴾ مؤكدة ومقررة للجملة التي دلت عليها وسدت مسدها ﴿ بَلَىٰ ﴾ وعليه فلا يجوز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ حتى لا يفصل بين المؤكِّد والمؤكد ، وهذا القول أقوى لأجل تمكن المعنى .

الموضع الخامس :

في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١] .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩٤) وما بعدها ، ومنار الهدى (ص٣١١) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج٤ ص٣٥٩ ، ٣٦٠) بتصرف ، والكشاف (ج٤ ص١٣٨) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٥ ص٢٧٣) .

(٢) يراجع المصادر السابقة بهامش (٥) (ص٢٥٦) .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ هنا جائز ؛ لأنها جواب عن الاستفهام الداخل على النفي قبلها ، وهو قول الخزنة : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ والمعنى : قالوا بلى قد أتانا الرسل وبلغونا رسالة الله ، وأنذرونا لقاء يومنا هذا . فعلة الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ نظرًا إلى تمام الكلام بالوقف عليها ، إذ إن السؤال قد استوفى جوابه ، وما بعد ﴿ بَلَىٰ ﴾ وهو قوله : ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ ... ﴾ إلخ من قول الملائكة ، ولكن الأرجح والأظهر : أنه من ضمن مقول الكافرين ، ولا يفصل بين بعض القول وبعضه الآخر [1] .

الموضع السادس :

في قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٠] . اختلف العلماء في جواز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وعدمه في هذه الآية على رأيين :

الأول : يرى بعض العلماء : أن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ جائز لأنها جواب لقوله تعالى : ﴿ لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ﴾ والمعنى : بلى نسمعها ونطلع عليها . ويدل على جواز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ عند هؤلاء باعتبار أن الكلام قد أفاد الفائدة المطلوبة ، وأن الجملة بعدها مكونة من مبتدأ وخبر ؛ إذ إن ﴿ رُسُلُنَا ﴾ مبتدأ ، و ﴿ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ الخبر .

الثاني : وهو ما ذهب إليه أكثر أهل العلم : أن الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ غير جائز ، وذلك لأن جملة ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ تحتمل وجهين :

١ - يجوز أن تكون في محل نصب على الحال من فاعل الفعل المقدر الذي دلت عليه كلمة ﴿ بَلَىٰ ﴾ ، والمعنى : نسمع سرهم ونجواهم ، والحال أن رسلنا الذين وكلوا بحفظ أعمالهم يكتبون كل ما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال حال كونهم لديهم ، أي : ملازمين لهم ، لا يفارقونهم ، ولا ينفكون عنهم .

٢ - ويجوز أن تكون جملة ﴿ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ معطوفة على الجملة التي ترجمت عنها ﴿ بَلَىٰ ﴾ ، وهي « نسمع ذلك » ، والمعنى : نحن نسمع سرهم ونجواهم ، والحفظة يحصون عليهم جميع ما يصدر عنهم [2] . وهذا هو الرأي الراجح ؛ لأن كلا الوجهين يقتضي عدم صحة الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ إذ التعلق فيهما لفظيٌّ

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩٦) ، والقطع (ص٦٢٣) ، والمكتفى (ص٤٩٠) ، وروح المعاني (ج٢٤ ص٣٢) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٩٨) ، والمكتفى (ص٥١٠) ، وروح المعاني (ج٢٥ ص١٠٤) ، وفتح القدير (ج٤ ص٥٦٦) ، ومعالم الاهتداء (ص١٣٢ ، ١٣٣) .

ومعنويٌّ وسياق الكلام يقتضي الوصل .

الموضع السابع :

في قوله تعالى : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [الحديد : ١٤] . فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ يجوز عند بعض العلماء ؛ وذلك لأنها جواب الاستفهام الداخل على النفي قبلها ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ والمعنى : ينادي المنافقون المؤمنين حين حُجز بينهم بالسور ، فبقوا في الظلمة والعذاب : ﴿ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ في الدنيا نصلي ونصوم ونناكحكم ونوارثكم .

فقال لهم المؤمنون : بلى كنتم معنا في الظاهر ، ولكنكم عرضتم أنفسكم للفتنة بنفاقكم وتربصتم ، أي : بإيمانكم حتى وافيتم على الكفر ، أو تربصتم بالمؤمنين الدوائر . ولكن الرأي الراجح : هو وصل ﴿ بَلَىٰ ﴾ بما بعدها ؛ لأنها وما بعدها من قول المؤمنين للمنافقين ، ولا فرق بين بعض القول وبعض [١] .

قال الأشموني رحمه الله : (﴿ بَلَىٰ ﴾ ليس بوقف ، وإن وجد مقتضى الوقف ، وهو تقدم الاستفهام على ﴿ بَلَىٰ ﴾ لتكون جوابًا له ، إلا أن الفعل المضمر بعدها قد أبرز فصارت هي ، وما بعدها جوابًا لما قبلها) [٢] .

الموضع الثامن :

في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك : ٨، ٩] .

فالوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ وعدمه في هذه الآية مختلف فيه بين العلماء ، فالبعض يرى : أن الوقف عليها جائز باعتبار أنها جواب عن الاستفهام الداخل على النفي قبلها .

ولكن الرأي الراجح : هو ما عليه أكثر العلماء من عدم جواز الوقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ لأن المضمر بعدها قد ظهر وهو جواب لما قبله ، وأيضًا فإن قوله : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾ كله من قول الكفار ، ولا يفصل بين بعض القول والبعض الآخر [٣] .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص١٠٠) ، والمكتفى (ص٥٥٥) ، ومنار الهدى (ص٣٨٤) ، والبحر المحيط (ج٨ ص٢٢١) ، والسراج المنير (ج٤ ص١٩٩) . (٢) انظر منار الهدى (ص٣٨٤) .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص١٠٢ ، ١٠٣) ، والمكتفى (ص٥٧٩) ، والاقتداء ورقة (٢٨٨) ، ومنار الهدى (ص٣٩٩) .

قال أكثر المفسرين : وبقولهم : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾ جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرًا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدًا لما وقع منهم من التفريط تندمًا واغتمامًا [١] . بعد أن قمت بحصر ﴿ بَلَىٰ ﴾ في القرآن الكريم ، وبيان أقسامها وحكم الوقف عليها أو وصلها بما بعدها مع بيان علل ذلك أريد أن أنوه : بأنه يجوز لقارىء القرآن الكريم أن لا يقف على ﴿ بَلَىٰ ﴾ ولكن يصلها بما بعدها وبما قبلها في المواضع التي يجوز فيها الوقف عليها إلا أن الاختيار ما تقدم من أحكام .

وبذلك يظهر الأسلوب القرآني في أتم معانيه ، كما يزداد جزالة وفخامة ، ويضفي عليه ذلك الفن حسنًا وقوة تأثير .

ثالثًا : الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ والابتداء بها وأثر ذلك على المعنى

أ - معنى ﴿ كَلَّا ﴾ :

اختلف العلماء في معنى ﴿ كَلَّا ﴾ والوقف عليها والابتداء بها على مذاهب سأذكر أشهرها فيما يلي مع مناقشة ما يحتاج إلى المناقشة :

المذهب الأول : ذهب سيبويه ، والخليل ، والمبرد ، والزجاج ، وأكثر البصريين يرون أن ﴿ كَلَّا ﴾ حرف الردع والزجر والرد ، ومثال ذلك : تقول لشخص : فلان يبغضك فيقول كلا . ردعًا لك أي ليس الأمر ، كما تقول فتكون بمعنى ﴿ لَا ﴾ وليس لها عند هؤلاء معنى سوى ذلك ، ولهذا يجيزون الوقف عليها ، والابتداء بما بعدها ؛ لأنها زجر وردع لما قبلها ؛ وأما ما بعدها فهو منقطع عنها . ولذلك لم تقع في القرآن إلا في سورة مكية ؛ لأن التهديد والوعيد أكثر ما نزل بمكة ، ولأن أكثر العتو والتجبر كان بها [٢] .

ويُناقش أصحاب هذا المذهب : بأن هذا المعنى الذي ذكروه لـ ﴿ كَلَّا ﴾ - وهو الردع والزجر - لا يمكن تحققه في بعض آيات القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ كلا إن الإنسان ليطغى ﴿ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ فإن قوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ أول ما نزل من القرآن على

---

(١) يراجع الكشاف (ج٤ ص٥٧٨) ، والسراج المنير (ج٤ ص٣٢٧) ، وروح المعاني (ج٢٩ ص١١) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٢٣ ، ٢٤) ، والبرهان في علوم القرآن (ج٤ ص ٣١٥) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٩٨) والتمهيد (ص١٨٩) .

الإطلاق ثم نزل بعد ذلك قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ... ﴾ [العلق : ١- ٦] إلى آخر الآيات . فحينئذٍ تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ في افتتاح الكلام والردع والزجر تقتضي كلامًا سابقًا يُزجر عليه (١) .

المذهب الثاني : قال الكسائي وتابعوه من الكوفيين : إنها تكون بمعنى ﴿ حقًّا ﴾ وحينئذٍ ، فلا يجوز الوقف عليها ؛ لأنها من تمام ما بعدها (٢) .

قال مكي : (... ولا تستعمل بهذا المعنى عند حذاق النحويين إلا إذا ابتدئ بها ؛ لتأكيد ما بعدها . وقد يبتدأ بها ، ولا يجوز أن تكون بمعنى « حقًّا لعلة ... » (٣) . والعلة التي يقصدها مكي : أنه لا يجوز أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ بمعنى ﴿ حَقًّا ﴾ إذا بدئت الجملة الواقعة بعدها بـ ﴿ إِنَّ ﴾ المكسورة الهمزة ؛ لأنها لا تكسر بعد ﴿ حَقًّا ﴾ ولا بعد ما كان بمعناها مثل ﴿ كَلَّآ ﴾ التي نحن بصدد الحديث عنها . وبذلك لم يستوعب هذا المذهب كل آيات القرآن الواردة ، فمثلًا في قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] لا يصح أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ هنا بمعنى ﴿ حَقًّا ﴾ لكسر همزة ﴿ إِنَّ ﴾ بعدها وجوبًا (٤) .

المذهب الثالث : مذهب أبي حاتم السجستاني : أنها عنده تكون بمعنى ألا الاستفتاحية ؛ فيؤتى بها لاستفتاح الكلام لا غير ، وهي على هذا حرف لاستفتاح الكلام تفيد التنبيه (٥) .

وأريد أن أنوه : بأنه قد يجتمع جواز المعنيين في ﴿ كَلَّآ ﴾ في الابتداء بها ، أي : بمعنى ﴿ حَقًّا ﴾ وبمعنى ﴿ أَلَآ ﴾ الاستفتاحية ، وقد ينفرد أحدهما بها (٦) .

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص ٤٢٥) ، وجمال القراء (ج٢ ص ٦٠٥) ، ومغني اللبيب (ج١ ص ٢٠٦) . وأيضًا لا يمكن تحقق الزجر والردع في قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۞ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [القيامة : ١٩- ٢١] . مغني اللبيب (ج١ ص٢٠٦) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٢٤) ، والبرهان في علوم القرآن (ج٤ ص٣١٥ ، ٣١٦) ، وجمال القراء (ج٢ ٥٩٨) .

(٣) انظر شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٢٥) ويراجع البرهان في علوم القرآن (ج٤ ص ٣١٦) .

(٤) يراجع مغني اللبيب (ج١ ص ٢٠٦) .

(٥) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٢٥) ، والبرهان في علوم القرآن (ج٤ ص ٣١٦) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص ٤٢٣) . وتجدر الإشارة إلى أن أبا حاتم استدل على مذهبه بأن جبريل ﷺ أول شيء نزل به من القرآن خمس آيات من أول سورة العلق مكتوبة في نمط فلقنها النبي ﷺ آية آية ، وتكلم بها النبي ﷺ كما لقنه جبريل ﷺ فلما قال : ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ طوى النمط وهو وقف صحيح ثم نزل بعد ذلك كلا إن الإنسان ليطغى إلى آخر السورة . فدل بذلك على أن الابتداء بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ من طريق الوحي . انظر شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٢٦) ويراجع البرهان في علوم القرآن (ج٤ ص٣١٦) .

(٦) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٢٦) .

المذهب الرابع : مذهب النضر بن شميل ، والفراء ، ومن وافقهما : أنها حرف جواب بمنزلة « إي ونعم » معنىً واستعمالاً ، وحملوا عليه قوله تعالى : ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴾ [المدثر : ٣٢] فقالوا معناه : إي والقمر [(١)] . وهذا القول أيضًا لم يستوعب آي القرآن كلها ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ... ﴾ [المؤمنون : ٩٩، ١٠٠] لو كانت ﴿ كَلَّآ ﴾ بمعنى « إي ونعم » لكانت للوعد بالرجوع إلى الدنيا ؛ لأنها بعد طلب كما يقال : أكرم فلانًا ، فتقول : نعم فكان قولك : نعم وعدًا بالإعطاء و ﴿ كَلَّآ ﴾ في الآية وقعت بعد الطلب وهو ﴿ ٱرْجِعُونِ ﴾ فلو كانت بمعنى ﴿ نِعَمَ ﴾ لكانت وعدًا من اللّٰه تعالى بالرجوع إلى الدنيا ، واللّٰه ﷻ لا يعد أحدًا ما بالرجوع إلى الدنيا ؛ لأن سنته الماضية في عباده التي سبق بها علمه أن أي أحد لا يرجع إلى الدنيا بعد مفارقتها .

لذا فقد اعتبر ابن هشام : مذهب أبي حاتم أولى من مذهبي الكسائي والفراء ، ومن نحا نحوهما [(٢)] . ويؤخذ مما تقدم أن لـ ﴿ كَلَّآ ﴾ أربعة معان لا تخرج في جميع مواردها عنها :

١ - الردع والزجر ، أو النفي في الوقف عليها .

٢ - معنى « حقًا » . ٣ - معنى « ألا » الاستفتاحية .

٤ - معنى « إي ونعم » .

وقد تستعمل في بعض المواضع محتملة معنيين ، أو أكثر من هذه المعاني ، والذي يحدد معناها ، ويكشف المراد منها إنما هو معنى الآية وهدفها ومرماها ، كما يظهر ذلك جليًا عند الكلام عليها في مواضعها من القرآن الكريم إن شاء اللّٰه تعالى .

ب - الوقف على كلا والابتداء بها ، وأثره على المعنى :

وردت كلمة ﴿ كلا ﴾ في القرآن الكريم في ثلاثة وثلاثين موضعًا ، في خمس عشرة سورة كلها في النصف الثاني من الكتاب العزيز ، وليس في النصف الأول منها شيء [(٣)] .

---

(١) يراجع مغني اللبيب (ج١ ص٢٠٦) وما بعدها ، والجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي تحقيق د/ فخرالدين قباوة ، والأستاذ/ محمد نديم فاضل (ص٥٧٧ ، ٥٧٩) ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ط/ ثانية ١٩٨٣م .

(٢) يراجع مغني اللبيب (ج١ ص٢٠٦) وما بعدها ، ومعالم الاهتداء (ص١٤١) بتصرف .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٢٦) ، والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص ٣٦٩) .

ولذلك قال الشيخ عبد العزيز الديريني [١] رحمه الله :

وما نزلت ﴿ كَلَّا ﴾ بيثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

ونظرًا إلى كثرة الآراء التي قيلت في معنى ﴿ كَلَّا ﴾ واختلاف العلماء حولها ، فقد قسمها بعض العلماء إلى أكثر من قسم كما فعل الإمام الزركشي ، فقد قسمها إلى ثلاثة أقسام [٢] وكما فعل الإمام مكي بن أبي طالب ، فقد قسمها إلى أربعة أقسام [٣] . وبنظرة منصفة فقد اخترت ما قسمه مكي لها ؛ وذلك لأهمية دراسته المتكاملة حول ﴿ كَلَّا ﴾ بل إن رأيه هو الرأي المختار وعليه عوّل القراء وبكل حرف فيه قال به جماعة من العلماء وإختاره كثير من القراء ، ولأنه رأى متوسط في القول نتيجة الاجتهاد والتمحيص [٤] . وفيما يلي سأذكر تلك الأقسام الأربعة التي اختارها مكي مبينًا معنى ﴿ كَلَّا ﴾ في كل قسم وحكم الوقف عليها ، والابتداء بها على ضوء معناها :

القسم الأول : ما يحسن الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ على معنى . ويحسن الابتداء بها على معنى آخر وذلك في أحد عشر موضعًا [٥] :

الموضع الأول :

في قوله تعالى : ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾ [مريم: ٧٨، ٧٩] .

---

(١) هو أبو محمد عبد العزيز أحمد بن سعيد بن عبد الله الدميري الشهير بالديريني ، المصري ، أحد فقهاء الشافعية وصاحب الأرجوزة المسماة بالتيسير في علم التفسير ، تزيد على ألف ومائتي بيت ، طبعت بمصر سنة (١٣٠٠ هـ) . توفي رحمه الله سنة (٦٩٤هـ) انظر طبقات السبكي (ج٥ ص٧٥) المطبعة الحسينية .

(٢) قال الإمام الزركشي : كلا في القرآن على ثلاثة أقسام :

أحدها : ما يجوز الوقف والابتداء بها جميعًا باعتبار معنيين .

والثاني : ما لا يوقف عليه ولا يبتدأ به .

والثالث : ما يبتدأ به ، ولا يجوز الوقف عليه . انظر البرهان في علوم القرآن (ج١ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩) .

(٣) انظر شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٦٨) وما بعدها ، ويراجع في ذلك أيضًا البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٧١) وما بعدها .

(٤) فيقول الدكتور أحمد حسن فرحات محقق كتاب شرح « كلا وبلى ونعم » لمكي : يعتبر كتاب مكي من المصادر في هذا الموضوع ، ولقد استفاد منه الذين جاءوا من بعده ، ونرى ذلك عند الذين كتبوا في ﴿ كَلَّا ﴾ أو تعرضوا لها من العلماء والمفسرين والنحويين ، بل إننا نجد عبارات ابن هشام في المغني هي نفس عبارات مكي في كتابه ، كذلك الزركشي ... ويمتاز كتابه عن ﴿ كَلَّا ﴾ بسعته ووضوحه . ويوضح أن مذهبه في « كلا » أليق بمذهب القراء ، وحذاق أهل النظر وما عليه حذاق النحويين وأهل المعاني . انظر شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٨) .

(٥) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٦٨) والبرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٧١) وروح المعاني (ج١٦ ص ١٣١) .

فـ ﴿ كَلَّا ﴾ في الآية الكريمة تحتمل ثلاثة معان :

أحدها : أن تكون حرف ردع وزجر بمعنى « لا » النافية ، أي : نفت ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ كأنه قيل : ليس الأمر كذلك فلم يطلع الكافر على الغيب ، ولم يتخذ عند الله عهدا فليرتدع هذا الكافر عن التفوه بتلك العظيمة التي صدرت منه على سبيل التهكم والاستخفاف وهي قوله : ﴿ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم : ٧٧] . وبهذا تكون جملة ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ... ﴾ إلخ مستأنفة قصد بها تهديد الكافر ووعيده وتسجيل وضبط كل ما يصدر منه ومجازاته عليه . فحينئذٍ فيوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ لتمكن الفائدة وتمام المعنى ويكون وقفًا كافيًا [١] . بينما يرى بعض العلماء : أن الوقف على كلا تام [٢] .

ولكن الذي أميل إليه : أن الوقف كاف [٣] ؛ لأن جملة ﴿ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ... ﴾ منقطعة لفظًا متصلة معنى ، وهذا هو ضابط الوقف الكافي .

ثانيها : أن تكون ﴿ كَلَّا ﴾ بمعنى « حقًّا » ، فلا يوقف عليها حينئذٍ ؛ بل يبتدأ بها لتعلقها بما بعدها ؛ إذ إنها تأكيد لما بعدها والمعنى : حقًّا سنكتب ما يقول .

ثالثها : أن تكون أداة استفتاح وتنبيه بمعنى « ألا » والمقصود منها : التنبيه على أن ما بعدها يجب الاهتمام بشأنه ، والمعنى : ألا سنكتب مايقول . وعلى هذا الوجه يبتدأ بها أيضًا ؛ لأنها استفتاح للكلام والوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ هو الاختيار كما يرى أكثر العلماء .

وعلى الأوجه الثلاثة : يجوز الوقف على قوله : ﴿ عَهْدًا ﴾ لعدم الربط اللفظي بينه وبين ﴿ كَلَّا ﴾ ولكون ﴿ عَهْدًا ﴾ رأس آية ، والوقف عليه كاف أيضًا [٤] .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٢٨) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٢٦) ، والمكتفى (ص٣٧٦) ، والكشاف (ج٣ ص٤٠) ، وإرشاد العقل السليم (ج٣ ص٢٩٢) ، وروح المعاني (ج١٦ ص١٣٠) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١١ ص١٤٦) .

(٢) ومن قال إن الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ تام : نافع ، ومحمد بن عيسى ، وأحمد بن جعفر ، وسهل بن محمد . انظر المكتفى (ص٣٧٦) والاقتداء ورقة (١٨١) .

(٣) أما من قرأ ﴿ كَلًّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ بضم الكاف والتنوين والنصب ، فلا يجوز الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ وهي قراءة شاذة قرأ بها أبو نهيك . يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٢٩) .

(٤) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٢٦) ، وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص٢٨ ، ٢٩) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٩٨ ، ٥٩٩) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٢ ، ١٩٣) .

الموضع الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم : ٨١ ، ٨٢] .

إن ﴿ كَلَّا ﴾ في هذه الآية أيضًا تحتمل ثلاثة معان :

الأول : تأتي ﴿ كَلَّا ﴾ ردع وزجر وانكار لتعززهم بالآلهة ، ورد لذلك الاعتقاد الفاسد ، أي : ليس الأمر كما يظنون ويتوهمون أن تكون المعبودات التي عبدتم من دون اللّه عزًّا لكم ، بل تكون بعكس ذلك فيكونون عليكم ضدًّا . وعلى هذا الوجه يُوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ ويكون وقفًا كافيًا ؛ لأن جملة ﴿ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ... الخ ﴾ مستأنفة لا موضع لها من الإعراب في مقام التعليل لما قبلها . فالتعلق معنويٌّ لا لفظيّ .

الثاني : أن تكون بمعنى « حقًا » والتقدير ، أي : حقًّا سيكفرون بعبادتهم .

الثالث : أن تكون أداة استفتاح وتنبيه بمثابة « ألا » ، والتقدير : ألا سيكفرون بعبادتهم .

وعلى هذا الوجه والذي قبله : لايصح الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ لشدة اتصالها بما بعدها بل يبتدأ بها والوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ في هذا الموضع هو المختار ، وعليه أكثر أهل العلم .

وعلى الأوجه الثلاثة المتقدمة : يجوز الوقف على ﴿ عِزًّا ﴾ لعدم ارتباط ما بعده به من الناحية اللفظية ، وإن كان هناك ارتباط في المعنى (١) .

الموضع الثالث :

في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ... ﴾ [المؤمنون : ٩٩، ١٠٠] .

تأتي ﴿ كَلَّا ﴾ في هذه الآية على معنيين :

الأول : تأتي لتفيد الردع والزجر عن طلب الرجوع إلى الدنيا ؛ بل هي إنكار واستبعاد متضمنة معنى النفي ، أي : ليس الأمر كما يتمنى من أنه يجاب إلى الرجوع إلى الدنيا وعلى هذا المعنى يكون الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ كافيًا ؛ لأن جملة ﴿ إِنَّهَا

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٢٨) ، والمكتفى (ص٢٧٧) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٣) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٩٩) ، وإرشاد العقل السليم (ج٢٩٢) ، وروح المعاني (ج١٦ ص١٣٣) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١١ ص١٤٨) ، وحاشية الجمل (ج٣ ص٧٨) .

كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾ استئنافية لا موضع لها من الإعراب قصد بها تقدير معنى ﴿ كَلَّآ ﴾ من عدم الإجابة أي : أنها كلمة قالها على سبيل التحسر والندم ، لا يجد لها جدوى ، ولا يجاب لما سأل ولا يغاث .

الثاني : أن تكون بمعنى « ألا » لافتتاح الكلام ، والمعنى : ألا إنها كلمة هو قائلها ، وعلى هذا الوجه يجوز الابتداء بها ، ولكن الوقف على كلا أبلغ في المعنى وأتم ، وأما قوله : ﴿ فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ وقف كاف على أي وجه ؛ لأنه من تمام كلام الكافر [1] .

الموضع الرابع :

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [سبأ : ٢٧] .

يرى أكثر العلماء : أن ﴿ كَلَّآ ﴾ في الآية الكريمة لها ثلاثة معان :

الأول : أن تكون بمعنى الردع والزجر ، كأنه قيل : ارتدعوا عن دعوى المشاركة ، فإن الأصنام لا تخلق شيئًا ، ولا ترزق أحدًا ثم يأتي الكلام بعد ﴿ كَلَّآ ﴾ مستأنفًا يبين علة هذا الرد ، فيقول سبحانه : ﴿ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أي : بل المنفرد بالألوهية هو الله العزيز بالقهر والغلبة : الحكيم بالحكمة الباهرة .

وقيل : إنها رد لجوابهم المحذوف ، كأنه قال : ﴿ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ﴾ قالوا : هي الأصنام ، فقال : كلا ليس له شركاء ، بل هو الله العزيز الحكيم . وبذلك نجد ﴿ كَلَّآ ﴾ قوية الدلالة في إبطال مزاعم المشركين وترد عليهم وتثبت ضد ما اعتقدوه على هذا الوجه : يكون الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ كافيًا بل ويجوز الوقف على كلمة ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ أيضًا ؛ لأنه من تمام القول والوقف عليها كاف لعدم تعلق ما بعده به لفظًا ، وإن تعلق معنى فيكون في الآية وقفان متجاوران .

الثاني : أن تكون بمعنى ﴿ أَلَآ ﴾ الاستفتاحية على معنى : ألا بل هو الله العزيز الحكيم .

الثالث : أن تكون بمعنى ﴿ حَقًّا ﴾ على تقدير حقًا بل هو الله العزيز الحكيم . وعلى

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٠ ، ٣١) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٩٩) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٣) ، وعلل الوقوف (ج٢ ص٧٣٢) ، والبحر المحيط (ج٦ ص٤٢١) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٢ ص١٥٠) ، وفتح القدير (ج٣ ص٤٩٨) ، وروح المعاني (ج١٨ ص٦٤) ، ومعالم الاهتداء (ص١٥٢) .

كلا الوجهين يجوز أن يبتدأ بكلمة ﴿ كَلَّآ ﴾ [(١)] . ولكن فضيلة الشيخ محمود خليل الحصري رحمه الله : يرى منع الوجهين الثاني ، والثالث ؛ إذ يقول في كتابه - معالم الاهتداء : (ولا يصح أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ في الآية بمعنى ألا التنبيهية ؛ لأنه لم يعهد في فصيح الأساليب ، وبليغ التراكيب اقتران ألا التي للتنبيه بـ « بل » كما لا يصح أن تكون بمعنى ﴿ حَقًّا ﴾ لما يترتب عليه من ركاكة العبارة ، وتهافت الأسلوب إذا وقفت على ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ وابتدأت بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ ووصلتها بما بعدها ومن فساد المعنى إذا وصلت ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ ووصلتها بما بعدها ، ومن فساد المعنى إذا وصلت ﴿ شُرَكَآءَ ﴾ بـ « بكلا » إذ يصير مفاد الآية أن إلحاقهم الشركاء بالله تعالى حق ثابت . وهذا معنى بين الفساد واضح البطلان) [(٢)] .

والذي أميل إليه : أنه لا بأس بإيراد ﴿ كَلَّآ ﴾ بمعنى ﴿ أَلَآ ﴾ الاستفتاحية ، ويجوز الابتداء بها وإن وقع بعدها ﴿ بَلْ ﴾ التي تفيد الإضراب الإبطالي ، وذلك قياسًا على قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦] . فإن همزة ﴿ إِنَّ ﴾ تكسر في ابتداء الكلام ومع ذلك أتت ﴿ كَلَّآ ﴾ قبلها وهي بمعنى ﴿ أَلَآ ﴾ الاستفتاحية ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] . فإن ﴿ أَلَآ ﴾ مع أنها استفتاحية فقد وقع بعدها ﴿ إِنَّ ﴾ مكسورة الهمزة ، وهي مما يبتدأ بها . وأيضًا لا بأس بإيراد ﴿ كَلَّآ ﴾ هنا بمعنى ﴿ حَقًّا ﴾ إذ إنها ليست تحقيقًا لما قبلها ؛ بل هي تحقيق لقوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

الموضع الخامس :

في قوله تعالى : ﴿ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴾ [المعارج : ١١- ١٥] .

تأتي ﴿ كَلَّآ ﴾ في الآية الكريمة على معنيين :

أحدهما : أن تكون بمعنى الردع والزجر ، أي : ردع المجرم وزجره عن تلك الودادة ، وتصريح بامتناع الإنجاء ، وتنبيه على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ، بل

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٥) ، والقطع (ص ٥٨٤) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٠) ، ومنار الهدى (ص٣١٣) ، ومقالة كلا لابن فارس تعليق عبد العزيز الميمني (ص١٢) المطبعة السلفية ، والجامع في أحكام القرآن (ج١٤ ص٣٠٠) ، وفتح القدير (ج٤ ص٣٢٦) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٥ ص٢٣٩) بتصرف .

(٢) انظر معالم الاهتداء (ص١٥٥) .

لا يرجع أحد من هؤلاء المجرمين فانتبهوا [(١)] .

يقول ابن فارس : ﴿ كَلَّآ ﴾ رد لقوله : ﴿ ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾ ، أو رد لقوله : ﴿ لَوْ يَفْتَدِى ﴾ [(٢)] .

وعلى هذا الوجه : يجوز الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ ويكون وقفًا كافيًا لاستئناف الجملة بعدها والوقف على ﴿ يُنجِيهِ ﴾ كاف أيضًا ؛ لأنه آخر متمنيات المجرم ، ولانتفاء التعلق اللفظي .

الثاني : أن تكون أداة تنبيه بمعنى « ألا » والتقدير : ألا إنها لظى ، وعلى هذا الوجه يجوز الابتداء بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ لافتتاح الكلام بها .

ولا يجوز أن تكون بمعنى « حقًا » لكسر همزة ﴿ إِنَّ ﴾ بعدها [(٣)] .

الموضع السادس :

في قوله تعالى : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [المعارج : ٣٨، ٣٩] .

تأتي ﴿ كَلَّآ ﴾ في الآية الكريمة على معنيين أيضًا :

أحدهما : أن تكون للردع والزجر ، أي : ردع وزجر الذين كفروا عن طمعهم في دخول الجنة [(٤)] .

يقول ابن فارس : ثم تأتي ﴿ كَلَّآ ﴾ ردعًا لهم عن ذلك الطمع الفاسد ، وذلك من وجهين :

الوجه الأول : أنهم ينكرون البعث ، فمن أين لهم هذا الطمع .

الوجه الثاني : أنهم لم يعدوا لها زادًا من الإيمان والعمل الصالح ، فمن حكم الله في بني آدم أن لا يدخل أحد منهم الجنة إلا بالإيمان والعمل الصالح ، فلم يطمع كل امرئ منهم ليس بمؤمن ولا صالح أن يدخل الجنة ، ولا يدخلها إلا مؤمن صالح العمل [(٥)] .

---

(١) شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٦) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٠) ، ومنار الهدى (ص٤٠٤) ، والكشاف (ج٤ ص٦١٠) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج٥ ص٢٢١) وفتح القدير (ج٥ ص٢٩١) .

(٢) انظر مقالة كلا ، وما جاء منها في كتاب الله ، لابن فارس تعليق عبدالعزيز الميمني الراجكوتي (ص١١) المطبعة السلفية .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٦) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٠) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٤) ، ومعالم الاهتداء (ص١٥٧) .

(٤) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٢٨) وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٧) ، وعلل الوقوف (ج٣ ص١٠٥٠) ، والكشاف (ج٤ ص٦١٤) ، وروح المعاني (ج٢٩ ص٦٥) .

(٥) انظر مقالة كلا (ص١١) .

وبناء على ما تقدم : يجوز الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ ويكون وقفًا كافيًا ؛ لأن جملة ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ مستأنفة سيقت تعليلًا للردع عن الطمع في دخول الجنة ، بل ولنفي طمعهم في دخولها .

والوقف على ﴿ نَعِيمٍ ﴾ كافٍ أيضًا ؛ لتحقق التعلق المعنويِّ ، وانتفاء التعلق اللفظيِّ .

وثانيهما : أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ استفتاحية على معنى : ألا إنا خلقناهم ، على جعلها افتتاح كلام ، وتنبيهًا على قدرة الله ﷻ ... وعلى هذا الوجه يجوز الابتداء بها [١] .

الموضع السابع :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾[المدثر : ١٥، ١٦] .

لـ ﴿ كَلَّآ ﴾ في الآية الكريمة معنيان :

الأول : تأتي إبطالًا لذلك الطمع الفاسد ، وردعًا متضمنًا نفي الزيادة . والآية الكريمة نزلت في الوليد بن المغيرة ، كان له ثلاثة عشر ولدًا كلهم ذو بيت ، فلما نزلت ﴿ كَلَّآ ﴾ - في قصته - لم يزل في إدبار من الدنيا في نفسه وماله وولده حتى هلك فـ ﴿ كَلَّآ ﴾ هنا قطع للرجاء عما كان فيه من الزيادة فحينئذٍ يتم الكلام ويحسن الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ ويكون وقفًا كافيًا ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ جملة استئنافية سيقت لتعليل الردع ؛ كأن قائلًا قال : لم لا يزاد فقيل : إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد .

الثاني : روى بعضهم أن ﴿ كَلَّآ ﴾ نزلت بعد قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ فهذا التأويل يُحسِّن الابتداء بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى : ألا إنه ﴿ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ أي : معاندًا للنبي ﷺ وما جاء به [٢] .

وأورد الإمام القرطبي : في ﴿ كَلَّآ ﴾ وجهًا ثالثًا أنها بمعنى ﴿ حَقًّا ﴾ [٣] . ولكن لا يحسن أن يبتدأ بها على معنى ﴿ حَقًّا ﴾ لأنه يلزم أن تفتح همزة ﴿ إِنَّ ﴾ بعدها ، وذلك لم يقرأ به أحد [٤] .

---

(١) يراجع شرح كلا وبلى ونعم (ص٣٧) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٠) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٤) ، والكشاف (ج٤ ص٦١٤) ، وروح المعاني (ج٢٩ ص٦٥) ، ومعالم الاهتداء (ص١٥٧) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٨) ، وجمال القراء (ص٦٠٠) ، والقطع (ص٧٤٩) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٥) ، والكشاف (ج٤ ص٦٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٧٢ ، ٧٣) ، وروح المعاني (ج٢٩ ص١٢٢) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٧٢) .

(٤) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٨) .

الموضع الثامن :

في قوله تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [المدثر: ٥٢، ٥٣] .

ويرى كثير من العلماء : أن لـ ﴿ كَلَّا ﴾ ثلاثة أوجه :

الأول : أن تكون للردع والزجر ، أي : ردع الكافرين وزجرهم عن هذا العناد ، أي : لا يؤتى ذلك ، أو لا يؤمنون بالصحف لو أتتهم .

قال العلامة الألوسي : (﴿ كَلَّا ﴾ ردع لهم عن إرادتهم تلك ، وزجر لهم عن اقتراح الآيات) (١) . أي : لا يكون لهم ذلك ، ولا يتحقق مرادهم . وبناء على ما تقدم : فإنه يُوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ والوقف عليها كافٍ ؛ وعلة الكفاية أن الحق سبحانه استأنف الكلام بعدها قائلًا : ﴿ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ وهذه الجملة الكريمة صُدرت بـ ﴿ بَلْ ﴾ الدالة على الإضراب الانتقالي لبيان سبب هذا التعنت والاقتراح ، أي : أنهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآية بعد قيام الأدلة ؛ لأنه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة النبوة ، فطلب الزيادة إنما هو تعنت ، فإعراض هؤلاء المشركين ليس لامتناع إيتاء الصحف ؛ بل بعدم خوفهم من الآخرة (٢) (٣) .

والثاني : بمعنى « حقًا » والتقدير : حقًا بل لا يخافون الآخرة .

والثالث : بمعنى « ألا » أي : ألا بل لا يخافون الآخرة . وعلى كلا الوجهين يجوز الابتداء بـ ﴿ كَلَّا ﴾ ولكن الوقف عليها أحسن (٤) .

الموضع التاسع :

في قوله تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٣، ١٤] .

---

(١) انظر روح المعاني (ج٢٩ ص١٣٤) .

(٢) أي كلا ليس الأمر كما أرادوا وزعموا ، بل الحق أن هؤلاء القوم لا يخافون الآخرة وما فيها من حساب وجزاء ؛ لأنه لو كانوا يخافون لما اقترحوا تلك المقترحات السخيفة المتعنتة . يراجع التفسير الوسيط (ج١٥ ص٢٦١) .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤١) ، والقطع (ص٧٥٠) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠١) ، والكشاف (ج٤ ص٦٥٦) ، وإرشاد العقل السليم (ج٥ ص٧٩٤) ، والبحر المحيط (ج٨ ص٣٨١) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٤٤٤ ، ٤٤٥) .

(٤) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤١) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠١) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٥) ، والقطع (ص٧٥٠) .

وفي الآية الكريمة تأتي ﴿ كَلَّآ ﴾ على ثلاثة أوجه :

الأول : أن تكون للردع والزجر ، أي : ردع وزجر المعتدي الأثيم وتكذيب له ؛ فهي متضمنة نفي ما زعم من أن القرآن أساطير الأولين ، فالمعنى : ليس الأمر كما قال .

وعلى هذا الوجه : يُوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ ويبتدأ بما بعدها ؛ إذ إن ما بعدها إضراب انتقالي ؛ لبيان سبب هذا الزعم والافتراء .

والمعنى : ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقولات الباطلة ، بل ركب على قلوبهم ، وغلب عليها ما استمروا على اكتسابه من الكفر والمعاصي ؛ حتى صار كالصدأ في المرآة ؛ فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق فلذلك قالوا ما قالوا .

الثاني : أن تكون بمعنى « ألا » على تقدير : ألا بل ران .

الثالث : أن تكون بمعنى « حقًّا » [1] .

قال الإمام مكي : (وكونها بمعنى « حقًّا » أحسن ؛ ليؤكد كون غلبة الذنوب والمعاصي على قلوبهم) [2] .

وعلى كلا الوجهين : يجوز الوقف على ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ والابتداء بـ ﴿ كَلَّاۖ بَلْ ... ﴾ إلخ .

الموضع العاشر :

في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ۝ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [الفجر: ١٦، ١٧] .

يرى العلماء : أن لـ ﴿ كَلَّآ ﴾ في هذه الآية ثلاثة معان :

أحدهما : أن تكون حرف ردع وزجر ورد لما قال الإنسان ؛ إذ قد إدعى أن تضييق الله ﷻ عليه في رزقه إهانة له من الله .

فالمعنى : ليس الأمر على ما قال الإنسان من أن الإكرام بالغنى ، والإهانة بالفقر ، وإنما هو بالطاعة والمعصية ، وكأن الله تعالى يقول : كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنت بقلتها إنما أكرم من أكرمت بطاعتي ، وأهين من أهنت بمعصيتي ، ويأتي ما بعد ﴿ كَلَّآ ﴾ وهو قوله تعالى : ﴿ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ... ﴾

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٥) ، والمكتفى (ص٦١٣) ، والقطع (ص٧٦٨) ، وجامع البيان (ج٣٠ ص٦٢) وما بعدها ، والكشاف (ج٤ ص٧٢١) ، وإرشاد العقل السليم (ج٥ ص٨٤٧) ، وروح المعاني (ج٣٠ ص٧٢) .

(٢) انظر شرح « بلى ونعم » (ص٥٥) .

إضراب انتقالي من قبيح إلى أقبح للترقي في ذمهم . والمعنى : بل فعلهم أسوأ من قولهم ، أي : بل هناك شر من هذا القول ، وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال ، فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ، ويجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم .

وبهذا المعنى : يوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ ويُبتدأ بما بعدها ، وبذلك يتحقق المعنى المراد من الآية [١] .

الثاني : أن تكون بمعنى « حقًا » أي : حقًا بل لا تكرمون اليتيم .

الثالث : أن تكون بمعنى « ألا » أي : ألا بل لا تكرمون اليتيم .

وعلى كلا الوجهين : يُوقف على ﴿ أَهَٰنَنِ ﴾ ويبتدأ بـ ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴾ [٢] .

الموضع الحادي عشر :

في قوله تعالى : ﴿ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ﴾ [الهمزة : ٣، ٤] .

فـ ﴿ كَلَّا ﴾ في الآية الكريمة تحتمل ثلاثة معان :

أحدها : أن تكون للردع والزجر ، أي : ردع الإنسان عن ذلك الحسبان الباطل من جمع المال وحبه المفرط له ، والمعنى : ليس الأمر كما ظن أن ماله يخلده في الدنيا [٣] .

قال الإمام القرطبي : (﴿ كَلَّا ﴾ رد لما توهمه الكافر ، أي : لا يخلد ولا يبقى له مال) [٤] . وعلى هذا الوجه : يوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ وقفًا كافيًا ؛ لأن قوله : ﴿ لَيُنۢبَذَنَّ ﴾ جواب قسم مقدر ، والجملة مستأنفة مبينة علة الرد والمعنى : والله لينبذن ، أي : ليطرحن وليلقين في النار التي من شأنها أن تحطم كل من يلقى فيها جزاء أعماله وأفعاله السيئة والتي من جملتها جمع المال .

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٣١) ، وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٨) ، والمكتفى (ص٦١٩) ، والقطع (ص٧٧٦) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٤) ، ومعاني القرآن للفراء (ج٣ ص٢٦١) ، والكشاف (ج٤ ص٧٥٠ ؛ ٧٥١) ، والبحر المحيط (ج٨ ص٤٧١) ، وإرشاد العقل السليم (ج٥ ص٨٧٠) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٧ ص٢٠٠ ، ٢٠٥) بتصرف .

(٢) شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٢٥٨) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٣١) .

(٣) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٣٢٤) ، والمكتفى (ص٦٢٨) ، وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص٢٦٦) ، والقطع (ص٧٨٤) ، والكشاف (ج٤ ص٧٩٦) ، وروح المعاني ، (ج٣٠ ص٢٣١) والجامع لأحكام القرآن (ج٢٠ ص١٨٤) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٧ ص٢٤١) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٥٨٥) .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٢٠ ص١٨٤) .

ثانيها : أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ بمعنى : « حقًّا » أي : حقًّا لينبذن في الحطمة .

ثالثها : أن تكون بمعنى « ألا » أي : ألا لينبذن في الحطمة .

وعلى الوجهين : يجوز الوقف على ﴿ أَخْلَدَهُۥ ﴾ والابتداء بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ هذه هي المواضع التي يحسن الوقف فيها على ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى الردع والزجر ، وكذلك يجوز الابتداء فيها بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى « حقًّا » لجعلها تأكيدًا للكلام الذي بعدها أو على معنى الاستفتاح .

إلا أن الرأي المختار : في هذه المواضع هو الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى الردع والزجر ؛ إذ أنها تكون ردًّا لقضايا خاطئة يستحق أصحابها عليها الردع والزجر ، ثم تثبت الضد مع بيان السبب والعلة فيما يأتي بعدها من كلام مستأنف استئنافًا بيانيًّا حيث يكون جوابًا عن سؤال أثارته ﴿ كَلَّآ ﴾ بما تحمله من معاني الردع والرد والزجر [١] .

القسم الثاني : ما لا يحسن الوقف فيه على ﴿ كَلَّآ ﴾ ويحسن الابتداء بها ، وينحصر هذا القسم في ثمانية عشر موضعًا سأذكرها فيما يلي مرتبة حسب سور القرآن الكريم .

الموضع الأول :

في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ۝ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴾ [المدثر: ٣١، ٣٢] .

فـ ﴿ كَلَّآ ﴾ في هذه الآية لا يحسن الوقف عليها ؛ لأنه إن وُقف عليها صارت ردًّا لما قبلها وما قبلها لا يرد ولا ينكر والابتداء بها حسن على معنى « حقًّا » أو « ألا » أو إي حقًّا ما أقول والقمر [٢] .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : كلا صلة للقسم ، والتقدير : إي والقمر ، وقيل المعنى : حقًّا والقمر فلا يُوقف على هذين التقديرين على ﴿ كَلَّآ ﴾ [٣] . وقد أجاز قوم الوقف هنا على ﴿ كَلَّآ ﴾ وجعلوها ردًّا للذين أزعموا أنهم يقاومون خزنة جهنم ، أي ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يقاوم خزنة النار . وممن جنح إلى هذا

---

(١) تراجع مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود والعدد التاسع (١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) كلا ومقاماتها القرآنية - نظرة بلاغية - للأستاذ الدكتور . رفعت إسماعيل السوداني . (ص ١٢٦) بتصرف . مطابع الشناوي بطنطا ، وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٦٨) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٩) ، والمكتفى (ص٥٩٥) ، والقطع (ص٧٥٠) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٠) ، وروح المعاني (ج٢٩ ص١٣٠) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٨٤) .

الرأي الإمام الطبري [١] .

أقول : وجواز الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ بعيد من وجهين :

أحدهما : أن ذلك لا يسوغ في حق الله تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر ، ثم ينكر أن تكون لهم ذكرى .

الثاني : أن ما قالوه لم يتضمنه معنى لفظ الآية صراحة ؛ إذ إن ﴿ كَلَّا ﴾ التي للردع والزجر ، لا بد أن يتقدمها صراحة مايردع ، عليه إلا أن يقال : إن أسباب النزول تعتبر ، وإن لم يتضمنها الكلام صراحة [٢] .

قال ابن هشام : (وقول الطبري وجماعة : إنه لما نزل عدد خزنة جهنم ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [المدثر : ٣٠] قال بعضهم : اكفوني اثنين ، وأنا أكفيكم سبعة عشر فنزل ﴿ كَلَّا ﴾ زجرًا له قول متعسف ؛ لأن الآية لم تتضمن ذلك) [٣] .

الموضع الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴾ [المدثر : ٥٤] .

فالوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ لا يجوز ؛ لأنه بالوقف عليها تنفي ما حكى الله عنهم من أنهم لا يخافون الآخرة ، فإن جعلت للنفي والإنكار ، أي : إنكار عدم خوفهم الآخرة ، كأنه قيل : أنكر عليكم جحودكم الآخرة ؛ لأن هذا الجحود هو الذي سلبكم الخوف منها . وتكون بذلك النفى تأكيدًا لـ ﴿ كَلَّا ﴾ الأولى جاز الوقف عليها عند بعض العلماء ؛ إذ يجعلونها ردًّا وتأكيدًا لـ ﴿ كَلَّا ﴾ الأولى فتنفي ما نفته الأولى ، والمراد بـ ﴿ كَلَّا ﴾ الأولى التي في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [المدثر : ٥٣] . ولكن هذا الوجه بعيد ؛ لأن التأكيد لا يفرق بينه وبين المؤكد فضلًا عن أنهم قد أجازوا الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ الأولى ، فكيف يجوز الوقف عليها ، والثانية عندهم تأكيد لها ! فيفرقون بين المؤكد وتوكيده . إذا فلا يحسن الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ عند أكثر القراء وحذاق أهل النظر . ويجوز الابتداء بها على معنى « ألا » الاستفتاحية أي : ألا إنه تذكرة ولا يجوز الابتداء على معنى « حقًّا » إنه تذكرة ؛ لأنه يلزم فتح همزة ﴿ إِنَّهُ ﴾ ولا يجوز

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٩) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٠) ، وجامع البيان (ج٢٩ ص١٦٢) ، والجامع لأحكام القرآن السابق .

(٢) يراجع البحر المحيط (ج٨ ص٣٧٨) ، ومعالم الاهتداء (ص١٥٩) .

(٣) انظر مغني اللبيب (ج١ ص٢٠٧) .

فتحها ؛ إذ لم يقرأ بها أحد (١) . علمًا بأن الإمام القرطبي : أورد في تفسيره أن ﴿ كَلَّا ﴾ في هذه الآية بمعنى « حقًّا » (٢) ولكن لا يجوز أن تكون بمعنى « حقًّا » لورود كسر همزة ﴿ إِنَّهُ ﴾ بعدها .

الموضع الثالث :

في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ [القيامة : ١٠ ، ١١] .

فالوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ لا يحسن ؛ لأن الوقف عليها ينفي ما حكى الله تعالى من قول الإنسان أين المفر ... ؟

ويرى بعض العلماء : أن الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ هنا جائز ، على معنى أنها رد عن طلب المفر وتمنيه ، فيكون التقدير : لا ملجأ ولا حصن ولا منجى لهم في ذلك اليوم غيره ﷻ ثم يبتدأ بقوله : ﴿ لَا وَزَرَ ... ﴾ بتكرير المعنى للتأكيد . ولكن القول بعدم الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ أجود ؛ لأن معنى الرد والنفي قد تضمنه قوله تعالى : ﴿ لَا وَزَرَ ﴾ فالوقف الحسن يكون على قوله : ﴿ لَا وَزَرَ ﴾ وليس على ﴿ كَلَّا ﴾ هذا ويحسن الابتداء بـ ﴿ كَلَّا ﴾ على معنى « ألا » أو على معنى « حقًّا » (٣) .

ولكن هناك اختلاف بين العلماء في معناها :

فالبعض يرى : أنها بمعنى « حقًّا » على أن ﴿ كَلَّا ﴾ تحقيق لما بعدها ، وتأكيد لحقيقة عدم الملجأ يوم القيامة (٤) .

قال الإمام مكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (وكونها بمعنى « حقًّا » أمكن وأبلغ في المعنى ؛ لأنها تكون تأكيدًا لعدم الملجأ من الله يوم القيامة) .

والبعض الآخر : يرى أن ﴿ كَلَّا ﴾ هنا بمعنى « ألا » وممن ذهب إليه علم الدين السخاوي حيث قال (أن الابتداء بـ ﴿ كلا ﴾ على معنى « ألا » في هذا الموضع مليح ؛ لأنها لو كانت بمعنى « حقًّا » لجاز أن تقع بعد ما هي توكيد له ويوقف عليها حينئذ وكونها بمعنى « حقًّا » هو عندي أضعف الوجوه) (٥) .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤١ ، ٤٢) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠١) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٥) ، والسراج المنير (ج٤ ص٤١٩) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٩٠) ، وينظر فتح التقدير أيضًا (ج٥ ص٣٣٣) .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤٣ ، ٤٤) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٢٨) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠١) ، ومنار الهدى (ص٤١١) ، والبحر المحيط (ج٨ ص٣٨٦) ، وروح المعاني (ج٢٩ ص١٤٠) .

(٤) انظر شرح كلا وبلى ونعم (ص٤٤) .

(٥) انظر جمال القراء (ج٢ ص٦٠٢) .

الموضع الرابع :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ [القيامة : ١٩، ٢٠] .

فلا يحسن الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ في هذه الآية الكريمة ؛ لأنه إذا وقف عليها كانت نفيًا لما تضمنه الله من بيان كتابه . والابتداء بـ ﴿ كَلَّا ﴾ هو الرأي المختار ، وذلك على معنى « حقًا » أو على معنى « ألا » وكونها بمعنى « حقًا » هنا أحسن ؛ ليؤكد بها ما أخبر الله عباده من محبتهم الدنيا وزهدهم في الآخرة ، وذلك صحيح في كل الخلق إلا من عصمه الله تعالى [١] .

قال الإمام الرازي : (وقال سائر المفسرين ﴿ كَلَّا ﴾ معناه « حقًا » ﴿ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ وتذرون الآخرة والمعنى : أنهم يحبون الدنيا ويعملون لها ويتركون الآخرة ويعرضون عنها) [٢] .

وبذلك يتضح : أن ﴿ كَلَّا ﴾ تحقيق لما بعدها من أن ما عليه البشر من العجلة وحب التسرع في الوصول إلىأغراضهم خلق شامل لجميع الأفراد حتى من كان منهم في أعلى درجات الكمال وأعظم مراتب العصمة وهو رسول الله ﷺ عندما كان يتعجل في طلب العلم والهدى خشية أن يتفلت منه شيء فصدرت الآية بـ ﴿ كَلَّا ﴾ لتحقيق حب التسرع والعجلة [٣] .

الموضع الخامس :

في قوله تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ [القيامة : ٢٤- ٢٦] .

فالوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ هنا لا يحسن ؛ لأننا بالوقف عليها ننفي ما حكى الله تعالى لنا من أن الكفار يوم القيامة وجوههم عابسة ، وقد أيقنوا بوقوع العذاب ، وذلك حق لا يجوز نفيه [٤] .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤٤ ، ٤٥) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٢) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٢٩) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٥) .

(٢) انظر التفسير الكبير (ج٣١ ص٣٣) .

(٣) يراجع روح المعاني (ج٢٩ ص١٤٢) وتفسير جزء تبارك للشيخ : عبد القادر المغربي (ص١١٠) كتاب الشعب ومجلة اللغة العربية بإيتاي البارود - كلا ومقاماتها القرآنية (ص١٣٧) .

(٤) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤٥ ، ٤٦) وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٢) ، والتمهيد في علم التجويد (ص١٩٥) .

ويرى الإمام الطبري : (أن ﴿ كَلَّآ ﴾ هنا للنفي على معنى ليس الأمر كما يظن هؤلاء المشركين من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربهم ، بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها) [١] .

وعلى هذا التأويل يوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ ويبتدأ بقوله : ﴿ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴾ [٢] .

والذي أميل إليه : أن الوقف على كلا غير حسن ؛ وذلك لأن النفي الذي قدره الإمام الطبري ليس بموجود في الآية ، وعليه فيحسن الابتداء بها على معنى « ألا » إذا بلغت التراقي أو « حقًّا » إذا بلغت التراقي . والأفضل : أن تكون بمعنى « حقًّا » إذ أنها حققت قضية خطيرة ، وأكدتها ورفعت عنها ما يحتمل التجوز تلك القضية ما يعانيه المحتضر من الشدائد عند الموت ، بل وتحقق حاله أهله وذويه عند مشاهدة الاحتضار وخروج الروح [٣] .

الموضع السادس :

في قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ١- ٤] .

يرى كثير من العلماء : أنه لا يحسن الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ في الآية الكريمة ؛ لأن الوقف عليها ينفي ما حكى الله لنا من اختلافهم في النبأ العظيم - وهو القرآن الكريم - وذلك لا ينفي ؛ لأنه قد كان . وأجاز نصير : الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ وقدر للوقف تقديرين :

أحدهما :أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ نفيًا لإنكارهم البعث الدال عليه معنى الآية .

ثانيهما : أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ ردًّا لتحقق الاختلاف أي ردع الكفار ، وزجرهم على ما صدر منهم من الاختلاف في أمر البعث والنشور ، أو من التساؤل عنهما على سبيل الاستخفاف والتهكم .

ورد الإمام مكي رحمه الله : كون جعلها نفيًا لما تضمنه تأويل الآية من نفي المشركين

---

(١) انظر جامع البيان (ج٢٩ ص١٩٤) .

(٢) التراقي : جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر ، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشرجة . انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص١١١) .

(٣) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٢٩) ، وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤٦) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٧ ص١٥٥) ، والتفسير الكبير (ج٣١ ص٤١) ، وتفسير جزء تبارك ، للشيخ عبد القادر المغربي (ص١١٢ ، ١١٣) .

للبعث فقال ما نصه : (ذلك بعيد ؛ لأنه لفظ لما يتضمنه معنى الآية ، إنما تكون ﴿ كَلَّا ﴾ نفيًا لما هو موجود في لفظ النص . وفي الوقف عليها اشكال ؛ لأنه لايعلم ما نفت ألفظ الآية أم ما تضمنه اللفظ من التأويل فلا يحسن الوقف عليها في هذا الموضع) [1] .

الموضع السابع :

في قوله تعالى : ﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ [عبس: ١٠، ١١] .

فإن الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ في هذه الآية مختلف فيه :

فيرى كثير من العلماء : أن الوقف عليها لا يحسن ؛ لأن الوقف عليها ينفي ما حكى الله تعالى من أمر النبي ﷺ مع ابن أم مكتوم .

وذهب بعض العلماء : إلى جواز الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ على معنى النفي ، أي : ما الأمر كما تفعل مع الفريقين ، أي : لا تفعل بعدها مثلها من إقبالك على الغنى وإعراضك عن المؤمن الفقير وقيل : معنى الوقف : لا تعرض عن هذا وتقبل على هذا [2] .

والذي أراه وأميل إليه : أن الوقف على ﴿ تَلَهَّىٰ ﴾ أمكن وأبين وبناء عليه يحسن الابتداء بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى : ألا إنها تذكرة . ويوضح ذلك : أن الله ﷻ بعد ما ذكر من آيات العتاب لرسوله ﷺ تأتي الآية الكريمة استئنافًا بيانيًا جوابًا عن سؤال أثاره العتاب السابق ، وهو : كيف يكون العمل في دعوة صناديد قريش إذا لم يتفرغ لهم ؛ لئلا ينفروا عن التدبر في القرآن ، أو يثير في نفسه ﷺ مخافة شائبة التقصير في شيء من واجب التبليغ ؟

فيكون الجواب : ألا هذه الموعظة تذكرة لك وتنبيه لما غفلت عنه وليست ملامًا ، وإنما يعاتب الحبيب حبيبه مبالغة في إرشاده ﷺ إلى عدم معاودة ما عُوتب عليه إرشادًا بليغًا إلى ترك المعاتب عليه . هذا ، ولا يجوز أن تُجعل في الابتداء بمعنى « حقًا » ؛ لأنه يلزم فتح همزة ﴿ إِنَّ ﴾ بعدها وذلك لا يجوز [3] .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤٧) وما بعدها ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٢) ، ومنار الهدى (ص٤١٤) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٢٩ ، ٤٣٠) ، وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٠ ، ٥١) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٣) ، ومنار الهدى (ص٤١٥) ، وعلل الوقوف (ص١٠٩٣) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص١٧٠) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (ج٧ ص١٧٤) .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٥١) ، والتحرير والتنوير (ج٣٠ ص١١٤ ، ١١٥) ، وروح المعاني (ج٣٠ ص٤١) .

الموضع الثامن :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢٢، ٢٣] .

فالوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ لا يجوز ؛ لأن الوقف عليها يوهم نفي البعث [١] .

قال ابن الأنباري : (والوقف على ﴿ أَنشَرَهُۥ ﴾ و ﴿ أَمَرَهُۥ ﴾ جيد والوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ قبيح) [٢] . وعلى هذا يرى كثير من المفسرين : أن ﴿ كَلَّا ﴾ هنا بمعنى « ألا » الاستفتاحية أو بمعنى « حقًّا » وتوضيح ذلك : أنها تنبيه إلى ما يأتي بعدها أو تحقيق له ، والمعنى : لم يقض الإنسان من أول زمان تكليفه إلى زمان إماتته وإقباره مع طول المدى وامتداده جميع ما أمره ، إذا لا يخلو أحد عن تقصير ما .

أو أن المراد بالإنسان : الكافر ، ويكون المعنى : لما يقض جميع أفراد الإنسان ما أمره ، بل أخل به : بعضها بالكفر وبعضها بالعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يختلف عليه أحد . وعلى هذا يكون التقدير : حقًّا لم يعمل بما أمره به ويقرر الألوسي : أن هذا الوجه هو الظاهر . وبناء على ما تقدم : فإنه يحسن الوقف على ﴿ أَنشَرَهُۥ ﴾ والابتداء بـ ﴿ كَلَّا ﴾ على معنى « ألا » أو « حقًّا » وعلى كلا الوجهين تكون متعلقة بما بعدها فلا يوقف عليها [٣] .

الموضع التاسع :

في قوله تعالى : ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: ٨، ٩] .

اختلف العلماء في الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ على رأيين :

أحدهما : البعض ذهب إلى أن الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ لا يحسن ؛ لأن الوقف يوهم نفي ما أخبر اللّه سبحانه به من أنه يصور الإنسان في أي صورة شاء في صورة أب أو أم أو خال أو عم أو إن شاء ذكر أو أنثى ، وذلك حق لا ينتفي [٤] .

قال ابن الأنباري : (الوقف الجيد على ﴿ بِٱلدِّينِ ﴾ وعلى ﴿ رَكَّبَكَ ﴾ والوقف على

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٢) .

(٢) انظر إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٣٠) ، ويراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٢٢٠) ، وفتح القدير (ج٥ ص٣٨٤) .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥١ ، ٥٢) ، وعلل الوقوف (ج٣ ص١٠٩٤) ، وفتح القدير (ج٥ ص٣٨٤) ، وروح المعاني (ج٣٠ ص٤٥) ، والتحرير والتنوير (ج٣٠ ص١٢٦) وما بعدها بتصرف .

(٤) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٢) ، والاقتداء (ورقة ٣٠١) .

﴿ كَلَّآ ﴾ قبيح) (١) .

والثاني : يرى البعض الآخر جواز الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ على أنها أداة ردع ونفي لما قبلها ويكون المعنى : ليس الأمر على ما تقولون من أنكم على الحق بل تكذبون بالبعث ودل على ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ أي : ما غرك في جحده وتكذيب رسله أو ليس الأمر على ما غررت به بل أنت مكذب بالدين (٢) .

ويرى مكي : (أن الابتداء بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ حسن على معنى « ألا بل تكذبون بالدين » أو على معنى : حقًّا بل تكذبون بالدين) (٣) .

والذي أميل إليه : هو رأي مكي من أنها بمعنى « حقًّا » ؛ وذلك لأنها بهذا المعنى تحقق ما بعدها وتقرره وتفيد تأكيد تكذيبهم بالدين وهو الجزاء في الآخرة فـ ﴿ بَلْ ﴾ هنا ؛ لتصحيح الثاني وإبطال الأول كأنه قيل : ليس هنا مقتضٍ لغرورهم ، ولكن تكذيبهم حملهم على ما ارتكبوه فجاءت ﴿ كَلَّآ ﴾ لتحقق ما أفادته ﴿ بَلْ ﴾ من إضراب إبطالي بل ، وجاء التعبير بالمضارع في ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ ليحقق فائدتين :

الأولى : إفادة أن تكذيبهم متجدد لا يقلعون عنه ، وهو سبب استمرار كفرهم .

والثانية : استحضار تكذيبهم ؛ ليثير التعجب من هذا التكذيب (٤) ، والله أعلم .

الموضع العاشر :

في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ [المطففين : ٦ ، ٨] .

الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ في الآية الكريمة لايحسن ؛ لأن الوقف عليها يوهم نفي قيام الناس لرب العالمين ؛ وذلك لا ينفى ؛ بل هو حق لاشك فيه (٥) .

وأجاز الإمام الطبري : الوقف عليها يوهم على أنها نفي لما يظن المشركون من

---

(١) انظر إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٣٠) ، ويراجع الجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٢٤٧) ، وفتح القدير (ج٥ ص٣٩٦) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٢ ، ٥٣) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٣) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٢٤٧) .

(٣) انظر شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٣) ، وعلل الوقوف (ج٣ ص١١٠١) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٢٤٧) ، وفتح القدير (ج٥ ص٣٩٥) .

(٤) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٣) ، وروح المعاني (ج٣٠ ص٦٥) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٤٩٩ ، ٥٠٠) .

(٥) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٣) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٣) ، والتمهيد (ص١٩٦) .

عدم الحشر والبعث ، ودل على هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴾ [المطففين: ٤] (١) . ولكن الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ على هذا التقدير ليس بظاهر ؛ لأنه لا يُعلم ما نفته أإثبات البعث أم نفيه ، ولأن الذي يقرب منها أولى بالنفي مما بعُد عنها ، وما قَرُب منها لايجوز نفيه ؛ لأنه إثبات للبعث والحشر ، وذلك لا يجوز نفيه (٢) . ويرى البعض : أنها رد وزجر لما كانوا عليه من التطفيف ، أي لا يسوغ لكم النقص وجُعلت بذلك ردًّا لما في أول السورة (٣) .

والذي أميل إليه : هو جواز الوقف على قوله : ﴿ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ويبتدأ بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ على أنها بمعنى « ألا » التي للتنبيه ؛ إذ إنه بعد الحديث عن المطففين وبيان خسيس أفعالهم وتحذيرهم بالدعاء عليهم بالويل ، ثم التذكير بيوم الحساب ، يوم يقوم الناس لرب العالمين استأنف الكلام بقوله : ﴿ كَلَّآ ﴾ تنبيهًا إلى أنه لا يقوم على هذه الحالة حالة التطفيف ، وما يماثلها من منكرات إلا منكر ليوم الحساب ، وأن هؤلاء منكرون يعدون بعملهم هذا من الفجار (٤) .

الموضع الحادي عشر :

في قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين: ١٥] .

ذهب جمهور العلماء : إلى أن الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ لا يحسن ؛ لأن الوقف ينفي غلبة الذنوب والمعاصي على قلوبهم ، وقد أخبر الله تعالى بذلك عنهم فلا يحسن نفيه .

وذهب البعض : إلى جواز الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ على أنها بمعنى الردع والزجر ، أي : ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم ، أو بمعنى : لا يؤمنون برين الذنوب على قلوبهم (٥) .

والأظهر : أن يُوقف على قوله : ﴿ يَكۡسِبُونَ ﴾ ثم يبتدأ بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى ألا إنهم عن ربهم بجعلها افتتاح كلام ، أي تنبيه يبين فيه القرآن أن هؤلاء الذين رانت على قلوبهم الذنوب فعميت يكونون في موقف الهوان يوم القيامة (٦) .

---

(١) انظر جامع البيان (ج٣٠ ص٩٤) .

(٢ ، ٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٤) ، ومنار الهدى (ص٤٢١) ، والبحر المحيط (ج٨ ص٤٤٠) .

(٤) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٣٠ ج٢ ص٧٩٠) ، والمكتفى (ص٦١١) ، ومنار الهدى (ص٤٢١) ، وتفسير جزء عم للإمام محمد عبده (ص٩٢) ، ومجلة اللغة العربية بإيتاي البارود العدد التاسع (ص١٢٩) .

(٥) شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٦) ، والتمهيد (ص١٩٦) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٤) .

(٦) يراجع القطع (ص٧٦٨) ، وشرح « كلا بلى ونعم » (ص٥٦) ، والكشاف (ج٤ ص٧٢٢) ، والتحرير والتنوير (ج٣٠ ص٢٠٠) .

قال الأشموني : (ولا مقتضى يوجب الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾) [١] .

الموضع الثاني عشر :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين : ١٧، ١٨] .

فالوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ لا يحسن ؛ لأن الوقف يوهم نفي ما حكى الله ﷻ من أنه يقال للكفار يوم القيامة هذا الذي كنتم به تكذبون ، وذلك كائن لا بد منه فنفيه كفر .

وقد أجاز بعض العلماء : بأن ﴿ كَلَّآ ﴾ بمعنى « لا » النافية ، أي ليس الأمر كما قالوا ، ولا كما ظنوا بل كتابهم في سجين ، وكتاب الأبرار في عليين أو على معنى لا يؤمنون بالعذاب والجزاء .

والأظهر : أن يُوقف على قوله : ﴿ تُكَذِّبُونَ ﴾ ويستأنف بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى : ألا إن كتاب الأبرار ... إلخ ، بأن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ تنبيه يفتتح به الكلام ؛ ليبين حال كتاب الأبرار ؛ ليعقب بوعدهم كما ذكر كتاب الفجار وعقب بوعيدهم ، وفي ذلك دلالة على أن التطفيف فجور والإيفاء بِرٌّ [٢] .

قال ابن الأنباري : (والوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ ههنا قبيح) [٣] . ولا يجوز أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ بمعنى « حقًّا » لكسر همزة ﴿ إِنَّ ﴾ بعدها [٤] .

الموضع الثالث عشر :

في قوله تعالى : ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر : ٢٠، ٢١] .

فالوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ لايحسن ؛ لأن الوقف يوهم نفي ما أخبر الله تعالى به من كثرة حبنا للمال ، وذلك لا يجوز نفيه .

وأجاز البعض : الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر ، فهو رد لانكبابهم على الدنيا ، وجمعهم لها .

---

(١) انظر منار الهدى (ص٤٢١) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٧) ، والتمهيد (ص١٩٦) ، والجامع لأحكام القراء (ج١٩ ص٢٦٢) ، وروح المعاني (ج٣٠ ص٧٤) ، ومجلة اللغة العربية (ص١٣١) .

(٣) انظر إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٣١) .

(٤) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٧) .

والذي أميل إليه : أن يكون القطع على ﴿ جَمًّا ﴾ والابتداء بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ على أنها تنبيه إلى ما يستأنف معها من كلام أو تحقيق له فهي جزء من الاستئناف وتمهيد له ، فبعد أن هدد الله هؤلاء المكذبين بعذاب الآخرة ، فقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ مبينًا ما يحدث عند النفخة الثانية إنذارًا بأنهم يحين لهم يوم يفيقون فيه من غفلتهم حين لا تنفع الإفاقة [١] .

الموضع الرابع عشر :

في قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ [العلق : ٦] .

فالوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ لا يحسن ؛ لأن الوقف عليها يوهم نفي ما قد حكى الله لنا من أنه علمنا ما لم نعلم ونفي ذلك لا ينبغي ، ويقوى عدم الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ هنا ، أن الوحي قد انقطع عند قوله : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ٥] وهو تمام الخمس آيات التي نزلت على النبي ﷺ أول ما نزل عليه ، ثم بعد ذلك بمدة نزل عليه ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ .

وقد أجاز بعض العلماء : الوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى الردع والزجر ، أي : ما هكذا ينبغي أن يكون الإنسان ، ينعم عليه ربه بتسوية خلقه وتعليمه ما لم يكن يعلم، ثم يكفر به ثم استأنف سبحانه قائلًا : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ [٢] .

والرأي الراجح : أن ﴿ كَلَّآ ﴾ هنا بمعنى ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ إذ أن الآيات السابقة من أول السورة إلى قوله : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ تدل على أن الله هو الخالق دون غيره ، وأنه تعالى خلق الإنسان الحي الناطق مما لا حياة فيه ولا شكل ولا صورة وعلمه أفضل علم وهو الكتابة بالقلم ووهبه العلم ، ولم يكن يعلم شيئًا فالإنسان ، وما يملكه هبة منه - جلت قدرته - ثم يستأنف الكلام منبهًا على حقيقة خطيرة لا بد أن يلفت إليها الإنسان .

والظاهر : أن قوله : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ إلى آخر السورة نزل في شأن أبي جهل ومع نزوله في ذلك اللعين ، فإنه يندرج فيه جنس الإنسان باعتبار الأغلب من أفراده .

والمعنى : تنبيه إلى أن الإنسان مع كمال فقره إلى خالقه وظهور عجزه يتمادى في الطغيان ويتجاوز الحد في المعصية ويستكبر على ربه ﷻ . وبهذا يتضح : أن الوقف يكون

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٥٩) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٤) ، والاقتداء ورقة (٣٠٧) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٢٠ ص٥٤) ، والتحرير والتنوير (ج٣٠ ص٥٢١) ، ومجلة اللغة العربية (ص١٤٥) .
(٢) يراجع شرح « كلا وبلى نعم » (ص٦٠) ، والتمهيد (ص١٦٩) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٥٦٢) ، والمكتفى (ص٦٢٤) .

على قوله : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ والابتداء بـ ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴾ ولا يجوز أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ هنا بمعنى « حقًا » لكسر همزة ﴿ إِنَّ ﴾ بعدها ولوجود اللام في خبرها [١] .

الموضع الخامس عشر :

في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا ﴾ [العلق : ١٥] .

فالوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ لا يحسن ؛ لأن الوقف عليها يوهم نفي رؤية الله تعالى لأعمال عباده المتحقق في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ .

وأجاز بعض العلماء : الوقف عليها بجعلها نفيًا للعلم عن الكافر كأنه قال : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّآ ﴾ أي : لم يعلم أبو جهل بذلك . وهذا - والله أعلم - ليس بظاهر ؛ لأن ﴿ كَلَّآ ﴾ إنما تكون نفيًا لما يليها دون ما بَعُد عنها ، وأيضًا في هذا إشكال ؛ إذ لا يدرى أي شيء نفت أكلامًا يليها أم بَعُد منها ؟ [٢]

والراجح : أن يحسن الابتداء بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ على معنى « حقًا » أي : تحقيق للوعيد استدعاه المقام تشويقًا إلى ماهية هذا الوعيد ثم قال : ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا ﴾ . ويجوز أن تكون ﴿ كَلَّآ ﴾ بمعنى « ألا » الاستفتاحية [٣] .

قال ابن الأنباري : « الوقف على « يرى » حسن والوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ رديء » [٤] .

الموضع السادس عشر :

في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ [العلق : ١٩] .

فالوقف على ﴿ كَلَّآ ﴾ لايحسن ؛ لأنه يوهم نفي ما أخبر الله تعالى به من دعاء الزبانية يوم القيامة .

وأجاز بعض العلماء : الوقف عليها على أنها بمعنى الردع والنفي ، أي : لايقدر الكافر على دعاء أهل ناديه لا ينتفع بذلك يوم القيامة [٥] .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى نعم » (ص٦٠ ، ٦١) ، والمكتفى (ص٦٢٤) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٤) ، وروح المعاني (ج٣٠ ص١٨٢) ، وفتح القدير (ج٥ ص٤٦٨) ، وحاشية الجمل (ج٢ ص٥٦٢) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٦١ ، ٦٢) ، والتمهيد (ص١٩٦) ، والقطع (ص٧٨١) ، والاقتداء ورقة (٣١٠) ، والتفسير الكبير (ج٣٢ ص٥٢٢) .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٦٢) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٥) .

(٤) انظر إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٣٢) .

(٥) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٦٣) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٥) ، والبحر المحيط (ج٨ ص٤٩٥) .

قال الإمام الرازي : (معناه لن يصل إلى ما يتصلف به من أنه يدعو ناديه ولئن دعاهم لن ينفعوه ، ولن ينصروه ، وهو أذل وأحقر من أن يقاومك) [١] .

والأظهر : أن الوقف يكون على الزبانية و الابتداء بـ ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ على معنى ﴿ حَقًّا ﴾ إذ أنها تحقق عدم طاعة هذا الطاغي ، وأن يتقرب النبي ﷺ إلى ربه بالطاعة وبخاصة السجود ، ولا يبتعد عنه بتركها ، ويجوز أيضًا أن تكون ﴿ كَلَّا ﴾ بمعنى ﴿ لَا ﴾ أي : « ألا لا تطعه » وعلى كلا الوجهين يبتدأ بها [٢] .

الموضع السابع عشر :

في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر : ٣] .

فالوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ لا يحسن ؛ لأن الوقف يوهم نفي ما قبله .

والأظهر : أن يُبتدأ بها على معنى ﴿ حَقًّا ﴾ وذلك ؛ لأن السورة الكريمة اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة التوحيد ، وحث على التدبر فيما ينجيهم من النار وتأكيد على البعث للحساب والسؤال فتأتي ﴿ كَلَّا ﴾ تحقيق لهذا الوعيد على معنى القسم ، أي : حقًّا سوف تعلمون ، ويجوز أن تكون بمعنى « ألا سوف تعلمون » وعلى كلا الوجهين يبتدأ بها [٣] .

الموضع الثامن عشر :

في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر : ٥] .

وفي هذا الموضع أيضًا : الابتداء بـ ﴿ كَلَّا ﴾ أحسن على معنى « ألا » الاستفتاحية أو « حقًّا » إذ إنها أتت للمرة الثالثة في تلك السورة وفائدتها تنبيه إلى ما يأتي بعدها أو تحقيق له ، أي : تحقيق للعلم ، فهي جزء من كلام مستأنف ، وتوطئة له ، وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف تقديره : أي لو تعلمون كذلك لفعلتم ما لا يوصف ، أو لشغلكم ذلك عن التكاثر ، وصرفكم عن التفهم إليه ، ولكنكم ضلال جهلة . وإنما حذف جواب ﴿ لَوْ ﴾ لقصد التهويل ، فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله . والخطاب في

---

(١) انظر التفسير الكبير (ج٣٢ ص٥٢٧) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٦٣) ، والمكتفى (ص٦٢٥) ، والاقتداء ورقة (٣١١) .

(٣) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٦٤ ، ٦٥) ، والمكتفى (ص٦٢٧) ، والقطع (ص٧٨٣) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٥) ، والتحرير والتنوير (ج٣٠ ص٢٢١) وما بعدها بتصرف واختصار .

قوله : ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ الظاهر فيه أن يكون للمشركين الذين لا يؤمنون بيوم الجزاء ، وليس خطابًا للمسلمين ؛ لأنهم يعلمون ذلك علم اليقين . وقيل : الخطاب عام ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] وبذلك نجد ﴿ كَلَّا ﴾ تنبه إلى ما أفادته الجملة الشرطية من معان أو تحققها ، وهذا فيه مزيد حث على التدبر ، ومقارنة حال الدنيا بحال الآخرة . وبهذا يتضح ، أن الوقف على قوله : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ والابتداء بقوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ (١) .

القسم الثالث : ما لا يحسن الوقف فيه على ﴿ كَلَّا ﴾ ولا الابتداء بها ، وذلك في موضعين :

الموضع الأول :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٥] .

الموضع الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٤] .

فـ ﴿ كَلَّا ﴾ في الموضعين السابقين أتت في جملة تابعة لما قبلها مقترنة بحرف العطف ﴿ ثُمَّ ﴾ وبناء على ذلك : سأفصل القول فيها من ناحية الوقف عليها والابتداء بها .

أولًا : من ناحية الوقف عليها :

لا يجوز الوقف على ﴿ كَلَّا ﴾ في الموضعين السابقين ؛ لأنك بالوقف عليها تنفي ، ما مضى من التهديد والوعيد وتنفي وقوع العلم منهم ، وذلك كفر . فإن جُعلت ﴿ كَلَّا ﴾ بمعنى ﴿ حَقًّا ﴾ وجعلتها تأكيدًا أو تكريرًا لـ ﴿ كَلَّا ﴾ الأولى الواقعة في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٤] و ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر: ٣] لم يحسن الوقف عليها أيضًا ؛ لأن الجملة الثانية تأكيدًا للأولى ، ولا يفرق بين بعض التأكيد والبعض الآخر .

---

(١) يراجع شرح « كلا بلى ونعم » (ص٦٥) ، والمكتفى (ص٦٢٧ ، ٦٢٨) ، ومنار الهدى (ص٤٣٣) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٣٢) ، والكشاف (ج٤ ص٧٩٢) ، ومعاني القرآن للزجاج (ج٥ ص٣٥٧) ، البحر المحيط (ج٨ ص٥٠٨) ، وفتح القدير (ج٥ ص٤٨٩) ، وروح المعاني (ج٣٠ ص٢٢٥) ، وحاشية الجمل (ج٤ ص٥٨١) ، وتفسير جزء عم للإمام محمد عبده (ص٢٢٢) .

ثانيًا : من ناحية الابتداء بها :

ولا يحسن الابتداء بـ ﴿ كَلَّا ﴾ أيضًا ؛ لأن قبلها حرف عطف ، وهو ﴿ ثُمَّ ﴾ ولا يوقف على حرف العطف دون المعطوف [١] .

قد يُقال : إن الجملتين في كلا الموضعين السابقين [٢] مكررتان بلا زيادة في إحداهما ، وهذا يخالف مقتضى العطف من التغاير بين المتعاطفين .

ولكن قيل في توجيه ذلك آراء ، أهمها ما يلي :

١ - إن هذا التكرار من باب التوكيد اللفظي ، وقد أفادت ﴿ ثُمَّ ﴾ هنا العطف الصوري أي في صورة العاطف ، وشكله الظاهر دون حقيقته ، ولكن ﴿ ثُمَّ ﴾ تفيد هنا الترتيب الرتبي ، وهو أن يكون مدلول التي بعدها أرقى رتبة [٣] في الغرض من مضمون الجملة الأولى ، فكأنه قيل : لهم يوم القيامة عذاب شديد ، بل لهم يومئذٍ عذاب أشد ، وبهذا الاعتبار صار كأنه مغاير لما قبله فعطف عليه .

٢ - إن ﴿ ثُمَّ ﴾ على بابها ، والمراد التراخي الزمني ، وذلك لاختلاف الأزمنة في كل جملة ؛ فالجملة الأولى إشارة إلى ما يقال عند النزع وخروج الروح ، والجملة الثانية إشارة إلى ما يقال يوم القيامة من زجر ملائكة العذاب .

٣ - اختلاف متعلق العلم في كل من الجملتين ، أي تجعل كل جملة مرادًا بها تهديد بشيء خاص ، وهذا من مستتبعات التراكيب والتعويل على معونة القرائن بتقدير مفعول خاص لكل من فعلي ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ [٤] .

٤ - اختلاف فاعل ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ في كل من الجملتين بناء على أن ضمير ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ للناس عامة ، كأن يكون المعنى سيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم ، ثم

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤٩ وص٦٤) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٢ وص٦٠٥) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٤٢٩) .

(٢) المراد بهما : قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٥] وقوله : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

(٣) تجدر الإشارة إلى معنى ارتقاء الرتبة هنا : « معناه أن مضمون ما بعد ﴿ ثُمَّ ﴾ أقوى من مضمون الجملة التي قبل ﴿ ثُمَّ ﴾ وهذا المضمون هو الوعيد ، فلما استفيد تحقيق وقوع المتوعد به بما أفاده التوكيد اللفظي ؛ إذ الجملة التي بعد ﴿ ثُمَّ ﴾ أكدت الجملة التي قبلها ، فتعين انصراف معن ارتقاء رتبة معنى الجملة الثانية هو أن المتوعد به في الثاني أعظم مما يحسبون . انظر التحرير والتنوير (ج٣٠ ص٥) .

(٤) يراجع روح المعاني (ج٣٠ ص٥) بتصرف اختصار ، وإرشاد العقل السليم (ج٥ ص٨١١ ، ٨١٢ ، وص٩٠٠) ، والتحرير والتنوير (ج٣٠ ص٥١٢ ، وص٥٢١) ، ومجلة اللغة العربية العدد التاسع (ص ١٤٩) .

سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم ، فيكون الأول وعدًا للمؤمنين ، والثاني وعيدًا للكافرين ، وهما متفاوتان رتبة ، فـ ﴿ ثُمَّ ﴾ على بابها . وأيا ما كان فمفاد التكرير حاصل على كل حال ، وبقية الحديث عن نظم الجملة يغني عنه ما قيل في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ .

وخلاصة القول : أن يُوقف على قوله : ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ الأخير ، وأيضًا قوله : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ويجعل كل موضع منهما توكيدًا للجملة الأولى ومعطوفًا عليه ، وبذلك توصل ﴿ كَلَّا ﴾ بما قبلها [1] .

القسم الرابع : ما يحسن الوقف فيه على ﴿ كَلَّا ﴾ ولا يجوز الابتداء بها ، وذلك في موضعين :

الموضع الأول :

في قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء : ١٤، ١٥] .

تأتي ﴿ كَلَّا ﴾ في الآية الكريمة بمعنى الردع والزجر عن الخوف ، أي : ليس الأمر كذلك لا يصلون إلى قتلك ، فهو رد لقول موسى عليه السلام : ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [2] .

قال الإمام القرطبي : ﴿ قَالَ كَلَّا ﴾ أي : كلا لن يقتلوك فهو ردع وزجر عن هذا الظن ، وأمر بالثقة بالله تعالى ، أي : ثق بالله تعالى وانزجر عن خوفكم منهم فإنهم لا يقدرون على قتلك ولا يقوون عليه [3] . وأما جملة : ﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ جاءت تعليلًا للردع عن الخوف ومزيد تسلية لموسى وهارون عليهما السلام بضمان كمال الحفظ والنصرة [4] كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] .

الموضع الثاني :

في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ

---

(١) المصادر السابقة وشرح « كلا وبلى ونعم » (ص٤٩) .

(٢) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص٣٣) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٩٩) .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٩٢ ، ٩٣) .

(٤) يراجع روح المعاني (ج١٩ ص٦٦) ، وفتح القدير (ج٤ ص٩٥) .

رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [٦١، ٦٢] .

فـ ﴿ كَلَّآ ﴾ في الآية الكريمة أيضًا : للردع والزجر ، أي : رد عليهم موسى ﷺ قولهم : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ وزجرهم وذكرهم وعد الله تعالى له بالهداية والظفر ، فلم يدركوكم أبدًا ، ثم قوى نفوسهم بأمرين :

أحدهما : قوله : ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ فذكر المعية دلالة النصر والتكفل بالمعونة .

والثاني : قوله ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ والهدى : هو طريق النجاة والخلاص ، وإذا دلَّه على طريق نجاته وهلاك أعدائه ، فقد بلغ النهاية في النصرة [١] .

قال الإمام القرطبي رحمه الله : (لما لحق فرعونُ بجمعه جمعَ موسى ، وقرب منهم ورأت بنو إسرائيل العدو القوي ، والبحر أمامهم ساءت ظنونهم ، وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفاء : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ فرد عليهم قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله تعالى له بالهداية والظفر ﴿ كَلَّآ ﴾ لم يدركوكم إن معي ربي ، أي : بالنصر على العدو ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ سيدلني على طريق النجاة) [٢] . مما سبق يتضح لنا أن ﴿ كَلَّآ ﴾ في موضعي الشعراء في مقام الردع والزجر والرد ، ونظرًا إلى أنها في الموضعين واقعة في حيز القول فيحسن الوقف في الآيتين على ﴿ كَلَّآ ﴾ لأن ما بعدها في الآية الأولى ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَٱذْهَبَا ... ﴾ وفي الثانية ﴿ إِنَّ مَعِيَ ... ﴾ كل منهما مقول لقول جديد . هذا ولا يجوز الابتداء بـ ﴿ كَلَّآ ﴾ لأن القول لا يوقف عليه دون المقول أبدًا لعدم تمام المعنى[٣] .

قال الإمام مكي بعد أن انتهى من حكم ﴿ كَلَّآ ﴾ ومعناها وما تحتمله من وجوه : فهذا جميع ما في كتاب الله تعالى من ذلك ، ويجوز في جميعها أن تصلها بما قبلها وبما بعدها ولا تقف عليها ولا تبتدىء بها ، إلا أن الاختيار ما ذكرنا ... فأما من أجاز الوقف عليها في كل موضع ، فلا يمنع شيئًا من ذلك وليس هو الاختيار [٤] .

---

(١) يراجع شرح « كلا وبلى ونعم » (ص ٣٤) ، وجمال القراء (ج٢ ص٦٠٠) ، والتفسير الكبير (ج٢٣ ص١٢٨) .
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص١٠٦) .
(٣) يراجع « كلا وبلى ونعم » (ص٣٣ ، ٣٤) بتصرف ، ومجلة كلية اللغة العربية (ص١١٢) .
(٤) انظر « كلا وبلى ونعم » (ص٦٧) ، ويراجع البرهان في علوم القرآن (ج١ ص٣٧٣) .

رابعًا : الوقف على ﴿ لَا ﴾ والابتداء بها وأثر ذلك على المعنى

اختلف العلماء في ﴿ لَا ﴾ : في قوله ﷻ : ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة : ١] ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [البلد : ١] ونحو ذلك . فقيل : زائدة تمهيدًا للنفي ، وتنبيهًا من أول الأمر على أن المقسم به نفي ، وهذا مذهب البصريين والكسائي وعامة المفسرين [(١)] .

وقال الفراء : (وهي رد لكلام تقدم من المشركين ، كأنهم جحدوا البعث ، فقيل لهم ليس الأمر كذلك ثم أقسم لتبعثن وبناء عليه قال لا تزاد في أول الكلام) وهي رد لكلام تقدم من المشركين كأنهم جحدوا البعث ، فقيل لهم ليس الأمر كذلك ثم أقسم لتبعثن ، وبناء عليه قال لا تزاد في أول الكلام [(٢)] . وبناء على ما تقدم فقد اختلف في الوقف على ﴿ لَا ﴾ فمن جعلها زائدة لا يقف عليها ؛ لأنها صلة لما بعدها ومن جعلها ردًا لكلام تقدم حسن الوقف على ﴿ لَا ﴾ وابتدأ بقوله : ﴿ لَآ أُقْسِمُ ... ﴾ [(٣)] .
واختلفوا أيضًا في ﴿ لَا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ ... ﴾ [(٤)] .

فقال الزجاج : (إنها نفي لما ظنوه أن ينفعهم ، فكأن المعنى : لا ينفعهم جرم أنهم في الآخرة ، أي : كسب ذلك الفعل لهم الخسران و « أن ... » عنده في موضع نصب على المفعولية فعلى قوله هذا يوقف على ﴿ لَا ﴾ ويبتدأ بجرم » [(٥)] .

وأما عند سيبويه وخليل : ﴿ جَرَمَ ﴾ بمعنى ﴿ حَقَّ ﴾ و ﴿ أَن ﴾ في موضع رفع عندهما .

فقال الخليل : جيء بـ ﴿ لَا ﴾ ليعلم أن المتكلم لم يبتدئ كلامه ، وإنما خاطب غيره فعلى هذا يكون ﴿ جَرَمَ ﴾ عنده هي التي بمعنى ﴿ حَقَّ ﴾ دون ﴿ لَا ﴾ فكأنه قال : حق وجوب النار لهم ، وعلى هذا أيضًا يوقف على ﴿ لَا ﴾ ويبتدأ بـ ﴿ جَرَمَ ﴾ [(٦)] .

---

(١) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٨٧) ، والتمهيد (ص٢٠٥) ، ومنار الهدى (ص٤١٠) بتصرف واختصار .
(٢) انظر معاني القرآن (ج٣ ص٢٠٧) .
(٣) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص١٤٢ ، ١٤٣) بتصرف واختصار ، والتمهيد (ص٢٠٥) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٨٧) ، ومنار الهدى (ص٤١٠) .
(٤) ورد « لفظ لا جرم » في أكثر من آية في كتاب الله منها قوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ [هود : ٢٢] ، وفي سورة النحل ثلاثة مواضع آية (٢٣ ، ٦٢ ، ١٠٩) ، وفي [غافر : ٤٣] .
(٥) انظر معاني القرآن (ج٣ ص٢٠٧) ، ويراجع البحر المحيط (ج٥ ص٢١٣) .
(٦) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٨٧) ، والتمهيد (ص٢٠٥) ، ومنار الهدى (ص١٨٤) ، والكتاب لسيبويه (ج١ ص٤٦٩) .

وقال الفراء : ﴿ جَرَمَ ﴾ مع ﴿ لَا ﴾ معناه : لا بد أو لا محالة ، وعليه لا يوقف على ﴿ لَا ﴾ بل توصل بـ ﴿ جَرَمَ ﴾ [1] والله أعلم .

وقد أورد ابن الأنباري : في إيضاحه لا يُوقف على ﴿ لَا ﴾الناهية دون المجزوم ؛ لأنها مع المجزوم بمنزلة حرف واحد ، وإذا كانت ﴿ لَا ﴾ بمعنى ﴿ غَيْرِ ﴾ لا يتم الكلام على ﴿ لَا ﴾ نحو قوله تعالى : ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور: ٣٥] لأن معناه غير شرقية ، وغير غربية . ويقبح الوقف على ﴿ لَا ﴾ إذا كانت للتبرئة ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧] . ولايتم الوقف على ﴿ لَا ﴾ إذا كانت توكيدًا نحو قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف: ١٢] . لأن معناه : ما منعك أن تسجد ، ونحو قوله تعالى : ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٥] .

إذ إن معناه : أنهم يرجعون . فكل ما مر لا يوقف فيه على ﴿ لَا ﴾ ؛ لأنها مع ما بعدها بمنزلة الشيء الواحد [2] .

خامسًا : الوقف على ﴿ أَمْ ﴾ والابتداء بها وأثر ذلك على المعنى

وتنقسم ﴿ أَمْ ﴾ إلى قسمين : متصلة ومنقطعة .

والمتصلة : هي أن تكون للمعادلة [3] وهي على وجهين :

أحدهما : أن تكون معادلة لهمزة الاستفهام ، نحو : خرج زيد أم عمرو ، ومعناه : أيهما خرج .

والثاني : أن تكون معادلة لهمزة التسوية ، ومعنى التسوية أنك تخبر باستواء أمرين عندك ، كما في قوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٦] وقوله تعالى : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا ... ﴾ [إبراهيم: ٢١] وهي في قسمي المعادلة عاطفة بمعنى « أي » .

---

(١) يراجع معاني القرآن (ج٢ ص٨) بتصرف ، ومنار الهدى (ص١٨٤) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٨٧) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص١٣٩) وما بعدها بتصرف واختصار .

(٣) معنى المعادلة : أن أحد الاسمين المسئول عنهما جعل معه الهمزة ومع الآخر ﴿ أَمْ ﴾ وكذلك إذا كان السؤال عن الفعل . انظر التمهيد (ص٢٠٨) .

والمنقطعة : وهي الخالية من المذكور في المتصلة [(١)] ولا يفارقها معنى الإضراب [(٢)] وإنما سميت منقطعة لانقطاع ما بعدها عما قبلها ؛ لأنه قائم بنفسه سواء كان ما قبلها استفهامًا أم خبرًا وليست فيهذا الوجه بمعنى الوجه الأول ؛ لأنها في الوجه الأول بمعنى « أي » وفي هذا الوجه بمعنى « بل » وفي كون ﴿ أَمْ ﴾ عاطفة أم غير عاطفة خلاف بين العلماء .

فالمغاربة يقولون : (ليست عاطفة لا في الجملة ولا في غيرها) [(٣)] .

وقال مالك : (قد تعطف المفرد كقول العرب إنها لإبل أم شاء قال فـ ﴿ أَمْ ﴾ هنا لمجرد الإضراب عاطفة ما بعدها على ما قبلها) [(٤)] . وبناء على ما تقدم : فإذا كانت منقطعة جاز الوقف قبلها والابتداء بها .

قال الإمام شهاب الدين القسطلاني : (ويجوز الابتداء بـ ﴿ أَمْ ﴾ المنقطعة التي بمعنى ﴿ بَل ﴾ فإن كانت المعادلة لهمزة الاستفهام أو لهمزة التسوية لم يحسن الابتداء بها) [(٥)] . وهاك بعض الآيات التي وردت فيها ﴿ أَمْ ﴾ مع بيان حكم الابتداء بها أو عدمه : فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٨٠] . فـ ﴿ أَمْ ﴾ في الآية الكريمة يجوز الابتداء على أنها متقطعة بمعنى «بل » والتقدير : بل أتقولون . ومعنى بل : الإضراب والانتقال من التوبيخ بالإنكار على اتخاذ العهد إلى ما تفيده همزتها من التوبيخ على القول . ويُحتمل أن تكون ﴿ أَمْ ﴾ متصلة للمعادلة بين شيئين ، والمعنى : أي الأمرين واقع : اتخاذكم العهد عند الله أم قولكم على الله ما لا تعلمون ، وعلى هذا الوجه يجوز الابتداء بـ ﴿ أَمْ ﴾ [(٦)] .

---

(١) فلا تتقدم عليها همزة التسوية ولا همزة يطلب بها وبـ ﴿ أم ﴾ التعيين ، ويراجع هامش ضياء السالك إلى أوضح المسالك (ج٣ ص١٩٨) .

(٢) والمقصود بالإضراب هنا : إبطال الحكم السابق ونفي مضمونه والانصراف عنه إلى ما بعدها ، ويسمى هذا الإضراب الإبطالي . وقد يراد الانتقال من غرض إلى آخر يخالفه ، وحينئذ يسمى الإضراب الانتقالي المصدر السابق (ج٣ ص١٩٨) .

(٣) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٧٩) بتصرف ، والتمهيد (ص٢٠٨ ، ٢٠٩) ، وضياء السالك إلى أوضح المسالك (ج٣ ص١٩٢) وما بعدها بتصرف واختصار ، والبرهان في علوم القرآن (ج٤ ص١٨٠ ، ١٨١) بتصرف واختصار .

(٤) انظر التمهيد (ص٢١٠) .

(٥) انظر لطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٦٠) .

(٦) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٨٥٠) ، والتمهيد (ص٢١٠) ، والكشاف (ج١ ص١٥٨) ، وروح المعاني (ج١ ص٣٠٥) ، وحاشية الجمل (ج١ ص٧٠) .

ومن ذلك أيضًا : قوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف : ٥١ ، ٥٢] . قيل : أفلا تبصرون أم تبصرون ، وحينئذٍ انقطع الكلام في الآية على ﴿ أَمْ ﴾ ثم قال : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴾ وإلى ذلك ذهب الخليل وسيبويه ؛ لأن الاستفهام عندهما فيها تقرير ، والتقرير خبر موجب فامتنع عندهما جعلها متصلة ؛ لأن ﴿ أَمْ ﴾ المتصلة لا تكون مقررة ، فعلى هذا يوقف على ﴿ أَمْ ﴾ويبتدأ بقوله : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ ... ﴾ .

وقيل : إنها زائدة والتقدير : أفلا تبصرون أنا خير منه ، وعلى هذا الوجه يوقف على ﴿ تُبْصِرُونَ ﴾ وقيل : هي ﴿ أَمْ ﴾ المنقطعة ؛ لأنه لا يسألهم عن استواء علمه في الأول والثاني ؛ لأنه إنما أدركه الشك في تبصرهم بعد ما مضى كلامه على التقرير وهو مثبت وجواب السؤال ﴿ بَلَىٰ ﴾ فلما أدركه الشك في تبصرهم ، قال : ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ ﴾ والمعنى : « وهذه الأنهار تجرِي من تحتي » أي في ملكي ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ثم استأنف الكلام ، فقال ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ ﴾ أي : بل أنا خير [1] .

---

(١) يراجع المكتفى (ص٥٠٨ ، ٥٠٩) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٨١) ، وعلل الوقوف (ج٣ ص٩١٨ ، ٩١٩) ، والبرهان في علوم القرآن (ج٤ ص١٨٢ ، ١٨٣) ، وإيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٨٨٤ ، ٨٨٥) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٥ ص٩٩ ، ١٠٠) ، والتمهيد (ص٢١١) ، ومنار الهدى (ص٣٥٠ ، ٣٥١) .







القراءات وأثرها على الوقوف القرآنية

ويشتمل على ما يلي :

أولاً : تمهيد .

ثانياً : اختلاف الوقوف تبعا لاختلاف القراءات .



أولًا : تمهيد

اقتضت حكمة الله - جلت قدرته - في نزول القرآن الكريم أن ينزله على سبعة أحرف ، وذلك تيسيرًا لتلاوته على الأمة الإسلامية كلها خصوصًا الأمة العربية التي شوفهت بالقرآن فإنها كانت قبائل كثيرة ، وكان بينها اختلاف في اللهجات ونبرات الأصوات وطريقة الأداء على الرغم أنها كانت تجمعها العروبة ويوحد بينها اللسان العربي العام ، فلو أخذت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد لشق ذلك عليها .

قال المحقق ابن الجزري رحمه الله : (وأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة ، وإرادة اليسر بها ، والتهوين عليها شرفًا لها ، وتوسعة ورحمة ، وخصوصية لفضلها ، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق حيث أتاه جبريل ، فقال : (إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف) . فقال ﷺ : « **أسأل الله معافاته ومعونته فإن أمتي لا تطيق ذلك ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف** » [1] . هذا فضلًا عن أن قراءة القرآن بهذه الأحرف تظهر تنوع أحكامه ومعانيه ؛ لأن تنوع أوجه القراءة في بعض الأحرف يتهيأ معه استنباط الأحكام مما يؤيد ملاءمة القرآن لكل زمان ومكان . فالقرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضًا ، ويبين بعضه بعضًا ، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم .

ومعنى هذا : « أن القرآن الكريم يُعجز إذا قرئ على وجه من القراءات ، ويُعجز إذا قرئ على وجه آخر وهكذا » وحينئذٍ يتعدد الإعجاز بتعدد الأوجه ، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على أن القرآن الكريم كلام الله ، وعلى أن المنزل عليه هو رسول الله ﷺ .

والخلاصة : أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات ، وذلك ضرب من ضروب البلاغة ، يبتدئ من جمال هذا الإيجاز ، وينتهي إلى كمال الإعجاز .

ولما كان الأمر كذلك ، فإن لاختلاف القراءات أثرًا على الوقوف من ناحية المعنى ، فالوقف تابع للقراءة المتلوة ، فإذا ما قرأ قارىء القرآن الكريم آية فيها وجه من وجوه القراءات فعليه أن يراعي في قراءته مواطن الوقف فيها ، تبعًا لذلك الوجه من القراءات ؛ لأنه بالقطع أو الائتناف يكشف عن معنى للآية التي يتلوها مغايرًا للمعنى الناتج عن مراعاته للقراءة

---

(١) هذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (ج٦ ص١٠٣) .

الأخرى ، وسيظهر ذلك واضحًا إن شاء اللَّه تعالى عند ذكر النماذج الدالة عليه [١] .

ثانيًا : اختلاف الوقوف تبعًا لاختلاف القراءات

بعد هذا التمهيد الموجز سأضرب بعض النماذج التي تبين أثر القراءات على الوقوف من ناحية المعنى :

النموذج الأول :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [البقرة : ١١٩] .

فالوقف على قوله : ﴿ نَذِيرًا ﴾ كاف لمن قرأ : ﴿ وَلَا تَسئلْ ﴾ - بفتح التاء وجزم اللام - [٢] على النهي من السؤال عن ذلك ؛ إذ في النهي معنى التعظيم لما هم فيه من العذاب والمعنى : ولا تسأل يا محمد عن أصحاب الجحيم ، فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد . فقد روى أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **ليت شعري ما فعل أبواي** » فأنزل اللَّه ﷻ : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ على النهي [٣] . ومن قرأ ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ ﴾ - بضم التاء ورفع اللام - ففيه وجهان :

أحدهما : أن يرفع على معنى : ولست تُسأل ، أي : لست تؤاخذ بهم ، فهو منقطع عما قبله فالوقف أيضًا على قوله : ﴿ نَذِيرًا ﴾ كاف .

والثاني : أن يرفع على معنى غير سائل ، أو على معنى غير مسئول ، ويكون في موضع الحال بعطفه على قوله : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ فهو متعلق بما قبله فلا يقطع منه ، وعلى هذا لا يوقف على ﴿ نَذِيرًا ﴾ بل يوصل بما بعده لتعلق ما بعده به .

والمعنى : إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا غير سائل عنهم ؛ لأن علم اللَّه بكفرهم بعد إنذارهم يغني عن سؤاله عنهم ، هذا معنى غير سائل . وأما معنى غير مسئول : لا يكون

---

(١) يراجع النشر في القراءات العشر (ج١ ص٢٢) ، ومناهل العرفان في علوم القرآن للأستاذ الشيخ : محمد عبد العظيم الزرقاني (ج١ ص١٤٩) ط/ دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .

(٢) وهي قراءة نافع أي : أنه قرأ - بفتح التاء وجزم اللام - وقرأ الباقون - بضم التاء ورفع اللام - يراجع التيسير للداني (ص٧٦) نشر مكتبة المثنى - بغداد . والتبصرة لمكي . تحقيق د/ المقرئ محمد غوث الندوي (ص٤٢٩) نشر الدار السلفية . الهند .

(٣) أخرج الحديث ابن الأنباري في الإيضاح (ج١ ص٥٣٠) وقال الإمام السيوطي : مرسل ضعيف الإسناد . الدر المنثور (ج١ ص١١١) .

ﷺ مؤاخذًا بكفر من كفر بعد التبشير والإنذار [١] .

النموذج الثاني :

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢] .

فالوقف على قوله : ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ يختلف باختلاف القراءات الواردة فيه : فمن قرأ ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ بالتخفيف أي - بسكون الطاء وضم الهاء - وهي قراءة نافع ، وابن كثير وأبي عمرو ، وابن عامر ، وعاصم في رواية حفص عنه - فإن الطهر على هذه القراءة على معنى ارتفاع الدم وانقطاعه ، وعليه فيجوز الوقف على ﴿ يَطْهُرْنَ ﴾ ؛ لأنه كلامان ، ويكون على هذه القراءة كافيًا ، ومن قرأ ﴿ يَطَّهَّرْنَ ﴾ - بتشديد الطاء والهاء وفتحهما - وهذه قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر ، فإن الطهر يكون بالغسل ، فلا يجوز الوقف على ﴿ يَطَّهَّرْنَ ﴾ ؛ لأنه وما بعده كلام واحد ؛ إذ لا يجوز أن يطأ امرأته إذا طهرت حتى تطَّهَّر بالماء [٢] .

النموذج الثالث :

قوله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

فالوقف على قوله : ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ وقف كافٍ لمن قرأ ﴿ فَيَغْفِرُ ... وَيُعَذِّبُ ... ﴾ بالرفع على أنهما مستأنفان ، أي : فهو يغفرُ ويعذبُ ، وهذه قراءة عاصم وابن عامر ويعقوب وأبي جعفر والحسن . وأما من قرأ بالجزم فيهما لم يقف على لفظ الجلالة ؛ لأن قوله : ﴿ فَيَغْفِرْ ... وَيُعَذِّبْ ... ﴾ معطوفان على جواب الشرط في قوله : ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ فلا يقطعان منه ، وقوله : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ كافٍ على القراءتين ، وقراءة الجزم لنافع ، وأبي عمرو ، وابن كثير ، والكسائي ، وحمزة ، والأعمش [٣] .

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص٥٣٠) والمكتفى ، (ص١٧٢ ، ١٧٣) ، والاقتداء ورقة (٣٨) ، والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٢٦٢) ، ومعاني القرآن للأخفش (ج١ ص٢٣٤) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٢ ص٩٢) .

(٢) يراجع المكتفى (ص١٨٥) ، والقطع (ص١٨٧) ، والاقتداء ورقة (٥١) ، والكشف (ج١ ص٢٩٣) .

(٣) يراجع المكتفى (ص١٩٢) ، والقطع (ص٢٠٧) ، وعلل الوقوف (ج١ ص٣٥٣) ، والاقتداء ورقة (٦١) ، ومنار الهدى (ص٦٨) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٣ ص٤٢٣ ، ٤٢٤) .

النموذج الرابع :

قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

فالوقف على قوله : ﴿ حَسَنًا ﴾ يختلف فيه بين الوقف وعدمه باختلاف القراءات الواردة في قوله: ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ فمن قرأ ﴿ وَكَفَلَهَا ﴾ - بتخفيف الفاء - (١) وقف على كلمة ﴿ حَسَنًا ﴾ لأن ما بعده وهو ﴿ وَكَفَلَهَا ﴾ منقطع ، إذ إن الله بعد أن أنبت السيدة مريم عليها السلام نباتًا حسنًا وسوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان أسند فعل الكفالة والقيام بها الى زكريا عليه السلام ودليل كفالة زكريا لها قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] أخبر الله عنهم أنهم تنازعوا في كفالتها وتشاجروا في الدين ؛ حتى رموا بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي واستهموا بها على كفالة مريم فخرج قلم زكريا بإذن الله وقدرته فكلفها زكريا ، فالفعل مسند اليه فلما تحول من الإخبار عن الله إلى الإخبار عن زكريا صار كأنه استئناف كلام فحسن الوقف على قوله : ﴿ حَسَنًا ﴾ وأما من قرأ ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ - بتشديد الفاء - فليس بوقف ؛ لأن الفعلين معًا لله تعالى والمعنى : أنبتها الله - جلت قدرته - نباتًا حسنًا ، وكفلها اللهُ زكريا ، أي : ألزمه كفالتها ، وقدر ذلك عليه ويسره له فيكون ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ المفعول الثاني لـ ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ لأن التشديد يتعدى إلى مفعولين (٢) .

وقال السجاوندي : (من حيث إنه عطف جملة على جملة يجوز الوقف عند بعضهم) (٣) .

النموذج الخامس :

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٧٣] .

---

(١) وهذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتشديد يراجع السبعة (ص٢٠٤ ، ٢٠٥) والتبصرة (ص٤٥٨) ، والتيسير (ص٨٧) ، والمحرر الوجيز (ج٣ ص٦٧) .

(٢) يراجع الاقتداء (ورقة ٦٨) ، وعلل الوقوف (ج١ ص٣٧١) ، ومنار الهدى (ص٧٦) ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد (ص٧٦) ، والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٣٤١) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص٧٠) .

(٣) انظر علل الوقوف (ج١ ص٣٧١) .

في الآية الكريمة ينبني الوقف على قوله : ﴿ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ ووصله بما بعده على اختلاف القراء في قراءة : ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ فمن قرأ : ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ على الخبر [(١)] . لم يقف على قوله : ﴿ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ لأن ﴿ أن ﴾ مفعول قوله : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ أو أن ﴿ أن ﴾ في موضع جر بالخافض المحذوف .

والمعنى : ولا تصدقوا ولا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة إلا لمن اتبع دينكم ، أو لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ولا تصدقوا أن يحاجوكم ، فجملة ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ متعلقة بما قبلها ، فلا يوقف على قوله : ﴿ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ على هذه القراءة . ومن قرأ ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ مستفهمًا وقف على قوله : ﴿ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ وابتدأ بقوله : ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ على التقدير: آلآن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم لاتؤمنون والاستفهام للإنكار والتوبيخ من علماء اليهود لعامتهم ؛ ليتمسكوا بما هم عليه .

والمعنى : أتقرون أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أو أتشيعون أو أتذكرون ذلك [(٢)] .

النموذج السادس :

قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

ورد في قوله : ﴿ قَـٰتَلَ ﴾ قراءتان : ﴿ قُتِلَ ﴾ بغير الألف مبنيًا للمفعول ، وتلك قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو . و ﴿ قَاتَلَ ﴾ بالألف مبنيًا للفاعل ، وتلك قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وعاصم ، وبناء على اختلاف القراءة يجوز الوقف أو عدمه على قوله : ﴿ قتل ﴾ وهنا يظهر أثر المعنى ، فمن قرأ : ﴿ قُتِلَ ﴾ بغير الألف مبنيًا للمفعول بإسناد القتل للنبي فقط كان الوقف على قوله : ﴿ قُتِلَ ﴾ كافيًا بتأويل قتل النبي ، ومعه جموع كثيرة فما وهنوا بعد قتله ، هذا بيان الوقف ثم يبتدئ بقوله : ﴿ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ [(٣)]

---

(١) قال الداني : قرأ ابن كثير ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ ﴾ بالمد على الاستفهام ، والباقون بغير مد على الخبر. انظر التيسير (ص٨٩) ويراجع السبعة (ص٢٠٧) ، والتبصرة (ص٤٦١) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٥٧٨ ، ٥٧٩) ، والمكتفى (ص٢٠٤) ، والاقتداء ورقة (٧٢ ، ٧٣) ، والكشف عن وجوه القراءات (ج١ ص٣٤٧ ، ٣٤٨) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص١١٢ ، ١١٣) بتصرف واختصار .

(٣) قال الإمام القرطبي ما ملخصه : « والربيون » بكسر الراء قراءة الجمهور وقرأها بعضهم بضم الراء وقرأها بعضهم بفتحها . والربيون : الجماعة الكثيرة نسبة إلى الربة - بكسر الراء وضمها - ومنه يقال : للخرقة التي تجمع فيها القداح ربة وربة . والرباب : قبائل تجمعت ، وقال ابن عباس : ربيون - بفتح الراء - منسوب إلى الرب .

وقال الخليل : الرِّبيّ بكسر الراء الواحد من العباد الذين صبروا مع الأنبياء ، وهم الربانيون نسبوا إلى التأله والعبادة ، ومعرفة الربوبية لله تعالى . انظر الجامع لأحكام القرآن (ج٤ ص٢٣٠) بتصرف واختصار .

كَثِيرٌ ... ﴾ ربيون مبتدأ و ﴿ مَعَهُۥ ﴾ خبر - فلو وصل ﴿ قُتِلَ ﴾ بقوله : ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ لكان ﴿ رِبِّيُّونَ ﴾ مقتولين أيضًا . وعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ﴿ قُتِلَ ﴾ .
ولا يجوز الوقف بناء على قراءة من قرأ : ﴿ قَٰتَلَ ﴾ بألف مبنيًا للفاعل بإسناد القتل للربيين كأنه قال : كم من نبي قاتل معه ربيون وقُتل بعضهم فما وهن الباقون لقتل من قُتل منهم ، وما ضعفوا وما استكانوا وما جبنوا عن قتال عدوهم . فعلى هذا لم يكف الوقف على ﴿ قَٰتَلَ ﴾ فلو قطع ﴿ قَٰتَلَ ﴾ عما بعده لفُصل بين الفعل وفاعله ، وحينئذٍ لا يجوز الوقف على ﴿ قَٰتَلَ ﴾ بل يقف القارئ على قوله : ﴿ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ﴾ (١) .

النموذج السابع :

قوله تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة: ٤٦، ٤٧] .

فكلمة ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ رأس آية ، ولكن الوقف عليها وعدمه يختلف باختلاف القراءات الواردة في قوله : ﴿ وَلْيَحْكُمْ ﴾ فمن قرأ : ﴿ لِيَحْكُمَ ﴾ - بكسر اللام ونصب الميم - (٢) على أن اللام لام كي لم يبتدئ بـ ﴿ لِيَحْكُمَ ﴾ ؛ لأنه متعلق بما قبله من قوله : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ على المعنى : وآتيناه الإنجيل لكي يحكم أهله بما فيه من حكم الله .

قال الإمام مكي : (لأن إنزال الإنجيل كان بعد حدوث عيسى ، فلا يبتدأ بقوله : ﴿ وَلِيَحْكُمَ ﴾ (٣)) ، وقيل التقدير : وليحكمَ أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أنزلناه عليهم . وهذا الوجه استحسنه الإمام الداني ، حيث قال : (وعليه يحسن الابتداء به لتعلق لام كي بفعل محذوف دل عليه ... أنزل ...) (٤) أي جاز الوقف على ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ وَلِيَحْكُمَ ﴾ . ومن قرأ : ﴿ وَلْيَحْكُمْ ﴾ - بإسكان اللام وجزم الميم - على الأمر وقف على قوله : ﴿ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ لأن قوله تعالى : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ ﴾ إلزام مستأنف يبتدأ به ؛ إذ المعنى : أن الله ﷻ يأمر أهل الإنجيل

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٥٨٥) وما بعدها ، والقطع (ص٢٣٦ ، ٢٣٧) ، والمكتفى (ص٢١٠ ، ٢١١) ، ومنار الهدى (ص٨٩ ، ٩٠) ، والمقصد (ص٨٩ ، ٩٠) .

(٢) هذه قراءة حمزة وقرأ الباقون بإسكان اللام وجزم الميم على الأمر - يراجع السبعة (ص٢٤٤) ، والتيسير (ص٩٩) ، والتبصرة (ص٤٨٦) .

(٣) انظر الكشف (ج١ ص٤١٠) .

(٤) انظر المكتفى (ص٢٤١) .

بالحكم بما أنزل في الإنجيل ، كما أمر النبي ﷺ بالحكم بما أنزل الله عليه (١) فقال سبحانه : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ... ﴾ [المائدة: ٤٩] .

النموذج الثامن :

قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٩] .

فالوقف على قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ يختلف باختلاف القراءات الواردة في كلمة ﴿ أَنَّهَا ﴾ فمن قرأ قوله : ﴿ إِنَّها ﴾ - بكسر الهمزة - وبها قرأ مجاهد ، وأبو عمرو ، وابن كثير وقف على قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ وابتدأ بقوله : ﴿ إِنَّهَا إِذَا جَآءَتْ ... ﴾ على أنه استئناف إخبار من الله عنهم أنهم لا يؤمنون إذا جاءت الآية وما يشعركم .

والمعنى : وما يدريكم إيمانهم إذا جاءت الآيات ، فأخبر الله عنهم بما علمه منهم ، فقال : ﴿ إِنَّهَا إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ على الاستئناف ، فعلى هذه القراءة يكون قوله : ﴿ إِنَّهَا إِذَا جَآءَتْ ﴾ منقطع مما قبله ، وبناء عليه يكون الوقف على قوله : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ (٢) والائتناف بقوله ﴿ إِنَّهَا إِذَا جَآءَتْ ... ﴾ ومن قرأ : ﴿ أَنَّهَآ ... ﴾ - بفتح الهمزة - وبها قرأ نافع ، وحمزة ، والكسائي ، وعاصم في رواية حفص لم يقف على ﴿ يُشْعِرُكُمْ ﴾ سواء قدرت ﴿ أَنَّهَا ﴾ بـ « لعلها » أو قدرت بزيادة ﴿ لَا ﴾ .

والمعنى : وما يدريكم أيها المؤمنون أن الآيات التي يقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون . يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لاتدرون ، وذلك أن المؤمنين كانوا طامعين إذا جاءت تلك الآيات ، ويتمنون مجيئها ، فقال الله تعالى وما يدريكم أنهم لا يؤمنون لما سبق في علمي أنهم لايؤمنون ، فعلى هذا لا يوقف على قوله : ﴿ يُشْعِرُكُمْ ﴾ (٣) .

(١) يراجع المكتفى (ص٢٤١) ، والاقتداء (ورقة ٩٨) ، والكشاف (ج١ ص٤١٠ ، ٤١١) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٦ ص٢٠٩) .

(٢) قال الإمام الداني : روي عن قنبل أنه قال : سمعت عن أحمد بن محمد القواس ، يقول : (نحن نقف حيث انقطع النفس إلا في ثلاثة مواضع نتعمد الوقف عليها تعمدًا في سورة آل عمران : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾ ثم نبتدئ ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ... ﴾ (آية ٧) . وفي الأنعام ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ ثم نبتدئ ﴿ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ ﴾ (آية ١٠٩) . وفي النحل : نقف على ﴿ ... بَشَرٌ ... ﴾ ثم نبتدئ ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ ﴾ وزيد عنه موضع رابع في سورة يس ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ ثم نبتدئ ﴿ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ (آية ٥٢) . انظر المكتفى (ص٢٥٨ ، ٢٥٩) ويراجع منار الهدى (ص١٣٧) .

(٣) يراجع المكتفى (ص٢٥٧ ، ٢٥٨) ، ومنار الهدى (ص١٣٦ ، ١٣٧) بتصرف واختصار ، والكشف (ج٢ ص٤٤٤ ، ٤٤٥) بتصرف واختصار والكشاف (ج٢ ص٥٧ ، ٥٨) بتصرف .

وقد أجاز ابن الأنباري ، وابن النحاس : الوقف قبلها والابتداء بها اذا قدرت بمعنى «لعلها» لأن فيها الايجاب [١] .

النموذج التاسع :

قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الإسراء: ٩٣] .

فالوقف في الآية الكريمة على قوله : ﴿ وَرِيشٗاۖ ﴾ كاف على قراءة من قرأ ﴿ وَلِبَاسُ ﴾ بالرفع على الابتداء ﴿ وَذَٰلِكَ ﴾ نعت أو بدل منه أو عطف بيان و ﴿ خَيۡرٞ ﴾ خبر لـ ﴿ لِبَاسُ ﴾ .

والمعنى : ولباس التقوى المشار إليه ، الذي علمتموه خير لكم من لبس الثياب التي توارى سوءاتكم ، ومن الرياش الذي أنزلنا إليكم فالبسوه فـ ﴿ لِبَاسُ ﴾ منقطع مما قبله على هذه القراءة ، وهذه القراءة قرأ بها ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة .

ومن قرأ ﴿ لباسَ ﴾ بالنصب لم يقف على قوله : ﴿ وَرِيشٗاۖ ﴾ ؛ لأن ما بعده معطوف على قوله : ﴿ لِبَاسٗا ﴾ والتقدير : أنزلنا لباسًا وأنزلنا لباس التقوى . فالكلام متصل بعضه ببعض فلا يوقف على ﴿ وَرِيشٗاۖ ﴾ على هذه القراءة . وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي [٢] .

النموذج العاشر :

في قوله تعالى : ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء: ٩٣] .

فالوقف على قوله : ﴿ نَّقۡرَؤُهُۥۗ ﴾ يختلف بين التام والكافي ، وذلك باختلاف القراءات الواردة في كلمة ﴿ قُلۡ ﴾ . فمن قرأ ﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي ... ﴾ - على صيغة الأمر - وبها قرأ نافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، كان الوقف على قوله : ﴿ نَّقۡرَؤُهُۥۗ ﴾ تامًا ؛ لأن ما بعده استئناف أمر من الله ﷻ للرسول ﷺ بأن يقول ذلك .

والمعنى : قل لهم يا محمد ما أنا إلا بشر رسول ، أتبع ما يوحى إليَّ من ربى ، ولا أقدر على شيء مما سألتموني وليس لي أن أتخير على ربي ، ولم تكن الرسل قبلي يأتون أممهم بكل ما يريدونه ويبغونه ، وسبيلي سبيلهم ، ويفعل الله ما يشاء من هذه

(١) انظر الإيضاح (ج٢ ص٦٤٢) ، والقطع والائتناف (ص٣١٩) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٦٥٢ ، ٦٥٣) ، والمكتفى (ص٢٢٦) ، والقطع (ص٣٣١) ، والاقتداء (ورقة ١١٤) ، والكشف (ج١ ص٤٦١) ، والسبعة (ص٢٨٠) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٧ ص١٨٥) .

الأشياء التي ليست في قدرة البشر . ومن قرأ ﴿ قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ - على الخبر - وبها قرأ ابن كثير وابن عامر فالوقف على ﴿ نَّقْرَؤُهُۥ ﴾ كافٍ ؛ لأن ما بعده خبر عن الرسول ﷺ يعني أن النبي - عليه الصلاة السلام - قال ذلك تنزيهًا لله ﷻ عن أن يعجز عن شيء ، وعن أن يُعترض عليه في فعل .

وقيل : هذا كله تعجب من فرط كفرهم واقتراحاتهم فعلى هذا الوجه : فالكلام متصل بعضه ببعض معنى [١] .

النموذج الحادي عشر :

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [مريم : ٣٤] .

فالوقف على كلمة ﴿ مَرْيَمَ ﴾ في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ كافٍ لمن قرأ ﴿ قَوْلَ ﴾ بنصب اللام على أن ﴿ قَوْلَ ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أي : هذا الإخبار عن عيسى ابن مريم ثابت صدق ، فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة كقوله ﴿ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ﴾ أي : الموعود الصدق وقراءة النصب هذه : هي قراءة عاصم وابن عامر . وأيضًا الوقف على ﴿ مَرْيَمَ ﴾ كافٍ - على قراءة رفع اللام - في ﴿ قَوْلُ ﴾ على أن ﴿ قَوْلُ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، تقدير : ذلك قول الحق ، أو ذلك الكلام قول الحق ، أو هو قول الحق ، يراد به عيسى ابن مريم لا ما تدّعونه عليه ، فليس هو ابن الله كما تزعم النصارى . وليس بوقف إن رُفع ﴿ قَوْلُ ﴾ على أنه بدل من ﴿ عِيسَى ﴾ لأنه لا يفصل بين البدل والمبدل منه بالوقف ، وقراءة الرفع قرأ بها نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي [٢] .

النموذج الثاني عشر :

في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴾ [الفرقان : ٦٠] .

فالوقف على لفظة ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ في قوله : ﴿ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ مختلف فيه بين الوقف وعدمه على اختلاف القراءات الواردة في قوله : ﴿ تَأْمُرُنَا ﴾ . فمن قرأ ﴿ يَأْمُرُنَا ﴾

---

(١) يراجع المكتفى (ص٣٦٣) ، ومنار الهدى (ص٢٢٧) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٠ ص٣٣١) ، وزاد المسير (ج٥ ص٨٨) .

(٢) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٧٦٣) ، والقطع (ص٤٥٤) ، والمكتفى (ص٣٧٥) والكشف (ج٢ ص٨٨ ، ٨٩) ، والسبعة (ص٤٠٩) ، والتيسير (ص١٤٩) .

بالياء - وهي قراءة حمزة والكسائي - يقف على قوله : ﴿ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ثم يبتدأ بقوله ﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا يَأْمُرُنَا ﴾ على الإخبار عن النبي ﷺ على الإنكار منهم أن يسجدوا لما يأمرهم به محمد ﷺ فالجملة استئناف كأن بعضهم قال لبعض : أنسجد لما يأمرنا محمد بالسجود له . وأما على قراءة ﴿ تَأْمُرُنَا ﴾ بالتاء - وهي قراءة نافع وابن كثير أبي عمرو وابن عامر وعاصم - لم يوقف على قوله : ﴿ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ ؛ لأن ما بعده متعلق بما قبله من قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ... ﴾ وتوضيح ذلك : أن التاء في « تأمرنا » خطاب منهم للنبي - صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأنهم أنكروا أمره لهم بالسجود لله فقالوا أنسجد لما تأمرنا أنت يا محمد . فالكل مقول القول ولا ينبغي أن يفصل بين مقول القول [١] .

النموذج الثالث عشر :

في قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الشورى : ٣] .

فقول الله تعالى : ﴿ مِن قَبْلِكَ ﴾ مختلف فيه بين الوقف وعدمه بناء على القراءات الواردة في كلمة ﴿ يُوحِيٓ ﴾ فمن قرأ ﴿ يُوحَىٰ ﴾ - بفتح الحاء - على ما لم يسم فاعله - وهي قراءة ابن كثير - فيقف على قوله : ﴿ مِن قَبْلِكَ ﴾ ويبتدأ بقوله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ .... ﴾ على التبيان لما قبله كأنه قيل : من يوحيه ؟ فيقال : ﴿ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ .

فالمعنى : على هذه القراءة : كذلك يوحَى إليك يا محمد ، مثل ما أُوحي إلى الأنبياء قبلك .

وقيل معناه : إن الله - جل ذكره - أعلم محمدًا ﷺ أن هذه السورة أوحيت إلى الأنبياء قبلك يا محمد .

وأما على قراءة - كسر الحاء - في ﴿ يُوحِيٓ ﴾ وهي - قراءة الباقين - فلا يُوقف إلا على رأس الآية ، أي : على كلمة ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ؛ لأنهم أسندوا الفعل إلى الله ﷻ فهو الفاعل فلا يُوقف على الفعل دون فاعله ، ولا على الفاعل دون نعته [٢] .

وهكذا فقس على تلك النماذج نظائرها .

---

(١) يراجع المكتفى (ص٤١٩) ، وعلل الوقوف (ج٢ ص٧٥١) ، والكشف (ج٢ ص١٤٦) ، والتفسير الكبير (ج٢٣ ص٨٢) ، والسبعة (ص٤٦٦)، والتبصرة (٦١٣) ، والتيسير (ص١٦٤) ، والاقتداء (ورقة ٢٠٥) .

(٢) يراجع المكتفى (ص٥٠١) ، والقطع (ص٦٣٨) ، وعلل الوقوف (ج٣ ص٩٠٥) ، والسبعة (ص٥٨٠) ، والتبصرة (ص٦٦٧) ، والتيسير (ص١٩٤) وزاد المسير (ج٧ ص٢٧٢) .







الوقف والابتداء التعسفي ، وأثرهما على المعنى

ويشتمل على ما يلي :

أولًا : تمهيد .

ثانيًا : ذكر نماذج للوقف ، أو الابتداء التعسفي وأثر ذلك على المعنى .





أولاً : تمهيد

هناك من القراء من يتعمد الوقف على بعض المواطن أو الابتداء ببعض المواطن التي ليست محلًا للوقف أو الابتداء ، ولا مبرر لها إلا مجرد الإغراب على السامعين ، فليس كل ما يتعسفه بعض المعربين ، أو يتكلفه بعض القراء ، أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضي وقفًا أو ابتداءً ينبغي أن يتعمد الوقف عليه أو الابتداء به ؛ بل ينبغي تحري المعنى الأتم والوقف الأوجه الذي يرتضيه المتقنون من أهل العربية ويتأوله المحققون من الأئمة ، والذي يليق وفصاحة القرآن الكريم [١] .

ثانيًا : ذكر نماذج للوقف أو الابتداء التعسفي [٢] وأثر ذلك على المعنى

بعد هذا التمهيد الموجز سأضع بين يدي القارئ بعض النماذج التي توضح تلك القضية مع مناقشتها مناقشة منصفة ، تظهر معاني التنزيل ، وتكشف عن مقاصده على ضوء ما في أساليب القرآن الكريم من دقة وروعة ، وما في معانيه من سمو ورفعة .

ومن هذه النماذج ما يلي :

١ - الوقف على قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ... ﴾ من قول الله ﷻ : ﴿ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ... ﴾ [البقرة: ١٥٨] . وذلك غير جيد ؛ لأن القارئ إذا وقف على قوله : ﴿ فَلَا جُنَاحَ ﴾ وابتدأ بقوله : ﴿ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ .

كان المعنى : فمن حج البيت أو اعتمر فلا حرج فيجعل الحج المفروض ، كالنفل الذي إن فُعل جاز ، وإن لم يُفعل جاز ويوجب السعي بقوله ﴿ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ... ﴾ فكأنه جعل الآية موجبة للسعي بين الصفا والمروة وغير موجبة لما اتفقوا على وجوبه وهو الحج (بشروطه) وهذا معنى فاسد متكلف متعسف ، بل ومردود بسبب نزول الآية الكريمة ؛ إذ إن سبب نزولها : أنه كان على الصفا والمروة صنمان ، يقال لهما : إساف ونائلة ، فكان إساف على الصفا ونائلة على المروة ، وكان أهل الجاهلية يطوفون بين

---

(١) يراجع النشر (ج١ ص٢٣١) ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٦٣) .

(٢) التعسف : هو حمل الكلام على معنى لا تكون دلالته عليه ظاهرة . وبعبارة أخرى : هو الطريق الغير موصل إلى المطلوب . انظر التعريفات (ص٦١) .

الصفا والمروة تعظيمًا للصنمين فلما جاء الإسلام وكُسِّرت الأصنام ، تحرج المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وأذن في السعي بينهما ، وأخبر أنهما من شعائر الله تعالى [١] .

والمعنى : فمن قصد بيت الله للحج أو قصده للزيارة بأحد النسكين - الحج أو العمرة - فلا حرج ولا إثم عليه أن يسعى بينهما ، فإذا كان المشركون يسعون بينهما ويتمسحون بالأصنام ، فاسعوا أنتم لله رب العالمين .

فحينئذٍ يكون المقصود من نزول الآية الكريمة رفع الحرج عن السعي بين الصفا والمروة ، وإباحة فعله . وأما وجوب السعي فلم يثبت بالآية الكريمة ، وإنما ثبت من فعله ﷺ وقوله فقد روى عنه ﷺ أنه قال لأصحابه : « **اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي** » [٢] .

فقوله - عليه الصلاة والسلام - « **اسعوا** » أمر ، والأمر هنا للوجوب [٣] ولذلك علله النبي ﷺ بقوله : « **فإن الله قد كتب** » أي فرض عليكم السعي [٤] . يضاف إلى ذلك حذف خبر ﴿ لَا ﴾ من غير دليل يدل عليه وهذا ممنوع .

فإن قال المجيزون : (إن تقدير الآية : فمن حج البيت أو اعتمر ، فلا جناح عليه في فعلهما) . يقال لهم :

أولًا : لا دليل على هذا المحذوف .

---

(١) يراجع أسباب النزول للواحدي (ص٣١) ، والجامع لأحكام القرآن (ج٢ ص١٧٨) ، والاقتداء ورقة (٤٢) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٦ ص٤٢١) : عن حبيبة بنت أبي تجزئة ، قالت : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة ، والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسعى حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور به إزاره وهو يقول : « **اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي** » .

(٣) اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة إلى ثلاثة :

أ - فذهب ابن عمر وجابر وعائشة من الصحابة ﷺ ومالك والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه إلى أن السعي ركن من أركان الحج . بحيث لو ترك الحاج السعي بين الصفا والمروة بطل حجه ولا يجبر بدم ولا غيره .

ب - وذهب ابن عباس ، وأنس ، وابن الزبير ، وابن سيرين ، ورواية عن أحمد : أنه سنة لا يجب بتركه شيء .

ج - وذهب أبو حنيفة والثوري والحسن إلى أنه واجب وليس بركن ، فلا يبطل الحج أو العمرة بتركه ، وأنه إذا تركه وجب عليه دم . ورجح ابن قدامة هذا الرأي ، فقال : وهو أولى ؛ لأن دليل من أوجبه دل على مطلق الوجوب لا على كونه لا يتم الواجب إلا به .

ومن أراد زيادة فعليه أن يقرأ كتب الفقه . يراجع المغني لابن قدامة (ج٤ ص٣٧ ، ٣٨) ط/ دار الغد العربي والاقتداء ورقة (٤٢) وفقه السنة للأستاذ السيد سابق (ج٥ ص١٨٢) وما بعدها ، ومحاسن التأويل (ج٣ ص٣٤٧) .

(٤) يراجع النشر (ج١ ص٢٣١) ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٦٣) ، والاقتداء ورقة (٤٢) .

ثانيًا : هذا معنى تتنزه عنه أساليب القرآن الكريم الرفيعة ، ومعانيه السامية .

وحيث كان الوقف منافيًا ، لسبب نزول الآية الكريمة وللأحاديث الصحيحة الواردة فيها ولقواعد اللغة العربية ، ولأساليب القرآن ومعانيه ، فلا شك أنه خطأ يجب البعد عنه [١] .

٢ - ومن ذلك الوقف على قوله : ﴿ وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا ... ﴾ . من قوله تعالى : ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . فمن تعمد الوقف على قوله : ﴿ وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ ﴾ ثم استأنف على معنى النداء ، قائلًا : ﴿ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فالوقف على ﴿ أَنتَ ﴾ يشعر ولو من طريق بعيد بأن هؤلاء المؤمنين الخلّص الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم ، وتغلغت محبته في أعماق نفوسهم ، وامترجت بمشاعرهم وأحاسيسهم هؤلاء يريدون أن يتولى الله رحمتهم ولا يكلهم لغيره ، ولذلك قالوا : ﴿ أَنتَ ﴾ توكيدًا من هنا كان الوقف على قوله : ﴿ أَنتَ ﴾ خطأ محضًا ، يتنافى مع حقيقة من سيقت الآية الكريمة تنويهًا بشأنهم ، وإشادة بذكرهم وتنبيهًا على علو قدرهم عند الله تعالى [٢] .

٣ - ومن ذلك أيضًا الوقف على قوله : ﴿ يَحْلِفُونَ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ من قول الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٢] . فالوقف في الآية الكريمة على ﴿ يَحْلِفُونَ ﴾ مبني على أن المحلوف به محذوف ، تقديره : بالله ، وأن الباء في قوله : ﴿ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ صارت للقسم ، وفعل القسم محذوف ، تقديره : أقسم بالله ... إلخ .

وهذا التأويل مردود من وجوه :

الأول : أنه خلاف الظاهر المتبادر من الآية الكريمة ؛ إذ أن المتبادر منها أن قوله تعالى : ﴿ بِٱللَّهِ ... ﴾ متعلق بـ ﴿ يَحْلِفُونَ ﴾ وليست الباء باء قسم إنما هي حرف جر .

الثاني : أن فيه ارتكاب تقدير محذوف ، ومن المقرر عند العلماء : أن ما لا يحتاج إلى تقدير مقدم على ما يحتاج إليه [٣] .

---

(١) يراجع التبيان في إعراب القرآن (ج١ ص١٣٠) ، ومعالم الاهتداء (ص٧٩) وما بعدها .

(٢) يراجع النشر (ج١ ص٢٣١) ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص١٦٤) ، ونهاية القول المفيد (ص١٧١) ومعالم الاهتداء ص٨٠ وما بعدها .

(٣) يراجع النشر (ج١ ص٢٣١) ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٦٣) ، ومعالم الاهتداء (ص٨١ ، ٨٢) .

قال الأشموني : (فلا يوقف على ﴿ يَحْلِفُونَ ﴾ وبعضهم تعسف ووقف عليه ، وجعل الباء في ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ قسمًا ، و ﴿ إِنْ أَرَدْنَآ ﴾ جواب القسم و ﴿ إِنْ ﴾ بمعنى ﴿ مَآ ﴾ أي : وما أردنا في العدول عنك عند التحاكم إلا إحسانًا وتوفيقًا . وليس بشيء لشدة تعلقه بما بعده ؛ لأن الأقسام المحذوفة في القرآن لا تكون إلا بالواو ، فإن ذكرت الباء أتى بالفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ... ﴾ [النور : ٥٣] ولا تجد الباء مع حذف الفعل أبدًا ، والمعتمد أن الباء متعلقة بـ ﴿ يَحْلِفُونَ ﴾ وليست باء القسم كما تقدم) [١] .

الثالث : أن الوقف على قوله : ﴿ يَحْلِفُونَ ﴾ والابتداء ﴿ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ ... ﴾ مناف لفحوى الآيات وهدفها فإن الآيات تهدف إلى التشنيع على المنافقين ، وتعداد قبائحهم ، ومن هذه القبائح جرأتهم على الله بالحلف كذبًا فإذا وُقف على ﴿ يَحْلِفُونَ ﴾ لا يتبين للسامع أن المحلوف به هل هو الله ؟ فيكون ذلك جريمة أخرى تضم إلى جرائمهم السابقة أو أن المحلوف به غير الله ، فلا يلتفت إلى الحلف به . فحينئذٍ يُستحب وصل ﴿ يَحْلِفُونَ ﴾ بقوله : ﴿ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ لينص على المحلوف به ، فيكون في ذلك مبادرة إلى تسجيل الكذب عليهم بحلفهم بالله زورًا وكذبًا ، وإذ ذاك لا يتردد السامع في شأنهم ، بل يجزم بسوء صنيعهم ، وشنيع افترائهم على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ [٢] .

٤ - ومن ذلك الوقف على قوله : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا ﴾ . في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص : ٩] . إذ يتعمد بعض الجهال المتكلفين الوقف على قوله ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا ﴾ أي : هو قرت عين لي دونك . ونسبه بعض الضعفاء [٣] لابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا ﴾ ثم قالت : ﴿ تَقْتُلُوهُ ﴾ والذي أراه : أن هذا

---

(١) انظر منار الهدى (ص١٠٢) .

(٢) يراجع معالم الاهتداء (ص٨٢) وما بعدها ، والتفسير الوسيط (ج٣ ص٢٥٩ . ٢٦٠) بتصرف .

(٣) وممن نسب إلى ابن عباس ذلك التأويل : السدي عن الكلبي عن أبي صالح ، وهؤلاء رجال ضعفاء . فالسدي : هو محمد بن مروان بن عبد الله السدي الأصغر ، محدث كوفي روى عن الأعمش والكلبي ، وعنه ابنه علي ذكره ابن شاهين في الضعفاء . يراجع تهذيب التهذيب لابن حجر (ج٩ ص٤٣٦) وأما أبو صالح : فهو باذام ، ويقال : باذان أبو صالح مولى أم هانئ روى عن ابن عباس ، وعنه الكلبي ، قال الإمام النسائي : ليس بثقة . تهذيب التهذيب (ج١ ص٤١٦) وأما الكلبي : فهو محمد بن السائب الكلبي : محدث روى عن أبي صالح ، وعنه الثوري . تركه أبو حاتم ، وقال ابن النحاس : ورواية الكلبي لا يحل لمسلم أن ينظر فيها لإجماع أهل العلم ممن يعرف الرجال على تكذيبه . يراجع تهذيب التهذيب (ج٩ ص١٧٨) ، والقطع (ص٥٤٣) .

الوقف لا وجه له في العربية ، بل هو فاسد من وجوه :

أحدها : لو كان الوقف على ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا ﴾ لقال : « تَقْتُلُونَهُ » بنون الرفع إذ لا مقتضى لحذفها ؛ لأن حذفها إنما كان للنهي فإذا بطل أن يكون نهيًا وجب ثبوت النون ، فلما جاء بغير نون علم أن العامل في الفعل ﴿ لَا ﴾ التي للنهي فلا تفصل منه . ومن نسب هذا القول لابن عباس ﷺ فذلك إقدام من قائله على مثل ابن عباس ، وهو الإمام المقدم في الفصاحة والعربية ، بل أجل قدرًا وأغزر علمًا من أن يتفوه بمثل هذا الخطأ الظاهر واللحن القبيح [(١)] إنما الصحيح المروي عن ابن عباس ﷺ ما أورده ابن جرير في تفسيره أنه قال : « قالت امرأت فرعون قرت عين لي ولك » فقال فرعون : « أما لك فنعم ، وأما لي فلا » [(٢)] .

ثانيها : ومما يدل على فساد ذلك الوقف وخطأه أيضًا : قراءة ابن مسعود ﷺ حيث قال : « وقالت امرأت فرعون لا تقتلوه قرت عين لي ولك - بتقديم - لا تقتلوه » [(٣)] .

ثالثها : نقول لهؤلاء الذين يقفون على قوله : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا ﴾ :

من أين علمت امرأت فرعون أنه قرت عين لها دونه ؛ ولم يكن موسى ﷺ ممن يُوحى إليه عند التقاطه فينبئها بأمره ، ولم تكن هي أيضًا ممن يُوحى إليها فتعرف ذلك ؟ هذا لو صح اللفظ ، فكيف واللفظ فاسد على ذلك ، وقد قال الله في عجز الآية ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وحينئذٍ لا يصح الوقف على قوله : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا ﴾ إنما الوقف الصحيح الذي يُظهر المعنى على قوله : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ... ﴾ [(٤)] .

٥ - ومن ذلك الوقف على قوله : ﴿ تَمْشِي ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ ... ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ... ﴾ [القصص: ٢٥] فمن القراء من يتكلف الوقف على قوله : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي ﴾ ثم يستأنف قائلًا : ﴿ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ ... ﴾ أي : قالت على استحياء من موسى ، على التقديم والتأخير ، فيتعلق الجار والمجرور وهو قوله : ﴿ عَلَى

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٨٢٢) ، والمكتفى (ص٤٣٥ ، ٤٣٦) ، والقطع (ص٥٤٣) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٨٩) ، والاقتداء (ورقة ٢١٣) ، والجامع لأحكام القرآن (ج١٣ ص٢٥٤) .

(٢) انظر جامع البيان (ج٢٠ ص٢٢) ، ويراجع القطع (ص ٥٤٣) .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء (ج ٢ ص ٣٠٢) ، ويراجع لأحكام القرآن (ج ١٣ ص ٢٥٤) .

(٤) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٨٩) .

ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ بمحذوف حال متقدمة من فاعل ﴿ قَالَتْ ﴾ والتقدير : أي قالت مستحيية .

وهذا يفيد وصفها بالحياء عند قولها لموسى : ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ ... ﴾ لا عند مجيئها ولا عند مشيها ، ولكن الوجه الظاهر أن جملة ﴿ تَمْشِي ﴾ حال من فاعل ﴿ جَآءَتْ ﴾ وقوله : ﴿ عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في ﴿ تَمْشِي ﴾ والتقدير : جاءته ماشية كائنة على استحياء . وهذا يفيد أنها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معًا لا عند المجئ فقط وتنكير ﴿ ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ للتفخيم من هنا قيل : جاءت متخفرة أي : شديدة الحياء وقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ ﴾ جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب وقعت جوابًا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئها إياه ﷺ كأنه قيل : فماذا قالت لموسى ﷺ حين جاءت ماشية ، فقيل : ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ ﴾ وهذا الإعراب أولى بالقبول مما فيه التقديم والتأخير [١] . وفضلًا عن ذلك أن الوقف على قوله : ﴿ تَمْشِي ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ ﴾ : يناقض ما ورد من الآثار في هذه الآية الكريمة ، فقد روى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال في شأن هذه المرأة : جاءت مستترة بكم درعها على وجهها ، وفي رواية بلفظ « واضعة يدها على وجهها » [٢] . فقوله : جاءت مستترة بكم ذراعها أو جاءت واضعة ثوبها على وجهها يدل في صراحة على أن وصفها بالحياء إنما كان حال مجيئها لا حال قولها فقط . وقد صور القرآن الكريم هذا المعنى في أقصر لفظ وأخصر عبارة ، فقال ﷻ : ﴿ تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ لا متبرجة ولا متبذلة ، ولا متبجحة ، بعيدة عن طرق الإغراء [٣] ، وأساليب الإغواء ، ولا شك أن مشي هذه المرأة على تلك الحال التي وصفها بها القرآن على تصونها ونزاهتها من قولها ونطقها .

فكم من امرأة يقطر حديثها - خصوصًا مع الرجال - أدبًا وحياءً ويفيض عفة ونزاهة ، وتكون خفيضة الصوت مضطربة التعبير تبين تارة وتتعثر أخرى ، ثم هي مع ذلك من أقل النساء صفة بمعاني الطهر والعفاف والكرامة . فالوقف الذي يلائم معنى الآية ويتفق والآثار التي وردت فيها إنما هو الوقف على قوله : ﴿ عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾ لا على

---

(١) يراجع القطع (ص٥٤٤) ، والمكتفى (ص٤٣٦) ، وعلل الوقوف (ج٢ ص٧٧٨) ، والاقتداء ورقة (٢١٤) ، ومنار الهدى (ص٢٩٠) ، وروح المعاني (ج٢٠ ص٦٤) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير - تفسير سورة القصص - قصة نكاح موسى ﷺ بنت شعيب ﷺ عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر ﷺ .

(٣) يراجع معالم الاهتداء (ص٨٧) بتصرف .

قوله : ﴿ تَمْشِي ﴾ كما يدعي البعض [١] .

٦ - ومن ذلك الوقف على قوله : ﴿ دَعَاكُمْ دَعْوَةً ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥] . فيزعم البعض : أن الوقف على قوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ .

والمعنى عندهم : إذا أنتم تخرجون من الأرض على التقديم والتأخير . وذلك خطأ ، بل وقبيح عند علماء العربية ؛ لأن هؤلاء الذين تكلفوا الوقف إن كانوا يجعلون قوله : ﴿ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ جوابًا لـ ﴿ إِذَا ﴾ فلا يجوز الوقف على كلمة ﴿ دَعْوَةً ﴾ حتى لا يفصل بين الشرط وجوابه ، وإن كانوا لا يجعلون ﴿ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ الجواب فيقال لهم حينئذٍ : أين جواب ﴿ إِذَا ﴾ ؟ [٢] .

قال النحاس : (وجواب ﴿ إِذَا ﴾ الأولى عند الخليل وسيبويه ﴿ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ والوقف على ما دون جواب ﴿ إِذَا ﴾ قبيح ؛ لأن ﴿ إِذَا ﴾ الأولى للشرط ، والثانية للجزاء وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط » [٣] . وأيضًا لا يصح الوقف على قوله : ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ لأنه وقف قبل الجواب .

وقوله : ﴿ مِّنَ الْأَرْضِ ... ﴾ أي : دعاكم وأنتم في الأرض ، كما يقول : دعوت فلانًا من المسجد [٤] .

٧ - ومن ذلك الوقف على قوله : ﴿ حَقًّا ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . في قوله - جل شأنه - : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧] . في الآية الكريمة يتعسف بعض القراء الوقف على قوله : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا ﴾ والاستئناف بقوله : ﴿ عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ على أن يكون في نظر هؤلاء اسم ﴿ كَانَ ﴾ ضمير يعود على الانتقام الذي دل عليه قوله : ﴿ فَانتَقَمْنَا ﴾ ويكون خبر كان ﴿ حَقًّا ﴾ .

---

(١) يراجع معالم الاهتداء (ص٨٧ ، ٨٨) بتصرف واختصار .

(٢) يراجع المكتفى (ص٤٤٨) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٩٠) ، والاقتداء (ورقة ٢٢٠) ، والبحر المحيط (ج٧ ص١٦٨) .

(٣) انظر القطع (ص ٥٦١) .

(٤) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٩٠) ، والاقتداء ورقة (٢٢٠) .

والتقدير : كان انتقامنا من هؤلاء حقًّا وعدلًا لا ظلمًا ، وعلى هذا يكون قوله تعالى : ﴿ عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ جملة مستأنفة . وكأنهم بالوقف على كلمة ﴿ حَقًّا ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يجمعون بين تحقيق العذاب والانتقام من الذين أجرموا وبين تحقيق نصر المؤمنين [١] .

والذي أراه : أن الوقف على قوله : ﴿ وَكَانَ حَقًّا ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ بعيد ولا يليق بفصاحة القرآن الكريم وأسلوبه الرفيع لما يلي :

أولًا : أن الإعراب السابق خلاف الظاهر المتبادر من الآية ؛ إذ إن الظاهر المتبادر منها أن ﴿ حَقًّا ﴾ خبر ﴿ كَانَ ﴾ و ﴿ نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ اسم ﴿ كَانَ ﴾ وإنما أخر اسمها وقدم عليه الخبر رعاية لفواصل الآي ، وللإهتمام بالخبر إذ هو محط الفائدة [٢] .

قال أبو حاتم : (وهذا أوجه من الأول لوجهين :

أحدهما : أنه لا يحتاج إلى تقدير .

والثاني : من حيث المعنى ؛ وذلك أي : الوقف على ﴿ حَقًّا ﴾ يوجب الانتقام ، ويوجب نصر المؤمنين ..) [٣] .

ثانيًا : أن هذا الوقف مخالف لما ثبت من قراءة النبي ﷺ فقد روي عن بن الدرداء ﷺ ، قال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من امرئ مسلم يذب عن عرض أخيه إلا كان حقًّا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة** » ثم تلا - عليه الصلاة والسلام - ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾) [٤] فهل قرأ النبي ﷺ ﴿ نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أو قرأ ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فحسبنا دليلًا على رد هذا الوقف قراءة النبي ﷺ للآية الكريمة » .

٨ - ومن ذلك الوقف على قوله : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ بِٱللَّهِ إِنَّ

---

(١) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج٢ ص٨٣٥) ، والمكتفى (ص٤٥٠) ، والقطع (٥٦٤) ، وجمال القراء (ج٢ ص٥٩١) .

(٢) يراجع البحر المحيط (ج٧ ص١٧٨) ، وروح المعاني (ج٢١ ص٥٢) .

(٣) انظر منار الهدى (ص٣٠١) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ج٦ ص٤٤٩) عن ليث عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ ثم ذكر الحديث . وفي (ج٦ ص٤٥٠) عن مرزوق أبي بكير التيمي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ ثم ذكر الحديث ، وأخرجه الإمام الترمذي في صحيحه - أبواب البر والصلة ؛ باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم .

﴿ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] . فمن وقف على قوله : ﴿ لَا تُشۡرِكۡ ﴾ وابتدأ بقوله : ﴿ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ فقد جعل متعلق ﴿ لَا تُشۡرِكۡ ﴾ محذوفًا تقديره : لا تشرك بالله . وجعل الباء في قوله : ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ للقسم والمقسم عليه ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ ولكن هذا الوقف وذلك الابتداء في غاية التعسف والتكلف وليس على ذلك أحد من أهل العربية والتفسير لعدة أمور :

أحدهما : أن تقدير الآية على هذا الوقف خلاف الظاهر من تركيب الآية وأسلوبها ، فإن الظاهر من أسلوب الآية أن قوله تعالى : ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ متعلق بالفعل قبله ﴿ لَا تُشۡرِكۡ ... ﴾ وأن جملة ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ مستأنفة لا محل لها من الإعراب سيقت تعليلاً للنهي عن الشرك وحينئذٍ لا تكون قسمًا كما يدعي البعض (١) .

ثانيها : أن ذلك غريب في العربية ، ووجه غرابته أن الأقسام في القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو فإذا ذكرت الباء أتى بالفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ٥٦] فلا توجد الباء مع حذف الفعل من ثمّ أخطأ من جعل ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ هنا قسمًا .

ثالثها : أن قوله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ إلى آخر الآيات تتضمن وصايا لقمان لابنه ، والواجب في الوصية - خصوصًا وصية الوالد لولده - أن تكون واضحة الغرض ، محددة الهدف بينة المقصود . لذا بدأ لقمان بأهمها وهي نهيه ابنه عن الشرك بالله تعالى ، ويعلل هذا النهي بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ ولقمان عليه السلام لا يقصد إلا النهي عن الشرك بالله تعالى لا مطلق الشرك ولا الشرك بغير الله الذي ينهى ابنه عنه ، وإذا كان الأمر كذلك وجب عليه أن يحدد نوع الشرك الذي ينهى ابنه عنه ، فيقول له : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ ﴾ حتى يدرك الولد من أول وهلة المعنى الخاص الذي يقصده والده فإذا قال له : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ ... ﴾ ولم يقل : ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ وكان ذلك مقصوده ، فإن الولد سيكون في حيرة وتخبط واضطراب ؛ لأنه يريد أن ينفذ وصية والده ، ولكنه لم يفهم مراده ولم يتبين مقصده . وإزاء هذا كله لا يسعنا إلا الجزم بأن لقمان حينما توجه بنصائحه إلى ابنه قال له : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ ﴾ وبناء على ما تقدم نستطيع أن نحكم بأن الوقف على قوله : ﴿ لَا تُشۡرِكۡ ﴾ والابتداء بقوله : ﴿ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ

(١) يراجع علل الوقوف (ج٢ ص٨٠٦) ، وفتح القدير (ج٤ ص٢٣٨) ، وروح المعاني (ج٢١ ص٨٥) .

لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ يجافي الصواب ويجانب الحقيقة الواقعة [١] .

بعد أن عرضنا بعض الوقوف التي يميل إليها المتكلفون المتنطعون ، ويتغنى بها المتشدقون [٢] المتفيهقون [٣] وقد تبين لنا من خلال نقد هذه الأوقاف وفحصها أنها تنبو عنها الأساليب القرآنية التي بلغت الذروة في البلاغة والبيان وتنفر منها معاني الآيات التي وصلت إلى الغاية في القوة والإعجاز .

فجدير بنا أن نتجنب هذه الوقوف وأشباهها لما فيها من التصنع [٤] والتكلف[٥] . والتمحل[٦] . والتعسف والتحريف للكلم عن مواضعه ، وكل ذلك يذهب برونق القراءة وروعة التلاوة ، وجلال الأداء [٧] . وبالجملة فعلى قارئ القرآن الكريم أن يراعي مواطن الوقف الذي يستريح عنده ، فلا يجوز له أن يقف على المضاف دون ما أضيف إليه [٨] ولا على المنعوت دون النعت [٩] ولا على الفعل دون الفاعل [١٠] ولا على الفاعل دون المفعول [١١] ولا على المؤكد دون التأكيد [١٢] ولا على المقطوع منه دون

---

(١) يراجع جمال القراء (ج٢ ص٥٩١) ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٦٣) ، والإتقان (ج٢ ص٢٢٧) ، ومنار الهدى (ص٣٠٣) ، معالم الاهتداء (ص٩٤ ، ٩٥) بتصرف واختصار .

(٢) المتشدقون : المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز ، والمتشدق في كلامه الذي يلوي شدقه للتفصح . لسان العرب (ج٤ ص٢٢١٧) .

(٣) تفيهق في كلامه تنطع وتوسع كأنه ملأ به فمه . القاموس المحيط (ج٣ ص٢٨٨) .

(٤) التصنع : أي تصنع تكلف الصلاح وليس به ، والتصنع : تكلُّفُ حُسْنِ السمت وإظهاره والتزين به . لسان العرب (ج٤ ص٢٥٠٩) .

(٥) والتكلف : يقال تكلف الشيء تجشمه على مشقة وعلى خلاف عادته ، ويقال حمل الشيء تكلفه إذا لم يطقه إلا تكلفا والمتكلف : الوقاع فيما لا يعنيه .

(٦) التمحل : من المماحلة وهي المماكرة والمكايدة ، وتمحل : أي احتال فهو متمحل ورجل مَحِل لا يُنفع به ومَحِل لفلان حقه تكلفه . لسان العرب (ج٦ ص٤١٤٧) ، ومختار الصحاح (ص٦١٧) .

(٧) يراجع النشر (ج١ ص٢٣٢) ، ومعالم الاهتداء (ص٩٥ ، ٩٦) بتصرف واختصار .

(٨) المضاف دون ما أضيف إليه نحو الوقف على ﴿ صِبۡغَةَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ ﴾ لأنها مضاف إلى ﴿ ٱللَّهِ ﴾ .

(٩) أما المنعوت دون النعت كالوقف على قوله : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ دون ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فإنه نعته [الفاتحة : ٢] .

(١٠) أما الفعل دون الفاعل ، كالوقف على قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ﴾ ويبتدئ ﴿ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ويبقى الفعل بغير فاعل . [التكوير : ٢٩] .

(١١) أما الفاعل دون المفعول ، كالوقف على كلمة ﴿ نُوحٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ ﴾ لأن الابن منصوب بنادى [سورة هود ١١ : آية ٤٢]

(١٢) نحو قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴾ [ص : ٧٣] فالوقف على ﴿ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ غير تام ؛ لأن قوله : ﴿ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴾ توكيد الملائكة .

القطع [١] ولا على المفسر دون التفسير [٢] ولا على المترجم عنه دون المترجم [٣] ولا على الأيمان دون جواباتها [٤] ولا على الحكاية دون المحكي [٥] إلى آخر ما ذكره علماء الوقوف ، وبسطوه من ذلك في مصنفاتهم [٦] . وقول أئمة الوقوف : ذلك لا يريدون به الوقف على ما ذكر وأمثاله حرام أو مكروه أو مما يوقع في الإثم والحرج ، وإنما يريدون بذلك نفى الجواز الأدائي الذي يحسن في التلاوة ويروق في القراءة . فمعنى لا يجوز الوقف على كذا لا يحسن الوقف عليه تلاوة وأداء فالوقف عليه يسلب التلاوة حسنها والقراءة روعتها وبهاءها [٧] . اللّهم إلا إذا كان هناك سبب يستدعي تحريم الوقف ، وموجب يقتضي تأيمه فهنا يكون الوقف التعسفي حرامًا .

قال صاحب المنح الفكرية في شرحه لقول الناظم :

وليس في القرآن من وقف وجب ولا حرام غير ماله سبب

(إنه ليس في القرآن وقف واجب يأثم القارئ بتركه ، ولا وقف حرام يأثم بوقفه ؛ لأنهما لا يدلان على معنى ، فيختل بذهابها إلا أن يكون لذلك سبب يستدعي تحريمه وموجب يقتضي تأثيمه كأن يقصد الوقف على ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [٨] و﴿ إِنِّي كَفَرْتُ ﴾ [٩] من غير ضرورة ونحوها ؛ إذ لا يقصد ذلك مسلم واقف على معناه ،

---

(١) نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾ [النحل : ٥٢] فالوقف على ﴿ الدِّينُ ﴾ غير تام ؛ لأن ﴿ وَاصِبًا ﴾ قطع منه وأصبح حالًا . يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤) بتصرف واختصار ، وفنون الأفنان (ص١٨٢) وما بعدها بتصرف واختصار .

(٢) نحو قوله تعالى : ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ [آل عمران : ٩١] فالوقف على « الأرض » قبيح ؛ لأن قوله : ﴿ ذَهَبًا ﴾ مفسر يميزه .

(٣) نحو قوله تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ [الصافات : ١٢٥ ، ١٢٦] . فالوقف على قوله : ﴿ الْخَالِقِينَ ﴾ غير تام ؛ لأن قوله ﴿ اللَّهَ .. ﴾ مترجم عن ﴿ أَحْسَنَ ﴾ .

(٤) نحو قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ [الليل : ١] لا يتم الكلام دون قوله : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ لأنه هو الجواب .

(٥) نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة : ١١٩] لا يتم الوقف على لفظ الجلالة .

(٦) يراجع إيضاح الوقف والابتداء (ج١ ص١١٦ – ١١٩) بتصرف واختصار ، ولطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٦ ، ٢٥٧) باختصار وفنون الأفنان (ص١٨٠) وما بعدها باختصار .

(٧) يراجع لطائف الإشارات لفنون القراءات (ج١ ص٢٥٧) ومعالم الاهتداء (ص٧٤ ، ٧٥) .

(٨) في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٦٢] .

(٩) في قوله تعالى – حكاية عن الشيطان ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

وإذا لم يقصد فلا يحرم عليه . لا الوصل ولا الوقف في مبناه . وأما غير الواقفين على معناه فالأمر سعة لهم ؛ إذ لا يتصور القصد لديهم لكن الأحسن مع عدم القصد أن يتجنب الوقف على مثل ذلك مطلقًا للإيهام على خلاف المراد لا سيما إذا كان مستمعًا في ذلك المقام)[1] .

والله تعالى أعلم

---

(١) انظر المنح الفكرية (ص٦١) وما بعدها ، ونهاية القول المفيد (ص١٦٨) وما بعدها .

الخاتمة

بعد هذا الجهد المتواضع الذي منَّ اللّه تعالى عليَّ به فيما يتعلق بموضوع

« الوقف والابتداء وأثرهما على المعنى في القرآن الكريم »

توصلت من خلال بحثي لهذا الموضوع إلى النتائج التالية : ـ

أولا : بالنسبة لما يتعلق بالتمهيد بين يدي البحث :

أ – أن علم الوقف والابتداء لم يكن غايته استراحة القارئ ؛ كي يستعيد نَفَسَهُ وقوته للاستمرار في التلاوة فحسب ، بل إنه يعطي التعبير القرآني الملاءمة اللازمة بين المعنى والصوت المعبر عنه ، كذلك يُظهر تعميق أثر الآيات ومعانيها في نفس السامع ، ويزيد في جمال جرس الكلمات ، فضلًا على ارتباطه وصلته الوثيقة بالعلوم الإسلامية والعربية الأخرى .

ب – أنني لم أقف في كتب المتقدمين لعلم الوقف والابتداء على تعريف اصطلاحي للابتداء ، ولعل السبب في ذلك أن الوقف كان شغلهم الشاغل ـ ومع ذلك فقد اختلفوا في تعريفه وفي أقسامه ـ بخلاف الابتداء فإنه غالبًا ما يكون بمحض إرادة القارئ .

ورغم ذلك فقد وفقني اللّه تعالى ؛ لتعريف الابتداء اصطلاحًا ـ وذلك استنباطًا من تعريف المحقق ابن الجزري للوقف ـ وهذا التعريف هو : أن الابتداء استئناف القراءة بعد الوقف ، أو الشروع في التلاوة بعد قطع أو وقف . فإن كان بعد قطع ، فعلى القارئ عند الشروع في التلاوة أن يستعيذ ويبسمل سواء كان في أوائل السور ، أم في أواسطها .

ج – أن الفاصلة لها ارتباط وثيق بعلم الوقف والابتداء ؛ لذا فقد اختلف العلماء في عدد آي القرآن الكريم ؛ إذ إن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي تعليمًا لأصحابه أنها رؤوس آي ؛ حتى علموا ذلك وصل ﷺ الآية بما بعدها طلبًا لتمام المعنى .

ثانيا : بالنسبة لما يتعلق بالوقف اللازم ، وأثره على المعنى في القرآن الكريم :

أ – أن الوقف اللازم غير الوقف التام غالبًا ، بخلاف ما ذهب إليه بعض العلماء من أن الوقف اللازم هو التام ؛ إذ إن الوقف اللازم أعم من الوقف التام ، فيشمل الوقف التام والكافي وقد يشمل الحسن .

ب – أن المراد باللزوم عند علماء التجويد : هو اللزوم الصناعي ، وهو ما يحسن فعله

ويقبح عند علماء التجويد تركه ، وليس اللزوم الشرعي الذي يقصده علماء أصول الفقه .

ج - تبين لي من خلال بحثي أن بعض مصححي طبعات المصاحف قد تساهلوا بوضع علامة (م) الدالة على الوقف اللازم على بعض الكلمات التي غالبًا لا يكون الوقف عليها لازمًا بل لا أكون مغاليًا إذا قلت إنه لا يجوز الوقف عليها ـ كما سبق في ما انفردت به بعض طبعات المصاحف .

ثالثًا : بالنسبة لما يتعلق بالوقف التام ، وأثره على المعنى :

أن ما مثل به القائلون بأن الوقف التام قد يوجد بعد انقضاء الفاصلة بكلمة أو بكلمتين لا يُعد من قبيل الوقف التام ، بل هو من قبيل الوقف الكافي ، وذلك لوجود التعلق المعنوي بين الموقوف عليه وما بعده .

رابعًا : بالنسبة لما يتعلق بالوقف الحسن :

بعد البحث والتمحيص في هذا الفصل لاحظت أن أكثر طبعات المصاحف غالبًا ما ترمز بعلامة (لا) الدالة على الوقف الممنوع للوقف الحسن ، وفي ذلك إشارة إلى أن الكلمة التي عليها (لا) يحسن الوقف عليها ـ لأنها مفيدة بنفسها ـ ولا يجوز الابتداء بما بعدها ؛ لأنه مرتبط بها لفظًا كأن يكون حالًا أو صفة ونحو ذلك .

خامسًا : بالنسبة لما يتعلق بالوقف الجائز ، وأثره على المعنى :

أن الوقف الجائز جوازًا مستوي الطرفين غالبًا ما يوافق الوقف الكافي في وجه القطع ؛ لذا نجد أكثر علماء الوقوف يوردون بعض الوقوف الجائزة جوازًا مستوي الطرفين في القرآن الكريم تحت طائلة الوقف الكافي أخذًا بما يُجوّز وجه الوقف دون ما يُجوّز وجه الوصل .

وأخيرًا فإنني أوصي بالتوجيهات الآتية :

١ - أن تشكل لجنة علمية خاصة من علماء المسلمين الذين لهم باع طويل في علوم القرآن الكريم . وذلك للإشراف على طبع المصاحف الشريفة على أن تقوم هذه اللجنة بإعداد طبعة للمصحف الشريف موحد فيها علامات الوقوف القرآنية ، على أن توزع هذه الطبعة على جميع أقطار العالم الإسلامي ، وذلك لما يوهمه اختلاف الطبعات من تردد عند بعض القراء الذين ليس لديهم دراية كافية بفن الوقف والابتداء في لزوم الوقف ومنعه .

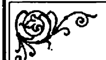
ومثال ذلك :

اختلاف بعض الطبعات في وضع علامة الوقف على قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [البقرة : ١١٦] .

فطبعة مصحف الأزهر الشريف : قد وضعت علامة (م) على كلمة ﴿ وَلَدًا ﴾ .وطبعة باكستان والعراق : قد وضعت عليها علامة (لا) وذلك يوقع القارئ في شك وحيرة فيا تُرى هل يلزم الوقف على كلمة ﴿ وَلَدًا ﴾ كما في طبعة الأزهر أو يصير الوقف ممنوعًا كما في طبعتي باكستان والعراق .

٢ - أن تقوم جامعة الأزهر الشريف بتكليف عدد من الباحثين بتحقيق المصنفات المخطوطة الخاصة بفن الوقف والابتداء - والتي عفا عليها الزمن وأوشكت أن تأكلها الأرضة ؛ وذلك إسهامًا فى خدمة القرآن الكريم وعلومه الجمة التي ينتفع بها جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

٣ - أن تقرر جامعة الأزهر هذا الفن منهجًا على الكليات المتخصصة ؛ وذلك لخدمة كتاب الله تعالى ، ولمعرفة طلاب العلم مواطن الوقف والابتداء ، وبذلك يظهر الإعجاز القرآني .






وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم

الفهارس

وتشتمل على ما يلي :

أولًا : فهرس الأحاديث .

ثانيًا : فهرس الأعلام .

ثالثًا : فهرس أهم المصادر والمراجع .

رابعًا : الفهرس العام .



أولًا : فهرس الأحاديث

ثانيًا : فهرس الأعلام

ثالثا : فهرس اهم المصادر والمراجع المطبوعة

١ - إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع : للإمام الشاطبي عبد الرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم - المتوفى سنة ٥٩٠ - ط/ مصطفى الحلبي - القاهرة .

٢ - إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر : للإمام أحمد بن محمد البنا - (ت : ١١١٧هـ/١٧٠٥ م) تحقيق أ . د . شعبان محمد إسماعيل ط/ عالم الكتب - بيروت الناشر / مكتبة الكليات الأزهرية .

٣ - الإتقان في علوم القرآن : للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ط /الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية .

٤ - أحكام تلاوة القرآن الكريم : تأليف : أ . د . حمودة محمد داود ، و أ . د . شعبان محمد إسماعيل ط / أولى عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م) لدار الهدى للطباعة بالقاهرة .

٥ - الإحكام في أصول الأحكام : للإمام سيف الدين علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١هـ) ط / دار الحديث بالقاهرة .

٦ - أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي (ت : ٥٤٣هـ) تحقيق علي محمد البجاوي . ط / عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٧ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم لخاتمة المحققين وإمام المدققين أبي السعود محمد ابن محمد العماري (ت : ٩٥١هـ) - ط / محمد علي صبيح وأولاده - بالقاهرة .

٨ - أسباب النزول : للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي . وبهامشه الناسخ والمنسوخ للعلامة : أبي القاسم هبة الله بن سلامة أبي النصر - ط/ عالم الكتب - بيروت - لبنان توزيع مكتبة المتنبي بالقاهرة .

٩ - الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ط / السعادة - القاهرة . ط١ (١٣٢٨هـ /١٩١٠م)

١٠ - الإضاءة في بيان أصول القراءة للشيخ علي محمد الضباع ، ملتزم الطبع عبد الحميد حنفي بشارع المشهد الحسيني - القاهرة

١١ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . تأليف / محمد الأمين بن محمد المختار - ط / عالم الكتب - بيروت .

١٢ - إعراب القرآن : للعلامة أحمد بن محمد المعروف بالنحاس . تحقيق د . زهير غازي زاهد ط٢ (عام ١٤٠٥هـ) لعالم الكتب ومكتبة النهضة العربية .

١٣ - إعراب القرآن : لمحيي الدين الدرويش ط/ اليمامة - دمشق بسوريا .

١٤ - الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي ط / دار الملايين - بيروت - لبنان .

١٥ - الأمثال في القرآن : للأستاذ الدكتور / محمود بن الشريف ط / دار المعارف بالقاهرة .

١٦ - إملاء ما مَنَّ به الرحمن : للعلامة أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت : ٦١٦هـ) نشر / دار الهلال - بيروت - لبنان .

١٧ - إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف (ت : ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط/ دار الكتب المصرية .

١٨ - إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ للعلامة ابن الأنباري : أبو بكر محمد بن القاسم ابن بشار الأنباري - تحقيق / محيي الدين عبد الرحمن ط١/ مجمع اللغة العربية بدمشق عام (١٣١٩هـ /١٩٧١م) .

١٩ - البحر المحيط : للإمام أبي حيان الغرناطي أبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان (ت : ٧٤٥هـ) - ط / دار الفكر للطباعة والنشر .

٢٠ - البداية والنهاية : للحافظ ابن كثير الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) - ط/ دار الغد العربي - القاهرة .

٢١ - البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت : ٧٩٤هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث بالقاهرة .

٢٢ - بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل : للشيخ / عبد الفتاح القاضي - ط / الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية .

٢٣ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للإمام جلال الدين السيوطي (ت : ٩١٨هـ) - ط / مكتبة السعادة بالقاهرة .

٢٤ - البيان في غريب القرآن : للعلامة ابن الأنباري - تحقيق د . طه عبد الحميد طه - ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٥ - تاج العروس من جواهر القاموس : لمحمد مرتضى الزبيدي (ت : ١٢٠٥هـ) نشر : دار مكتبة الحياة - بيروت .

٢٦ - تاريخ الأدب العربي - لكارل بروكلمان ، نقله إلى العربية د . عبد الحليم النجار - ط٣/ دار المعارف بالقاهرة .

٢٧ - تاريخ بغداد : لأحمد بن علي الخطيب (ت : ٤٦٣هـ) - ط / المكتبة السلفية - بالمدينة المنورة .

٢٨ - التحرير والتنوير : للطاهر ابن عاشور - ط/ الدار التونسية للنشر .

٢٩ - تذكرة الحفاظ : لشمس الدين الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣٠ - التسهيل لعلوم التنزيل : لابن جزي الكلبي - ط / دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان

٣١ - التعريفات : للإمام الجرجاني : الشريف علي بن محمد الجرجاني ط / دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٣٢ - تفسير جزء تبارك للشيخ عبد القادر المغربي - كتاب الشعب سنة ١٩٥٧م .

٣٣ - تفسير جزء عم للإمام محمد عبده - كتاب الجمهورية .

٣٤ - تفسير القرآن العظيم : للإمام الجليل الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير (ت : ٧٧٤هـ) ط / دار إحياء الكتب العربية - القاهرة

٣٥ - التفسير القرآني للقرآن - تأليف : أ . عبد الكريم الخطيب - ط / دار الفكر العربى .

٣٦ - التفسير الكبير : للإمام فخر الدين الرازي : محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت : ٦٠٦هـ) - ط / دار الغد العربي - القاهرة .

٣٧ - تفسير المنار : للشيخ محمد رشيد رضا - ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٨ - التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لـ أ . د . / وهبة الزحيلي ط / دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان .

٣٩ - تفسير النسفي : للإمام الجليل أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي - ط / دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .

٤٠ - التفسير الواضح : للشيخ محمد محمود حجازي . مطابع دار الكتاب العربي القاهرة .

٤١ - التمهيد في علم التجويد ، للإمام أبي الخير محمد بن الجزري (ت : ٨٣٣هـ) - تحقيق غانم قدري ط١ / لمؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .

٤٢ - تهذيب التهذيب : للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) ط / دار صادر - بيروت - لبنان .

٤٣ - التيسير للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت : ٥٠٢هـ) الناشر / مكتبة المثنى - بغداد .

٤٤ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للأئمة : الرماني والخطابي والجرجاني ط / دار المعارف بالقاهرة .

٤٥ - جامع البيان في تفسير القرآن : للإمام الطبري (ت : ٣١٠هـ) ط / دار المعرفة - بيروت - لبنان .

٤٦ - الجامع الصحيح للترمذي : للإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٧٩هـ) ط/ دار الكتاب العربي .

٤٧ - الجامع لأحكام القرآن : للإمام القرطبي : أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت : ٦٧١هـ) - ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٤٨ - الجدول في إعراب القرآن وصرفه ، للعلامة / محمود صافي ط / دار الرشيد - دمشق - سوريا .

٤٩ - جمال القراء وكمال الإقراء : للإمام علم الدين علي بن علي السخاوي (ت : ٦٤٣هـ) تحقيق د/ علي حسين البواب - ط١ عام (١٤٠٨هـ/١٩٧٨م) مطبعة المدني والمؤسسة السعودية بالقاهرة - الناشر مكتبة الخانجي .

٥٠ - الجنى الداني في حروف المعاني : للعلامة الحسن بن قاسم المرادي (ت : ٧٤٩هـ) تحقيق د / فخر الدين قباوة ، وأ/ محمد نديم - منشورات دار الآفاق - بيروت - لبنان .

٥١ - جواهر البلاغة : للأستاذ / أحمد هاشم - ط / دار إحياء التراث العربي .

٥٢ - الجواهر في تفسير القرآن الكريم : للشيخ / طنطاوي جوهري ط / مصطفى البابي الحلبي عام ١٣٥٠هـ .

٥٣ - حاشية الخطيب على البيضاوي - ط / مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .

٥٤ - حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي ، وكفاية الراضي على تفسير البيضاوى ط / دار صادر - بيروت - لبنان .

٥٥ - الحجة في علل القراءات : للعلامة أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي تحقيق أ . علي ناصف ، ود . عبد الحليم النجار ود . عبد الفتاح شلبي - ط / دار الكتاب العربي للطباعة والنشر عام ١٣٨٥هـ / ١٩٥٦م .

٥٦ - حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع - متن الشاطبية - للإمام الشاطبي : القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي (ت : ٥٩٠هـ) - ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة .

٥٧ - حق التلاوة : كتاب منهجي تطبيقي لتعلم تجويد القرآن وتعليمه على رواية حفص عن عاصم - تأليف : حسيني شيخ عثمان - ط/ مكتبة المنار بالأردن .

٥٨ - خزانة الأدب ولب لباب العرب : وهو شرح الكافية للرضي - تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي - المطبعة السلفية .

٥٩ - الخصائص لابن جني : تحقيق محمد علي النجار - الناشر دار الهدى - بيروت .

٦٠ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم : تأليف أ . د . محمد عبد الخالق عضيمة ط/ السعادة - القاهرة .

٦١ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق د/ أحمد محمد الخراط - ط/ دار القلم - دمشق - سوريا .

٦٢ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : لإبراهيم بن فرحون المالكي (ت : ٧٩٩هـ) ط / مكتبة السعادة عام ١٣٢٩ه - بالقاهرة .

٦٣ - ديوان جرير : تحقيق د . نعمان أمين طه - ط/ دار المعارف .

٦٤ - ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط/ المعارف ١٩٥٨

٦٥ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل السيد محمد

الألوسي (ت : ١٢٧٠هـ) ط٤/ لدار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان .

٦٦ - زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي . تحقيق محمد زهير الشاويش . ط١/ عام (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) المكتب الإسلامي بيروت - لبنان .

٦٧ - السبعة في القراءات : للإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس . تحقيق د . شوقي ضيف - ط٣/ دار المعارف بالقاهرة .

٦٨ - سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهى : للإمام أبي القاسم علي بن عثمان ابن محمد العذري - ط٣/عام (١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) ط/ مصطفى البابي الحلبي .

٦٩ - السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للإمام الخطيب الشربيني - ط / علي بك جودت - بالقاهرة .

٧٠ - سنن أبي داود : للحافظ سليمان بن الأشعث (ت : ٢٧٥هـ) نشر وتوزيع محمد على السيد - بحمص - وط/ دار إحياء التراث العربي .

٧١ - سنن ابن ماجه : للإمام محمد بن يزيد القزويني (ت : ٢٧٥هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - ط/ المكتبة العلمية .

٧٢ - سنن الدارمي : للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى (ت : ٢٥٥هـ) ط / دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

٧٣ - سنن النسائي للإمام - أبي عبد الرحمن النسائي (ت ٣٠٣هـ) بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي - ط/ دار الحديث بالقاهرة .

٧٤ - شذرات الذهب : لابن عماد الحنبلي (ت : ١٠٨٩هـ) ط/ دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٧٥ - شذور الذهب في معرفة كلام العرب : تأليف الإمام أبي محمد جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام (ت ٧٦١هـ) . ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شذور الذهب . تأليف الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد - ط/ دار الفكر .

٧٦ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك للإمام بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت : ٧٦٩هـ) ومعه كتاب منحة الجليل ، بتحقيق شرح ابن عقيل للشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد - ط / عالم الكتب - بيروت .

٧٧ - شرح « كلا وبلى ونعم » والوقف على كل واحدة منهن في كتاب الله ﷻ للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق د . أحمد حسن فرحات ط / دار المأمون للتراث - دمشق - سوريا .

٧٨ - شرح متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية ، للعلامة محمد بن الجزري - ط/ محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة .

٧٩ - شرح النووي على صحيح مسلم : للإمام أبي زكريا النووي (ت : ٦٧٦هـ) ط / دار الريان للتراث - القاهرة .

٨٠ - صفوة التفاسير : للأستاذ الدكتور محمد علي الصابوني ط / مكتبة الغزالي - دمشق - سوريا .

٨١ - ضياء السالك إلى أوضح المسالك لابن هشام ط / مكتبة السعادة - بالقاهرة .

٨٢ - العقد الفريد في فن التجويد : لعلي بن أحمد صبرة (ت : ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م) تحقيق أ . د/ شعبان محمد إسماعيل - ط / المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة .

٨٣ - علل الوقوف : للإمام أبي عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي (ت : ٥٦٠هـ) تحقيق د/ محمد بن عبد الله العبدي - الناشر / مكتبة الرشد بالرياض .

٨٤ - غاية النهاية في طبقات القراء : للحافظ محمد بن الجزري ط١ عام (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) مطبعة الخانجي - بالقاهرة .

٨٥ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان : للإمام النيسابوري مطبوع بهامش جامع البيان للطبري - ط/ دار المعرفة - بيروت - لبنان .

٨٦ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) - ط/ دار الريان للتراث - القاهرة .

٨٧ - فتح البيان في مقاصد القرآن : لصديق حسن خان ط / العاصمة - بالقاهرة

٨٨ - فتح القدير الجامع بين فني الدراية من علم التفسير : للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) - ط/ دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٨٩ - فتح المجيد شرح كتاب العميد في علم التجويد : للشيخ محمود علي بسة . تحقيق / محمد صادق قمحاوي - ط / حسان بالقاهرة .

٩٠ - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية : للعلامة سليمان بن عمر العجيلي - الشهير بالجمل (ت : ١٢٠٤هـ) ط/ عيسى البابي الحلبي وشركاه - بالقاهرة .

٩١ - فقه السنة : للشيخ سيد سابق - ط / المطبعة النموذجية - بالقاهرة .

٩٢ - فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن : للحافظ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي تحقيق / محمد إبراهيم سليم . ط/ مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع - بالقاهرة .

٩٣ - الفهرست : لابن النديم - الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .

٩٤ - في رحاب القرآن : للدكتور/ محمد سالم محيسن - الناشر مكتبة الكليات الأزهرية - بالقاهرة .

٩٥ - في ظلال القرآن : للشيخ سيد قطب ط / دار الشروق - بيروت - لبنان

٩٦ - القاموس الجديد للطلاب : معجم عربي ألفبائي - تأليف / علي بن هداية وبلحسن البليشي

والجيلاني بن الحاج يحيى - الناشر الشركة التونسية للتوزيع - بتونس .

٩٧ - قصص الأنبياء : لـ أ . د . عبد الوهاب النجار الناشر دار التراث - بالقاهرة .

٩٨ - القطع والائتناف ، للعلامة أحمد بن محمد أبي جعفر النحاس - تحقيق د/ أحمد خطاب العمر - ط١ / لوزارة الأوقاف العراقية - مطبعة العاني - ببغداد .

٩٩ - قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم لأبي عاصم عبد الفتاح القارئ - الناشر : مكتبة الدار - بالمدينة المنورة .

١٠٠ - القول المنصف في تفسير سورة يوسف - بقلم محمد طه الباليساني . ط / وزارة الأوقاف والشئون الدينية - بغداد .

١٠١ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٢٨هـ) الناشر / دار الريان للتراث بالقاهرة .

١٠٢ - كشف الخفا ومزيل الإلباس : للعجلوني - تعليق / أحمد القلاش .

ط / دار التراث - بالقاهرة ومكتبة التراث الإسلامي - حلب - سوريا .

١٠٣ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة (ت : ١٠٦٧هـ) الطبعة الأولى - ط / المعارف .

١٠٤ - الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها : للعلامة أبي محمد المكي بن أبي طالب (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق/ محيي الدين رمضان ط/ مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان .

١٠٥ - لباب التأويل في معاني التنزيل : للعلامة الخازن : علي بن محمد بن إبراهيم (ت : ٧٢٥هـ) ط / مطبعة التقدم العلمية - بمصر .

١٠٦ - لسان العرب لابن منظور : تحقيق أ. عبد الله الكبير ، وأ. محمد أحمد حسب الله ، وأ.هاشم محمد الشاذلي - ط / دار المعارف بالقاهرة .

١٠٧ - لسان الميزان : لابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) تصحيح أمير الحسن النعماني وأبو بكر الحضرمي حيدرأباد الهند - ط / دائرة المعارف العثمانية .

١٠٨ - لطائف الإشارات لفنون القراءات : للإمام شهاب الدين القسطلاني (ت : ٩٢٣هـ) - تحقيق / الشيخ عامر السيد عثمان ، وأ . د/ عبد الصبور شاهين . ط / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية عام ١٣٨٢هـ/١٩٧٢م بالقاهرة .

١٠٩ - مجلة كلية اللغة العربية - بإيتاي البارود العدد التاسع ١٤١٣هـ/١٩٩٢م مطابع الشناوي - بطنطا .

١١٠ - مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن بن فضل الطبرسي المشهدي (ت : ٥٣٨هـ) منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

١١١ - محاسن التأويل : للعلامة محمد جمال الدين القاسمي - تحقيق أ . محمد فؤاد عبد الباقي

ط / دار إحياء الكتب العربية - بالقاهرة .

١١٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية أبو محمد عبد الحق غالب بن عطية الأندلسي (ت : ٥٤٦هـ) تحقيق المجلس الأعلى بفاس .

١١٣ - مختار الصحاح : للعلامة محمد بن أبي بكر الرازي (ت : ٦٦٦هـ) الناشر دار الرسالة - بالكويت .

١١٤ - المستدرك على الصحيحين في الحديث ، للحافظ محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم (ت : ٤٠٥هـ) ط / دار الفكر - (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) - بيروت .

١١٥ - مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) الناشر / دار إحياء السنة النبوية - بالقاهرة .

١١٦ - المسودة في أصول الفقه - تحقيق أ . محمد محيي الدين عبد الحميد . ط / دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان .

١١٧ - مشكل إعراب القرآن : للعلامة أبي محمد مكي بن أبي طالب (ت : ٣٥٥هـ/٤٣٧م) تحقيق ياسين محمد السواس ط٢/ نشر دار المامون للتراث - دمشق - سوريا .

١١٨ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي - للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت : ٧٧٠هـ) - ط / المكتبة العلمية - بيروت - لبنان .

١١٩ - معالم الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء : تأليف خادم القرآن الكريم الشيخ/ محمود الحصري - مطابع شركة الشمرلي - بالقاهرة .

١٢٠ - معالم التنزيل : للإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٦ هـ) - ط/ دار المعارف - بيروت - لبنان .

١٢١ - معاني القرآن للأخفش : سعيد بن مسعدة (ت : ٢٠٧هـ) تحقيق د/ عبد الأمير محمد أمين الورد - ط/ عالم الكتب - بيروت - لبنان .

١٢٢ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج : أبي إسحاق إبراهيم بن السري (ت : ٣١١هـ) تحقيق د/ عبد الجليل شلبي - ط / عالم الكتب - بيروت - لبنان .

١٢٣ - معاني القرآن للفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد (ت : ٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار . ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٢٤ - معجم الأدباء : لياقوت أبي عبد الله الحموي - ط٣/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٢٥ - معجم لغة الفقهاء : تأليف أ . د . محمد رواس قلعة حجي ، ود . حامد صادق قنيبي - ط / دار النفائس - بيروت - لبنان .

١٢٦ - معجم المطبوعات العربية والمعربة - لإلياس سركيس الناشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة .

١٢٧ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ط/ مكتبة المثنى - بالقاهرة .

١٢٨ - المغازي للإمام الواقدي : محمد بن عمر بن واقد (ت : ٢٠٧هـ) - ط/ دار المعارف بالقاهرة .

١٢٩ - المغني للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت : ٦٢٠هـ) على مختصر أبي القاسم الخرقي (ت : ٣٣٤هـ) ط/ دار الغد العربي - القاهرة .

١٣٠ - المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين بن محمد (ت : ٥٠٢هـ) - تحقيق/ محمد سيد كيلاني . ط/ مصطفى البابي الحلبي - القاهرة .

١٣١ - مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله لابن فارس - تعليق عبد العزيز الميمني الراجكوتي - ضمن مجموعة المطبعة السلفية - ط/ ١٣٨٧هـ .

١٣٢ - المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء : لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري (ت : ٩٢٦هـ/١٥٢٠م) مطبوع بهامش منار الهدى . ط/ مصطفى البابي الحلبي - بالقاهرة .

١٣٣ - المكتفى في الوقف والابتداء وفي كتاب الله ﷿ ، للإمام المقرئ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت : ٤٤٤هـ/١٠٥٢م) تحقيق د . يوسف عبد الرحمن المرعشلي - مؤسسة الرسالة - بيروت (ط٢/ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) .

١٣٤ - الملل والنحل : للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفي سنة٥٤٨هـ - مطبوع بهامش في الملل والأهواء والنحل ، للإمام ابن حزم الظاهري . ط/ دار المعرفة - بيروت - لبنان .

١٣٥ - المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية . تأليف العلامة ملا علي بن سلطان محمد القاري - الطبعة الأخيرة عام (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م) لمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بالقاهرة .

١٣٦ - منار السالك إلى أوضح المسالك : لابن هشام - تحقيق أ . محمد علي النجار - ط/ الفجالة الجديدة - بالقاهرة .

١٣٧ - منار الهدى في بيان الوقف والابتداء : للعلامة أحمد بن عبد الكريم الأشموني - الطبعة الثانية - مطبعة / مصطفى البابي الحلبي - بالقاهرة .

١٣٨ - مناهل العرفان في علوم القرآن : للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ط/ دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابي الحلبي) بالقاهرة .

١٣٩ - من لطائف البيان في سورة يوسف ﵇ : لـ أ . د . محمد بكر إسماعيل - الناشر مكتبة الرشد بالقاهرة .

١٤٠ - الموافقات في أصول الأحكام : للإمام الشاطبي : أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي (ت : ٧٩٠هـ) ط/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٤١ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للإمام شمس الدين الذهبي (ت : ٧٤٨هـ) تحقيق/ علي محمد البجاوي - ط/ دار المعرفة - بيروت - لبنان .

١٤٢ - النشر في القراءات العشر : للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت : ٨٣٣هـ) ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

١٤٣ - نظام الأداء في الوقف والابتداء : لأبي الأصبغ الأندلسي المعروف بابن الطحان -

تحقيق د/ علي حسين البواب ط/ مكتبة المعارف - بالرياض .

١٤٤ - نفائس البيان في شرح الفرائد الحسان في عد آي القرآن : تأليف الشيخ عبد الفتاح القاضي . ط/ (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) الهيئة لشئون المطابع الأميرية .

١٤٥ - النكت الظراف على الأطراف : للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت : ٨٥٢هـ) تحقيق / عبد الصمد شرف الدين - مطبع بأسفل كتاب تحفة الأشراف للمزي . ط/ الدار القيمة - الهند .

١٤٦ - نهاية السول شرح منهاج الوصول : للإمام جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي (ت: ٧٧٢هـ) - ط/ عالم الكتب - بيروت .

١٤٧ - نهاية القول المفيد في علم التجويد : للشيخ محمد مكي نصر ط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بالقاهرة .

١٤٨ - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار : شرح منتقى الأخيار للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) ط/ مكتبة دار التراث - بالقاهرة .

١٤٩ - وفيات الأعيان لأحمد بن محمد بن خلكان (ت : ٦٨١هـ) ط/ دار الثقافة - بيروت - لبنان .

المصادر المخطوطة

١ - الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء للنكزاوي - المكتبة الأزهرية - برقم (١٢٢) ١٠٩٨٩ .

٢ - الوقوف للإمام السجاوندي - المكتبة الأزهرية - برقم (١٩٤) ١٦٢٠٢ .

٣ - شرح النويري على طية النشر - ضمن مجموعة كتب الشيخ عبد العزيز محمد عيسى - مكتبة كلية الشريعة - بدمنهور .

رابعًا : الفهرس العام

الفَصْلُ الأوَّلُ

الفَصْلُ الثَّانِي

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الفصل الرابع

الفَصْلُ الخَامِسُ

الفَصْلُ السَّادِسُ

الفصل السابع

الوقف على المستثنى منه وبعض أسماء الإشارة

الفَصْلُ الثَّامِنُ

الفصل التاسع

الفَصْلُ العَاشِرُ

تم بحمد الله تعالى

رقم الإيداع
2005/11812
الترقيم الدولي I.S.B.N
977-342-309-3

